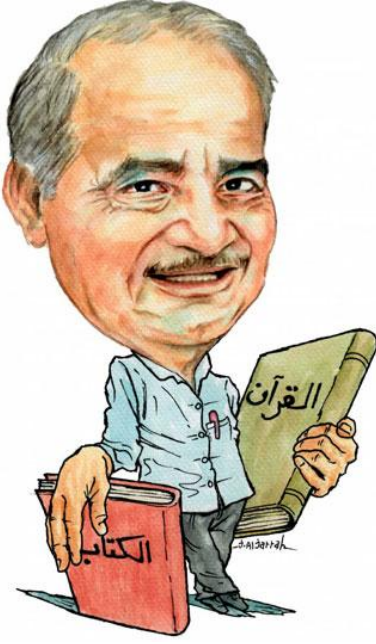




التفكير والتغيير

د. محمد شحرور

قراءة مُعاصرة للتّنزيل الحكيم

- الأسس والضوابط
- التّنزيل الحكيم
- المصطلحات والمفاهيم القرآنية
- المحكم والمتشابه
- الإنزال والتّنزيل
- أزمة ألفقه الإسلامي
- مفاهيم الوجود
- جدل الكون والإنسانية
- نظرية المعرفة الإنسانية
- الرسالة والنبوة
- القضاء والقدر
- الأعمال والأرزاق
- الشهوات الإنسانية ومفاهيم الجمال
- آدم ونشأة الكلام الإنساني
- إبليس - الطاعة والمعصية
- الإسلام والمسلمون
- أركان الإسلام وأركان الأيمان
- رسالة محمد ومضامينها
- الحنيفية والإستقامة وعلاقتها بالحدود
- الإسلام وقضايا المرأة الوصية والإرث
- الإسلام وقضايا المرأة التعددية الزوجية
- الإسلام وقضايا المرأة القوامة
- الإسلام وقضايا المرأة الحجاب
- الأبوان والوالدان
- العباد والعبيد
- الشهادة والشهيد
- الدين والسلطة
- الدين والسلطة الحاكمة ١ - ٥
- ألقصص القرآني ١ - ٣

إعداد/ إبراهيم خريبي

محمد شحرور- قِراءة مُعاصرة

الدكتور محمد شحرور في أكثر من مقابلة يرد على سؤال يتكرر على بال الكثيرين، ما الذي دفع إنسان درس الهندسة المدنية في جامعات موسكو، وتابع دراسته العليا في بريطانيا ليتجه إلى قراءته المعاصرة.

يقول الدكتور محمد شحرور، بعد حرب ٦٧ بين إسرائيل والدول العربية والتي انتهت بهزيمة الدول العربية واحتلال أجزاء كبيرة من مصر وسوريا والصفة الغربية التي كانت تحت السيادة الأردنية، استمع إلى أول خطبة جمعة بعد تلك الحرب والتي تحدث فيها إمام الجامع قائلاً بالحرف الواحد: **أَنَا هُزْمْنَا لِأَنَّ النِّسَاءَ يَخْرُجْنَ مِنْ بِيوتِهِنَّ كِاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ.**

يتابع الدكتور شحرور قائلاً ، بعد أيام قليلة إلتقي أحد الشيوخ عيين والذي قال له: **أَنَا هُزْمْنَا لِأَنَّا نَصُومُ فِي رَمَضَانَ.**

يقول الدكتور أنه أيقن حينها أنّ هناك أزمة في طريقة التفكير لدى المواطن العربي وهذا ما دفعه إلى ألبحث المطول الذي قاده إلى دراسته المعاصرة، والتي سنحاول أن نلقى الضوء على ما جاءت به من أفكار قد تكون صادمة وصادمة جدا للبعض الذين سيجدون فيها نسفا لما عهدوه من تراث وأفكار موروثية.

يبدأ الدكتور شحرور مشيراً إلى إحدى المقابلات الصحفية التي أشار فيها مفتي الديار المصرية قائلاً: **إنّ الفقه الإسلامي قد حل أكثر من مليون ومئتي ألف مسألة فقهية !** ويسأل الدكتور: هل هذا هو الدين الذي جاء رحمة لكل الناس.

يُصِرّ الدكتور على أنّ الأساس في الحياة هي الإباحة وأن الحرام محدد، ويتساءل: بم تفتنون أيها الفقهاء؟ ليعلق قائلاً أن الله وحده الحق في التحريم لأن التحريم شمولي وأبدي ويشرح قائلاً:

أنّ الحرام في مكة حرام في نيويورك وطوكيو وموسكو وبكين والقدس والقاهرة وفي كل مكان (شمولي)، وإن الحرام يبقى حراماً حتى قيام الساعة (أبدي) .. أما الحلال فلا يُمارَس إلا مُقيد وأن الحرية يُحددها المجتمع ليخلص إلى القول أن مفهوم **المندوب والمكروه** لا معنى له.

إن مشكلتنا كمسلمين أننا تركنا كتاب الله وتمسكنا بما قاله الفقهاء فبات الدين بالنسبة إلينا هو ما قاله الشافعي وليس ما جاء به الرسول الأعظم، وهذا نتحمل مسئوليتته نحن وليس من اجتهدوا في القرون الأولى، لأنه لم يقل أحد منهم أن نجعل اقوالهم قرآناً بل على العكس بينوا لنا أن ما قالوه هو إجتهدهم وهو ما فهموه في زمانهم وأن علينا نحن ايضاً ان نجتهد كما اجتهدوا.

يقول ابن كثير: **(الْقُرْآنُ يُفسَّرُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَإِذَا أَعْيَاكَ فَعَلَيْكَ بِالسَّنَةِ).** والكثير قالوا هذا أيضاً.

مشكلة العقل العربي تكمن في الثقافة الإسلامية الموروثة التي وضعت أسسها من قبل الناس

- الكتاب
- السنه
- الإجماع
- القياس

كتاب الله يحمل مفاتيح فهمه من داخله.

عندما يُقال (عالم) يتبادر للعقل العربي أنّ الحديث يدور عن عالم الدين، ولهذا أسبابه .. فلسنين طويله كانت كل الأسئلة التي يحتاج العربي في زمن الرساله وبعدها بقرون الإجابة عليها أمور دُنيوية ليس لها

أي علاقة بالفيزياء أو الرياضيات أو الفلك أو ما شابه وإنما أكثرها أمور تتعلق بالحلال والحرام، ولذا ارتبط مفهوم كلمة عالم بعالم الدين وفسروها كذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ علما بأن سياق الآيات التي وردت فيها هذه العبارة القرآنية يشير إلى غير ذلك تماما. يقول

سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرُّسُلُ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ سِدْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الْجِبَالِ جُدُودٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ وَمِنْ النَّاسِ

وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ فاطر: ٢٧ - ٢٨

فالآيات تتحدث عن عالم النبات، وعالم الجيولوجيا وعن عالم البيولوجيا ولا يوجد أي إشارة هنا إلى عالم الدين.

العقل العربي عقل قياسي والعقل القياسي عقل عاجز عن إنتاج المعرفة (اكتشاف القوانين وليس إستعمالها) **والعقل العربي عقل فقهي** (قبل أن يسأل كيف يستعمل أي منتج ولم يستعمله يسأل هل هو حلال أم حرام) .. ونحن اليوم نعتمد دائما على ما قاله السلف ونحاول أن نعيش القرن الحالي تماما كما كانوا هم في بداية الدعوة وبالتالي لا يمكن أبدا أن ننتج أي شيء.

يقول أينشتاين: **إنه من الحماسة أن تظن أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرر الشيء نفسه.**

يتساءل البعض لماذا نظل الأصالة على حساب الإبداع وكل الأمم تهتم بأصالتها؟

نقول لهؤلاء وأمثالهم أن أصالة المجتمع تتكون من عاداته التي لا تقف عثرة ضد الإبداع. لو نظرنا إلى دولة مثل مصر مثلا يتجاوز عدد سكانها اليوم ٨٥ مليون نسمة، ولو علمنا أن عدد سكان مصر عندما زارها الإمام الشافعي كان حوالي المليون نسمة. هل يعقل أنه منذ قدوم الإمام الشافعي إلى مصر إلى يومنا هذا لم يظهر في مصر رجلا بعلم الإمام الشافعي أو من يفوقه علما؟

إبن رشد، رغم أنه عربي فلقد أثر في العقل الأوروبي ولم يؤثر في العقل العربي، لكن النهضة في أوروبا تجاوزت ابن رشد وأصبحت كتبه مجرد تراث لديهم أما نحن فما زلنا ننهل منها على اساس أنها المرجع.

يقولون باب الإجتهد مفتوح ولكل الحق بأن يجتهد. ونقول أن الإبداع يستحيل دون اختراق ما قيل من ثوابت في موروثاتنا.

يتفاخرون بمؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، رغم أن هذه المؤتمرات هي وصمة عار بالنسبة لنا. أليس من المعيب أن نفنش في كتاب الله عما يشير إلى اكتشاف جديد أو نظرية جديدة بعد أن بكتشفها الغرب؟ لماذا لا نستنبط نحن تلك الأكتشافات والنظريات بأنفسنا من كتاب الله الموجود بين أيدينا منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.

المشكلة أن العقل الجمعي معتقد أن التاريخ يسير إلى الوراء، وأن كل قرن أسوأ من القرن الذي قبله، معتمدين بذلك على أحاديث نذكر منها:

حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ.

كيف نقبل هذا الحديث ونحن نعلم أنه في القرن الأول حصلت أكبر عملية تزوير ضد الرسول صلى الله عليه وسلم بما نسب إليه البعض زورا وبهتانا أحاديث وأقوال لم يسمع صلوات الله وسلامه عليه بأي منها، وهذا الحديث واحد من تلك الأحاديث. إن الذين لقوا الأحاديث هم من الجيل الأول وليسوا من الصين ولا من أميركا.

الرسول صاحب الوحيين

لقد تم اعتماد مقولة أنّ الرسول الكريم صاحب الوحيين، الوحي الأول هو الكتاب الموحى إليه والوحي الثاني هو السنة الشريفة. بهذا أصبحت السنة رديفاً للقرآن حتى وصل الأمر بالبعض أن يقول أن القرآن يحتاج السنة أكثر ما تحتاج السنة القرآن.

لقد اختار الإمام أحمد حوالي ٣٠٠٠٠ حديث من ما يقارب المليون حديث كانت بين يديه. والإمام البخاري جمع حوالي ٦٠٠٠٠٠ حديث اختار منها في الصحيح حوالي ٦٧٠٠ حديث.

هذه الأحاديث جمعت في زمن كان الحاكم فيه هو أمير المؤمنين، فكيف يُعقل أن يتم هذا الافتراء دون أن يجد هناك من يوقفه. لكن الحقيقة أنّ الأحاديث كانت تقال لأسباب سياسية واقتصادية وهي تماثل الإعلانات التي تروج هذه الأيام إما ألى حاكم وإما إلى بضاعة مطلوب ترويجها.

وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى حديث العشرة المبشرين بالجنة الوارد في سنن الترمذي وأحمد وابن ماجه والذي ينص على أن العشرة المبشرين بالجنة هم:

- أبو بكر الصديق
- عمر بن الخطاب
- عثمان بن عفان
- علي بن ابي طالب
- طلحة بن عبيد الله
- الزبير بن العوام
- عبد الرحمن بن عوف
- سعد بن أبي وقاص
- أبو عبيدة بن الجراح
- سعيد بن زيد بن عمرو

ألغريب أن العشرة من قريش وليس فيهم واحد من الأنصار. هنا نذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد معركة حنين وبعد أن وزع الغنائم على القرشيين ولم يُعط الأنصار اي شيء أحتجّ الأنصار لعدم حصولهم على اي من الغنائم، فهل يعقل أن لا يحتج الأنصار على عدم ذكر أي منهم من ضمن العشرة المبشرين بالجنة.

نشير هنا إلى أنّ حديث العشرة المبشرين في الجنة لم يذكر في أي من الصحيحين – البخاري ومسلم. كما أنّ الشيعة الاثني عشرية لا يُقرّون هذا الحديث ويحتجون على ذلك بحوار بين الأمام علي رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله (ممكن الرجوع للحوار في كتب التراث).

والغريب أن من بين عشرات الآلاف من الأحاديث المروية لا نجد حديثاً واحداً يُقدس الحرية، بينما نجد أحاديث عدة تتحدث عن وجوب طاعة السلطان كالحديث الوارد في صحيح مسلم:

عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر، قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير، قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

حرب ٦٧ أظهرت أنّ مشاريع الحداثة في البلاد العربية كانت قاصرة وخانت وعودها.

الثورات السياسية التي قامت في البلاد العربية لم يسبقها أي حراك ثقافي. علماً أنّ الرسول الأعظم خلال وجوده بمكة لم يرق بأي حراك سياسي ولكنه عليه الصلاة والسلام قام بحراك فكري ثقافي

جبار ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ الرعد: ١١

إنّ العدالة هي الشعار الذي يختبئ وراءه كل مُستبد .. لكن طرح شعار العدالة هو إقرار بإعطاء المستبد شرعية.

مشكلتنا اليوم هي عدم وجود دولة المؤسسات. وهذا حالنا منذ البعثة، فنحن حتى اليوم ما زلنا نتغنى بعدالة عمر رضي الله عنه، لكننا وللأسف لم نستطع أن نحول عمر إلى مؤسسة، وما زلنا حتى اليوم نبحث عن عمر.

مشكلة أخرى نعانيها وهي الإصرار على أن نتمسك بالتراث معتقدين أننا نحافظ على أصالتنا والصحيح أن علينا دائماً أن نضيف أفكاراً جديدة لمفاهيم موروثة من أجل تطويرها وتقديمها.

إنّ التمسك بالتراث والأصالة يعني أحد أمرين:

- إما أنّ الأموات أحياء
- وإما أنّ الأحياء أموات

المطلوب اليوم أن نقرأ المصحف بعيوننا وليس بعيون ألسافعي وأبن كثير والطبري وغيرهم ممن تدبروا الكتاب في عصرهم.

قال تعالى ﴿... شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ...﴾

البقرة: ١٨٥

السابقون كانوا من الناس ونحن من الناس.

بدون إختراق ألثوابت التي أقرها العلماء لا يمكن أن نتطور. القرآن يجب أن يُقرأ بأرضية معرفية مناسبة لكل عصر.

مشكلات العقل العربي

أهم المشاكل التي يعاني منها العقل العربي ممكن أن نلخصها بالأمور التالية:

- **عقل ترادفي .. والعقل الترادفي غير دقيق.**
 الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون هو منزل هذا الكتاب على رسوله الكريم. هذا الوجود في دقته اللامتناهية هو كتاب الله المنشور، وهذا الكتاب الموحى هو كتاب الله المقروء وبالتالي يجب أن تكون الدقة فيه كالدقة في الكون نفسه. إن إقرار الترادف يؤدي إلى عدم فهم الكثير من آيات الكتاب. لكن المشكلة أن البعض اعتقد أن أهم إعجاز وتحدي جاء في القرآن الكريم هو الأعجاز البياني، ذلك أن العرب زمن نزول القرآن كانوا قوماً بارعين في اللغة ورغم هذا فقد عجزوا أن يأتوا بمثل ما جاء به الكتاب. هذا الاعتقاد جعلهم لا يفرقوا بين الأب والوالد، أو بين الأم والوالدة وقس على ذلك، وبالتالي لم تفسر الكثير من الآيات كما يجب.

- **العقل العربي عقل قياسي (هناك أصل يقىس عليه)**
 تماماً كما كان الاتحاد السوفياتي هو المثل والمرجع لشيوعيي العالم كذلك فإن الجيل الأول (عصر الصحابة) هو الأصل الذي نقيس عليه أي أمر في حياتنا اليوم أي بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة من زمن الجيل الأول. مثال على ذلك:
 عندما قدم الرسول الأعظم إلى المدينة المنورة خرج أهل المدينة لإستقباله بالدفوف يندشوا (طلع البدر علينا)، فاستنتجوا أن العزف على الدف حلال وحرمة البعض العزف على الآلات الموسيقية الحديثة. إن السؤال الذي يتبادر على كل فكر نير: لم القياس على هذا والأصل في الأشياء الحلال. إن الحرام إستثناء وإن القياس هنا هراء. ألقياص يكون بأن نقيس واقع على واقع موجود. إن العقل ألقياصي جعلنا عاجزين عن الإبداع. اليوم لدينا آلاف الجامعات في عالمنا العربي ولكن كم عدد العلماء الذين ظهروا عندنا؟

- **العقل العربي عقل إتصالي يسأل عن المسموح والممنوع ولا يسأل عن ألحق والباطل، وهذا يتناسب مع المستبد.** عندما ظهر جهاز الهاتف أُنقل كان أول ما سألناه هل استعماله حلال أم حرام قبل أن نسأل كيف اخترع ولم يُستخدم؟
 هاجس الخوف جعلنا نعيش حالة طوارئ .. نعيشها منذ مئات السنين حتى بتنا لا نشعر بها.
 العقل العربي نشأ في ظل نظام استبدادي، وهنا نتحدث عن العقل المُكوّن إجتماعياً وسياسياً وفكرياً وليس عن العقل الفطري.
 إن عقدة الذنب نحن أكثر من يعيشها .. إذا مرضنا نقول أننا أغضبنا الله. لا نقر بأخطائنا حتى المريض الذي يموت نتيجة خطأ الطبيب نقول (خلص عمره) .. الطبيب في البلاد العربية لا يتحمل أي مسؤولية.

صحوة إسلامية أم صحوة أيمانية؟

- نسمع مقولة أن هناك صحوة إسلامية ونسأل ماذا تعني عبارة صحوة إسلامية؟
 إن زيادة عدد المُصلين تعني أن الإيمان بخير وإن زيادة الأجور تعني أن الإسلام بخير
 إن زيادة عدد المحجبات تعني أن الإيمان بخير وإن زيادة الجمعيات الخيرية تعني أن الإسلام بخير
 باختصار .. إن الإلتزام بالشعائر يعني أن الإيمان بخير وإن الإلتزام بالقيم يعني أن الإسلام بخير.
 الإسلام فطرة والإيمان تكليف.

إن عدم التمييز بين الإيمان والإسلام جعل أتباع ألسالة الخاتمة يعتبرون أن باقي البشر كفار وبذلك أخرجوا ٨٠٪ من سكان الأرض من إسلامهم وأرسلوهم وقوداً للنار.

المفاهيم والأدوات: Concepts and Tools

الناس اعتقدوا لفترة طويلة أن الأرض هي مركز الكون وأن الكون يدور حولها حتى جاء كوبرنيكوس ليقول بمركزية الشمس وأن الأرض جرمًا يدور في فلكها وبذلك قلب المفاهيم السائدة.

أيضا مع غاليليو بدأ العالم يدرس حركة النجوم باستعمال المنظار .. أي أنه استحدث أداة جديدة لدراسة الأجرام السماوية.

وهكذا بمفهوم جديد مع كوبرنيكوس وأداة جديدة مع غاليليو خطى العلم خطوات واسعة نحو الحقيقة.

نحن ايضا إذا أردنا أن نفهم التنزيل الحكيم فهما صحيحا فإن علينا أن ندرسه من خلال مفاهيم وأدوات جديدة نملكها اليوم لم تكن متاحة للجيل الأول.

إن الرسالة الخاتمة هي رسالة عالمية وهي رحمة للعالمين مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧ فماذا تعني العبارات الثلاث

- الخاتمية
- العالمية
- الرحمة

كتب التراث لا تحمل اي عالمية، بل على العكس تماما فقد حصرت الرسالة ضمن بقعة جغرافية محدودة هي شبه جزيرة العرب. وبالتالي قتلنا الزمن وأصبحنا نفتش عن كل حل من خلال تفاعل الجيل الأول في تلك البقعة.

المنطق الصوري عندنا معدوم. نحتاج دائما إلى مقدمة ونتيجة – المقدمة وصفوها سلوك القرن السابع الميلادي. مثال:

القرن السابع شبه جزيرة العرب. امرأة تريد أن تسافر من مكة إلى اليمن. تحتاج إلى محرم للسفر
القرن الواحد والعشرين .. امرأة في السويد، تريد أن تسافر .. تحتاج إلى محرم.

هنا قتلنا الزمن (بعقل ألسلفي ألزمن غير موجود)

إذا سألتني إنسان ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن؟ أقول كلا لا يسعني.

هم عاشوا في زمن له ظروفه الإقتصادية والمعرفية وأنا أعيش في زمن مختلف عنه تماما.

هناك إشكاليات يجب مواجهتها وعلينا تجاوزها .. هذه الإشكاليات منها السياسي واللغوي وحتى الديني.

كما قلنا فإن خالق هذا الكون بهذه الدقة هو منزل الكتاب على رسوله، وبالتالي فإن الدقة في هذا الكون يجب أن تتجلى في هذا الكتاب لأن الناموس واحد، ففي كتاب الله لا عبث ولا أحرف زائدة بل هو كتاب محكم تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله. قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد: ٢٤

وبالتالي فإن الله سبحانه وتعالى حين يقول:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ فإن التحريم للأمهات، والأم غير أوالدة. وحين يقول

﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ فإنه بالضرورة أن هناك أبناء

ليس من أصلابنا (التبني)، وإلا أصبح هناك حشو في كتاب الله .. معاذ الله أن يكون ذلك.

وإن ﴿ أَسْطَعُوا ﴾ تختلف عن ﴿ أَسْتَطَعُوا ﴾ إنَّ الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في

الدلالة. ودخول التاء على الفعل يعني أنَّ هناك جهداً أكبر يجب أن يبذل.

إن علوم الألسن تطورت وعلينا أن نستفيد من هذا التطور في فهم كتاب الله.

ولنر الرِّحْمَةَ في كتاب الله يكفي أن نقارن هذه الشريعة ألخاتمة بشريعة موسى عليه السلام. ففي شريعة موسى هناك ٦١٣ بند تشريعي وهي شريعة عينية، بينما الشريعة ألخاتمة هي شريعة حدودية وسنشرح ماذا تعني شريعة حدودية في الفصول القادمة.

المنهج والضوابط للنظرية المعرفية في القراءة المعاصرة

هل يوجد في القرآن نظرية للمعرفة الإنسانية تتيح للإنسان الصُّعود إلى أفضاء والغوص في أعماق البحار واكتشاف علاج للسرطان؟

ما هو المنهج المتبع من قبلي وأنا أقول من قبلي لأشير إلى السقف المعرفي في الوقت الحاضر وبالتالي فإن كل ما نقوله اليوم يجب أن يعاد النظر فيه بعد ٥٠ سنة أو ١٠٠ سنة ليعاد صياغته وتصحيح ما يثبت العلم والتطور المعرفي صحته؟.

ألفقهاء تساءلوا مثلاً هل يجوز الصلاة على أرجوحة غير مُعلقة في السقف وغير مُسندة على الأرض؟ هذا ما يعرف ب (الممكنات العقلية) ... في عصرنا هل يجوز الصلاة في الطائرة؟

أنا مؤمن أن هذا الكتاب من أول حرف في سورة الفاتحة وحتى آخر حرف في سورة الناس هو من عند رب العالمين. وأنا مؤمن أن الله حق وقوله الحق. وأنا على يقين تام بمصداقية الخبر القرآني،

وبالتالي عندما يخاطب الله أهل الأرض بقوله ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ليخبرنا حقيقة ما، فإن هذا

الخبر كونه موجهاً لكل الناس فأن مصداقيته يجب أن تظهر في طوكيو ولوس أنجلوس وباريس تماماً كما تظهر في دمشق والقاهرة ومكة. (عالمية الرسالة)

أما الخطاب الموجه لأتباع الرسالة المحمدية فهو خطاب خاص ولا يحمل صفة العالمية وهذا الخطاب نراه في الشعائر، فنحن حين نرى إنساناً ما يصلي حسب ما أمر الله وبين أرسول نعرف أنه من أتباع أرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كذلك الحال إذا رأينا إنساناً صائماً في شهر رمضان فلن نجهد أنفسنا لنقول أن هذا الشخص مُسَلَّمٌ مُؤْمِنٌ بالرسول ألخاتم.

أول خاصية في القراءة المعاصرة هي لا ترادف في التنزيل الحكيم

لا يوجد كلمتين في القرآن الكريم لهما نفس المعنى. بالتالي ممكن أن تحمل الكلمة الواحدة أكثر من معنى.

هناك قول للجرجاني: **عِنْدَمَا يُخَاطَبُ الْمُتَكَلِّمُ السَّامِعُ لَا يَقْصِدُ إِفْهَامَهُ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْمُفْرَدَةِ وَإِنَّمَا أَنْظُمُ**

﴿ **زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ**

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾ (١٤) آل عمران: ١٤

النساء في الآية لا يمكن أن تكون جمع امرأة وإنما هي جمع **نسيء**، كذلك **البنين** ليست جمع الأولاد الذكور. نقول ذلك لأن نظم الآية يوحي بذلك، وذلك للأسباب التالية

○ الله سبحانه وتعالى يقول **زَيْنَ لِلنَّاسِ** والناس هم ذكور وإناث فكيف نفهم أن تزين النساء

للنساء

○ الله سبحانه وتعالى ذكر النساء مع الأشياء (البنين، القناطر المقتطرة من الذهب والفضة،

الخيال المسومة، الأنعام، الحرث .. أشياء متاع الحياة الدنيا

○ الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يذكر المرأة مع الأنعام ويجعلها متاع

○ البنين هنا تعني البنيان ولا علاقة لها بالأبناء. فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ**

مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) الشعراء: ٨٨ فإذا كان المقصود الأبناء الذكور فإننا نتساءل هل

تنفع البنات؟ المقصود هنا البنيان. فرعون مثلا الذي بنى الأهرامات فإن بنائها لا يقدم ولا يؤخر يوم الحساب

إذا من خلال النظم استطعنا أن نفهم معنى النساء في الآية (آل عمران: ١٤)

قد تأخذ النساء معنى آخر كما في الآية

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ...** ﴾ الطلاق: ١

النساء هنا أجمع امرأة، هذا واضح من السياق (النظم).

وأحيانا تأتي كلمة النساء لتعني مجموعة من الذكور

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣١

فهنا المقصود مجموعة الذكور التي تتضمن الأولاد نزولا (الأبناء والأحفاد) للذكور المذكورين في الآية.

والآية الكريمة ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ...﴾ البقرة: ٢٢٣

فإن نِسَاؤَكُمْ هنا تعني ما استجد من أشياء فكلها حلال ولا تسألوا عنها أحرام هي أم حلال لأن التحريم أقفل بالرسالة الخاتمة.

هذا المعنى يتوافق مع المعنى الوارد في الحديث الشريف

روى البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)

كذلك الأمر بالنسبة لكلمة (أمر) فإنها تأتي أيضا بأكثر من معنى. من هذه المعاني

■ الأمر ضد النهي

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

النحل: ٩٠

■ الأمر هو شأن الإنسان

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ يس: ٨٢

■ الأمر بمعنى التعجب

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ الكهف: ٧١

■ الأمر بمعنى الكثرة

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ الإسراء: ١٦

وأمرنا أو أمرنا هي الكثرة .. إن ازدياد عدد المترفين في بلد ما سيؤدي حتما إلى الفساد وبالتالي فأن التهلكة آتية لا محالة، تلك هي سنة الله في خلقه.

ألترادف يخلق لنا مشكلة كبيرة في فهم آيات الأحكام وسنبين ذلك في حينه.

الخاصية الثانية في القراءة المعاصرة لا يوجد زيادات نحوية

قالوا أن ما بعد إذا زائدة .. نقول زائدة نحوية ولكن هل هي زائدة دلالية

إن ما بعد إذا تنفي ألعذر فقوله تعالى في آية المداينة في سورة البقرة ﴿... وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا

مَا دُعُوا...﴾ البقرة: ٢٨٢ تنفي أي عذر للشهداء .. عليهم أن يؤديوا الشهادة. أما في سورة

الجمعة فقد قال سبحانه وتعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَأَسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ الجمعة: ٩

فلو أن الآية جاءت إذا ما نودي لما قبل أي عذر بالتخلف عن صلاة الجمعة وَلَوْجَبَ عَلَى الْجَمِيعِ الحضور للصلاة مهما كانت الأسباب. هنا نقول أن الزيادة في المبني تؤدي إلى زيادة في الدلالة.

نشير هنا إلى أن الفعل بعد إذا حتمي الوقوع، بينما الفعل بعد إن إحتمالي الوقوع

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الحجر: ٢٩ التسوية

حاصلة

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ التكوير: ٢ لا بد أنها ستتكرر

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ (١) الطلاق: ١ لا يمكن إلغاء ظاهرة الطلاق من المجتمعات الإنسانية، ولذا نرى أن المجتمعات التي كانت قد منعت الطلاق فإنها تعيد النظر في قرارها.

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٢) النساء: ٣ ظاهرة تعدد الزوجات ممكن أن تلغى يوما ما، واليوم نرى أنه في أغلب المجتمعات الإنسانية فإن هذه الظاهرة في تناقص دائم ويمكن أن يأتي يوم وتتعدم تماما. لاحظ أنه سبحانه وتعالى استعمل (إن) من الأمثلة عن الزيادة في اللفظ أيضا ما ورد في قوله تعالى

﴿فَمَا اسْطَلْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (١٧) الكهف: ٩٧

كنا قد أشرنا سابقا أن زيادة التاء على الفعل اسطاع تشير إلى أن هناك جهدا أكبر سيُبذل وكنا قد أطلقنا على هذا ألتاء (تاء الجهد) .. فنقّب الجدار يحتاج لجهد أكبر من صعود الجدار.. وحين نقول: **خَرَجَ** من الجامعة (الخروج يحتاج دقائق) .. أما قولنا **تَخَرَّجَ** من الجامعة (فالأمر يحتاج لسنوات) أمثلة أخرى

﴿وَقُلْنَا يَادَادُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ (٣٥) البقرة: ٣٥ إن ورود **أَنْتَ** في هذه الآية تشير إلى أنّ اختيار آدم عليه السلام كان من ضمن مجموعة من البشر ..

﴿وَحَلَّلِيلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ فإنه بالضرورة أن هناك أبناء ليسوا من أصلابنا (ألتبني) وكمثال عندما نقول أعطيتك تقاحة حمراء فهذا يشير إلى أن هناك تقاح غير أحمر.

يتساءل البعض إذا كان ما نقوله صحيحا فكيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّنْ

قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩) النمل: ١٩

فهل هناك صالحا لا يرضاه الله. نقول بالتأكيد نعم. فمن الذرة نستطيع أن نعمل مواد مشعة تُستخدم في الطب، وهذا عمل صالح يرضاه الله. ومن الذرة نفسها نستطيع أن نعمل قنابل مدمرة وهذا عمل صالح لا يرضاه الله. هناك أعمال كثيرة يعملها الإنسان ويبذل جهدا فيها ولا يرضى الله عنها.

في آية المواريث قال تعالى ﴿... وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا...﴾ (١١) النساء: ١١

قال تعالى **وَلَا بَوَيْهَ** ولم يقل ولوالديه.

- الأب مفهوم إنساني .. مَنْ أَبُّ لَكَ وَمَنْ أَجْلَكَ
- الوالد مفهوم بيولوجي .. صاحب الحيوان المنوي

النسب للأب وليس للوالد والأنساب لا تضيع. قد يكون الأب هو الوالد وقد لا يكون.

أما في الوصية فقد ذكر سبحانه وتعالى الوالدين

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠) البقرة: ١٨٠

إنَّ عدم التمييز بين الأب والوالد أدى إلى أشكالية في علم المواريث سنتحدث عنها بالتفصيل في فصل قادم.

ولكي يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن الوالد والأب ممكن أن يكونا شخص واحد قال تعالى

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)

الإسراء: ٢٣ - ٢٤

في البداية أمرنا تعالى بأن نحسن للوالدين وفي نهاية الآية التالية أمرنا بأن ندعوا لهما بالرحمة لما قاما به على تربيتهما ليبين لنا أن الوالد الذي أنجب هو الأب الذي ربي. كذلك بالنسبة للوالدة والأم.

اللقطاء لهم والدين وليس لهم ابوين (نتبناهم)

المفاهيم الإنسانية في القرآن الكريم ذكر فيها آباء وأمهات

إذا لا بد من مراجعة لآيات كتاب الله في كل زمن ولو قمنا بدراسة آيات المواريث بناء على هذا المفهوم وبناء على الأرضية المعرفية في عصرنا من تحليل رياضي وهندسة تحليلية ورياضيات حديثة ونظرية الاحتمالات (إضافة للعمليات الحسابية الأربع التي كانت معروفة) لتغير فقه المواريث.

هناك حالات في علم المواريث السائد النسب لا تتحقق فيه ١٠٠٪. وهناك حالات تزيد النسب فيها عن ال ١٠٠٪. هذه الحالات جعلت ابن عباس يتساءل هل ممكن لخالق أكون أن يصدر تشريعا لا يغلق كما يجب؟

نتابع قراءة كتاب الله لنوضح أن كل حرف وكل كلمة في الكتاب جاءت حيث يجب وأن من المحال استبدالها بكلمة أخرى. قال تعالى ﴿... فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ

تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾ البقرة: ١٩٦ هل يوجد عشرة غير كاملة؟!!!

المتأمل للآية الكريمة يدرك أمرين في غاية الأهمية

1- العشرة أيام هناك إنقطاع بينهم .. **الكمال هو إتمام المنقطع والتمام هو الإستمرار دون إنقطاع**

﴿... أَلْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ المائدة: ٣ أَلَيْسَ بِدَأْ بَنُو

﴿... وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ...﴾ البقرة: ١٨٥ لا صيام أول يوم العيد هناك إنقطاع

أما التمام فهو إستمرار بدون إنقطاع

﴿... وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا عِشْرِينَ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

لَيْلَةً...﴾ الأعراف: ١٤٢ لم يحصل إنقطاع

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ

أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ القصص: ٢٧

2- **عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ** إشارة إلى النظام العشري في الأعداد. هناك أكثر من نظام للأعداد منها النظام

الثنائي (Binary system) والنظام العشري (Decimal) والنظام الستة عشري (Hexadecimal System) والعشرة لا تكون كاملة إلا في النظام العشري

إننا حين نتدبر آيات كتاب الله يجب أن نضع نصب أعيننا أن الخبر القرآني صادق وأن الرسالة

الخاتمة عالمية. مثلاً حين يقول تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا

إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ النور: ٣ فالحديث هنا ليس له علاقة

بالزواج وإلا يُصبح الخبر غير صادق وإن يَنْكِحُ هنا تعني الفعل – فعل النكاح.

التنزيل الحكيم

مفردات التنزيل الحكيم

من الدّعائم والأفكار المؤسسة للقراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم إعادة تعريف وتوصيف الكثير من المفردات الواردة في كتاب الله. لقد ميّز الدكتور محمد شحرور بين كل من: الكتاب، القرآن، الذكر، الفرقان، أم الكتاب، وكذلك بين الإمام المبين واللوح المحفوظ وَبَيَّنَّ أن لا ترادف في كتاب الله، فما الذي دعاه إلى هذا التمييز في حين اعتبر الكثير أنَّ هذه المفردات دالات لمدلول واحد هو كتاب الله. لقد عَنَوَنَ الدكتور شحرور كتابه الأول (الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة) فهل هذا العنوان جامع مانع؟.

إنطلاقاً من رأي ابن كثير في مقدمة تفسيره (القرآن يُفسَّرُ بَعْضُهُ بَعْضاً) – وهذا تقريباً رأي أغلب من فسروا القرآن وليس ابن كثير وحده، إنطلق الدكتور محمد شحرور في قراءته المعاصرة .. لكن لم ير الدكتور أن المفسرين التزموا بما قالوه.

أَعْتَقَدَ الناس أنَّ الإعجاز البياني في الكتاب المُوحى من الله إلى رسوله الكريم هو قمة الإعجاز. والسبب في ذلك أن الشعر كان يُسيطر على مخيلة من ظنَّوا أنَّ هناك تحدُّ بياني في القرآن الكريم.

في الفصاحة والبلاغة فإن الشعر لا يُعيبه الترادف، فالشاعر حين يكتب قصيدة دالية فإنه يستعمل لفظة والد، وإذا كانت القصيدة بانية فإنه يبدل لفظة والد بأب، وبالنسبة إليه لا فرق بين الأب والوالد. هكذا نظروا إلى مفردات القرآن الكريم فأقروا الترادف.

أيضاً أشعر لا يُعيبه الخيال والتخيل. والشعر أيضاً لا يُعيبه الكذب حتى أنهم قالوا (أجمل الشعر أكذبه)

الله سبحانه وتعالى نبهنا في التنزيل الحكيم أنَّ هذا ليس بشعر ونهانا أن نتعامل مع الكتاب كما

نتعامل مع الشعر ، ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴾ (٤١) الحاقة: ٤١.

ومع هذا فلقد أقروا الترادف مُعتقدين أن هذه اللفظة هنا أجملُ منها هناك، ومن هنا اعتبروا أن القرآن والكتاب واحد، علماً أن جذر كتب وجذر قرأ لا يُوجد علاقة بينهما على الإطلاق، تماماً كما لا يوجد أي علاقة بين جذر الوالد (وَلَدَ) وجذر الأب (أَبَ).

رب العالمين دقيق جداً، كما خلق هذا الكون بهذه الدقة كذلك صاغ الكتاب بدقة لا تقل على الإطلاق عن تلك الدقة التي خلق بها هذا الكون. فلا عبث في كتاب الله، ولا ترادف ولا حرف زائد. وَسَنُبَيِّنُ مُعْتَمِدِينَ على كتاب الله ما هو الفرق بين الكتاب والقرآن والذكر والفرقان

• الكتاب

الكتاب من فعل (كتب)، وفعل كتب في الأساس هو تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج شيء ما ، أو معنى ما . يُستعمل اللفظ بطريقة صحيحة في الحياة. نقول: كتاب أساس البلاغة للزمخشري والذي جمع فيه أفعال اللغة العربية. الفصل الأول سَمَاه "كتاب الألف" .. اي جمع الأفعال التي تبدأ بحرف الألف وقال هذا كتاب الألف، (جمع الأفعال ولم يخط الأفعال).

قالوا أنَّ الكتاب من كُتِبَ لأنَّ التَّنْزِيلَ الحكيم قابل لأن يُكُتَبَ، ومن قرأ لأنه قابل أن يُقرأ. أقول أنَّ كل كتاب من كتب أهل الأرض قابل أن يُكتب وقابل أن يُقرأ كما تفهمون وليس المصحف فقط.

مثال .. طه حسين كان كفيفا وكتب كتاب (الأيام)، هو صاغ الجمل وأملأها ولم يخطها.

الله سبحانه وتعالى صاغ كتابه الموحى ولم يخطه.

عندما نقول: رئيس الوزراء أصدر كتابا .. قد يكون الكتاب سطرا واحدا فقط – أنَّ غداً يوم عطلة – فهل خط الرئيس كتابه؟

الكتاب ليس من فعل الخط وإنما من الجمع.

حتى في تركيب الجمل نقول: جاء الرَّجُلُ إلى البيت .. أخذنا أَلْفَعْلَ جاء جمعناها مع الرَّجُل مع إلى البيت وألفنا جملة مفيدة.

الرسول عليه الصلاة والسلام كان قادرا أيضا على تأليف الجمل فنقول: كتاب الرسول إلى كسرى، فهل خط الرسول الكتاب أم أملاه؟

الكتاب هو مجموعة المواضيع التي جاءت وحيا إلى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام – من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة الناس. سورة الفاتحة إسمها فاتحة الكتاب.

هذا الكتاب فيه مئات الكتب. فيه كتاب الخلق، وكتاب الساعة، وكتاب الصلاة، وكتاب الصوم ...

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ البينة: ٢ - ٣

لاحظ يَتْلُو صُحُفًا وليس كتباً .. هذه الصحف فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ .

الكتاب تخريج شيء إلى شيء لإخراج معنى مفيد. هكذا كل شيء في الطبيعة، كتاب الجو عناصره:

الحرارة، سرعة الرياح، الرطوبة ... هذا كتاب الطقس ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ النبا: ٢٩ .. لا يوجد شيء عشوائي، كل الأمور مربوطة معا لتقوم بوظيفة ما.

عندما قلنا جاء الرجل إلى البيت أخرجنا معنى غير موجود في كل كلمة على حدة.

الموت كتاب ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً﴾

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي

الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ آل عمران: ١٤٥

مجموعة من الشروط الموضوعية أُلتي إذا اجتمعت بعضها مع بعض حصل الموت. وظيفة الأطباء

دراسة هذه الشروط بحيث يُؤجلوا الموت ولذا قال تعالى **كِتَابًا مُّؤَجَّلًا** . عمل الطبيب تأجيل

الموت وليس إلغاؤه، ولذا يدرس الأطباء كتاب الأمراض وكتاب الحياة.

ألموت مُقدر على أهل الأرض، مقدر على الجميع ولكن ليس مقدر كم يعيش كل إنسان على حدة. البشرية والإنسانية وعلم الطب يدرسوا كتاب الموت وكتاب الحياة وكلما ازدادوا فهما لهذه الكتب كلما كانوا أقدر على إطالة أعمار الناس، وهذا حاصل أليوم إذ أنّ متوسط عمر الإنسان يزداد.

الله قدر الموت ولم يقدر القتل.

أُقتل قضاءً والموت قدر (وجود) هذا القدر له كتاب .. الأطباء يدرسوا هذا الكتاب، ولذا عليهم تحمل المسؤولية إذا أخطأوا وتسببوا بوفاة أي إنسان.

القرآن

أول مرة ورد فيها لفظ القرآن في كتاب الله – في الآية ١٨٥ من سورة البقرة

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَكْبَامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة: ١٨٥

الآيات ٢-٣ من سورة البقرة

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

﴿ البقرة: ٢ - ٣

إذا **الْكِتَابُ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ وَالْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ولا أعلم إذا كانت هناك تعليمات تقول

أنّ هذه التعليمات لأهل سوريا ثم تصدر تعليمات أخرى تقول هذه التعليمات لأهل دمشق، ثم نقول أن هذه التعليمات هي نفسها أُلتي صدرت سابقاً. أَلْمُتَّقِينَ ناس ولكن ليس كل الناس مُتَّقِينَ. أَلْكِتَابُ هدى للمُتَّقِينَ أما القرآن هدى للناس كل الناس وبالتالي لا يمكن أن يكون الكتاب هو نفسه القرآن.

في القرآن ذكر الحقيقة الموضوعية الموجودة خارج الوعي الإنساني. القرآن ساحق ماحق لا يخالف. ألساعة من القرآن، ألبعث من القرآن، أَلْجَنَّة والنار من القرآن، أَلْموت من القرآن .. أَلْمسائل الكونية والحدث التاريخي بعد وقوعه (لا رجعة فيه) من القرآن (حق).

سواء علمنا أنّ هناك موت أم لم نعلم سنموت، إن أعجبنا أَلْموت أم لم يعجبنا سنموت. الإنسان ليس له أي علاقة بذلك.

سواء علمنا أنّ هناك بعث أم لم نعلم سنبعث، إذا وافقنا أم لم نوافق سنبعث .. الإنسان ليس له أي علاقة بذلك ..

هذه مواضيع قرآنية لأنها حق.

ولكن حتى أصوم رمضان يجب أن أعلم ويجب أن أوافق، فإذا لم أعلم لن أصوم .. ولو علمت ولم أوافق فأنا قادر على أن لا أصوم.

القرآن كما قلنا هو ألحق، والحق لا تعني ألجيد.

ألحق هو الوجود الموضوعي خارج الوعي الإنساني. عندما أقول أنّ الله حق، يعني أن الله موجود خارج الوعي الإنساني، له وجود موضوعي، وهو ليس من إختراع الإنسان.

هناك جزء من الكتاب ليس له وجود موضوعي. مثال ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ

بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ الواقعة: ٦٠

نحن نقول أنّ ألموت حق، والبعث حق، والجنة حق والنار حق، ونقول الصوم حلال وبر الوالدين حلال .. الصوم وبر الوالدين ليس لهما أي علاقة بالقرآن.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣

كُتِبَ عَلَيْكُمْ ولكن ممكن للإنسان أن يصوم وممكن أن لا يصوم .. هو قرار ذاتي يقرره الواحد منا.

هنا يجب أن نميز بين الحلال والحرام .. المسموح والممنوع .. وبين ألحق والباطل

ألشمس حق .. لها وجود خارج الوعي

ألقمر حق .. له وجود خارج الوعي

بالمقابل .. بر الوالدين - هل ممكن أن نرى بر الوالدين؟ نحن نرى إنسان يبر والديه ولكننا لا نرى بر الوالدين بذاته. لكننا نرى القمر بذاته ونرى الماء بذاته لأنّ لهما وجود خارج الوعي الإنساني. يجب على الإنسان أن يُدرك بر الوالدين وأن يقبل به حتى يعمل به. هذا الجزء هو الرسالة.

ألكتاب يحتوي على الجزئين:

١ - الرسالة (أحكام)

٢ - النبوة (ألقرآن)

ألرازي في التفسير الكبير إعتبر أن القرآن من قرن وليس من قرأ وكثير غيره قال نفس الشيء، لكنهم لم يقولوا قرن ماذا بماذا.

الحقيقة أن القرآن يحتوي مصدرين للتخزين

○ أللوح المحفوظ ... فيه قوانين الكون (ثابتة لا تتغير من أجل احد)

○ الإمام المبين ... فيه

1 - قوانين الطبيعة الجزئية (مناطق الدعاء للإنساني)

2 - أعمال الإنسان بعد وقوعها (صارى حق)

وبالتالى القرآن قرّن ما جاء فى الإمام المبين بما جاء فى أللوح المحفوظ. وهو ألجزء ألأكبر من الكتاب. ولذلك قال تعالى:

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾ الحجر: ١

عطف القرآن على الكتاب، وبالتالى فإن القرآن الكريم هو مجموعة الأحداث الكونية والإنسانية بعد وقوعها. القرآن نزل فى ليلة القدر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾﴾ عبس: ١ لم تنزل ليلة القدر لأن الرسول لم يكن قد عبس بعد. أنزل كل الأحداث ألتي حصلت قبل الرسالة والتي أراد الله سبحانه وتعالى أن يخبرها لرسوله وأنزلت أللوائح الكونية.

ألقصص ألقرآنى جاء من الإمام المبين، والإمام المبين متراكم. قبل أن تقوم بأى عمل لا يوجد فى الإمام المبين أنك ستقوم به. عند قيامنا به يُسجل فى الإمام المبين (أصبح حقاً لا نستطيع أن نعيده إلى ألوراء)

الإمام المبين يُسجل الأحداث أثناء وقوعها لا قبل وقوعها لتصبح أرشيف (صارى حق) .. ألحدث الإنسانى بعد وقوعه لا رجعة فيه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ يس: ١٢

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الجاثية: ٢٩

ألحرب العالمية ألثانية حق .. غزوة بدر حق .. كلها فى الإمام المبين .. الإمام المبين متراكم.

ولذا قرّن الإمام المبين باللوح المحفوظ وكان قرآناً .. ولذا قال تعالى فى سورة يوسف

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانُ وَإِنْ كُنتَ

مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٣﴾﴾ يوسف: ٣

وكون القرآن دمج أحداث الكون مع أحداث التاريخ قال سبحانه وتعالى

﴿ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُوت ﴾ (٥٠) المرسلات: ٥٠

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (٣٤) الطور: ٣٤

هذه كلها أحداث .. أما ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) البقرة: ١٨٣ هذا ليس حدث .. هذا تكليف.

هذا هو الفرق الجوهري بين نبوة الرسول الأعظم وبين رسالته.

النبوة الغيبيات بما فيها القصص

الرسالة ... التكاليف (أم الكتاب)

وكلاهما في الكتاب ومن عند الله

الأنزير الحكيم هو الكتاب والقرآن جزء منه

﴿ قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ؕ وَأُوحِيَ إِلِىَ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ

بَلَغَ ؕ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ ؕ أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ ؕ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ وَإِنِّى

بَرِءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (١٩) الأنعام: ١٩

القرآن ينذرنا باليوم الآخر ... ينذرنا بالساعة، ينذرنا بالبعث، ينذرنا بالجنة ... وليس الإرث

لاحظ قوله سبحانه وتعالى وَمَنْ بَلَغَ ؕ أنت منذر بالقرآن بما وصلك

إقتران الكتاب بالحكمة

لقد بين الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء - الآيات (٢٣ - ٣٩) معنى الحكمة

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؕ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣)

وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (٢٤) زُكُرُ

أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ^{٢٣} إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا^{٢٤} وَءَاتَ ذَا
الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا^{٢٥} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ^{٢٦} وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا^{٢٧} وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِنِّتَ غَافٍ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ
تَرْجُوهُمْ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا^{٢٨} وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا^{٢٩} إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا^{٣٠} وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ^{٣١} إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا^{٣٢} وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ^{٣٣} إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا^{٣٤} وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا^{٣٥} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ^{٣٦} إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا^{٣٧} وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^{٣٨} وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ^{٣٩}
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا^{٤٠} وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا^{٤١} كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ
مَكْرُوهًا^{٤٢} ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ^{٤٣} وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَى فِي

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا^{٤٤} ﴿٣٩﴾ الإسراء: ٢٣ - ٣٩

الحكمة أمور أخلاقية. والحكمة من صفات النبوة ولكن الحكمة وحدها لا تحتاج إلى نبي. فالحكمة قد
توتى لأي إنسان في أي زمان وأي مكان.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾ البقرة: ٢٦٩

كونفوشيوس حكيم، فولتير حكيم وفي كل زمان ومكان هناك حكماء، والحكمة لا تنقطع حتى قيام الساعة.

القرآن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

لقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن الموحى إلى نبيه. الأحكام لا يوجد فيها تحد لأنها واضحة وصريحة ويمكن أن تُقلد.

والتحدي جاء بأنواع ثلاثة

• النوع الأول

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله. وادعوا شهداءكم

من دون الله إن كنتم صديقين ﴿٢٣﴾ البقرة: ٢٣

ألهاء في مثله. تعود على عبدنا (الموحى إليه) وليس على التنزيل (الموحى به) وإنما على الموحى إليه. ادعوا أي شخص غير محمد صلى الله عليه وسلم وليأت بسورة مثل التي أتى بها محمد عليه الصلاة والسلام.

• النوع الثاني

﴿أم يقولون افترئه قل فاتوا بسورة من مثله. وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم

صديقين ﴿٣٨﴾ يونس: ٣٨

المحتوى والصياغة قرآنية. هنا تحدي في الشكل والمضمون. مسيلمة الكذاب عندما ادعى النبوة جاء بالشكل ولم يأت بالمضمون، كان كاذبا بإدعائه النبوة وأنه أوحى إليه ((ألفيل وما أدراك ما ألفيل * له ذنب قصير وخرطوم طويل)) الصياغة صحيحة مئة بالمئة، لكن الخبر ليس قرآن. لم يأت بأي نبوة ولذا قيل أنه كذاب بإدعائه النبوة وليس بما قال. ما قاله مسيلمة ليس فيه غيبيات ولا يحتاج لأي نبوة.

• النوع الثالث

﴿أم يقولون افترئه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من

دون الله إن كنتم صديقين ﴿١٣﴾ هود: ١٣

الشكل قرآني والمحتوى غير قرآني. عمالقة الأدب في العالم اقتربوا من صيغة التشابه. الناس تقرأ شكسبير منذ خمسة قرون وحتى اليوم يحاولوا شرح ما قاله. هذه عبقرية. الموضوع ليس قرآني.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ

لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ فاطر: ٣١

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ لَيْسَ كُلُّ الْكِتَابِ الْمَشْكُوكَةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْمَفْسُورُونَ أَنَّ الْكِتَابَ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ كَانَ الْمَصْحَفَ فَتَحُولَ إِلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

أَلْحَقْ جُزْءًا مِنَ الْكِتَابِ (الْقُرْآنِ) .. وَالْقُرْآنُ هُوَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ. ﴿وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَابُنُنَا يَنْتَدِي

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ الأحقاف: ٧

لَمْ يَقُولُوا عَنِ الصَّوْمِ سِحْرٌ أَوْ عَنِ الْإِثْرِ سِحْرٌ، بَلْ قَالُوا عَنِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ سِحْرٌ مُبِينٌ.

هُوَ الْحَقُّ (لأنه لا يُدْحَضُ)

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ماذا أُلْذِي بَيْنَ يَدَيْهِ؟.. هو ما جاء به من أحكام وليس كما قالوا التوراة

وَالْإِنْجِيلَ. أَلْقُرْآنُ هُوَ تَوْقِيعُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْكِتَابِ، هَذَا التَّوْقِيعُ لَا يُمْكِنُ تَزْوِيرُهُ. بَيْنَمَا أَلْتَشْرِيعُ:
الصَّوْمُ، بَرِ الْوَالِدِينَ ... مُمْكِنٌ أَنْ يَصُومَ الْإِنْسَانُ شَعْبَانُ بِدَلَا مِنْ رَمَضَانَ، وَلِذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِء

ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٦﴾﴾ قطعاً

لَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا كِتَابَةُ الْوَحْيِ الَّذِينَ كَانُوا يَكْتُبُوا الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ حَقًّا وَيَقُولُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِنَّمَا
الْمَقْصُودُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ أَحْكَامَ كِتَابِ اللَّهِ.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ الْكِتَابُ بِالنِّسْبَةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ التَّشْرِيعُ فَقَطْ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ البقرة: ٥٣ موسى عليه السلام أوتي الكتاب والفرقان والتوراة بينما حين

ذَكَرَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾﴾ آل عمران: ٤٨

إِذَا سَأَلْتَ أَحَدَ النَّاسِ: أَلْيَهُودَ أَهْلَ كِتَابٍ مَا هُوَ كِتَابُهُمْ يَقُولُ: التَّوْرَةُ – هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ!

وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ مَا هُوَ كِتَابُ النَّصَارَى؟ يُقَالُ لَكَ: الْإِنْجِيلُ. هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ أَيْضًا!

﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (٢) مِنْ قَبْلُ

هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

أَنْتِقَامٍ ﴿٤﴾ آل عمران: ٣ - ٤

حتى ألزّمخشري عندما قرأ هذه الآية قال إستحالة أن يكون الفرقان هو أَلْكِتَابُ أَوِ التَّوْرَةُ أَوِ الْإِنْجِيلُ ولكنه نظر فوجد أن هناك كتابا موجودا في المصحف وليس مذكورا في الآيات فقال لعله أَلْزَبُورُ.

إستحالة أن يكون القرآن هو الفرقان وإنه سُمِّيَ كذلك لأنه فرق بين الحق والباطل. هذا الفرقان أوتي

لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾

الفرقان الذي جاء إلى الرسول الأعظم هو نفسه الذي جاء إلى موسى عليه السلام لأنه ذكر معرفا في الحاليتين.

أَلْفَرْقَانُ هُوَ أَلْوَصَايَا أَلْعَشْرَ وَقَدْ ذَكَرُوا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، أَلْآيَاتِ (١٥١ - ١٥٣) يَقُولُونَ أَنْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ مَا عَدَا هَذِهِ أَلْآيَاتِ

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَلْنَفْسَ أَلَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ أَلْيَتِيمٍ إِلَّا بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ

أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا أَلْكَيْلَ وَأَلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَلْسُبُلَ فَنفَرَقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣

هذه أَلْوَصَايَا هِيَ أَلْصَرَاطُ أَلْمُسْتَقِيمِ أَلَّتِي نَدْعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا إِيَّاهُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ سُورَةَ أَلْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فِي صَلَوَاتِنَا.

ما نريد أن نقوله هنا أَنَّ أَلْدِينِ وَاحِدٌ مِنْ عِنْدِ إِلَهٍ وَاحِدٍ وَأَنَّ أَلْنَامُوسَ وَاحِدٌ.

الدين الإسلامي خضع للتراكم في القيم، والتطور في الشرائع والاختلاف في الشعائر.

الفرق في الوصايا العشر بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، أنها جاءت إلى موسى أوامر ونواه بينما جاءت إلى الرسول الأعظم تحريم.

الرسول الأعظم أغلق المحرمات ولم يختم التشريع. التشريع باق ما بقي الإنسان أما الحرام فإنه لا برلمانات ولا مفتين ولا كنائس ولا تصويت ولا أحد يحق له أن يضيف محرماً إلى ما حرم الله.

التورات نبوة موسى

الإنجيل نبوة عيسى

والقرآن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

الحكمة أخلاقيات

الكتاب تشريع

شريعة موسى تحتوي على ٦١٣ بند تشريعي ليس لها أي علاقة بالنبوة، وهي مليئة بالإصر والأغلال. جاء المسيح عليه السلام ليُجَلِّ لهم بعض الذي حُرِّم عليهم. الله سبحانه وتعالى كان يعاقبهم

جزاء بغيهم ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ

حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ

ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ الأنعام: ١٤٦

لقد بين الله سبحانه وتعالى أن التوراة والإنجيل والقرآن هي نبوة الرسل بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيَقْنُلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ التوبة: ١١١

عطف القرآن على التوراة وعلى الإنجيل وذكر **حَقًّا** (حقيقة واعية خارج الوعي) ... النبوة

وحين قال سبحانه وتعالى ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ المائدة: ٤٧ فإنه لا يتحدث عن التشريع لأن الإنجيل

لا يحتوي على أحكام، هنا يتحدث سبحانه وتعالى عن التوحيد.

ألوصايا العشر (ألفرقان) هي الجزء الإنساني العالمي من الإسلام ويجب أن نتعامل مع الناس على أساسها (ألبعد الإنساني). وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) يشير إلى أنَّ الأخلاق تراكمية، فعندما انفصل الإنسان عن المملكة الحيوانية بدأت تظهر عنده القيم الإنسانية. عندما أصبح عند الإنسان وعي وقادر على أن يسيطر على الطبيعة صارت الأخلاق ضرورة.

المصطلحات والمفاهيم القرآنية

محتويات الكتاب

الكتاب الذي أنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أول سورة الفاتحة وحتى نهاية سورة الناس يتألف من ثلاث كتب رئيسية.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يونس: ٣٧

إذا هناك:

- القرآن
- تصديق الذي بين يديه
- تفصيل الكتاب

ظنوا أن الذي بين يديه هو التوراة والإنجيل قياساً على قول المسيح عيسى بن مريم ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾﴾ آل عمران: ٥٠ في هذه الآية قال ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ بينما في الآية ٣٧ من سورة يونس لم يقل (تصديق الذي بين يديه

من التوراة والإنجيل). فما الذي بين يديه والذي جاء هذا القرآن ليصدقه .. إنها الأحكام. الأحكام ليست قرآن، الأحكام رسالة القرآن نبوة وبينهما علاقة تصديق. فالآيات مثلاً

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

النساء: ١١

هذه الآيات ليست قرآن ... هذه الآيات ليست حق، إذا ما أراد شخصا ما أن لا يصوم رمضان أو أن لا يطبق آية المواريث فإنه يستطيع ذلك، بينما القرآن ساحق ماحق وهو سنة الله التي تجري على الكون وعلى أهل الأرض جميعا - ولذلك هو النذير، هو الحق الموضوعي خارج الوعي الإنساني والذي يجب على الإنسان أن يعرفه ولذا قال سبحانه وتعالى أن الله هو الحق وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ النور: ٢٥

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ الأنعام: ٧٣

إذا الله حقَّ والسَّماوات والأرض حقَّ وهناك علاقة حقيقية جدا بينهما سنشرحها لاحقا وبالتفصيل.

تفصيل الكتاب

هناك في كتب أهل الأرض مفاتيح فهم لتلك الكتب، دائما تكون مفاتيح فهم تلك الكتب من خارجها. ما يميز الكتاب الموحى من الله أن مفاتيح فهمه من داخله. الله سبحانه وتعالى شرح كتابه من داخله، هذه الآيات التي تدلنا على فهم كتاب الله هي التي نطلق عليها اسم **تفصيل الكتاب**.

مثال .. يقولون أن في الكتاب آيات محكمات وآيات متشابهات. الآية التي تخبرنا هذه الحقيقة هل هي

محكمة أم متشابهة؟ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران: ٧، هذه الآية هي من آيات تفصيل الكتاب.

الآيات التي نتحدث عن القرآن

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ يوسف: ٢

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الزخرف: ٣

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢﴾ فصلت: ٣

هذه الآيات ليست قرآناً هي تتكلم عن القرآن .. هذه من آيات تفصيل الكتاب .. هي آيات تعتبر مفاتيح لفهم الآيات الدالة على محتوى الكتاب والتي تساعدنا على فهم كتاب الله.

رب العالمين عندما حرّم المحرمات فصل لنا تلك المحرمات في أماكن أخرى في التنزيل الحكيم

﴿...وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ...﴾ الأنعام: ١١٩

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ الأنعام: ١١٤

يعني هناك شرح وتفصيل.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الأعراف: ١٣٣ مفصلة عن بعضها، أي جاءت تلك الآيات تباعاً

ولم تأت دفعة واحدة.

التفصيل يعطيك قاعدة. عندما ذكر المحرمات في سورة الأنعام الآيات (١٥١ - ١٥٣) قال تعالى

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ
 ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشَدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّكُمْ لَفِ قِسْطٍ لَّا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ
 فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ
 ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣

تفصيل بر الوالدين

لقد بين لنا الله كيف يكون بر الوالدين في آيات متفرقة في كتاب الله، أي إنه سبحانه وتعالى فصل لنا
 ذلك، ففي سورة الأسراء قال سبحانه وتعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ
 وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
 وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الإسراء: ٢٣ - ٢٤

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَّ عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ
 لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا
 تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
 فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ لقمان: ١٤ - ١٥

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
 إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ العنكبوت: ٨

هكذا نفهم تفصيل الكتاب.

الله وحده الحق في التحريم، فالحرام شمولي وأبدي ولا يحق لكائن كان أن يُحرّم ما أحلّ الله أو يُجِلّ ما حرّم الله. عندما يأتي إنسان اليوم يقول أن التدخين حرام، هذا يعني أنه منذ اللحظة التي أعلن فيها حرمة التدخين وحتى قيام الساعة لن يحق لأنسان أن يدخن. الرسالة الخاتمة أفضلت المحرمات واي تحريم جديد يحتاج إلى رسول جديد ويحتاج إلى بيّنة أنه رسول. الإنسان ينهي والسلطة تمنع أما التحريم ف الله والله وحده.

يقولون أنّ الله أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث ونقول صحيح لأن المحرمات التي حرّمها الله هي الخبائث.

يقولون أنّ الرسول يُحرّم تصديقا لقوله ﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٩﴾ التوبة: ٢٩ نقول إنّ

تحريم الرسول جاء مرتبطا مع تحريم الله ولم يأت منفصلا عنه كما جاء في الطاعة حين قال تعالى

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ آل عمران: ٣٢

حيث ذكرت هنا طاعة الرسول متصلة مع طاعة الله في حين قال في سورة النساء ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩ حيث نرى

هنا أن طاعة الرسول جاءت منفصلة عن طاعة الله ولذا قال تعالى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ .

وحيث قال تعالى وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فإن ذلك يعني إطاعة الرسول بما أمرنا

بالإبتعاد عما حرم الله. إذا الرسول لا يستقل في التحريم. الرسول يبين ما حرم الله.

كون الحرام شمولي وأبدي فإن رب العالمين قد فصله لنا. في سورة الأنعام (الآية - ١٥١) قال

تعالى وَلَا تَقْرَبُوا مَا لَيْتِيْمٌ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. ثم فصل سبحانه وتعالى

كيف يكون ذلك: قال تعالى في سورة النساء

﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا

كَبِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ

وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَقْتُمْ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ﴿٣﴾

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ النساء: ٦

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ النساء: ١٢٧

إذا الحرام من اختصاص رب العالمين.

هناك آخرة ويوم حساب. الله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على مخالفتنا الإشارة الضوئية، هذه إثم وخطيئة يحاسب عليها المجتمع.

يجب أن يعلم أن كل من يحرم ما لم يرد تحريمه في كتاب الله فإنه يُنصَّب نفسه شريكا لله ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرَمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَأَمْخَازُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَأَمْخَازُونَ ﴿٣٩﴾﴾ القلم: ٣٥ - ٣٩

هل هناك إتفاق على أن ينفذ الله ما يحكم أولئك ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ القلم: ٤٠

إنَّ منع الضرر قرار إجتماعي يمارس في حدود زمنية تنتهي بإنتهاء الضرر. فمثلا انتشار الكوليرا في أماكن ما قد يقتضي بالضرورة منع بعض السلع من التداول، لكن هذا المنع ليس شموليا (في كل العالم) وليس أبديا (حتى قيام الساعة)، هذا المنع ينتهي بآنتهاء السبب الذي أدى إليه.

الإنسان يأمر وينهي في الحلال لا في الحرام - هو فقط يُطْلَقُ وَيُقَيَّدُ. أَلرَّسُولُ الْأَعْظَمُ كَانَ يُطْلَقُ الْمُقَيَّدُ وَيُقَيَّدُ الْمُطْلَقُ. الْحَلَالُ أَسَاسًا لَا يُمَارَسُ إِلَّا مُقَيَّدًا.

نعود لتفصيل الكتاب لنقول إنَّ تفصيل الكتاب ليس من الآيات المتشابهات .. الآية - ٧ من سورة

آل عمران تشير إلى ذلك ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ ... ﴿٧﴾ آل عمران: ٧ قال تعالى **وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ** ولم يقل والآخر متشابهات إذا ليس كل الباقي متشابهها بل جزءا منه، وبالتالي هناك ثلاث أصناف من آيات الكتاب:

- آيات محكمات (أم الكتاب)
- آيات متشابهات
- آيات لا محكمات ولا متشابهات (تفصيل الكتاب) .. لقوله تعالى (وَأُخْرُ مُتَشَبِهَات)

عندما قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا ۖ وَمَا نُقِذْهُمُ لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۖ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ المزمّل: ٢٠

هنا حدد أن هناك ثلاث أصناف

- مرضى
- آخرون يضربون في الأرض
- آخرون يقاتلون في سبيل الله

من السلف من قال أن هناك آيات لا محكمات ولا متشابهات. ١٤ قرنا لم يستطيعوا فصل المحكم عن المتشابه لأن هناك آيات تفصيل الكتاب.

هناك ٦٢٣٦ آية في كتاب الله، إفصلوها كلها إن كنتم تعتقدون أن الآيات محكم ومتشابه فقط.

﴿الرَّكَنُ أَحْكَمُ عَيْنُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ هود: ١

الآيات المحكمات هن آيات الأحكام، أَحْكَمَتْ و فَصَّلَتْ .

الآيات البينات

ما هي الآيات البينات؟ وكيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١﴾ النور: ١ هل الآيات البينات ليست فرائض؟

قال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۚ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنِّي أَخَشَىٰ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يونس: ١٥

الآيات البينات هي القرآن، وهي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي التي تحدى الله سبحانه وتعالى الجن والإنس أن يأتوا بمثله.

آيات الأحكام ليست آيات بينات .. قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣١

ليست من الآيات البينات.

أما قوله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ النور: ٣٥ فهي من الآيات البينات.

بدأت سورة النور بقوله

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١) لأن معظم

ألفرائض موجودة فيها، ولذلك قال أَنْزَلْنَاهَا ليقول أن الآيات أليينات وجود موضوعي.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِظٍ﴾ (١٠٤) الأنعام: ١٠٤

الآيات أليينات بَصَائِرُ

موسى عليه السلام أوتي تسع آيات بينات شاهدها الناس ولذلك سُمِّيَتْ بصائر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بِئْسَ الْفِرْعَوْنُ الْوَيْلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي

لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ (١٠٢) الإسراء: ١٠١ - ١٠٢

الله سبحانه وتعالى قال أن الآيات أليينات سَتُبْصِرُ يوما ما ولذلك سماها بصائر قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ

مِنْ رَبِّكُمْ.

الآيات أليينات هي الوجود الموضوعي خارج أوعي الإنسان وهي القرآن وهي التي قالوا عنها سحر.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧)

الأحقاف: ٧

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١٣) النمل: ١٣

هل قالوا عن أالصوم إنه سحر؟

لنعد إلى سورة النور (الآية - ١) ولنسال ما هي ألفريضة؟

ألفريضة من الله تكون إما لنا وإما علينا:

﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) التحريم: ٢ فريضة لنا

﴿ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨٥) القصص: ٨٥ فريضة علينا

﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا

أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا

الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٣٧) البقرة: ٢٣٧ أعطيتموهن.

إذا فرضت لك ... أعطيتك، بينما إذا فرضت عليك ... أخذت منك.

متى تكون الفرائض لنا ومتى تكون علينا؟

عندما قال تعالى سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ولم يقل لنا أو علينا، هنا يجب أن نقف ونتأمل.

هناك آية أخرى ذكرت فيها الفريضة غير سورة النور ولم يقل فيها لنا أم علينا وهي آية الصدقات

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي

الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) التوبة: ٦٠

الذي يدفع فريضة، عليه

والذي يأخذ فريضة، له (فريضة من الله للفقير)

عندما يتبرع إنسان لميتم لا نسأله من أين جاء بالمال؟ هذه فريضة من الله عليه. الله سبحانه وتعالى يُحاسبه من أين جاء بالمال.

كذلك الإرث، قال عنه سبحانه وتعالى فريضة من الله. الذين يرثوا المال لا يسألوا من أين جاء صاحب المال به، الله يحاسبه كيف حصل عليه.

نذكر هنا قوله سبحانه وتعالى

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١١) الحديد: ١١

بل إنَّ هناك آية في كتاب الله أعمق في الوجدان تبين لنا كم هو رحيم هذا الخالق بعباده

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ التوبة: ١٠٤

تصور أن الله يقبل التوبة عن عباده وليس من عباده بل أكثر من هذا وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وهو الغني الكريم.

نقول أن الفريضة التي هي علينا هي التكليف. كذلك فإن الإنسان يفرض، كأن يفرض على نفسه حج البيت

﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ

فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى

وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ البقرة: ١٩٧

• الذكر

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ الحجر: ٩

يقولون أن الله تكفل بحفظ القرآن ويستشهدوا بقوله سبحانه وتعالى في الآية: ٩ من سورة الحجر. وأنا أقول أن الله تكفل بحفظ الذكر وليس بحفظ القرآن. فهل الذكر هو القرآن كما يقولون.

قال تعالى ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ ص: ١

قلنا إن مفاتيح فهم القرآن من داخله. لفهم هذه الآية نرجع إلى كتاب الله ونُرتِّل آياته التي توضح لنا معنى الآية. قال تعالى

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ الكهف: ٨٣

فهل القرنين هم ذي القرنين؟

وقال في سورة القلم ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ القلم: ١٤ وأكد أن المال غير الرجل.

إذا القرآن غير الذكر

الله هو قائل التنزيل. نقول قال الله .. من ذكر هذا؟ من نطق به؟ هو الرسول الأعظم. هذا المنطوق الذي نُطِقَ هو المحفوظ. الذكر هو الصيغة الصوتية المنطوقة للتنزيل الحكيم كله. هذه هي المحفوظة. نحن نرى اليوم ملايين حافظين لهذا التنزيل وينطقوا آياته.

القرآن هو مجموعة الحقائق الموضوعية خارج الوعي الإنساني. هل هو مخزن في الإمام المبين وفي اللوح المحفوظ بصيغة عربية منطوقة؟

لقد حول الله سبحانه وتعالى هذا القرآن وهذه المعلومات الموجودة في اللوح المحفوظ إلى صيغة تعبدية منطوقة ولهذا قال تعالى

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١٧) القمر: ١٧، القمر: ٢٢، القمر: ٣٢،

القمر: ٤٠

الصيغة الصوتية التعبدية للمصحف كله هي الذكر. بمعنى إذا تلى أمرئ أليس سورة الفاتحة وهو يدرك معناها كاملاً أو تلاها أي إنسان آخر غير عربي دون أن يع ما تعني الألفاظ، فلكلاهما الأجر ذاته.

عندما قلت أن الله لم يتكفل بحفظ القرآن عنيت أن الله لم يتكفل بأن يفهم الناس القرآن.

إن عكس ذلك ما هو حاصل اليوم، والرسول الأعظم سيذكوا قومه غدا أمام الله بأنهم هجروا القرآن

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠) الفرقان: ٣٠

لكن بالمقابل هل هجروا الذكر؟ ما زال الناس يتعبدوا بتلاوة الكتاب وما زال عدد من يحفظ كتاب الله في ازدياد منذ بُعث الرسول الخاتم إلى اليوم.

ونسأل أيضاً إذا كان الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ القرآن، ألم يتعهد بحفظ الأحكام؟

آيات غير عربية في الكتاب

كما قلنا فإن الذكر هو الصيغة الصوتية للكتاب كله ألتعبد بتلاوته – والذكر ضد النسيان ولم يقل عن الذكر أنه عربي لأن هناك آيات غير عربية في كتاب الله.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ.

وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (٦٣) الكهف: ٦٣

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّ الشَّيْطَانُ

ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٤٤) يوسف: ٤٢

لقد مضى أكثر من ١٤ قرناً على بعثة الرسول الخاتم وما زالت هناك كلمات في كتاب الله يعجز الجميع عن فهم معناها، أشير هنا إلى ما يطلق عليها المفسرون إسم الأحرف النورانية في فواتح

السور مثل ﴿ آت ﴾ البقرة: ١ ﴿ حم ﴾ غافر: ١ ﴿ يس ﴾ يس: ١ ...

هذه مقاطع صوتية موجودة في كل لغات أهل الأرض. هذه ليست لغة. ما سمّوها أَحْرُفُ نورانية عبارة عن مقاطع صوتية والكلام الإنساني يتألف من مقاطع صوتية.

الرسول الأعظم قال " أَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ". والكلم هو النطق، هو الكلام الذي يُسمع.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُومًا ۖ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ التوبة: ٦

الكلام الإنساني مؤلف من مقاطع صوتية. وهذه المقاطع المذكورة في الكتاب فيها معلومات كالقرآن

ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

الحجر: ٨٧، هي من الذكر وليست من القرآن.

لذلك فقد قال سبحانه وتعالى عن القرآن أنه عربي وعن الأحكام أنها عربية ولكن لم يقل عن الذكر أنه عربي. فلو كان الذكر عربي لفهمنا معنى هذه الأحرف.

هذه الأحرف قد تعني شيئا رياضيا. رب العالمين أعطانا الحقائق بعدة أشكال

- 1- شكل تشكيلي .. وهو أن نعبر عن الأشياء بالرسم مثلا، كأن نرسم شكل تفاحة لنعبر عن التفاحة
- 2- شكل رياضي .. وهو أن نعبر عن المفاهيم بمعادلات رياضية
- 3- أو باللغة.

الله خلق الوجود وعبر عنه بالوجود المخلوق أمانا. وأعطانا سبحانه وتعالى الحقيقة بصيغتين:

- صيغة بلاغية

- صيغة رياضية

ولهذا قال ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ الحجر: ٨٧،

كل ما قالوه عن (الأحرف النورانية) لا يتطابق مع الحقيقة. قالوا أن السبع المثاني هي ألفاتحة لأنها سبع آيات! وهناك من يقول أن ألفاتحة هي أم الكتاب.

إذا قالوا أن ألفاتحة هي أم الكتاب، هذا يعني أن المصحف من أوله إلى آخره (باستثناء ألفاتحة) متشابه، تصديقا لقوله تعالى في سورة آل عمران

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ... ﴾

ألفاتحة واحدة وليست سبعا، هي سبع آيات وفاتحة واحدة.

ولكن حين قال تعالى سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي إذا هناك سبع فواتح. هذه السبع المثاني هي فواتح لسور

وردت آيات مستقلة على شكل مقاطع صوتية وهي:

﴿الْمَ ١﴾ ، ﴿الْمَص ١﴾ ، ﴿كَهَيْعَص ١﴾ ، ﴿يَس ١﴾ ،

﴿طَسَمَ ١﴾ ، ﴿طه ١﴾ ، ﴿حَم ١﴾ . هذه الأصوات وردت كآيات مستقلة بحد ذاتها وأما الأصوات الباقية فقد وردت إما جزء من آية وإما أنها لم تكن فاتحة لسورة أي أن ترد في الآية رقم ٢ مثلا.

فعندما قال سبحانه وتعالى ﴿حَم ١ عَسَق ٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ الشورى: ١ - ٣ فإنه يريد أن يخبرنا أن الوحي لم يبدأ إلا عندما صار الإنسان قادرا على إصدار مقاطع صوتية ثلاث أو إثنين على الأقل. وهذه الحقيقة لها علاقة مع نشأة اللغة. (سنأتي بالتفصيل لهذا الموضوع عند الحديث عن نشأة الكلام الإنساني).

يقول كلود ليفي شتراوس أن الإنسان بدأ صائنا، لم يكن يعرف المعاني بل كان يقلد الأصوات.

القرآن يذكرنا بنشأة الكلام الإنساني ليقول لنا أن البشر تأنسن.

السبع المثاني وردوا في ١٩ آية. وورد في هذه المقاطع ١١ مقطع صوتي (بعد حذف التكرار)، وهذا العدد هو الحد الأدنى للكلام الإنساني (١١ صوتا - ليس ١١ حرفا) وهي لغة أهل سيشيل.

خارج السبع المثاني هناك ٣ أصوات إضافية وهي ق ر ن

هذه الأصوات ال ١١ + ٣ = ١٤ صوتا أي (٢ × ٧) سبع مثاني.

لماذا نقول مقاطع صوتية، أصاد مثلا كمقطع صوتي موجودة في اللغة الإنجليزية ولكنها ليست موجودة كأبجدية .. ككلمة Sausage .. الصوت هو القياس. الكلام الإنساني هو الصوت والمقطع اللغوي وليس الأبجدية.

يقولون اللغة العربية هي لغة الضاد. لكن الضاد كمقطع صوتي موجود في اللغة الروسية مثلا، فكلمة دخان في العربية يقابلها (ضيم "дым" في الروسية)

يقولون ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾ هي س مكتوبة ص أو ص مكتوبة س. نقول هي مقطع صوتي ولا يهم إذا كانت س أو ص.

الآية ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، هي من أشد

الآيات تشابها في التنازل الحكيم، وفي تفصيل الكتاب أُعْطِيَ مفاتيح لفهمها. قال تعالى:

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢٣) الزمر: ٢٣

القرآن هو الحديث ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) المرسلات: ٥٠

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) الطور: ٣٤

لاحظ السبع المثاني جعلها **أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** أما عن القرآن فقال حَدِيثٌ أي إن السبع المثاني
مُفَضَّلَةٌ عن القرآن. القرآن متشابه ولكن السبع المثاني متشابه ومثاني. وبالتالي إن صحت الرواية
(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) يعني السبع المثاني. كذلك قوله عليه الصلاة والسلام (أُوتِيتُ
جوامع الكلم) .. ألكلم هو المقاطع الصوتية.
السبع المثاني من آيات الكتاب وهي من الذكر، ولهذا لم يقل عن الذكر أنه عربي، ولم يقل كذلك عن
الكتاب أنه عربي.

منذ ١٤ قرناً ونحن نقرأ ﴿الْمَـٔصَّ﴾ (١) وهي آية لوحدها. ما معناها؟ هذه ليست لغة هذه صوت.

اللغة العربية لها مفردات ﴿الْمَ﴾ (١) شيء وألم شيء آخر ﴿أَلَمْ﴾ شَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿الْ﴾ (١)
الشرح: ١.

نعود ونقول هذه مقاطع صوتية تتألف منها كل لغات العالم. ﴿يَسَّ﴾ (١) موجودة في كل لغات
العالم.

السؤال الذي يسأله كل من يتدبر كتاب الله هل من المعقول أن من كانوا حول الرسول الأعظم سواء
من آمنوا به أو كفروا برسالته هل من المعقول أن أحدا من هؤلاء أو أولئك لم يسأل الرسول عن
معاني هذه الأصوات؟ بالتأكيد أن هناك من سأل. والإحتمال الأكبر أن الرسول الأعظم أجاب
بالحديثين: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) و (أُوتِيتُ جوامع الكلم).

لو عدنا إلى الآية الكريمة (الزمر: ٢٣) ورتلناها مع الآيات

﴿الْمَ تَرَأَنَّا اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
جُدُدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ فاطر: ٢٧ – ٢٨ نرى أن العلماء الذين يخشون ربهم هم الذين ذكروا في سورة الزمر ٢٣.

إلى جانب نشأة الكلام الإنساني نرى الحقائق التالية:

- عدد السور التي ذكرت فيها تلك الأصوات ١٩
- المقاطع الصوتية ١١
- عدد الآيات ٧

ماذا يعني هذا .. أكون كله مبني على رقمين كونيين هما π و e

النسبة التقريبية (π) = ٣,١٤ و e هي اساس اللوغاريتم الطبيعي.

π تصف كل الظواهر المتكررة في الطبيعة و e تصف كل الظواهر المتزايدة والمتناقصة في الطبيعة.

أقرب تقسيم لعدد صحيح ل π هو (٢×١١) مقسومة على ٧ وأقرب عدد صحيح ل e هو ٢,٧١ وبالضبط ١٩ مقسومة على ٧

كل ظواهر الطبيعة والمعادلات الرياضية إذا كانت متكررة فيها π ، وإذا كانت متزايدة أو متناقصة فيها الأساس اللوغاريتمي e

وإذا كانت الظواهر فيها تكرار وزيادة ونقصان مثل الأمواج فإنها تحتوي على π و e هذا في الكون كله.

عندما أرسلوا إلى الفضاء الخارجي مركبة بهدف الإتصال بمخلوقات أرسلوا علم مكتوب عليه π لأنهم يعرفوا أنه إذا كان هناك عاقلا في الكون قادرا على الفهم والإدراك فإنه بالتأكيد يعرف ال π . هذا مشترك كوني. كذلك بالنسبة ل e .

$$\pi = (2 \times 11) \text{ مقسومة على } 7, \quad e = 2,71 \text{ وبالضبط } 19 \text{ مقسومة على } 7$$

رب الكون أعطانا الكون بصيغة بلاغية وبصيغة رياضية

الظاهرة الصوتية ظاهرة كونية. الأصوات ليست في الأرض فقط. علماء الفلك يقولون ذلك ايضا.

إذا كان عدد السكان في مدينة ما هو N_0 وكانت نسبة الزيادة السكانية سنويا هي r فإن عدد السكان بعد t سنة هو $N = N_0 e^{rt}$ بحيث N هي Natural logarithm

المحكم والمتشابه

هناك من يقول أن المحكم هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة. أما المتشابه فظني الدلالة.

نتساءل هل قوله سبحانه وتعالى

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ

اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧) الرعد: ٣٧

تعني أنه قطعي الدلالة؟

قبل الحديث عن المحكم والمتشابه هناك ثنائيات يجب أن نتحدث عنها:

- الحق والباطل
- المسموح والممنوع
- الحلال والحرام
- الخطأ والصواب
- الصدق والكذب
- الأمر والنهي

هذه المنظومات تمثل كل الحياة.

الحق والباطل

الحق هو الوجود الموضوعي خارج الوعي الإنساني Objective

ألبحر الأبيض المتوسط حق إذا عرفت ذلك أم لم تعرف هو موجود. ألمريخ حق موجود خارج

الوعي عرفنا ذلك أم لم نعرف. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٦) الحج: ٦٢

الباطل هو الوهم. الله ليس من اختراع الفكر الإنساني، ما هو اختراع فكر إنساني هو الوهم. لذلك حين حطّموا أصنام الكعبة قالوا (جاء الحق وزهق الباطل) ولم يقولوا جاء الصواب وذهب الخطأ. لو قالوا ذلك لكان معناه أن هناك مجرد خطأ في العبادة لكنّ عبادتكم لتلك الأصنام صح.

الجنة حق، ليس لها علاقة بالصدق والكذب. الحق قائم بذاته، مكثفي ذاتيا. قوانين الذرة حق ليس لها علاقة بتدخل الإنسان لكي تعمل. أما اللغة فليست حقا لأنه ما لم يتكلمها الإنسان لن تكون.

الحق هو الوجود والباطل هو الوهم. الشيطان يوقعك في الباطل يجعلك تنوهم بأمر غير موجودة.

﴿يَتَأْتَى لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤) مريم: ٤٤ الرحمن هو

اسم الربوبية لهذا الكون المادي، والشيطان هو الباطل.

الإعتقاد بالسحر باطل لأنه مجموعة من الأوهام.

لكن نريد أن نؤكد هنا أن ليس كل حق حلال وليس كل باطل حرام. الخنزير والبقر كلاهما حق (كلاهما له وجود مادي موضوعي)، لكن أكل لحم الخنزير حرام بينما أكل لحم البقر حلال. كذلك ليس كل باطل حرام. أفلام توم وجيري وهم (إذ لا يوجد فأر يقتل قط) لكنها ليست حرام. أنت تتخيل لكن ذلك غير موجود في الحقيقة. ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) يونس: ٣٦

الخطأ والصواب

الخطأ والصواب لا يكون إلا بالحق. ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۚ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٩٢) النساء: ٩٢ تحقق القتل، ولكن خطأ. أمامك شيء أخطأت به.

جدلية الخطأ والصواب لا تكون إلا بالحق.

الصدق والكذب كذلك لا يكون إلا بالحق. أنت تسأل عن شيء معين (موجود) .. إما يصدقك وأما يكذب.

الحلال والحرام، المسموح والممنوع، الأمر والنهي لا يكونوا إلا بالسلوك الإنساني وليسوا مترادفات.

الحلال والحرام لا يكون إلا إلهي.

الحرام .. منع أبدي شمولي – لا يكون إلا من الله، ما تبقى هو الحلال.

الحديث الشريف حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ ، وَيَعْلَى ، قَالُوا : أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " الْحَلَالُ بَيْنَ وَالحَرَامِ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، وَإِنْ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .

هذا الحديث مضى عليه أكثر من ١٤ قرناً حتى الآن، هل حُدِّثَتِ المُشْتَبِهَاتُ؟

المشتبهات هي النواهي الإلهية مثل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ الحجرات: ١٢

هذه نواهي وليست مُحرمات. إذا لم تتجسس الدولة على العدو فكيف تحمي نفسها، وإذا لم تتجسس الشرطة على تجار المخدرات والمجرمين كيف لها أن تحمي مواطنيها .. لكن أن تتجسس على جارك أو أي على أي أحد لمجرد أن تتجسس فهذا ما نهى الله عنه. كذلك لا يجوز الغيبة والنميمة ولكن عندما يكون هناك إنسان نصاب فإن من واجبك أن تحذر الجميع منه، ولذا نقول أن المنهيات لا ترقى إلى درجة التحريم، لأنه لو كان التجسس حرام لحُرِّم ذلك حتى على العدو أو عصابات المافيا.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَسَلِّمُوا عَلَيْهَا

أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ النور: ٢٧

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾

الإسراء: ٣٧

هذه نواه .. لا يوجد مشتبهات خارج المصحف.

المسموح والممنوع

المسموح والممنوع ليس له أي علاقة بالدين إطلاقاً. المنع يعني أن هناك سلطة تمنع وهذا المنع لا يحمل الطابع الأبدي.

الله يأمر وينهي ولكن بدون سلطة ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن

نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ الأعراف: ١٢

﴿قَالَ يٰٓإِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي ۖ أَسْتَكْبَرْتَ ۖ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾

ص: ٧٥ الله لا يستعمل السلطة ولكن يترك الاختيار للإنسان. ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ

جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ الإسراء: ٩٤

الدولة تمنع التدخين (تمتلك السلطة وأداة الإكراه)، الطبيب ينهي عن التدخين. أي سلطة لها أدوات إكراه وإن لم يكن هناك أداة إكراه لا يوجد سلطة.

الإهتمام بهذه الثنائيات لأقول أن الحق والباطل يختلف عن الصدق والكذب أو الخطأ والصواب. الحق والباطل (حقيقة ووهم).

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ^{٥٦} وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ^{٥٦} ﴾ الكهف: ٥٦

الباطل ليس سيء أو كذب، الباطل يعني أنه وقع في الوهم (تصور غير موجود).

القرآن فرق بين الحق والباطل في الوجود. القرآن لم يفرق بين الحلال والحرام.

الإرث ليس من القرآن، الإرث من الرسالة.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ^{١٨٣} ﴾ البقرة: ١٨٣ (افعل أو لا تفعل)

حِكْمَةُ نَزُولِ الْقُرْآنِ مُنْجِمًا

ما من رسول بُعثَ إلى قومه إلا وأعطاه الله مُعْجَزةً تُؤَيِّدُ أَنَّهُ رَسُولٌ مُّرْسَلٌ من رب العالمين. موسى

عليه السلام أيدته الله بتسعة آياتٍ بيناتٍ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى **تِسْعَ آيَاتٍ** بَيِّنَاتٍ **فَسَلَّ بَنِي**

إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى **مَسْحُورًا** ^{١٠١} ﴾ الإسراء: ١٠١

هذه المعجزات سماها الله آياتٍ بيناتٍ رآها قوم موسى بأعينهم ولذا سماها الله بصائرٍ ﴿ قَالَ لَقَدْ

عَلِمْتَ مَا أَنزَلُ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ **بَصَائِرَ** وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ

مُتَّجِرًا ^{١٠٢} ﴾ الإسراء: ١٠٢ أيضا عيسى ابن مريم عندما بُعثَ إيدته الله بمعجزات تبين لقومه أنه

نبي مرسل ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ **بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ

مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ ^{١٠٣} **الْأَكْمَهَ**

وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ^{١٠٤} **إِنَّ فِي**

ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ^{٤٩} ﴾ آل عمران: ٤٩

لقد رأى قوم موسى وقوم عيسى تلك الآيات البينات فأمن منهم من آمن، ونحن لولا ذِكرُ تلك الآيات البينات في القرآن الكريم لما علمنا بها.

أما الرسول الأعظم فكونه خاتم الأنبياء والرسول اقتضى أن تكون مُعجزته مُشاهدة لأهل الأرض في كل زمان ومكان. الآيات البينات التي أعطيت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن ذاته. نحن اليوم حين نتدبر القرآن الكريم ندرك أنه كتاب سماوي وأن محمد صلى الله عليه وسلم هو بحق خاتم الأنبياء والرسول.

المعجزة المادية كلما بعدت زمانا عن زمن التنزيل كلما وضحت أكثر. هذه الميزة الموجودة في القرآن الكريم ثبوت النص وحركة المحتوى لا توجد في أي كتاب آخر. القرآن الكريم صيغ متشابهة عن قصد، والقرآن يفهم حسب السقف المعرفي لكل جيل.

هناك قول للرسول الأعظم (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَلَرُبَّمَا سَامِعُ أَوْعَى مِنْ مُبْلَغٍ).

إن سامع القرن العشرين هو بلا شك أوعى من مبلغ القرن السابع لأن سقفه المعرفي أفضل.

القرآن فرق بين الحق والباطل (وجود) ولم يتحدث عن السلوك.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا...﴾ آل عمران: ١٤٥ أهل

الأرض يبحثوا في كتاب الأعمار وبالتالي فإن معدل الأعمار في البلاد الأكثر معرفة أفضل منه في تلك البلاد المتخلفة علميا.

كلما بعدنا عن الرسول الأعظم زمانا كلما كان المتشابه أوضح. نحن اليوم في القرن العشرين نستطيع

أن نفهم القرآن أفضل كثيرا عن أهل القرن العاشر. نحن نقرأ اليوم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ المؤمنون: ١٤ هذه الآية والتي هي آية واحدة

في كتاب الله، ألفَ فيها المُجلداتُ في علم الجنين، فمن يفهم هذه الآية أكثر نحن أم أولئك الذين عاصروا بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟.

الذين عاشوا في القرن الثامن كان الدم بالنسبة إليهم سائل أحمر يجري في العروق. اليوم تحت المجهر عرفنا أن الدم يحتوي على أكثر من ٢٠٠ عنصر.

اليوم نمتلك وسائل المعرفة التي لم تكن متوفرة في الماضي.

المتشابه يحتاج إلى تأويل وليس إلى تفسير. إن إعجاز القرآن في هذه الخاصية وليس في كونه مصاغا ببيانيا بأسلوب عجز العرب أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله، وكان القرآن أنزل لقوم دون غيرهم. الله سبحانه وتعالى تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء: ٨٨ تحد لكل الإنس والجن منذ أن أنزل القرآن

وحتى قيام الساعة. تحد للياباني اليابانية، والروسي بالروسية، والصيني بالصينية والإنجليزي

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِفُرْعَانٍ
غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ
إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ ۖ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ يونس: ١٥.

يوسف عليه السلام رأى مناما في ذهنه وليس في الواقع. حين خر أبويه وقال ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ يوسف: ١٠٠

التأويل رده إلى الأول أو إلى المال.

47

الإنزال والتنزيل

قبل الحديث عن الإنزال والتنزيل نريد أن نبين الفرق بين البلاغ والإبلاغ

البلاغ نقول أن هناك بلاغا من الوزارة إذيع من الراديو يطلب من المواطنين أمرا ما. هذا البلاغ لا يعني أن كل مواطن قد سمعه ووعيه. فالرسول كونه الرسول الخاتم لأهل الأرض جميعا لم يكن مطلوبا منه أكثر من البلاغ، ذلك أنه من المستحيل عليه أن يتأكد من أن كل أهل الأرض قد وصلهم مضمون رسالته ووعوا ما فيها. قال تعالى

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ المائدة: ٩٩

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ۚ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ

يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧

بينما صالح عليه السلام، كونه أرسل إلى قوم محدودي العدد كان المطلوب منه أن يتأكد أن رسالته قد وصلت لكل واحد منهم (إبلاغ)، وهذا هو الفرق بين البلاغ والإبلاغ. فالإبلاغ يعني أن تتأكد أن الرسالة قد وصلت بالفعل لمن تريد أن توصلها إليه وأنه أدرك ما فيها. ولذا كان قول صالح عليه

السلام لقومه ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُوا لَقَدْ أْبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ

وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴾ الأعراف: ٧٩ .

بعد أن بينا الفرق بين البلاغ والإبلاغ أصبح بالإمكان توضيح الفرق بين الإنزال والتنزيل.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٣ أي نقل من مكان إلى مكان

ولكي يدخل القرآن ضمن مدركات الناس كان الإنزال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر

التنزيل إذا عمل به تتم خارج الوعي الإنساني، ولكي يدخل المنزل ضمن مدركات الناس يجب الإنزال.

القرآن كان له وجود مسبق في اللوح المحفوظ والإمام المبين، كان بصيغة غير مدركة فحولة الله

سبحانه وتعالى إلى صيغة مدركة ليفهمه الناس، وهذا هو الجعل. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

أَمَا فِي الْأَحْكَامِ (الرسالة) .. فلا يوجد جعل ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ الرعد: ٣٧

إذا القرآن كان له وجود مُسبق في الإمام المُبين واللوح المحفوظ، وكان بصيغة غير مدركة (غير عربي) فجعله الله عربيا وأنزله إلى الناس ليتم إدراكه، ولقد تم ذلك في ليلة القدر حيث أشهر القرآن. في ليلة القدر هناك العديد من الأوامر السماوية، لكن الله يقول لنا إن إشهار القرآن كان أفضل من ألف

إشهار آخر ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر: ٣ وليس المقصود بالشهر هنا ما

فهمه البعض أنه ٣٠ يوما. إذا في ليلة القدر جعل القرآن عربيا وأشهر

إنّ فهم الفرق بين الإنزال والتنزيل يعد أحد المفاتيح الأساسية لفهم كتاب الله .. وهذا الفهم له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل. فما هي هذه العلاقة التي تربط مبادئ التأويل وفهم كتاب الله بفهم إصطلاحي الإنزال والتنزيل.

الأنزال والتنزيل من الكلمات الشائعة في كتاب الله ووردت أكثر من ١٠٠ مرة في التّنزيل الحكيم وفي مواضع مختلفة.

هناك إنزال وتنزيل للقرآن

هناك إنزال وتنزيل للكتاب

هناك إنزال وتنزيل للذكر

هناك إنزال وتنزيل للملائكة

هناك إنزال وتنزيل للهن والسلوى

هناك إنزال وتنزيل للمائدة

وهناك إنزال بدون تنزيل للحديد، وإنزال بدون تنزيل للباس.

القرآن

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ الإنسان: ٢٣

الكتاب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الكهف: ١

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران

الملائكة

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ الأنعام: ٨

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ ﴾ القدر: ٤

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت: ٣٠

المن والسلوى

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ البقرة: ٥٧

﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشَرَ آسَاطًا أُمَامًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۖ آبَ

أَضْرَبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشَرَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

مَشْرَبَهُمْ ۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ١٦٠

الأعراف: ١٦٠

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ ۖ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ

وَالسَّلْوَى ۖ ﴾ ٨٠ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحِلِّ

عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ٨١ طه: ٨٠ - ٨١

الحديد

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ۖ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ ۖ

بِالْغَيْبِ ۖ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد: ٢٥

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ الْتَقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ

مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ الأعراف: ٢٦

كيف نفرق بين إنزال وتنزيل القرآن والذكر والملائكة والكتاب والمن والسلوى وبين إنزال الحديد واللباس؟

يظن البعض أن الإنزال هو حركة من الأعلى إلى الأسفل. كذلك يعتقد البعض أن الهبوط هو أيضا حركة من الأعلى إلى الأسفل. يقول تعالى ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ البقرة: ٣٨ يُظَنُّ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَهَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ.

ألهبوط لا علاقة له إطلاقاً بالأعلى والأسفل. الهبوط عبارة عن حركة إنتقالية على سطح الأرض من مكان إلى مكان. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نَّبْصِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ أَهْبِطُوا مِصْرًا ۚ فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأً تُمْسُونَ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١ كانوا في مكان وانتقلوا إلى مكان آخر.

﴿قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ هود: ٤٨ إنتقل من مكان إلى مكان آخر.

ألهبوط إذا لا علاقة له بسما أو بأرض.

أما التنزيل والإنزال كما أوضحنا حين تحدثنا عن البلاغ والإبلاغ وقلنا أن البلاغ هو إصدار بيان للناس دون التأكد أن البيان وصل لكل الناس وأن الناس وعوا ما فيه. إما الإبلاغ فهو التأكد أن البيان قد وصل للشخص المراد تبليغه. وقلنا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان مطلوب منه البلاغ ولم يكن مكلفاً بالإبلاغ كونه خاتم الأنبياء والرسل وكونه مرسلًا للإنس والجن.

أما صالح فقد طلب منه الإبلاغ لأنه أرسل إلى قوم في منطقة محددة يسهل التأكد من وصول الإبلاغ إليهم. وهل يهلك الله قوما لا يعلموا ماذا أرسل إليهم.

ولذا فقد قال عن القرآن ﴿قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ

إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِّئُ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الأنعام: ١٩ لاحظ قوله وَمَنْ بَلَغَ أي إن القرآن إنذار لكم ولمن بلغه ذلك الإنذار .. فإذا وصل إلى أحد سكان البرازيل فقد بلغه وأصبح منذرا بهذا القرآن وإن لم يبلغه فلا مسؤولية عليه ..

رب العالمين يريد أن يعطي هداية للناس، هذه الهداية جاءت من خارج الذات الإنسانية عن طريق وسيلة ما (جبريل). جبريل له وجود موضوعي خارج الوعي الإنساني مهمته نقل معلومات (رسول)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَّثَ وَرَبَعَ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ فاطر: ١ نقل الرسالة من اللوح

المحفوظ والإمام المبين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (تنزيل). لذلك قال ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ

بِالْحَقِّ ... ﴿٣﴾ آل عمران: ٣ وقال ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... ﴿١٠٥﴾ الإسراء: ١٠٥

تم نقل القرآن إلى لسان عربي قابل للإدراك ثم نقل إلى الرسول الأعظم (هذا الأمر تم خارج الذات المحمدية).

تاريخ الإنسان قبل الرسالة المحمدية موجود في الإمام المبين، ولكن لا ندري كيف هو مسجل هناك. نقل هذا التسجيل إلى الإدراك (إنزال) .. أما جعل القرآن عربيا (فهو إشارة إلى أن القرآن كان له وجود مسبق قبل أن يصير عربيا)، وذكر الجعل والإنزال عربيا لأنه كان بالإمكان أن يُجْعَلَ غير عربي - إنجليزي مثلا أو أي لغة أخرى قبل أن يتم إنزاله.

الأمم المبين واللوح المحفوظ، حيث للقرآن وجود قبل الجعل والتنزيل، وحيث لا يصل إليه إلا

المطهرون ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ الواقعة: ٧٩ حصل فيه الإنزال - أي إنه

أصبح قابلا للإدراك الإنساني وأشهر في ليلة القدر، ولذا قال ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ﴿٢﴾ القدر: ٣ أي إن إظهار القرآن خيرا من ألف إظهار يحصلوا ليلة القدر. شهر هنا لا

تعني المدة الزمنية (٣٠ يوما) وإنما هي من إظهار.

القرآن إذن أنزل دفعة واحدة ليلة القدر في شهر رمضان

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ ﴾ القدر: ١

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٢ ﴾ الدخان: ٣

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ

وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ١٨٥

الأنزيل حصل في ٢٣ سنة

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ۝١٠٦ ﴾ الإسراء: ١٠٦

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۝٢٣ ﴾ الإنسان: ٢٣

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ ﴾ الفرقان: ٣٢

القرآن الكريم كان له وجود

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ ﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ۝٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ تَنْزِيلٌ

مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ ﴾ الواقعة: ٧٧ - ٨٠

هذه الآيات التي تفصل لنا هذه الحقيقة هي التي أطلق عليها رب العالمين لفظ تفصيل الكتاب، وهي من أهم المفاتيح لفهم كتاب الله.

وحين قال تعالى

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ يوسف: ٢

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ الزخرف: ٣

آيتان لا تختلفان إلا بفعل واحد، ليقول لنا أنَّ الجعل والإنزال تلازموا بالنسبة للقرآن. أما بالنسبة للأحكام فلا يوجد جعل ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ الرعد: ٣٧

لأنه يوجد أحكام في اللوح المحفوظ. أية الصوم مثلا ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَقُّونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة: ١٨٣ غير

موجودة في اللوح المحفوظ، لأنها لو وجدت لأصبحت قانونا حتميا كيوم القيامة ولصام الناس دون إرادتهم ودون قدرتهم على الرضى.

هنا كان خطأ المعتزلة عندما قالوا أن القرآن مخلوق.

اللوح المحفوظ والإمام المبين لهم وجود غير قابل للإدراك الإنساني. جعلوا قابلين للإدراك الإنساني (صار لسان عربي – تم تحويل في الصيرورة جعل)، لقد كان بالإمكان أن يكون الجعل غير عربي. بالنسبة للعرب فإن أي لغة غير عربية هي لغة أعجمية. وبما أن الأحكام عربية قال تعالى

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى

أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ فصلت: ٤٤

أي لو كان الجعل غير عربي لكان في المصحف لغتين لغة عربية لغة الأحكام ولغة أعجمية هي لغة

القرآن. علما أن الحديث يدور في البداية عن الذكر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ

لَكِنَّتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ فصلت: ٤١.

أما ما قالوه أنَّ أعجمي تعني القرآن، وعربي تعني الرسول لا يعنينا في شيء.

أمثلة توضيح الأنزال والتنزيل

مباراة كرة قدم

فريقين يتبارون في الملعب في مدينة جوهانسبورغ.

الأصل واحد منتخبين.

نحن في دمشق نريد متابعة تلك المباراة.

هناك كاميرات تلتقط صور المباراة وتحولها إلى أمواج وتبثها ، هذه الأمواج ترسل عبر الفضاء، لتصل جهاز الإستقبال نلتقط تلك الأمواج لتظهر صورة على الشاشة نستطيع من خلالها متابعة ما يحدث في الملعب في جوهانسبورغ.

- تحويل الصورة إلى أمواج (جعل) لأن هناك أصل عبارة عن لحم ودم (لاعبين في الملعب)
- نقل الموجة – خارج إدراكنا (تنزيل)
- إستقبال الأمواج ومشاهدتها – دخولها مدركاتنا (إنزال)

لو طبق هذا المثل على القرآن الكريم نقول

القرآن الكريم موجود خارج مدركاتنا في اللوح المحفوظ والإمام المبين. رب العالمين جعل القرآن عربيا قابلا للإدراك.

ألجعل تشير إلى أن له وجود. تماما كقول رب العالمين إلى إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ البقرة: ١٢٤ لقد كان هناك وجود لإبراهيم عليه السلام قبل أن يجعله الله إماما للناس.

أيضا حين قال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠ دليل على أن آدم كان موجودا، لكن رب العالمين أراد أن يغير في صيرورته، لأنه قبل وجوده قال تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا

سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ الحجر: ٢٨ – ٢٩

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا

لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ص: ٧١ – ٧٢

أما الدليل على إن الإنزال يقتضي الدخول ضمن الإدراك فقوله سبحانه وتعالى

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مَنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ البقرة: ١٣٦

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا هل ممكن أن يؤمن الإنسان بشيء لا يعرفه ؟ إذا حين قال تعالى أُنْزِلَ إِلَيْنَا دليل على أن المُنْزَلَ إلينا قد دخل ضمن مدركاتنا.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ البقرة: ١٥٩

لكي يكتنموا البينات يجب أن يكونوا عرفوها وأدركوها أولا!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ البقرة: ١٧٤

أيضا يجب أن يعرفوا ويدركوا ما في الكتاب قبل أن يقرروا كتمانه.

قلنا سابقا إن الكتاب هو الموضوع، وكتاب الله هو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى الرسول الأعظم. في الكتاب حصل إنزال وتنزيل خارج الذات المحمدية بالصيغة والمحتوى، أي إن الفكرة جاءت جاهزة للرسول الأعظم ولم يُصيغها بنفسه. كان عليه النطق فقط. ولذلك قال تعالى

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ الإسراء: ١٠٥ هذا الشيء

حصل موضوعيا. أما قوله ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا

يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ الأنعام: ٧ - ٨ هنا لا يصح إلا التنزيل. أَلْكِتَابُ هو كتاب الله كما قلنا وليس خط

الله. بعد أن دَوَّنَ الكتاب، آيات التدوين هي القرطاس. أَلْكِتَابُ بدون قرطاس لا يلمس - ممكن يُسمع. أَلْكِتَابُ في قرطاس يلمس - هذا تنزيل (شيء مادي ينزل بغض النظر ما يحتوي: كتاب الموت، كتاب الصلاة، أو أي كتاب آخر).

عندما نقرأ ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) الأعلى: ١٩ هل تعني كتابا في قرطاس؟

الإحتمال الأكبر لا، رب العالمين يقول ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) فيها كُتِبَ

قِيمَةٌ (٢) البينة: ٢ - ٣ إذا كان هناك صحف فيجب أن تكون بأيدي الملائكة ﴿فِي صُحُفٍ

مُكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) عبس: ١٣ - ١٦

أما موسى عليه السلام فقد جاءته الوصايا العشر في قرطاس ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى

أَلْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ (١٥٤)

الأعراف: ١٥٤

المن والسلوى

قلنا أن هناك إنزال وتنزيل للمن والسلوى. لقد ذكر الإنزال في سورة البقرة (الآية: ٥٧) وفي سورة الأعراف (الآية: ١٦٠) ولما كان الإنزال يقتضي دخول المنزل ضمن الإدراك لذا وجدنا أنه بعد ذكر

إنزال المن والسلوى فقد قال تعالى **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ليشير إلى أن بني إسرائيل أدركوا أن هذه الأشياء للأكل.

أما في سورة طه (الآية: ٨٠) فلقد ذكر تنزيل المن والسلوى، ولما كان التنزيل يعني عدم دخول

المُنزَلُ ضمن الإدراك فقد انتهت الآية ٨٠، لتبدأ بعدها الآية ٨١ بعبارة **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا**

رَزَقْنَاكُمْ أن بني إسرائيل أدركوا ما هية المن والسلوى. وهنا نرى أهمية مواقع النجوم.

لقد جاء القرآن منجما. وما نقصده بمواقع النجوم هو الفصل بين الآيات وليس النجوم التي في السماء.

إن مواقع النجوم هي أحد أهم المفاتيح لفهم كتاب الله، ولولا الدقة في مواقع النجوم لفقد الخبر

مصادقيته ولأصبح خبراً غير صحيح. ولهذا أقسم الله بمواقع النجوم ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ

النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ

مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) الواقعة: ٧٥ - ٧٩ وإياك أن تظن إن مواقع

النجوم ألمان اليها في هذه الآية هي تلك النجوم التي في السماء، إن مواقع النجوم هي تلك الفواصل بين الآيات القرآنية والتي بدونها يصعب فهم كتاب الله فهما صحيحا.

إنَّ رب العالمين هو من نجَّ هذا الكتاب وقسم آياته بهذا الشكل لنستطيع أن نفهمها كما أراد سبحانه وتعالى.

مثال على مواقع النجوم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ١ - ٤

ما علاقة النجم إذا هوى بمصادقية الرسول، وأين النجم إذا هوى. قال البعض إنَّ لنجم مقصود به الشهاب! وأن يكن، ما علاقة أن الشهاب هوى وأن النبي لم يضل؟؟! ما يربط هذا بذاك؟ آيات هنا تتحدث عن شيء له علاقة بالوحي .. نجم ونطق!!!!

مثال آخر

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ المؤمنون ...

الآية ١٤ من سورة النور تحكي عن تطور الجنين والآية تمضي دون انقطاع. عندما يتم تلقيح الحيوان المنوي بالبويضة فإن تطور الجنين لا يتوقف ولذا جاء هذا التطور في آية واحدة دون انقطاع.

أما خلق الإنسان من سلالة من طين وحتى أصبح نطفة فقد مرَّ بمراحل قبل أن يحدث ذلك، إذا لا بد أن يكون هناك نجمة. لو لم توضع نجمة لفقد الخبر مصداقيته.

إنزال الملائكة

قال تعالى عن نوح عليه السلام

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ المؤمنون: ٢٤

احتج القوم أن المرسل إليهم هو بشر مثلهم، لم يصدقوا أنه رسول لأنهم اعتادوا أن تكون الرسل من

الملائكة .. وكانوا يرونهم ولذا قال **لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**.

أما قوله عن تنزيل الملائكة (خارج المدرجات) فقد ورد في

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠

اليوم هناك أكثر من ٦ مليارات إنسان على سطح الكرة الأرضية، ألا يوجد بينهم أحد قال ربي الله ثم استقام؟

الآية (فصلت: ٢٠) تحمل خبرا صادقا، لكنها تتحدث عن تنزيل الملائكة لتقول لنا أن هذا موضوع يتم خارج الإدراك، ولذلك نحن لا نرى الملائكة.

الحديد واللباس (إنزال)

هناك من يقول أن الله أنزل الحديد من السماء، هذا الكلام ليس صحيحا. حين انفصلت الأرض عن الشمس وتجمعت فإن أكثر عنصر كان موجود فيها هو الحديد. باطن الكرة الأرضية كله حديد وهو الذي يسبب الحقل المغناطيسي.

الحديد موجود في الأرض بشكل كبير وهو موجود على شكل فلزات، وليس حديد صافي. ولكن كيف وصل الإنسان لمعرفة الحديد بشكل مبكر؟ لا شك أن ذلك تم عن طريق النبوات أو الملائكة، فقوله

تعالى ﴿... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ...﴾ الحديد: ٢٥ لا تعني أنه أنزل من السماء ولكن تعني أن الحديد أصبح مدركا لبني البشر.

كذلك الحال بالنسبة للباس، فقوله تعالى ﴿... أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ...﴾ الأعراف: ٢٦ إذا فهمناها تنزيل فإنها تعني أن رب العالمين قد فصل لباسا للناس ونزله إليهم.

البشر بدأ عاريا .. وحين تأنس (انتقل من بشر إلى إنسان) أصبح هناك سراويل (وضع أشياء على الجسم بدون خياطة) كما في قوله تعالى ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعَشَّىٰ جُوهَهُمْ

النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ إبراهيم: ٥٠ القطران لا يخط.

ثم جاءت القمصان والثياب المخاطة. هذا التطور اكتسبه الإنسان معرفة من الطبيعة بعد أن رأى طيور تغزل، ولهذا قال تعالى ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ اللباس لم يأتي من السماء، هناك شيء كان غير مدرك جعله الله مدرك بالنسبة للإنسان.

تنزيل المائدة

ورد الأنزال والتنزيل للمائد في سورة المائدة. قال تعالى

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

لقد سأل الحواريون عيسى عليه السلام هل يستطيع الرب أن **يُنْزِلَ** عليهم مائدة (أي طلبوا مائدة مادية). لكن عيسى ابن مريم طلب من ربه إنزال مائدة **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً** طلب الوعي بشأن المائدة، وطلب صفة للمائدة وأن تكون آية من الله. رب العالمين وافق على الطلبين أي أنه نزل إليهم مائدة مادية كما طلبوا وجعلها آية لهم.

تنزيل سورة محكمة

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ محمد: ٢٠

إذا كان هذا المصحف كله قرآن والقرآن أنزل دفعة واحدة في ليلة القدر، فكيف **أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ** ، هنا يتكلم عن الأحكام وليس عن القرآن. في الأحكام تلازم الإنزال والتنزيل. وفي الأحكام لا يوجد جعل.

أحداث موسى عليه السلام حصلت وسجلت في الإمام المبين. الإمام المبين عبارة عن تراكم أحداث. ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يُنَاطِقُ عَلَيْكُمْ بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٩

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

مُسِينٍ ﴿١٢﴾ يس: ١٢

لا يوجد شيء في الأحداث مبرمج سلفا. الحدث يسجل في الإمام المبين لحظة حصوله ويُأرشف فيه.

قبل أن يعبس الرسول في وجه ابن ام مكتوم لا يوجد ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ ﴾ عبس: ١ وهذه الآية لم تنزل ليلة القدر. لو أن الرسول لم يعبس لما نزلت هذه الآية، وإلا لأصبحت الحياة مجرد تمثيلية نؤدي نحن فيها أدورا كتبنا لنا ولا يحق لنا الخروج عن النص إطلاقا.

القصص القرآنِي حصل قبل بعثة الرسول ودون في الإمام المبين. أما القصص المحمدي فكان يحصل زمن التنزيل وقبل حصوله لم يكن مستنسخ في الإمام المبين.

القصص المحمدي بالنسبة لمن عاصروا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان واقع يعيشوا لحظاته، ولم يكن بالنسبة إليهم قصص. أليوم القصص المحمدي بالنسبة لنا هو تماما كقصص بقية الأنبياء والرسل في التنزيل الحكيم، علينا أن نتعامل معه كما نتعامل مع قصص الرسل السابقين أي

أن نأخذ منه العبر وليس الأحكام إلتراما بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَىٰ

الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ يوسف: ١١١

الأحكام أنزلت ونزلت ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾

الرعد: ٣٩ .. أم الكتاب ليست في اللوح المحفوظ ولا في الإمام المبين. أم الكتاب ليست حدثا هي أحكام. الأحكام تتغير هناك ناسخ ومنسوخ ولكن ليس ضمن الرسالة الواحدة.

تفصيل الكتاب ليس في اللوح المحفوظ أيضا .. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ الزخرف: ٣ هل هذه الآية موجودة في اللوح المحفوظ؟ هذه من آيات تفصيل الكتاب.

بدون تفصيل الكتاب لا يفهم كتاب الله.

آيات تفصيل الكتاب ليست من الآيات المحكمات وليست من المتشابهات.

أزمة الفقه الإسلامي

هناك إشكاليات تعاني منها العقلية الإسلامية منها

- ازدواجية التراث والمعاصرة
- تراجع في مشكلات المسلم الاجتماعية والاقتصادية
- واقع المجتمعات الإسلامية الذي لم يستطع أن يواكب متطلبات العصر في الكثير من المناطق.

ويتحمل الفقه الإسلامي السبب الرئيس في هذه الإشكاليات. ذلك أنّ العقل العربي هو عقل فقهي، والفقه خلال التاريخ هو الذي شكل العقلية العربية.

العقل العربي يسأل دائماً عن المسموح والممنوع، عن الحلال والحرام وهل أنا مُذنب أم مقصر.

هذا العقل سببه الفقه الإسلامي، لأن هذا الفقه نشأ في ظل سلطة مستبدة لدرجة أنه اضطر أن يقول أن الولد في آية المواريث هو المولود الذكر وليس الأنثى. فلقد نشأ الفقه في القرن الثاني الهجري. أبو حنيفة مات سنة ١٤٧ هـ، الشافعي ولد عام ١٥٠ هـ، والإمام جعفر الصادق ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي سنة ١٤٩ هـ.. أي مع نهايات العصر الأموي وبدايات العصر العباسي.

هؤلاء أعلام وضعوا أسس للفقه تناسب العصر الذي عاشوا فيه خاصة في أمور ألقّنت والجهاد حيث كانت الدولة من أقوى دول العالم، فوضع مفهوم القتال والجهاد ومفهوم دار الفكر ودار الإسلام لتتناسب مع أقوى دولة في العالم.

إذاً أقوال الفقهاء في تلك المرحلة حيث كانت الدولة الإسلامية هي الأقوى هي التي يعمل بها هذه الأيام. مثلاً مفهوم الحرية عند الفقهاء جميعاً هو ضد الرق.

كان هناك ضرورة لتبني مفهوم الترادف، وكان هناك ضرورة لإعتماد الحديث النبوي والإقرار بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب الوحيين.

تبّنوا الترادف لأنهم قالوا أن الرسول الأعظم هو صاحب الوحيين لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢)﴾ النجم: ٣

هناك روايات تُقر – ما هكذا نطق الرسول – لأنّ الحديث دُونَ بالمعنى وليس كما نطق الرسول حرفياً، أي أن الروايات قيلت كما فهمها الراوي.

مثلاً أركان الإسلام المتعارف عليها ربما حدث خطأ حين نُقل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فأركان الإسلام لا تتناسب مع الفطرة الإنسانية بل هي بمجملها تكاليف ضد الفطرة، علماً أننا نقول أن الإسلام دين الفطرة. أقول حدث خطأ دون قصد بنقل كلام الرسول، إذا من الممكن أن يكون الرسول الأعظم قد قال بني الأيمان على خمس فنقلها الراوي بني الإسلام على خمس لإعتباره أن الإسلام والإيمان واحد. سنتحدث عن موضوع الإسلام والإيمان بالتفصيل لاحقاً.

أيضاً ليثبتوا أن قول الرسول وحي نسبوا للرسول الأعظم معجزات مادية. الشعوب غير العرب يفهموا أن معجزات النبي يجب أن تكون على سياق معجزات موسى عليه السلام، تلك المعجزات التي رآها الناس الذين عاصروا رسالة موسى عليه السلام. هم لا يفهموا النبوة إلا كذلك. ولذلك

كانوا يسألوا العرب أين معجزات نبيكم؟ وهنا يعنونو المعجزات المادية. فنسب إلى الرسول العديد من المعجزات، نذكر منهما هنا بعض ما ورد في كتب السيرة

* انشقاق القمر

روى أحمد والبخاري و مسلم في صحيحهما أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين ، قال مطعم: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل و فرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وأنزل الله تعالى مصداق ذلك : (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر)

* نزول المطر بدعائه

لقد أمحلت البلاد و أصابها قحط شديد فدخل رجل المسجد و رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فاستقبل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله لنا يغثنا، فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يديه فقال: (اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا) قال أنس: والله ما في السماء من سحاب ولا قرعة ولا شيء وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل الرجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله الرجل وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكت الأموال وانقطعت السبل ادع الله يمسكها فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: (اللهم حولنا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال ومنابت الشجر) قال أنس : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. فهذه المعجزة هي نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم قد كررت مرات عديدة وهي معجزة سماوية كانشقاق القمر لا دخل لغير الله فيها وهي آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

* نبوع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

ومن معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وصدق رسالته نبوع الماء من بين أصابعه الشريفة فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم قال قتاده قلت لأنس : كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة رجل. فهذه معجزة ظاهرة إذ ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثلها إذ لم تجر سنة الله في الكون أن الماء ينبع من بين أصابع الإنسان مهما كان إلا أن تكون آية تدل على صدق نبوة من ادعاها فقد كانت هذه آية على نبوته صلى الله عليه وسلم.

* فيضان ماء بئر الحديبية

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه لما كان بالحديبية هو و أصحابه سنة ست من الهجرة وكان الحديبية بئر ماء فنزحها أصحابه بالسقي منها حتى لم يبق فيها ما يملأ كأس ماء وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل ، وخافوا العطش فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم فجاء فجلس على حافة البئر

فدعا بماء فجاء به إليه فتمضمض منه ، ومج ما تمضمض به في البئر فما هي إلا لحظات ، وإذا البئر فيها الماء فأخذوا يسقون فسقوا وملأوا وأنابهم وأدوات حمل الماء عندهم وهم كما تقدم ألف وأربعمائة رجل وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى في سورة الفتح: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثبتهم فتحاً قريباً.)

ففيضان الماء من بئر جافة لا ماء بها حتى سقي منها أهل معسكر بكامله لم يكن إلا آية نبوية صادقة تنطق قائلة: أن صدقوا محمداً فيما جاءكم به ودعاكم إليه فإنه رسول الله إليكم حقاً وصدقاً.

* قدح لبن روى فناماً من الناس ببركته صلى الله عليه وسلم

روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه القصة التالية: قال: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذين يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمر عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي ، وما في نفسي فقال: " أبا هريرة " قلت له : لبيك يا رسول الله فقال: " الحق " واستأذنت فأذن لي فوجدت لبناً في قدح ، قال: " من أين لكم هذا اللبن؟ " فقالوا: أهدها لنا فلان أو آل فلان قال: " أبا هريرة " ، قلت: لبيك يا رسول الله ، قال: " انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي " قال- أي أبو هريرة - وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ، ولا مال ؛ إذا جاءت رسول الله هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءت الصدقة أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها ، قال أبو هريرة وأحزنتني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي ، وقلت: أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد فأنطلقت فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: " يا أبا هريرة خذ فأعطهم " فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلي وابتسم ، وقال: " أبا هريرة " فقلت: لبيك رسول الله ، قال: " بقيت أنا وأنت " فقلت: صدقت يا رسول الله قال: " فاقعد فاشرب " قال: فقعدت فشربت ، ثم قال لي: " اشرب " فشربت فما زال يقول لي: اشرب فأشرب حتى قلت: لا ، والذي بعثك بالحق ما أجد له في مسلماً ، قال: " ناولني القدح " فرددته إليه فشرب من الفضلة.

وهكذا تتجلى هذه المعجزة وهي آية النبوة المحمدية ؛ إذ قدح لبن لا يروي ولا يشبع جماعة من الناس كلهم جياح بحال من الأحوال ، فكيف أرواهم وأشبعهم؟ إنها المعجزة النبوية! وآية أخرى للكمال المحمدي أن يكون صلى الله عليه وسلم هو آخر من يشرب من ذلك القدح الذي شرب جماعة من الناس.

* امتلاء عكة سمن بعد فراغها

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: كانت لأمي أم سليم شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغني هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم بها فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم قال: أفرغوا لها عكتها فأفرغت العكة ودفعت إليها قالت: فانطلقت بها وجئت و أم سليم ليست في البيت فعلق العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممثلة تقطر فقالت: يا ربيبة أليس أمرتك أن تتطلقي بها إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : بلى قد فعلت فإن لم تصدقني فانطلقني فسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت و معها ربيبة فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال: قد فعلت قد جاءت قالت: والذي بعثك بالحق و دين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً. قال أنس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه كلي و أطعمي. فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا و كذا و كذا و تركت فيها ما اتئدنا به شهرا أو شهرين. فهذه إحدى المعجزات المحمدية إذ ليس مما جرت به سنة الله في الخلق أن يمتلئ الإناء بعد إفراغه

* الطعام القليل يشبع العدد الكثير

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقرصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولا تثني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد و معه الناس فقامت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة؟ فقلت : نعم قال: بطعام؟ قلت: نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا. فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلم يا أم سليم ما عندك. فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدتمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أ أن يقول ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

أليست هذه من أعظم المعجزات؟ بل و ربي إنها لمن أعظم المعجزات إن أقرصاً عدة حملها غلام تحت إبطه يطعم منها ثمانون رجلاً ويشبع كل واحد منهم شبعاً لا مزيد عليه ان لم تكن هذه معجزة فما هي المعجزات يا ترى؟

* توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله

روى البخاري رحمه الله تعالى في دلائل النبوة المحمدية قصة جابر: فقال: حدثنا أبو نعيم وساق السند إلى جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه فقال: إن أبي توفي و عليه دين فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أبي ترك ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء فمشى حول بيادر من بيادر التمر فدعا ثم جلس عليه قال: انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم. وهكذا بعد أن كان الدين قد استغرق كل التمر ولسنين عدة أيضاً وفي التمر الموجود كل الديون وبقي التمر في البيادر مثل ما سددت به الديون الكثيرة وذلك ببركة وجود الرسول الله صلى الله عليه وسلم بين البيادر ودعائه بالبركة فيها فباركها الله عز وجل فوفت الديون وزادت فكانت هذه آية النبوة و معجزة ظاهرة.

* انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم

روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فأتبعته بإداة فيها ماء، فنظر

فلم ير شيئاً يستتر به و إذ شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى أحدهما فأخذ ببعض من أغصانها وقال: انقادي علي بإذن الله. فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأم بينهما أي جمعهما، وقال: التئما علي بإذن الله. فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني إلتفاتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق. فهذه إحدى المعجزات الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبي من الأنبياء

* تكثير الطعام

إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المرات وفي ظروف مختلفة و مناسبات عديدة فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها " وهي غزوة تبوك " فأرمل فيها المسلمون و احتاجوا إلى الطعام فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم تحملهم و تبلغهم علوهم ينحرونها؟ ادع يا رسول الله بغيرات الزاد فادع الله فيها بالبركة، قال: "أجل" ، فدعا بغيرات الزاد فجاء الناس بما بقي معهم فجمعت ثم دعا الله فيها بالبركة و دعاهم بأوعيتهم فملأوها و فضل كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أني عبدالله ورسوله و من لقي الله عزوجل بها غير شك دخل الجنة. فهذه معجزة ظاهرة في تكثير الطعام القليل حتى أصبح كثيرا.

* حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد رحمه الله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار: يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً أقامه أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: "بلى"، فاتخذ له منبراً فلما كان يوم الجمعة خطب صلى الله عليه وسلم على المنبر فأثّر الجذع الذي كان يقوم عليه كما يثّر الصبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن هذا بكى لما فقد من الذكر ". وفي رواية البخاري فصاحت النخلة " جذع النخلة " صياح الصبي ، ثم نزل صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال: " كانت تبكي " النخلة " على ما كانت تسمع من الذكر عندها ". فحنين الجذع شوقاً على سماع الذكر و تألماً لفراق الحبيب الذي كان يخطب إليه واقفاً عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل في ظاهر الأمر ، وحسب علم الناس بالجمادات آية من أعظم الآيات الدالة على مثلها على نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته وهي معجزة كبرى على مثلها امن البشر لعجزهم على الإتيان بمثلها.

* تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه

روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى عن سويد بن يزيد السلمي قال: سمعت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لا اذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته، وبين ذلك الخبر الذي رآه فقال: كنت رجلاً اتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت يوماً جالسا وحده فاعتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه ، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء عمر فسلم و جلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن في كف فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ثم وضعهن فخرسن أي يسكنن ، ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى

سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " هذه خلافة النبوة". فهذه المعجزة ذات شطرين الأول تسبيح الحصى في أيدي الراشدين والثاني الخلافة فعلاً قد انحصرت في الصديق والفاروق وذوي النورين ، ثم اضطربت.

* سلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم

فقد روى مسلم وأحمد بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن". فسلام الحجر وهو جماد أمر خارق للعادة ، معجز للبشر أن يأتوا بمثله ، فلذا هو آية النبوة المحمدية ومعجزة من معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم.

* سجود البعير له صلى الله عليه وسلم وشكواه إليه

روى النسائي وأحمد بسندهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنه كان لنا حمل نسني عليه ، وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " قوموا" فقاموا فدخل الحائط. والجمال في ناحية ، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فقال الأنصار: انه صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: " ليس عليّ منه بأس" ، فلما نظر الجمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قص حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: " لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأموت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها."

كما روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوماً مع بعض أصحابه حائطاً من حيطان الأنصار ، فإذا جمل قد أتاه فجر جر وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن ، فقال صلى الله عليه وسلم: " من صاحب الجمل؟" فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم: " أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك إنه شكا إليّ انك تجيعه وتدئبه" أي تواصل العمل عليه بدون انقطاع.

أليست هذه آية من آيات النبوة ومعجزة من عظيم معجزاتها؟ بلى. ولذا كان الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أقبح الكفر وأسوأه، ولا يكون إلا من جهل كامل ، أو حسد قاتل ، أو خوف فوات منافع مادية طائلة ، كما كان شأن الجهال من الأمم والشعوب وحسد اليهود ، وخوف رجال الكنيسة من زوال سلطانهم الروحي ، وما يترتب عليه من فقدانهم المال والرئاسة الروحية على الشعوب المسيحية.

* شهادة الذئب برسالته صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعي فانترعها منه، فأفغى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ؟! فقال: يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بشر يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره. فأمر النبي صلى الله

عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي : " اخبرهم " فاخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشارك نعله ، ويخبره فخذ بهما أحدث أهله بعده. "

* توقير الوحش له صلى الله عليه وسلم واحترامه

فقد روى أحمد بسنده عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربح فلم يترمرم أس لم يتحرك ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه بحركاته. فكان الحيوان الوحشي يسكن فلا يتحرك مدة ما هو صلى الله عليه وسلم في البيت ، وإذا خرج لعب فأقبل وأدبر كعادة الحيوان في ذلك آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة؛ إذ مثل هذا لا يقع لغير النبي صلى الله عليه وسلم. وإن قال قائل: ان الإنسان في إمكانه تربية الحيوان على سلوك معين قلنا هناك فرق بين التربية وبين عدمها، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما كان ربّي هذا الحيوان ولا كان له به أدنى صلة، وإنما الحيوان ألهم احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، فكان إذا أحس بدخول الرسول البيت سكن وربض وترك التمرم، وإذا خرج صلى الله عليه وسلم من البيت لعب فأقبل وأدبر حسب فطرته التي فطره الله تعالى عليها ، فكان سلوكه الخاص آية من آيات النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم.

* احترام الأسد لمولاه صلى الله عليه وسلم

فقد روى عبد الرزاق صاحب "المصنف" أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر في أرض الروم، فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بأسد فقال له: يا أبا الحارث "كنية الأسد" إني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه لم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم همهم ساعة ، قال: فرأيت أنه يودع ثم رجع عني وتركني. فهذه وإن كانت كرامة لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها معجزة نبوية؛ إذ الأسد ألان جانبيه ورق لسفينة وماشاه حتى وصل به إلى الجيش بعد أن قال له يا أبا الحارث إني فلان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان ما فعله الأسد من احترام سفينة من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذا عدت هذه من المعجزات المحمدية.

* نطق الغزالة ووافؤها له صلى الله عليه وسلم

فقد روى أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة قصة الغزالة هذه، فقال: عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية فشدها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله إني أخذت ولي خشفان فاستأنن لي أرضعهما وأعود إليهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " أين صاحب هذه؟ " فقال القوم: نحن يا رسول الله قال : " خلوا عنها حتى تأتي خشفها ترضعها وترجع إليكم " فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: " أنا " فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفها ثم رجعت إليهم ، فأوثقوها فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أين صاحب هذه " فقالوا: هذا يا رسول الله، فقال: " تبيعونها؟ " فقالوا: هي لك يا رسول الله فقال: " فخلوا عنها " فأطلقوها فذهبت.

فنطق الغزالة ووافؤها له صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة من معجزاته

الموجبة للإيمان به وطاعته ومحبته صلى الله عليه وسلم.

* خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم

فقد قال أحمد رحمه الله تعالى وساق سنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن به لمما، وأنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فتعّ ثعّة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى.

* شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد بسنده عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يعافيني فقال: " إن شئت أخبرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك " قال: لا ، بل ادع الله لي، قال: فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: " اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك في حاجتي هذه فتقضى، اللهم شفعه في " ففعل الرجل فبرأ.

* شفاء علي رضي الله عنه بتفاله صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيح: قال صلى الله عليه وسلم في غزو خيبر: " لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله علي يده. فما أصبحوا نادى علياً فقالوا: مريض يا رسول الله يشكو عينه، فقال: انتوني به. فأتي به فنفت في عينه بقليل من ريقه صلى الله عليه وسلم فبرأ لتوه ولم يمرض بعينه بعد ذلك قط.

* ردّ عين قتادة بعد تدليها

إذ في أحد أصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلّت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فبرئت على الفور ، وكانت أحسن من قبل.

* شفاء الصبي بفضل سوره صلى الله عليه وسلم

روى ابن أبي شيبه أن امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وسلم بصبي به بلاء لا يتكلم ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فمضمض فاه، وغسل يديه، ثم أعطاه إياه وأمرها بسقيه ومسحه به، ففعلت فبرئ الولد وعقل عقلاً يفضل له عقول الناس.

* تحول جذل الحطب سيفاً

لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذل الحطب فقال له: "اضرب به" فانقلب في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة.

* صدق إخباره بالغيب

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

هذه بعض المعجزات التي نسبت إلى الرسول الأعظم، لكن كتاب الله يخبرنا غير ذلك.

لقد طلب العرب من الرسول الأعظم أن يأتيهم بمعجزات مادية فما كان جوابه؟

﴿ وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ ﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ

نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ ﴾ (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ

عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُةٍ وَالْمَلَكَةِ قِيْلًا ۖ ﴾ (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُخْرٍ أَوْ

تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِائِدًا ۚ ﴾ (٩٣) نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي

هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ ﴾ (٩٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا

أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ ﴾ (٩٤) الإسراء: ٩٠ - ٩٤

الرسول الأعظم معجزته الوحيدة هي الآيات البينات في الكتاب الموحى إليه.

إنَّ السبب الرئيس وراء الحديث بتلك المعجزات أن النبي يجب أن يأتي بمعجزات مادية، ولذلك حين نقرأ كتب السيرة نجد أن **ابن هشام في سيرته** لا يذكر سوى عشرة معجزات للنبي الأكرم.

أما **الماوردي** في كتاب **أعلام النبوة** فقد ضاعف عدد هذه المعجزات ليصبح ٤٠ معجزة.

ثم جاب **البيهقي** رغم ضخامة كتابه **دلائل النبوة** إلا إن عدد المعجزات لم يزد عما ذكره **الماوردي** (المعاصر له) في كتابه ولكنه اكتفى بالتوسع بما جاء به **الماوردي** من معجزات. لكنه تفرد عمن سبقه بإفراد الصحابة بالمعجزات.

هؤلاء سواء علموا أم لم يعلموا فقد شوها شخصية الرسول الأعظم.

أحد من يسمون علماء في هذا العصر يقول على شاشة إحدى الفضائيات (أنا أتمنى أن أكون ذرة رَمَلٌ تَحْتَ حِذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ) هل يقبل الرسول هذا؟

يدعون أنهم يحبوا رسول الله ويفهموا حب الله ورسوله الذي جاء في الآية الكريمة

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

﴿ ٣١ ﴾ آل عمران: ٣١ غافلين عن أن محبة الله تكون بإتباع رسوله الكريم بما جاء به وليس

بالتمني بأن يكون ذرة تحت حذاء الرسول. الرسول لا يقبل ذلك.

أنا أتمنى أن أكون إنسان مع رسول الله وجهها لوجه أسأله وأستشير منه. هل يمانع الرسول في هذا؟
الرسول نظم مجتمع آخذاً في الاعتبار كل ما كان حوله. الرسول لم يرتكب محرماً ولم يكن متكبراً،
كان متواضعاً يستمع لمن يسأل ويقبل الحوار، كان خلقه القرآن وكان قرأنا يمشي على الأرض
وعلياً أن نتبعه وأن نتخذة قدوة لنا ولا يكون هذا بنسج خرافات حول سيرته.

أستغرب ممن يتحدث اليوم في القرن الواحد والعشرين مردداً أن الرسول شقّ صدره وشرّح، وأنّ
الماء خرج من بين أصابعه، وأنه كان يمشي والغمام يمشي فوقه وأمور لا تتناسب مع ما ورد في
كتاب الله.

الأنزيل الحكيم هو المعجزة الوحيدة المصدقة لنبوة الرسول أختام صلى الله عليه وسلم. أكثر من
٢٠٠٠ آية من الآيات البينات أوتيتها الرسول في حين أن موسى عليه السلام لم يؤت سوى تسع آيات
بينات.

يقولون لماذا نُحمّلُ الفقه أسباب أزمة العقل العربي؟ ونقول أن العربي عقل

- ترادفي
- قياسي
- فقهي

ألفقه رسخ الترادف. وأساس العقل العربي يقوم على القياس. لقد ثبتوا نسخة (القرون الأولى
والصحابية) وأخذوا يقيسوا عليها كل شيء. أما قولهم الأساس في الأشياء الإباحة فلا أعتقد أنهم
يعملوا بهذا القول.. يقولوا أيضاً أن القرآن يُفسرُ بعضه بعضاً لكنه قول غير معمول به، فالتفسير
هو ما قاله الأولون.

ثم إنَّ هناك إشكالية في ما قدّموه في ما سمّوه علوم القرآن (اللسان العربي – النحو، النسخ
والمنسوخ، وأسباب النزول)

لقد استشهدوا على وجود ناسخ ومنسوخ في كتاب الله بناء على الآية الكريمة

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ البقرة: ١٠٦

النسخ له في هذه الآية معنيان:

1- الإلغاء نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا

2- التثبيت (Photo copy) أَوْ مِثْلَهَا

يجب أن نرى مصداقية هذه الآية في كل العالم لأنها قرآن (حق) ولأن الله سبحانه وتعالى (قوله
الحق).

النسخ كما قال سبحانه وتعالى في آية، هم جعلوه أحياناً بنصف آية وأحياناً أقل. آية النساء: ٤٣ مثلاً

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ النساء: ٤٣

قالوا أن الجزء الأول من الآية منسوخ بينما بقية الآية غير منسوخة.

هناك أيضا **نُسخها** أين تنطبق؟ يقولون في كتب التراث ما لا يقبله عقل حول هذا الموضوع، إن ابن مسعود كتب ليلا آية في قرطاس وحين أراد قراءتها في اليوم التالي وجد أنها مُحييت تماما، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال له إنها أنسيَتْ.

نقول أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام، والنسخ لا يكون في الرسالة الواحدة. والنسخ لا يكون إلا بين الرسالات. وهذا ما تعلمه أهل الأرض في تشريعهم الدنيوي.

لقد ضربت أول قنبلة ذرية سنة ١٩٤٥م، لكن هل أسست مؤسسة الطاقة النووية أو وُقعت معاهدة حظر الأسلحة النووية في نفس السنة، قطعاً لا لقد مضت سنوات قبل أن يتم ذلك. نقول أيضا أن قانون السير لم يظهر بعد اختراع أول سيارة، لكن مضت سنوات على اختراع السيارة حتى ظهر قانون يُنظم حركة السيارات وكل ما يتعلق بها.

إن تراكم المعرفة يؤدي إلى طفرة في التشريع.

هذا ما حدث في الرّسالات السماوية أيضا. فعيسى ابن مريم عليه السلام بُعث بعد موسى عليه السلام بسنوات طوال. لقد مضت قرون قبل أن تُعذل شريعة موسى. قال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ

عَلَيْكُمْ^{٥٠} وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ آل عمران: ٥٠

ثم مضت قرون ست قبل أن يبعث الرسول الأعظم بالرسالة الخاتمة ليأتي بشريعة إما خير من الشريعة السابقة وإما مثلها. وسنُبين كيف تطور التشريع من موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

• مثلها

أوصايا العشر هي نفسها، جاءت إلى موسى على شكل أوامر ونواه وجاءت إلى الرسول الأعظم على شكل مُحَرّمات وهي الفرقان.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى

وَالْفُرْقَانِ ... ﴾ البقرة: ١٨٥

• خير منها

لقد كان الرجم هو حكم الزنى في شريعة موسى. هذا الحكم عُذِّلَ إلى ١٠٠ جلد في الرسالة الخاتمة.

سفر اللاويين: الإصحاح 20

- 10 وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ.
- 11 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ أَبِيه، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. دُمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
- 12 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ فَعَلَا فَاحِشَةً. دُمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
- 13 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رَجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دُمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
- 14 وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأَمَّا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرَقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لَا يَكُونَ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ.
- 15 وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمَيِّتُوهَا.
- 16 وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِّزَوَائِهَا، تُمَيِّتُ الْمَرْأَةَ وَالْبَهِيمَةَ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دُمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
- 17 وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ أُخْتَهُ بِنْتِ أَبِيهِ أَوْ بِنْتِ أُمِّهِ، وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ، فَذَلِكَ عَارٌ. يُقْطَعَانِ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي شَعْبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ.
- 18 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دِمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلَاهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا.
- 19 عَوْرَةُ أُخْتِ أُمِّكَ، أَوْ أُخْتِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهُ قَدْ عَرَى قَرِيبَتَهُ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا.
- 20 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ عَمَّهُ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا. يَمُوتَانِ عَقِيمَيْنِ.
- 21 وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً أُخِيهِ، فَذَلِكَ نَجَاسَةٌ. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخِيهِ. يَكُونَانِ عَقِيمَيْنِ.

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٢

ذلك أنَّ التشريعات الإلهية مع تقدم الإنسانية تسير باتجاه التخفيف لا التشديد.

واليوم نرى مع تقدم البشرية أنَّ الشرائع الدنيوية أيضا تسير أ نحو التخفيف لا نحو التشديد. فهناك دول تتجه لإلغاء عقوبة الإعدام، وهناك دول أيضا تُبقي عليها. كلاهما على حق ولم يتجاوزا حدود الله. ذلك أن الإعدام هو الحد الأعلى لعقوبة القاتل، والشريعة الخاتمة شريعة حُدُودِيَّة لا حُدُيَّة ونحن نتحرك ضمن حدود لا يمكن تجاوزها. هناك فصل كامل سنشرح فيه معنى حدود الله.

نقول أن التشريع سواء أكان تشريعاً سماوياً أو تشريعاً دنيوياً فإن تعديله لا يتم إلا بعد سنوات على إقراره وعند التعديل فإن هناك احتمالات أربع لا يمكن لهذا التشريع أن يتجاوزها. التشريع الجديد يتعامل مع بنود التشريع القديم بالإحتمالات التالية:

- بنود تُلغى
- بنود تُضاف
- بنود تُعدّل
- بنود تبقى على ما هي عليه

فلو نظرنا إلى شريعة الرسول الخاتم وإلى شريعة موسى عليه السلام نرى أن هذه الاحتمالات الأربع قد تحققت تماماً.

فالإرث لم يكن موجوداً في شريعة موسى ولكنه أضيف في الرسالة الخاتمة. وعقوبة الرجم مثلاً عُدلت لتصبح ١٠٠ جلدة، أما الوصايا العشر (الفرقان) وهي القاسم المشترك بين الأديان فقد بقيت على ما هي عليه، أيضاً فإن هناك مُحرمات كانت مفروضة على أتباع موسى عليه السلام نتيجة بغيهم، هذه المحرمات ألغيت في الرسالة الخاتمة.

أما ما يدخل في دائرة النسيان فهو ما أشارت إليه الآية

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِكَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨) غافر: ٧٨

أولئك الرسل الذين لم يقصصهم سبحانه وتعالى على رسوله الأعظم دخلوا دائرة النسيان التاريخي. وهذا ما أشارت إليه الكلمة القرآنية **نُسِهَا** وليس ما ذكر على لسان ابن مسعود.

إن قانون الضرائب حين يصدر في دولة ما يحتاج إلى سنوات إلى تعديله، فهل من المعقول أن يسن الله تشريعاً اليوم ليأت بتشريع مُخالف في اليوم الثاني – سبحانه اللهم.

كما قلنا في البداية فإن النسخ في كتاب الله ورد أحياناً بمعنى التثبيت وأحياناً بمعنى الإلغاء.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) الحج: ٥٢ هنا بمعنى النسخ أو الإلغاء ..

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) الجاثية: ٢٩

هنا النسخ بمعنى التثبيت

الإمام المبين كما قلنا مرارا يحتوي على أحداث التاريخ بعد وقوعها وهو متراكم. كل ما نقوم به في

الدنيا يوجد عنه صورة طبق الأصل في الإمام المبين تدون بعد وقوعها **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا**

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أي إن أعمالنا ليست مكتوبة علينا سلفا كما يعتقد البعض

النبوي الأُمِّي

الرسول الأعظم كان يقرأ ويكتب ولكنه لا يخط ولا يقرأ المخطوط.

ألقراءة هي العملية التعليمية أحدها فك الخط. والرسول كان يفهم كل المواضيع التي تقال له. والرسول الأعظم كان قادرا على صياغة الجمل أي تأليفها أي كتابتها، لأننا حين نقول كتاب الله فإننا لا نعني أن الله سبحانه وتعالى قد خط الكتاب بيمينه. طه حسين كان اعمى وله كتاب الأيام، فهل كتب طه حسين كتابه أم أنه صاغه وأملاه. كذلك الرسول الأعظم فقد صاغ كتابه إلى كسرى ولكنه لم يخطه بيده.

إذا لم يكن للإنسان إمكانية للقراءة فإنه لن يفهم شيئا.

الأستاذ في الجامعة يقرأ المحاضرة، ما وصلك من المحاضرة هذا ما أنت تعلمته.

النبوي لم يكن غليظ القلب، كان ذكي جدا وفطن.

أما لفظة أمي الواردة في كتاب الله فقد جاءت في الآيات التالية:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢

فليس لها أي علاقة بالقراءة والكتابة. الأمي لقب أطلق على من ليس من أهل الكتاب قبل بعثة الرسول، أي إن الأمي هو الذي لم يكن يهوديا أو نصرانيا. فالآية تشير إلى أن الرسول الأعظم لم يكن ممن هادوا وكذلك لم يكن من النصارى.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ

لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ٧٥

الْأُمِّيِّينَ هنا تشير إلى من هم ليسوا من شريعتنا، وهذه هي طبيعة اليهود حتى اليوم.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨)

البقرة: ٧٨ هؤلاء آل أُمِّيُونَ هم أجاهلون بكتب اليهود والنصارى.

قد يسأل البعض وما علاقة الأمي بأزمة الفقه. نقول أن هناك تشوية في المعاني. ماذا نعني حين نقول مثلاً محو الأمية ... هل نريد بذلك أن نتبع الملة اليهودية؟

هناك ثلاث أبواب في الفقه هي من أهم مسببات الأزمات التي نعاني منها

• باب سد الذرائع ..

هذا الباب يجب أن يلغى بشكل كامل. الأحكام العرفية وحالة الطوارئ هي نتيجة هذا الباب، لم نعد نشعر بهذه الحالة التي نعيش منذ سنوات نتيجة هذا المفهوم. لقد أسئى استعمال هذا الباب ووظف سياسياً بطريقة سيئة حيث تجلت نتائجه بهذه الحالة وهذا الواقع التي يعيشها المواطن العربي في ظل أحكام عرفية أصبح لا يشعر للأسف بوجودها.

• درء المفسد خير من جلب المنافع

هذا غير صحيح فالحياة تقوم على المفسد والمنافع معاً. هذا الباب له أيضاً وظيفة سياسية بحيث أصبح هم المواطن العربي درء ضرر الدولة عن نفسه.

• شريعة من قبلنا شريعتنا إلا إذا جاء في شريعتنا ما يخالف ذلك

من هذا الباب أدخل إلى الإصر والأغلال من الشرائع السابقة إلى شريعتنا.

مفاهيم الوجود

تشكل فكرة التطور في كل المجالات الإنسانية والفكرية والتشريعية إحدى أهم الأسس والركائز التي اعتمد عليها الدكتور محمد شحرور في تأسيس نظريته المعاصرة، معتبراً أن الموروث قد توقف عند زمن معين ولم ينل حقه من التطور ومن حركة المحتوى، ومعتبراً أن الآية الكريمة

﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ المائدة: ٣

تشير إلى فكرة التكامل والتراكم في الشرائع السماوية أو في شريعة الإسلام، بينما الواقع المعاش بقي في منأى عن هذا الإكمال كتطبيق وأرجع ذلك إلى أن خط التطور المتمثل بثلاث عناصر (الكينونة – السيرورة – الصيرورة)، هذا الخط قد فقد عنصراً الأخير. ولذا نسأل: ما جدوى البحث في خط التطور بدءاً من النقطة الساكنة الكينونة وصولاً إلى الصيرورة، وما علاقة ذلك في مفاهيمنا الدينية وفي نظرية الدكتور شحرور المعرفية؟

إذا نظرنا إلى القصص القرآني والذي يشكل تقريبا نصف القرآن أو أكثر فإن من أهم ورود القصص القرآني أنه يعطينا خط لسير التاريخ ابتداء من انفصال البشر عن المملكة الحيوانية وتحويلة إلى إنسان بنفخ الروح فيه وانتهاء بعلاقة السماء والأرض بالرسول الأعظم. قال تعالى

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

هذا الدين هو دين واحد تراكم وتطور من نوح عليه السلام كأول رسول بشر إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين. هذا ما أعطي في القصص القرآني كخط تاريخ، وعلينا ان ندرسه على هذا الأساس.

كانت نبوة نوح صناعة السفن ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ

أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ

عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿المؤمنون: ٢٧﴾

ثم اجتياز العائق المائي. بينما نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي كيف ندرس الكون ونسيطر عليه بحيث أنه أصبحنا الآن قادرين على هذه المهمة. وبالتالي يجب أن نجد في نبوة محمد في القرآن الكريم أنباء مع آلية معرفية نتيج لنا أن نصعد إلى الفضاء ونغوص في البحر. هذا متعلق بالصيرورة.

كيف نفهم القرآن الكريم؟ قال تعالى

﴿يَأَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ آتِلْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ

الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ ﴿المزمل: ١ - ٥﴾

كل المواضيع المعرفية في الكتاب هي قرآن. ألقصص أيضا من القرآن. ولو نظرنا إلى قصة آدم في القرآن الكريم نجد أنها جاءت في عدة سور (سورة البقرة، سورة الأعراف، سورة طه ...) قصة آدم لم تأت في سورة واحدة. يقول البعض أن براعة القرآن الكريم أنه يعيد القصة في صياغات مختلفة. الحقيقة ليست كذلك، فقصة آدم في القرآن الكريم وردت كما قلنا في عدة سور، كل سورة احتوت مقطعا من مقاطع تلك القصة. ولنفهم القرآن هداانا الله ما علينا فعله، لأنه كما قلنا سابقا وسبقنا العديد لهذا القول أن مفاتيح فهم القرآن من داخله. أقول هداانا القرآن لأفضل الطرق لفهم القرآن فأمرنا بأن

نُرتِّل القرآن وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا والرتل هو وضع الأشياء بعضها وراء بعض، يقولون في الجيش

(رتلا أحاديا قف) أي يقف الجنود صفوفًا في كل صف جندي واحد، أو (رتلا ثنائيا قف) حيث يحتوي كل صف على جنديين. كذلك نقول (رتلا من الدبابات) مجموعة من الدبابات تسير بعضها وراء بعض. ترتيل القرآن يكون كذلك أي أن نضف آيات القرآن التي تتحدث عن نفس الموضوع بعضها وراء بعض للخروج بمعنى متكامل نستطيع من خلاله فهم ما اراده الله. أما القول بأن الترتيل

تعني جَوْدٌ وَحَسَنٌ فهذا ليس عندنا. لأنه سبحانه وتعالى بعد أن قال وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا أضاف إِنَّا

سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا والقول الثقيل يكون في المعنى وليس في النطق.

ألتجويد يكون في النطق لا في المعنى.

ألنطق غير ثقيل أما ألتقيل فهي المعاني الموجودة في آيات كتاب الله.

عندما يتحول ألتنطق إلى معنى في الذهن يُصبح قولاً. ألتصيني مثلاً ينطق ونسمع له، لكننا لا نعلم ما يقول.

نعود للترتيل، لنفهم قصة آدم نأخذ آيات قصة آدم في سورة ألبقرة، وآيان قصة آدم في سورة الأعراف وآيات قصة آدم في سورة طه ... نرتل هذه الآيات (نصفها بعضها وراء بعض)، عندئذ نحصل على موضوع متكامل ونعرف من هو آدم عليه السلام.

قد يسأل سائل لماذا جاء القصص القرآني متناثراً في سور مختلفة (باستثناء قصة يوسف عليه السلام)، كذلك آيات خلق السماوات والأرض لم تأت أيضاً في سورة واحدة؟ هل هناك سبباً لذلك؟

نقول أن الكون هو كتاب الله المنشور والقرآن هو كتاب الله المسطور. خالق هذا الكون هو منزل هذا القرآن على الرسول الخاتم، وبالتالي لا بد أن يكون هناك وحدة في الناموس بين الكون وما فيه والقرآن وما يحتويه.

لو أخذنا الإنسان كمثال، فهل جاء جسم الإنسان بحيث كان هناك طبقة من الجلد تليها طبقة من العظام فطبقة من الدم بعدها طبقة من الأعصاب فطبقة من الشرايين؟ هل خلقت هذا الطبقات بجانب بعضها أم أنها جاءت متداخلة؟

لقد خلق جسم الإنسان بحيث تداخلت وتشابكت تلك الطبقات بعضها مع بعض لتقوم كل منها بوظيفتها كما قدر الله لها أن تكون. ألتقرآن أيضاً جاء متشابك في المواضيع .. ألتقرآن والطبيعة لهما خالق واحد وبالتالي فإن الناموس الذي يحكمها واحد. فتداخل المواضيع القرآنية ليس من أجل التعقيد وإنما لأن الكون متداخل وكل المخلوقات متداخلة وكذلك مواضيع ألتقرآن.

لكن الله سبحانه وتعالى لم يتركنا في حيرة من أمرنا فدلنا على الطريقة التي نستطيع من خلالها فهم ألتقرآن، وذلك بأن نرتل آيات ألتقرآن ترتيلاً.

ألتقرآن لا يُدرَسُ إلا مُرتل، وبالتالي لا يوجد تفسير ألتقرآن. هناك أكثر من ١٠٠ موضوع في ألتقرآن، هذه المواضيع تتحدث في مجالات مختلفة لا يمكن لشخص ما في مكان ما وفي زمان ما أن يحيط بها جميعاً. أنا هنا أتحدث عن التفاسير الموجودة ألتنسوبة إلى فلان أو فلان. هل أيٌّ ممَّن فسرُوا ألتقرآن قادر وحده على فهم كل المواضيع القرآنية ، كخلق الكون والساعة والبعث والجنة والنار وخلق الإنسان والجبال والبحار والنبات .. إلى ما هنالك من مواضيع قرآنية؟

لا يوجد تأويل، للأسف نقو ذلك.

إذا أردت أن تعرف ألتأرضية المعرفية لعصر ابن كثير ما عليك سوى أن تقرأ تفسير ابن كثير. ابن كثير يعكس ألتأرضية المعرفية لعصره وليس لنا.

ترتيل القرآن يفيدنا في فهم مواضيع القرآن الكريم، ونأخذ مواضيع الكينونة والسيرورة والصيرورة.

مواقع النجوم

تحدثنا سابقا عن مواقع النجوم وقلنا أن لا علاقة لها بالنجوم التي في السماء ﴿  فَلَا أُقْسِمُ

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ الواقعة: ٧٥ - ٧٦ هنا يتكلم عن تنجيم القرآن - ليس شكل النجمة بل مقطع الآية.

نقول أعطيت مئة دولار .. ردها لي مُنْجَمَة أي مرة ٢٠ دولارا، مرة ١٠ دولار، مرة ٥ دولار، مرة ١٥ دولار ... وهكذا إلى أن أتم المئة. أي اعادها مُتَفَرِّقَة.

نتجيم القرآن مهم جدا لأن الآية تحمل وحدة الموضوع، ولذلك لا تعضية ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى

الْمُقْسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ الحجر: ٩٠ - ٩١ والتعضية هي قسمة الذي لا يقسم. مثال

- إذا ورث شخصان مئة ألف دولار فإنهما يقتسمان المبلغ بحيث يحصل كل واحد منهم على ٥٠ ألف دولار ..
- أما إذا ورثا سيارة مثلا فإنه ليس بالإمكان قسمتها إلى قسمين، لأنهما في هذه الحالة سيفسدا السيارة بحيث لا يستفيد أحد منهم بشيء. هذ هي التعضية.

قال تعالى ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ الفجر: ١ - ٣

من الناحية اللغوية لا مشكل بأن نقول (والفجرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ) ولكن لم تم التنجيم. الجواب لأن **الفجر** موضوع متكامل تليه **الليال العشر**. هنا يتكلم سبحانه وتعالى عن ظاهرة قائمة بذاتها هي **الإنفجار الكوني** وليس **الإصباح** كما قيل لنا في التفسير الموروث. تبع ذلك **عشر مراحل من التطور قبل أن يظهر النور** وَلَيَالٍ عَشْرٍ والليالي العشر ليست **عشر ليال من ذي الحجة** كما قيل لنا ايضا في التفسير الموروث. ولهذا قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ الأنعام: ١

كل العلوم حتى الآن تؤكد صحة نظرية الانفجار الكوني. ضمن سقفنا المعرفي هذه هي الحقيقة. هذا ليس نهاية المطاف .. هذا ما نفهمه اليوم. كتب الفلك ترجح اليوم - ولا تؤكد أن الكون نشأ من انفجار كبير، وبعض المهتمين من العلماء المسلمين قالوا أن هناك آيات تلمح إلى ذلك وأن الكون في حالة تمدد من ساعة الانفجار وسيأتي

زمن يعود كما بدأ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ

خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤) الأنبياء: ١٠٤ أليس من المعيب أن

لا نكتشف نحن المسلمين هذه النظريات الموجودة في كتاب الله الذي بين أيدينا منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة؟

نعود لتوضيح أهمية مواقع النجوم في آيات سورة الفجر

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ موضوع قائم بذاته .. الانفجار الكبير

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ كيف تطورت المادة بعد الانفجار الكوني بمراحل عشر بحيث ظهر أول عنصر

في الوجود وهو الهيدروجين ومن ثم ظهور الضوء

إذا هناك ثلاث عناصر أساسية تعتبر مفاتيح لفهم كتاب الله وهي:

- الترتيل
- مواقع النجوم
- عدم التعضية

إذا مفاتيح فهم كتاب الله من داخله.

ربما نستطيع الآن أن نشرح مفهوم الكينونة والسيرورة والصبوورة (كان، سار، صار)

هل الوجود أمامنا خارج الوعي الإنساني حقيقي أم وهمي؟

بمعنى .. الوجود في الأعيان وصورة الوجود في الأذهان، هل هي واحدة؟

الوجود في الأعيان (خارج الوعي الإنساني) هذا الوجود هل الصورة في الذهن هي نفسها؟
أحتاج لمن يقول لي ذلك! وليس لي أنا أن أحكم على ذلك.

هذا السؤال طرحته الإنسانية على نفسها منذ بداية الفلسفة.

هناك رأيين إلى هذا اليوم: الحقيقي والوهمي.

الفلسفة المادية تؤكد أن الوجود الفيزيائي المادي هو وجود حقيقي سابق لنا.

هذه النظرية تقول أن هذا الوجود الحقيقي هو فقط الوجود الكوني المادي

نحن نقول الوجود الحقيقي خارج الوعي الإنساني هو وجود أول ووجود ثاني.

الوجود الأول: وجود حقيقي الذي هو الحق. هذا الذي عبر عنه القرآن بالحق. أكون حقيقي أم وهمي؟ قال تعالى

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ

الْصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ الحجر: ٨٥

أكد سبحانه وتعالى أنه حق.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ آل عمران: ١٩

أكد أنه ليس وهم (باطل)، لأن الباطل هو الوهم.

الوجود حقيقي (حق)، والله هو الحق.

ما علاقة الله بالوجود وكلاهما حق؟

الله وجود موضوعي (ليس مادي) خارج أوعي الإنسان، مجهول ألكينونة. والوجود ألمادي ألكوني وجود حقيقي.

أسئلة فلسفية قديمة.

الله خلق السماوات والأرض بالحق، والله هو الحق وقوله الحق.

أأطروحة التي تقول أن الله خلق الوجود من العدم (كان الله ولا شيء معه) ..

السؤال: ما هو العدم؟ لنعرف العدم لنعرف إن كان هذا الكون خلق من العدم أم لا؟

العدم هو الدال بدون مدلول.

رب العالمين ((كان الله ولا شيء معه)) ألكون كان ضمن معلومات الله قبل ان يوجد. إذا ألكون كان دال بدون مدلول. كلمات الله هي الكون نفسه.

علاقة الله بالكون، علاقة الكلام بالمتكلم.

بالنسبة لنا أأشمس كلمة (دال)، والمدلول هو (كوكب أأشمس). بالنسبة لنا هناك فصل بين الدال والمدلول.

بالنسبة لله سبحانه وتعالى الكلمة هي عين أأمدلول. أأدال هو عين أأمدلول. بالنسبة لله سبحانه

وتعالى كلمة أأشمس هي عين أأشمس. ﴿...إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

مريم: ٣٥

كانت أأشمس في علم الله ولكنها كانت دال بدون مدلول. وعندما قضى الله أن تكون الشمس قال كلمته فكانت شمس.

خالق .. فاطر .. بديع

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) الزمر: ٦٢

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَلْحَدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۚ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤) الأنعام: ١٤

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧) البقرة: ١١٧

هنا يجب أن نميز بين خالق/ فاطر/ بديع

خالق: مُصَنِّم

فاطر: ليس قديم

بديع: ليس له سابق

خالق و فاطر و بديع موجود في علم الله ولكن كدالات بدون مدلولات.

بالنسبة لرب العالمين تطابق الدال مع المدلول، فكلمة الشمس بالنسبة لله هي عين الشمس ولذلك سمي المسيح عليه السلام كلمة.

الوجود هو كلمات الله والقرآن هو كلام الله

هناك فرق بين كلمات الله وكلام الله.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۖ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُتَحَدًّا﴾ (٢٧) الكهف: ٢٧ لا مبدل لكلماته وليس لكلامه.

علاقة الكلمات بالمتكلم صادرة عنه وليست جزءا منه.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) لقمان: ٢٧

تصور الطائفة بها ١٢٠٠٠ بند، فما بالك بالكون كله مَّا نَفِدَتْ .

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ الكهف: ١٠٩ هنا لا يقصد التشريع. التشريع يكفي له زجاجة حبر.

قال تعالى

﴿... وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾ الأنفال: ٧

الكلمات هي الوجود الكوني، عيسى المسيح كلمة وروح ألقاها الله إلى مريم. ماذا نعني ب كلمة وروح؟

الكلمة هي الوجود (خلق المسيح)، الروح ألقاها إلى مريم. عندما ولد المسيح عليه السلام، قال

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ مريم: ٣٠ هذه هي الروح التي جاءت وهو في بطن أمه.

﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ الشورى: ٥٢

الرسول الأعظم محمد بن عبد الله هو الكلمة .. والروح جاءت إليه وهو في الأربعين. بينما عيسى ابن مريم عليه السلام هو الكلمة والروح جاءت له وهو في بطن أمه، نزل من بطن أمه نبيا ورسولا.

علاقة الله بالوجود – كلاهما حق

لفهم علاقة الله بالوجود يجب ان نفهم معنى اسم من أسماء الله الحسنی وهو الرَّحْمَنُ.

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكِ

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ الإسراء: ١١٠

اللَّهُ سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنی. الرَّحْمَنُ أيضا له الأسماء الحسنی .. أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

أَلْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

والمصحف يبدأ ب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ الفاتحة: ١

الله لفظ الجلالة لا يذكر لوحده نقول ﴿الله العزيز الحكيم﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٢﴾ غافر: ٢

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿٢﴾ الجاثية: ٢

أما الرَّحْمَنُ فيذكر لوحده نقول ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿٢﴾ الرحمن: ١ - ٢

عندما يذكر اسم الله يذكر بعده إسمين العزيز العليم ، بينما حين يذكر الرَّحْمَنُ يذكر إسم واحد.

الجملة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هي فعلا عنوان حقيقي للمصحف كلة.

الله لفظ الجلالة .. الله أحادي .. واحد في كنهه أحادي في كنهه.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ﴾ ﴿٣﴾ وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ الإخلاص: ١ - ٤

الرَّحْمَنُ إسم الربوبية وله معنى / هذا الكون ثنائي .. الرَّحْمَنُ على وزن فعلان .. وزن يحمل الأضداد.

قد يتساءل البعض كيف يكون ذلك ونحن حين نسمع اسم الرحمن نفهم أنه مبالغة في الرحمة. نقول إن كان الأمر كذلك فلماذا قال الرَّحِيمُ بعد لفظة الرَّحْمَنُ . إذا كان معي مليون دولار فلا أقول أن

معي مليون دولار ودولار. فإذا كانت الرَّحْمَنُ مبالغة في الرحمة فإن إضافة الرَّحِيمُ هنا تكون حشو، وحاشا لله أن يكون هناك أي حشو في كتاب الله.

الرَّحْمَنُ على وزن فعلان فيها الأضداد . نعني أنه يحمل المعنى ونقيضة ..

مثال (جوعان - شبعان)، (ريحان - تعب)، (فرقان - جمعان) ...

الرَّحْمَنُ مُعْزٌ مُؤَلِّ، الرحمن رافع خافض، الرَّحْمَنُ رَحِيمٌ وَشَدِيدُ الْعِقَابِ. لكن الرَّحِيمُ ليس شديد العقاب، وهذا الفرق بينهما.

الرَّحْمَنُ يَكْفُفُكَ بِرَحْمِكَ وَيَعَاقِبُكَ. قال تعالى

﴿يَتَأَبَّتُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾
مريم: ٤٥ الرَّحْمَنُ يُعَذِّبُ

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ ٤٦﴾ قَالَ عَذَابِي

أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشْأَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الأعراف: ١٥٦

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ الفاتحة: ١ وضعت الرَّحْمَنُ لتشير إلى العذاب والرحمة وأضاف سبحانه وتعالى الرَّحِيمُ لتغليب الرحمة على العذاب. ولذلك رحمتي وسعت كل شيء وعذابي أصيب به من أشاء. الرَّحِيمُ موجود في العذاب ولكن الرحمن فيه أيضا شديد العقاب.
القرآن رحماني .. ثنائيات الوجود.

هذا الكون رحماني يقوم على الثنائيات في الأزواج والأضداد: خير وشر، ليل ونهار، ظلمات ونور
هذه طبيعة الوجود. لذلك قلنا أَنَّ الرَّحْمَنُ هو إسم الربوبية لهذا الكون.

الرحمن له معنى مستقل، ولهذا جاء في آية منفصلة

﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ الرحمن: ١ - ٢

فعل عَلَّمَ يأخذُ مفعولين به كما في قوله ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ الرحمن: ٤ أي علم الإنسان

البيان .. في الآية رقم ٢ قال ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ الرحمن: ٢ هنا نعتقد أن علامة القرآن هي الرَّحْمَنُ. هنا علم من وضع علامة. ما هي علامة القرآن؟ الجواب القرآن رحماني. الوجود رحماني لأن فيه قوانين وجود – قوانين ربانية.

لنفهم الآن علاقة الله بالكون يجب أن نفهم معاني بعض الإصطلاحات القرآنية: الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ.

العرش

وردت لفظة العرش في عدة أماكن من التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ هود: ٧

هذه الآية من الآيات البينات في القرآن الكريم. هذه الآية تقابل واحدة من الآيات البينات ألتسع ألتى جاءت إلى موسى عليه السلام.

﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ... ﴾ يوسف: ١٠٠

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥

﴿ قَالَ نَكِرُوا لَهُا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَنَّهُndى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ النمل: ٤١

﴿ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة: ١٧

ألمعنى ألمباشر للعرش مكان مرتفع للسيطرة للذي يأمر وينهى.

عندما نقول أن الملك فقد عرشه، هذا لا يعنى أن المكان قد ذهب من مكان إلى آخر ولكن يعنى أن الملك لم يعد يأمر وينهى.

يقال عرش المرأة بيتها لأنه المكان الذي تأمر وتنهى فيه.

يوسف عليه السلام عندما رفع أبويه على أعرش أصبحوا بجانبه.

إذا أعرش هو أمر ونهى على شيء واستحكام وسيطرة.

لذلك قال تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥ أي مقام الربوبية الإستواء

والسيطرة والإستحكام. وهذا المعنى للإستواء ورد في قوله ﴿ لِسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا

نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ

مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الزخرف: ١٣ أي بعد أن ذللتموها وجلستم عليها وسيطرت عليها أيضا.

إذا سألت عن الإستواء يجابو الجميع ما قاله الإمام مالك ((الإستواء معلوم، ألكيف مجهول، أإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه)) أنا لا أقبل بهذا القول. إذا كان هذا هو جواب الإمام مالك فهذا جوابه لمن سأله وليس لي، وليس لمن يعيش في القرن الواحد والعشرين، بل هو جواب لمن عاصر الإمام مالك، رغم أن للإمام قول آخر ((إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما لا يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)) أن أحتج على من يردد قول الإمام مالك أليوم.

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ

أول عنصر تشكل هو ألهيدروجين. أالله خلق هذا الكون وهو رب هذا ألكون وأمره ونهيه على ما خلق. أول ما خلق هو عنصر ألهيدروجين ألعنصر الأساس في ألماء. إذا عرشه (أي أمره) على ألماء. لفظة هيدوجين (Hydorgen) تعني مؤلذ ألماء، وهو أكثر عنصر موجود في ألكون حتى الآن.

إذا الأمر كان على الماء أولا ثم ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ الحديد: ٤ إذا أصبح هناك خلق وأصبح أمره على ما خلق.

ويوم القيامة ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ الحاقة: ١٧ قوانين الآخرة لا نعلمها، ماذا تعني ثمانيته: ثمانية ثوابت، ثمانية قوانين .. أالله أعلم.

ألكرسي

عندما تأمر وتنهي يجب أن تعلم على ماذا تأمر وتنهي .. هذا هو ألكرسي.

قالت العرب (ألعلماء كراريس) .. ألكرسي هو أالمعرفة ألكاملة لله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ

الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة: ٢٥٥

ألكرسي تأتي بمرتبة فوق ألعرش، لأن أالمعرفة تأتي قبل الأمر والنهي.

لاحظ الربط بين العلم والكرسي في قوله تعالى في الآية ٢٥٥ من سورة البقرة **شَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ..

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ . هنا الحديث عن العلم .. لا علاقة للوح محفوظ وإمام مبين.

يسأل البعض: الإهتمام بهذه القضايا الكونية، العلمية والفلسفية أين موضعها في فهم القرآن؟

نقول هذه القضايا تساعدنا على فهم القرآن. الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون والإنسان أعطانا بداية الكون والسيرورة والصيرورة النهائية – هذا أساس عقائدي لنا، بنفس الوقت هذه الكلمات (الجانب المادي) ... وأعطانا سبحانه وتعالى الروح (الجانب الأخلاقي الذي له علاقة بالإنسان ذاته) الجانب الروحي والإخلاقي. إذا لم نكن نعرف الجانب المادي كيف نتصرف (أي روح وأي أخلاق تنفع).

ربنا يقول لنا أن التطور وتغيير الصيرورة من القوانين الثابتة التي وضعها ولا تتغير. بدأ الكون بالهيدوجين ((كان عرشه على الماء)) ثم تطور الكون واستمر التطور ((ثم استوى على العرش)) ويوم القيامة ((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)).

حتى عرش الرحمن (أوامره ونواهيه) تتغير من وقت إلى آخر. هذه سنة من سنن الله الثابتة والرحمن ثنائي.

موقع هذه المواضيع في النظرية المعرفية هو عمود فقري للعقيدة، وهي مفاتيح أساسية لفهم التنزيل الحكيم.

لقد بين التنزيل الحكيم أن رحمة الله أعظم من عقابه ﴿... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ٥٤

لقد وردت لفظة الرَّحْمَنُ في التنزيل الحكيم ٥٧ مرة أي (١٩ × ٣)

كما أن لفظة غَفُورٌ رَّحِيمٌ وردت ٥٧ مرة أي (١٩ × ٣)

أما لفظة شَدِيدُ الْعِقَابِ فقد وردت أقل من ذلك بكثير.

كون الرحمن ثنائي يجب أن نميز في الطبيعة بين أمرين: قوانين الجدول والمنطق. وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم.

جدل الكون والإنسان

لم يكن الدكتور محمد شحرور أول من قال في الجدل، ولا أول من أكتشفه، لكن ما أضافه في هذا المجال من الأهمية بمكان يُعزز من نظريته من أن كل ما في الكون متغير متحرك سائر إلى

مصيره، إلا الخالق العظيم سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ

شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ القصص: ٨٨ نتيجة وصل د. شحرور

لها إضافة إلى إيمانه بها. نتيجة وصل إليها الدكتور محمد شحرور علميا من خلال تحليله لظواهر الجدل في الكون والإنسان ونقول ظواهر ولا نقول ظاهرة الجدل لأن الدكتور قسم الجدل إلى ثلاثة أنواع:

- التلازم
- التقابل
- التعاقب

والسؤال الآن لماذا قسم الجدل إلى هذه الزمر الثلاث؟

كون الرحمن ثنائي يجب أن نميز في الطبيعة بين أمرين: قوانين الجدل والمنطق. لا يوجد هناك شيء اسمه المنطق الجدلي .. الفلسفة تقول ذلك! أجدل قوانين.

المنطق هو القانون الأساسي للفكر، هو قانون عدم التناقض.

الطبيعة مليئة بالمتناقضات .. التسبيح، الأزواج، الأضداد أمثلة عن التناقض في الطبيعة
القانون الإنساني – عدم التناقض.

نقول قوانين الجدل وليس منطق الجدل

القانون الأول: قانون المتناقضات (الشيء نفسه وليس نفسه) هذا تناقض وليس ضد. الشيء نفسه وهو ليس نفسه هذا إذا أغينا الزمن.

كيف عبر القرآن عن الجدل الإنساني؟

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ

شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ الكهف: ٥٤ لاحظ قوله تعالى **أَكْثَرَ شَيْءٍ** وليس أكبر شيء.

هناك جدل في الإنسان ليس موجود في الأشياء هو جدل الفكر.

جدل موقف الضد

﴿... وَبِجَدِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ...﴾ الكهف: ٥٦

﴿... وَجَدَلْهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ ...﴾ النحل: ١٢٥ إذن هناك جدال ليس بالتي هي أحسن.

الإنسان عنده جدل خاص به، خطأ الماركسية أنها اعتبرت أن جدل الطبيعة هو نفسه جدل الإنسان وبالتالي طبقت نفس الجدال على كليهما.

جدل الطبيعة

- **جدل البقاء والهلاك في الشيء الواحد.** الطاولة في كل ثانية تتغير إلى أن يأتي وقت وتهلك. هذا أجدل الله منزه عنه. لهذا فإن الأشياء تسبح الله أن لا ينطبق عليها هذا القانون. ولذلك عندما يقارن الله بغيره نقول ((سبحان الله)) . يُنَزَّه عن هذا القانون.

أين موجود هو وليس هو؟

التعبير القرآني دقيق جدا في هذا الموضوع. قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ

مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ

وَعَرِيجٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ^ط وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ

الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا^ع وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا

الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ الحج: ٥

مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَرِيجٍ مُّخَلَّقَةٍ هنا التناقض هو وليس هو. ماذا تعني مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقَةٍ؟ الله

يعطي قانون التّطور والتّغير حتى نصل إلى قانون الصيرورة النهائية.

نُطْفَةٍ (خلية) - العلقَة (الخلية مع البويضة) عندما يعلقوا معا يبدأ التكاثر.

الزّمحشري يقول: ماضَغَتُ الرَّجُلُ مُمَاضَغَةً أَي جَادَذَتْهُ الْقِتَالُ وَالْخُصُومَةُ (عاودته القتال

والخصومة). إذن هذا التكاثر مُسْرَطُنٌ وَغَيْرُ مُسْرَطُنٍ. يعني أن هناك صراع بين أن ينمو التكاثر

بشكل طبيعي (مُخَلَّقٌ وغير مُسْرَطُن) أو أن يتكاثر بشكل غير طبيعي (غير مُخَلَّقٌ - مُسْرَطُن).

السرطان تكاثر غير مُخَلَّق (تكاثر عشوائي). إذن هذه اللحظة حين ينمو الجنين ويتكاثر هناك صراع

بين المُخَلَّق والغیر مُخَلَّق، وطالما أن المُخَلَّق قادر على أن يقضي على الغیر مُخَلَّق فليس هناك

سَرَطَنَة. كل لحظة هناك صراع في جسم الإنسان بين خلايا سرطانية تولد وخلايا طبيعية تقضي

عليها.

أما إذا غلب الغير مُخلَق المُخلَق كان هناك سَرطنة .. ولذا قال تعالى **مِنْ مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ**

مُخَلَّقَةٍ المُضْغَةُ نفسها ... صراع التَّطور والتَّغَيُّر.

جدل الصِّراع في الشَّيء الواحد هو الحركة نفسها .. هو تسبيح (حركة أليد: يدي في مكانها وليست في مكانها، يدي في مكانها وليست في مكانها ...) حركة جدلية: الحركة الميكانيكية (حركة سكون) الحركة الجدلية لا تتوقف .. القوانين الجدلية تتوقف يوم القيامة. هذا القانون يعطيك معنى للزَّمن أنَّ هناك هلاك. (قانون صراع المتناقضات في الشَّيء الواحد).

هذا هو التسبيح – إنَّ الأشياء تُسَبِّح الله من أن يكون مثلها فيفسد ويهلك .. ((سبحان الله)). ماذا قال

تعالى عن يونس عليه السلام ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ الصافات: ١٤٣ – ١٤٤

إذا جسدي توقف عن التسبيح لا أموت .. التسبيح لا يقصد به ((سبحان الله، سبحان الله)). جبل قاسيون مثلا يُسَبِّح الله - من ثانية إلى ثانية يتغيَّر شكله. التسبيح هو هلاك الشَّيء الواحد.

التسبيح في الكائنات أحيية الموت، في الكائنات الغير حيّة تغيير الشَّكل.

التسبيح يُبرهن أنَّ هناك علاقة ديناميكية بين المادة والزَّمن في الأجسام أحيية .. يعبر عنها الموت.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ الجمعة: ١

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤ كلمة ((سبحان الله)) هي إعراف العاقل ..

عندما يقارن الله بغيره نقول ((سبحان الله)) وهي إعراف العاقل بقانون التسبيح .. أنَّ الله مُنَزَّه من أن يكون مثلنا .. نحن ينطبق علينا ألهلاك.

• **جدل الأزواج** خلق الله من كل شيء زوجين.

جدل المتناقضات يعبر عن البقاء والهلاك، هو قانون أساسي في الشَّيء الواحد، بينما جدل الأزواج في الأشياء (ليس في الشَّيء الواحد) يعبر عن التأثير والتأثير المتبادل ((التكيف)).

الزوجية هي قانون التَّكْيِيف.

ألهلاك هو قانون الإرث (في البنية).

أنت تتكلم العربية، سافرت إلى بلد آخر أصبحت تتكلم الإنجليزية .. هذا تكيف. هذا قانون الزوجية.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) الذاريات: ٤٩

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا

يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) يس: ٣٦

هذا قانون كوني .. ليس منطق.

الأشياء تؤثر على بعضها. هناك دائما تأثير وتأثير متبادل. القمر يؤثر على الأرض (مد وجزر)، الأرض تؤثر أيضا على القمر (الجاذبية).

قانون الزوجية إذن هو قانون كوني .. مواضيع قرآنية رئيسية تعطينا قانون عام.

الفلسفة هي علم المفاهيم ... نحن نعرف رياضيا أن أي رقم مرفوع للقوة صفر يساوي واحد. ماذا يعني هذا؟ لو قلنا أن: $1 = 1000^0$ هذا يعني أن من كل أعداد الدنيا لا يوجد غير عدد واحد يساوي 1000.

لذلك نقول إن أي عدد للقوة صفر يساوي واحد لأن هذا العدد لا يوجد غيره مساويا له في الأعداد

الرياضيات ترتبط بالمنطق .. المنطق الصوري بالزمن لا يتدخل (قواعد عقلية).

• **المتناقضات والأزواج** ... المتناقضات غير الأضداد .. هذا يجب أن يكون واضحا

○ قانون لمتناقضات	○ Law of Contradiction
○ قانون الزوجية	○ Law of Parity
○ قانون الأضداد	○ Law of Opposite

الأضداد في الظواهر ... الشيء الأرض والشمس .. الظاهرة هي تعاقب الليل والنهار – ليسوا أشياء. هذه الظاهرة لها وحدة تجمعها، مثلا:

الليل والنهار (يوم)، الشهيق والزفير (تنفس)، العمى والبصر (العين).

الأضداد موجودة في ظواهر الأشياء.

وجود الأضداد مع قانون المتناقضات والأزواج .. وجود هؤلاء الثلاثة جعل إمكانية الحرية في الكون موجودة.

كيف الحرية موجودة والهلاك حتمي .. الكف (القبض والبسط) .. إمكانية الحرية في بنية الكون موجودة.

قوانين الكون بالتأثير والتأثير المتبادل الطبيعي بالأضداد (ليل نهار).

قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ الشمس: ٧ - ٨ الأضداد
طبيعية في الكون. الإنسان يتناغم مع الكون، فجور وتقوى - متداخلين.

ألف مقبوضة .. في مكانها وليس في مكانها، في مكانها وليس في مكانها .. كفي مبسطة.

أليد بين القبض والبسط هناك علاقة جدلية. هناك ملايين الاحتمالات .. هذا هو الجدل. بين القبض والبسط هناك حركة جدلية في مكانها وليست في مكانها.

- وجود هذه القوة أعطى الحرية
- وجود علاقة ألدنميكية بين المادة والزمن أعطى مجال التطور.

إذا توقف الزمن لا يحدث شيئا.

إمكانية تغيير الصيرورة في بنية الكون موجودة. إمكانية الحرية وممارستها موجودة في بنية الكون أيضا. قبل أن يقول لك أنت حر. الله أوجد أليد وأعطاك إمكانية الحرية فيها. لكن هناك أماكن لا تستطيع أن تحرك يدك بها .. إمكانية الحركة جعلها الله بتصميم خلق اليد.

نحن ما زلنا نتحدث عن جدلية الكون .. لأن الإنسان له جدلية خاصة به **وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ**

شَيْءٍ جَدَلًا لو أن الإنسان عنده نفس جدل الكون لقال تعالى أكبر ولم يقل أكثر. إذن هناك جدل عند الإنسان غير موجود في الكون، أجدل بين الحق والباطل (جدل إنساني)، أجدل بين الخطأ والصواب (جدل إنساني)، ألهمها فجورها وتقواها (جدل إنساني) ..

جدل الإنسان هو الشيء الخاص بالفكر الإنساني والسلوك الإنساني ألواعي .. في الطبيعة هناك تكييف قانوني .. السنن لا تتبدل.

أطاعة والمعصية إذن من جدل الإنسان ولا يوجد في الكون طاعة ومعصية .. الكون اختار أن يكون

طائعا لله دون إرادة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فصلت: ١١ - عناصر الكون لا تعصى. الملائكة أيضا لا تعصى.

هنا نريد أن نوضح مفهوم نفخة الروح.

بدأ الكون بانفجار .. صار هناك هيدروجين (أول عنصر تشكل بعد الانفجار Big bang - بعدها تشكلت النجوم والكواكب .. الزمن مستمر. رب الكون عبّر عن طفرة .. ما هي الطفرة - هي إسراع في الجعل .. أي في تغيير الصيرورة - ثم قال عن خلق آدم وتسويته

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا

لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ ص: ٧١ - ٧٢

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ماذا تعني .. نحن ننفخ في النار لنُسرع في اشتعالها، كذلك نفخة الروح ..

طفرة حصلت للإنسان، بعد حوالي ٥ ملايين سنة من وجود البشر والذي كان يعيش أقرب إلى المملكة الحيوانية وهو من فئة الثدييات تم نفخ الروح فيه فتحول من بشر إلى إنسان، هذا التحول تم خلال ١٠٠٠٠٠ سنة تقريبا كما تشير الدراسات.

هذه الطفرة حصلت للإنسان، ولم تحصل للبهائم .. الإنسان تطور من البشر وليس من القردة ولعل نفخة الروح هي الحلقة المفقودة في نظرية دارون. البهائم لا روح لها.

القرآن يشير إلى أن نهاية الكون سوف يكون نتيجة تسارع في السيرورة، هذا التسارع سيؤدي إلى نشوء كون جديد على أنقاض هذا الكون الذي نعيش فيه. قال تعالى

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ

أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ الزمر: ٦٨ الله أعلم كم يمر بين النفخة الأولى والنفخة الثانية. خلال هذه الفترة سيتم تشكل الكون الثاني وستخلق الجنة والنار .. الجنة والنار لا وجود لهما

اليوم. قال تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ إبراهيم: ٤٨ أكثر من هذا لا نستطيع أن نقول شيئا.. لأن التأويل النهائي للآية يكون عندما يتحول النبا إلى خبر يعني أننا سنحضر ذلك. قال تعالى

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران: ١٣٣

الجنة والنار مادية و**عَرْضُهَا** من العرض أي سترى الجنة والنار كما ترى السماوات والأرض .. والعرض هنا ليس عكس الطول كما يُظن. قال تعالى في سورة الحديد

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ الحديد: ٢١

أي أن هذه الجنة مادية ستعرض عليكم وسترونها كما ترون السماوات والأرض.

هنا أخطأ ماركس .. حين أراد الوصول إلى مجتمع إنساني بدون دولة فيه العدالة المطلقة .. هذا لا يكون إلا إذا ألغينا ظاهرة الموت.

حتى نصل إلى مجتمع إنساني لا يتطور يجب أن نلغي ظاهرة الموت ..

الموت هو الظاهرة الكامنة وراء إسعاد الناس كلهم ووراء مآسيهم بنفس الوقت. لولا الموت لا يوجد تطور والناس تبقي كما هي. الموت يزعج وبنفس الوقت هو النعمة.

إذا قلنا إن خطأ كارل ماركس أنه فكر في مجتمع لن يتحقق دون إلغاء ظاهرة الموت .. هذا المجتمع لن يكون في هذا العالم، وإنما في العالم الآخر أي في الجنة حيث الخلود. قال تعالى

﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ

الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ النحل: ٣١

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَنَجَاهٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ يس: ٥٧ أي شيء تدعيه هو لك.

ظاهرة العمل غير موجودة هناك. هناك وجود مادي آخر،

آخر ما نريد قوله هنا أن الجنة والنار لم تخلقا بعد وأنهما ستوجدان على أنقاض هذا الكون، تماما كما بين لنا سبحانه وتعالى في سورة التكوين حيث قال:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ

عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّعُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

التكوين: ١ - ١٤

آيات بينات تبين لنا أنه بعد فناء هذا الكون سيشكل كون جديد وستخلق النار والجنة أيضا.

نظرية المعرفة الإنسانية

ربما يكون جدل الفكر المتأرجح بين الحقيقة والوهم، بين الحق والباطل، بين تأثيرات الشيطان وبين توجيهات الرحمن، بين الحقيقة الموضوعية والصورة الذهنية – موضوع من أهم الموضوعات التي سنتناولها لنرى هل ممكن الوصول إلى نظرية في المعرفة الإنسانية.

لقد أرسى الدكتور محمد شحرور عبر بحوثه في القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم دعائم لنظرية معرفية ربما تكون جديدة على كثير من الأذهان.

هذا الكون المتداخل المتناقض المليء بالأزواج والتناقضات، كيف يمكن للعقل البشري وكيف يمكن لأذهاننا أن تدرك هذه القوانين؟

قلنا إن هذا الكون والوجود حقيقي، والوجود هو كلمات الله، وإنه لا يوجد أي وهم في هذا الوجود وإنه حق. قلنا إن الله حق والكون وجوده وكلماته. حتى نفهم هذا الوجود نسأل: هل أعطانا القرآن الكريم آلية وتصور نستطيع أن نفهم هذا الوجود من خلالها لكي نُسخّره لمصلحتنا.

قال تعالى في آية الكرسي

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة: ٢٥٥

قال تعالى **بِمَا شَاءَ** ولم يقل **إلا ما شاء** .. الفرق كبير. ألباء هنا مهمة جدًا .. هذه ألباء إسمها باء الاستعانة .. سافرت بالطائرة .. ضربت بيدي.

نحن نحيط بشيء من علم رب العالمين، بالآلية التي هو شاءها، بالوسيلة التي هو شاءها. هذه الوسيلة التي هو شاءها نستطيع أن نحيط فيها بمعارف الكون. هذه الوسيلة تتيح لنا أن نتعلم ما أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نتعلمه، لكنه أعطانا الوسيلة ولم يعطنا المعرفة رأساً .. ألباء تشير إلى أنه أعطانا وسائل المعرفة ، وليس إن شاء الله أن نعرف أمراً ما عرفناه .. لو كان الأمر كذلك لقال تعالى إلا ما شاء.

نأخذ مفتاح الوحي .. بدا الوحي بقوله سبحانه وتعالى

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ العلق: ١ - ٥ هذه الآيات هي بداية الوحي للرسول الأعظم. أما

بداية الوحي لموسى عليه السلام فكانت ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ طه: ١١ - ١٤ فرق في البداية.

القراءة هي العملية التعليمية. الدكتور يقرأ المحاضرة، ما فهمته هو ما تعلمته. هنا بدأ بـ **أقرأ** مهمة الإنسان هي القراءة .. أن يتعلم.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ الخلق هو التصميم، تنفيذ التصميم هو التسوية ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ ﴿ الأعلى: ١ - ٢ أو قوله سبحانه وتعالى للملائكة ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ص: ٧١ - ٧٢

نقول: خلق الخياط القميص قبل الخياط، أي قدره وصممه .. التنفيذ هو التسوية.

عَلَقٍ إسم جمع الجمع، المفرد عَلَقَةٌ (نُطْفَةٌ عُلِقَتْ بالبويضة) الجمع علاقات وجمع الجمع علق. هذا الكون كله هو مجموعة من العلاقات المتداخلة المتشابكة - علاقات فيزيائية، علاقات كيميائية، علاقات بيولوجية، علاقات بيئية .. هذا التشابكات في الطبيعة منها خلق الإنسان من صلصال - حمأ، تراب ... الإنسان.

كيف افهم هذه العلاقات، كان الجواب **قَلَمُهَا** .. هذا أساس المعرفة في الكون.

نحن نُقَلِّمُ الشجرة بقصّها، ونقلم الأظاهر بقصّها. هناك في الدوائر قلم المُروِرْ. قلم المُروِرْ يُعْطِيكَ صفات متتالية حتى تنطبق على سيارة محددة (سيارة: رقمها - نوعها، لونها، سنة إصدارها ...) هذا ما نسميه بالإنجليزية *Identification*.

التقليم هو فصل الأشياء بعضها عن بعض للتعرف عليها، وهذا المقصود بـ **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** .

العين تقلم الألوان .. تميز بعضها عن بعض. الأذن تقلم الأصوات، اللسان يقلم الذوق. الحواس مقلمة إلى خمس.

البقر أيضا تتعلم بالتقليم. البقرة تُمَيِّز وليدها.

القلم اساس المعرفة في الكون كله .. القلم هو التمييز. ولكل كائن قلمه. وعندما علم الله آدم الأسماء كلها وعرضهم على الملائكة لم يعلم الملائكة الأسماء لأن قلمهم مختلف، ولذا قالوا:

﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ٣٢
كان قلم الملائكة مختلف عن قلم آدم. ولكل كائن قلمه.

قلم الشَّم عند الكلب مثلا يختلف عنه عند الإنسان، والكلب يميز الأشياء (يُقلمها) بالشَّم.
العلاقة مع العالم الخارجي هي التقليل، سواء أكانت بهائم أو غير بهائم.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

﴿ البقرة: ٣١ - ٣٢ التمييز مُختلف. المعارف التي أعطيت لآدم غير متوفرة عند الملائكة.
الإنسان يقلم العالم الخارجي بحواسه.

هذا المعنى للقلم (التمييز) ورد أيضا في قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ أَهَلْهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

يَخْضَعُونَ ﴾ آل عمران: ٤٤ كل واحد وضع إشارة مميزة (هذه هي القرعة).

ألفرق بسيط بين الأقلام والأزلام (صوت واحد) .. الأزلام تضرب شيئا لتأخذ قرار .. نوع من
الأقلام.

مثال ... إذا كتبنا بحبر أبيض على ورق أبيض لا يُقَلَّم .. أيضا عندما نريد أن نُقَلِّم الأحرف الهجائية
نختار شكل للباء (ب) يختلف عن اللون (ن)، وهكذا في بقية الأحرف.

في كل شيء وفي كل لحظة نقوم بالتقليل. القلم هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة التي زودنا الله بها للكون

كله ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... ﴾ بالوسيلة التي شاءها الله هي
القلم.

مثال ... قديما كان الدم عنصر واحد، اليوم حين حصل تقدم معرفي قلموا الدم أصبح أكثر من ٢٠٠
عنصر. اليوم أيضا قلموا الخلية السرطانية، ميزوها ولكن لم يميزوا لماذا تُصبح سرطانية (لم يقلموا
الأسباب بعد). ألطب تقلم اليوم، أصبح عدة تخصصات .. جسم الإنسان متداخل مع بعضه، كيف
ندرسه - بالتقليل: الجهاز العصبي، الجهاز الهضمي، الجلد، جهاز التنفس، الدورة الدموية ... أي
(قلمنا جسم الإنسان). الطقس أيضا قلم: هناك حرارة، برودة، رياح، رطوبة .. كل شيء يقاس لوحده.

الحيوانات والإنسان كل له قلمه. سبحانه وتعالى حين قال ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ العلق: ٤

المعرفة الإنسانية متقدمة ولا تخرج عن التقليل. القلم متقدم ولا يتأخر إطلاقاً .. كلما زاد التعليم كلما زادت المعرفة.

نقول أخيراً أن قوله سبحانه وتعالى الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ لا يعني إطلاقاً القلم الذي نكتب به.

معنى إضافي

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان: ٢٧

كَلِمَتُ اللَّهِ مميّزة هذه الكلمات تقوم على التقليل.

ألفؤاد

قلنا أنّ الحواس هي أدوات الإتّصال بالعالم الخارجي، والحواس مقلّمة إلى خمس نستخدمها جميعاً حتى نقلم الأشياء.

- العين تقلم الألوان والأبعاد
- أجلد لقلم الحرارة والبرودة
- اللسان يقلم الذوق
- الأنف يقلم الرائحة
- الأذن تقلم الأصوات

هنا نسأل لماذا ركز القرآن على السمع والبصر من الحواس الخمس؟

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٦

السمع وظيفّة والعضو الأذن
البصر وظيفّة والعضو العين

إذا ألفؤاد وظيفّة وليس عضو .. ألفؤاد هو الإدراك المشخص في الحواس (نهاية الصورة التي سنفكر فيها) .. الحيوان له ايضاً فؤاد لأن له عيون وآذان.

نقول لماذا لم يذكر الشمّ والحسّ والذوق مع السمع والبصر؟ السبب أن السمع والبصر يشكلوا ٩٠٪ من مصادر المعلومات مع العالم الخارجي. إن فقد أي حاسة من هاتين الحاستين تؤدي إلى إعاقة الشخص الذي يفقد إحداها. أما الشخص الذي يفقد حاسة الشمّ أو الذوق فلا يعتبر معاق ويستطيع أن يعمل. الأبكم والكفيف فقط المعاقين.

نقول فأدت أفحم أي شويته .. أفؤاد صاعق أفكر.

نحن لكي نفكر نحتاج إلى مواد أولية لنفكر بها، المواد الأولية هي المعلومات.

هذه المعلومات التي وصلتنا عن طريق الحواس هي أفؤاد.

أفؤاد صاعق أفكر، تماما كصاعق ألقبلة الذي إذا لمستته انفجرت ألقبلة.

ما الفرق بين أفؤاد الإنساني والفؤاد البهيمي؟

الإنسان يطابق الاسم مع المسمى أما الحيوان فلا يطابق الاسم مع المسمى.

عمل أفؤاد هو إزالة التناقض بين الاسم والمسمى – هل يفيد هذا الشيء الاسم أو لا يفيد؟ ولذلك فإن الإنسان حين يرى أي شيء جديد فإن أول ما يفعله هو أن يعطيه اسم يميزه به. لكن البهائم لا تفعل ذلك.

ماذا نفهم من قوله تعالى ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرًا** ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا

أَنْ رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص: ١٠ أي أن تصرفها أصبح

تصرف بهيمي لا إنساني. ألقطة إذا اقتربت من أطفالها فإنها بشكل غريزي تدافع عنهم، هذا ما كانت ستفعله أم موسى لولا أن ربط الله على قلبها (سنوضح لاحقا ما معنى ألقب).

إذن أفؤاد الإنسان يطابق بين الاسم والمسمى، ويزيل التناقض بين يفيد ولا يفيد. أفؤاد البهيمي له حواس ولكن ليس عنده مسمى.

بتعبير معاصر نقول .. أسمع والبصر وسائل إتصال بالعالم الخارجي، والفؤاد وحدة المعالجة.

أفكر

بعد الفؤاد يأتي أفكر.

أفؤاد يعطي المادة ,, والفكر هو ألتحليل (فكر .. فك كر، فك كر ...) يفصل العناصر ويركبها حتى يتخذ القرار. ((يتفكرون ... ألتاء هنا تاء الجهد))

ألبهائم لديها فؤاد كما قلنا ولكن ليس لها فكر.

الإنسان حتى يعرف آدم ونوح يجب أن يسير في الأرض ويقلم هذا هو ألتفكير.

ألعقل

بعد أفكر هناك ألعقل. إتخاذ ألقرار

ألقب هو ألدماغ

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا

تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ الحج: ٤٦

في إحدى المحطات الفضائية تحدثوا عن القلب، ذكروا كل الآيات التي ذكر فيها القلب، شرحوا كل ما فيها وقالوا ما قالوا، لكنهم لم يذكروا أن القلب يضخ الدم – أليس هذا غريبا؟

يقولون أن القلب هو هذه العضلة التي تضخ الدم إلى سائر الجسم ويستشهدون على ذلك بقوله سبحانه

وتعالى فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .

نقول أن الصِّدْر هو جبين الرأس. وحين قال تعالى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْتِ

وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ الناس: ١ - ٦

إنَّ **صُدُورِ النَّاسِ** هم الناس الذين في أصدارة أي الذين يحتلون مركز الصدارة. والشاعر

العربي حين قال

وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسَّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصِّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ

فإنه قصد أننا دائما في الصدارة.

الله سبحانه وتعالى ذكر في التنزيل الحكيم الأمعاء وذكر أيضا اليدين والرجلين والجلد ايضا – أليس غريبا أن يذكر كل هذه الأعضاء ولا يذكر الدماغ وهو أهم جزء في جسم الإنسان؟

الغيب والشهادة

هل تحول المعرفة الإنسانية الغيب النسبي إلى شهادة؟ ما هي العلاقة بين الغيب والشهادة ونحن نقرأ

الآية الكريمة ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿٥٩﴾

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ الأنعام: ٥٩ هل نحن نقترّب من معرفة الغيب عندما نصل إلى قوانين كنا

نجهلها؟

نقول إن رب العالمين أعطانا جزء من مفاتيح الغيب في السبع المثاني (π and e) الثوابت الكونية.

أساس اللوغاريتم الطبيعي e مسيطر على كل مظاهر الطبيعة تزايد وتناقص، ليس فقط في الأرض وإنما في الكون كله. أيضا π مسيطر على ظواهر التردد.

عملية المعرفة الإنسانية الصاعدة إلى الأعلى ومحورها **ألف** ولا تحمل عن ألفم إطلاقا تمثل جدلية بين الغيب والشهادة.

ألغيب نوعان، **هناك غيب مطلق وغيب نسبي**. نحن نتحدث عن ألغيب النسبي. حتى ١٠٠ سنة مثلا كان هناك غيبات أصبحت أليوم معروفه بالنسبة لنا. هذه المعارف أنتجت إشكاليات جديدة نحتاج معها إلى معارف جديدة لتتقدم.

دائما بالنسبة للإنسان ألغيب يتقلص والمعرفة تتقدم.

من هذه الناحية الإنسان يقترب من الله سبحانه وتعالى ولكن لن يصل إليه.

الله عليم والإنسان متعلم، والله حر مطلق الصلاحية والإنسان متحرر.

مع الوقت ألغيب يتقلص ويتقلص حتى يأتي وقت يظن الإنسان أنه أصبح إله قادرا أن يتحكم بهذا الكون ويسيره كما يشاء، عندها يأتي أمر الله

﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ

النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَفَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ

قَدْ رُوتَ عَلَيْهَا أُنْهَى أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ

كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس: ٢٤

إذا سيأتي يوم يظن الإنسان أنه أصبح كامل المعرفة. الإنسانية بالمعرفة تتقدم.

قلنا إن **الرَّحْمَنُ** رحيم وشديد العقاب. الإنسان يقلد الرحمن في هذه الناحية. فمن الذرة قد يعمل مستشفى (رحيم)، ومن الذرة قد يعمل قنبلة ذرية (شديد العقاب).

عندما قال تعالى ((رحيم)) لا يوجد شديد العقاب، ولكن عندما قال ((الرحمن)) فإن فيها رحيم وشديد العقاب.

جدلية ألغيب والشهادة موجودة عند الإنسان.

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ

وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ الجن: ٢٦ - ٢٨

الرَّسول هنا جبريل عليه السلام. لقد كان المطلوب من الرسول الأعظم ألبلاغ وليس الإبلاغ.

النبأ والخبر

قد يسأل سائل لماذا تسميه الغيب ونحن في النشرات الإخبارية نتنبأ بالطقس .. ما سيكون عليه. ما هي العلاقة بين النبأ والخبر؟

الْتَنْبؤ يعني غيب وإلا سيصبح خبر. عندما نقول أن درجة الحرارة بالأمس كانت ٤٠° فهذا خبر – لكن عندما نقول أن درجة الحرارة غدا ستصل إلى ٣٥° فهذا تنبؤ.

نقول أن الرياضيات هي العلم الدقيق الذي يتصف بالدقة والتنبؤ. إن المعادلات الرياضية تجعلنا قادرين على معرفة ما سيكون قبل حصوله. مثلا نحن نعرف أنه إن تحركت سيارة بسرعة ثابتة مقدارها ٦٠ كلم/ساعة فإنها بعد ساعتين ستقطع مسافة مقدارها ١٢٠ كلم. عرفنا هذا لأن هناك معادلة رياضية تربط بين السرعة (v) والزمن (t) والمسافة (x)، هذه المعادلة هي:

$$X(m) = v(m/s) \times t(s)$$

كلما زاد علم الإنسان في الرياضيات ، كلما أصبح قادرا على التنبؤ أكثر.

علم رب العالمين رياضي. قال تعالى ﴿... وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا...﴾ وقال تعالى

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾ مريم: ٩٤

الإحصاء: ألتعقل (تأخذ ظاهرة معينة، تدرسها وتعقل ما فيها).

نأخذ فكرة عن شخص ما، طوله، لونه، وظيفته، أبويه، بلده، مدينته ثم نعرف من هو هذا الشخص. ممكن أيضا أن نضع هذا الشخص في معادلة رياضية لنعرف أيضا من هو.

لنأخذ الكمبيوتر مثلا .. الكمبيوتر عبر عن عجز الإنسان عن إيجاد معادلة رياضية لكل الظواهر، وضعها بشكل أعداد وصاغ معادلة رياضية كم متصل، والأعداد كم منفصل.

الرياضيات تقوم على المنطق فقط.

علماء الرياضيات يجدون المعادلات الرياضية، بعدها يجد علماء الطبيعة توصيفا لتلك المعادلات. لذلك نقول ان الرياضيات متقدمة على علوم الطبيعة وهذا صحيح. العلوم الرياضية متقدمة عن العلوم الطبيعية أكثر من ١٠٠ سنة. الرياضيات المستخدمة في الكمبيوتر موجودة قبل اختراع الكمبيوتر بعشرات السنين.

أكون قبل خلقه كان في علم الله دال بدون مدلول، الرياضيات أيضا دال بدون مدلول.

الرياضيات هي أقرب العلوم لعلم الله سبحانه وتعالى ولذا فإن الإنسان خليفة الله في الأرض.

الرحمن والشيطان

نقيضان يعملان في العقل الإنساني

قال تعالى

﴿يَتَابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ مريم: ٤٤

هنا المقصود شيطان ألوههم.

ألرحمن يمثل الحقيقة الموضوعية وقوانين الكون الحقيقية. ألرحمن يمثل ألجانب ألمادي في فكر الإنسان.

ألشيطان يمثل ألجانب ألوهي في أفكر الإنسان.

ألقرآن مادي.

الرَّسَالَةُ وَالنُّبُوَّةُ

الرُّبُوبِيَّةُ وَالْأُلُوهِيَّةُ

الرُّبُوبِيَّةُ: السَّيَادَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالسَّيْطَرَةُ

الألوهية: ينعكس خلالها الطاعة والإمتثال والإرادة

النُّبُوَّةُ مرتبطة بالرُّبُوبِيَّةُ والرَّسَالَةُ مرتبطة بالألوهية.

الرُّبُوبِيَّةُ والألوهية إذن لها علاقة بالنُّبُوَّةُ والرَّسَالَةُ، لكن الرُّبُوبِيَّةُ جاءت على لسان أكثر من فائل في كتاب الله – جاءت في سورة يوسف، وجاءت في آيات فرعون، كذلك فإن فرعون استخدم اللفظتين

فهل كان يقصد ما يقول. تارة ﴿... أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ النازعات: ٢٤ وتارة يقول ﴿... مَا

عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ...﴾ القصص: ٣٨ فهل نَصَّبَ نَفْسَهُ مكان الله سبحانه الله أن

يكون له مثل أو شريك، أم أن فرعون كان يعي أنه ليس بإله أو برب ولكنه كان يريد أن يسيطر على أهله وأتباعه.

كتب التراث تُعرَّف النبي والرسول .. يقولون أن النَّبِيَّ من يُوحى إليه ولكن لم يُطلب منه التبليغ، أي يوحى إليه وحده، أما إذا طُلب منه أن يُبلغ ما أُوحِيَ إليه فهو رَسُولٌ. أي إن الوحي لا يختلف هو نفسه بالنسبة للنبي أو الرسول، لكن إن طلب منه أن يبلغ فهو رسول وإن لم يطلب منه التبليغ فهو نبي. هذا التعريف غير صحيح.

أنا أوافق أن هناك نبي بلا رسالة، لكنَّ النَّبِيَّ يبلغ ما أُوحى إليه، لا يوجد نبي لوحده. لكن **النُّبُوَّةُ علوم** **والرسالة أحكام.**

ألرسول يجب أن يكون نبي، ولكن ليس بالضرورة أن يكون النبي رسول.

ألنبي أوحى إليه ولكن من مقام النبوة، أي لم يوح إليه أحكام، مثال داود وسليمان كانوا أنبياء وليسوا رسل. ألرسالة جاءت في شريعة موسى، وبعد موسى عليه السلام لم يتغير أي شيء حتى بُعث عيسى ليعدل في شريعة موسى عليهما السلام. ملوك بني إسرائيل جميعا كانوا أنبياء ولم يكونوا رسل، لأنهم جميعا حكموا بشريعة موسى عليه السلام.

هارون نبي – لا يجتمع رسولين معا إلا إذا كانوا ملائكة .. قد يتساءل البعض ماذا تقول في قوله

تعالى في قول موسى وهارون عليهما السلام لفرعون ﴿ فَأَنِّيَأُفَقُولَآ إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ

فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ

أَهْدَىٰ ۖ ﴿٤٧﴾ طه: ٤٧ .. أقول أن الجواب جاء في الآية نفسها فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا

تُعَذِّبْهُمْ أي ليس هناك أي أحكام. كل ما طلباه من فرعون هو أن يُرسل معهما بني إسرائيل وأن لا يعذبهم.

كيف يكون النبي نبيا ولا يطلب منه أن يبلغ شيئا ما لقومه؟

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِّنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ الزمر: ٦٥

التوحيد ومقام العقيدة في النبوة والرسالة معا. النبي يحمل رسالة التوحيد ومعها علوم، والرسول يحمل رسالة التوحيد ومعها أحكام.

صناعة أفلك لنوح نبوة. الرسالة كانت التوحيد وبر أوالدين.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ الأعراف: ٥٩

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي ۖ وَلَمَّا دَخَلَ بُنَيَّ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ

الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ نوح: ٢٨

رب العالمين هو المالك والسيد لم يطلب من أحد أن يعترف بربوبيته. ونحن في أصلا بآبائنا أشهدنا

الله على ربوبيته وليس على الوهيته ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِم ۖ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا

عَن هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ الأعراف: ١٧٢ لم يقل سبحانه وتعالى ((ألست إلهكم)). ويبقى ربنا حتى

قيام الساعة ولا أحد ينكر هذا حتى الملاحد. الله سبحانه وتعالى هو مالك هذا الكون. هل يستطيع أحدا أيا كان أن يدعي ملكيته.

نحن أخذنا من رب العالمين إمكانية الخلافة بأن نتصرف بجزء من هذا الكون، بجزء من القوانين الطبيعية لنكون أرباب صغار في هذه الطبيعة.

رب العمل، رب الأسرة .. نحن حين نطلب من رب العالمين شيئاً نطلبه من مقام الربوبية لا من مقام الألوهية ..

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ البقرة: ٢٠١

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾

آل عمران: ٨

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

البقرة: ١٢٦

لا يوجد طلب من مقام الألوهية .. دائما نتوجه إلى الله من مقام الربوبية في الدعاء لأنه هو المالك، هو رب العالمين .. الله سبحانه وتعالى ليس إله الشجر، هو رب الشجر .. هو رب الأرض والسماء.

الألوهية لا تكون إلا للعاقل .. أنا أحب الله وألله على إنّه إلهي، هذا لا يكون إلا للعاقل المكلف.

الله رب السماوات والأرض، ورب كل شيء، لكنّه إله العاقل فقط. سبحانه وتعالى هو رب أبو لهب ورب محمد عليه الصلاة والسلام. لكن الله سبحانه وتعالى هي إله محمد وليس إله أبو لهب لأنّ أبو

لهب لم يتخذه إلهاً. كل دعوة الرسل إلى أقوامهم كانت ﴿... أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ...﴾ (الأعراف - ٥٩)، (الأعراف - ٦٥)، (الأعراف - ٧٣)، (الأعراف - ٨٥)، (هود -

٥٠)، (هود - ٦١)، (المؤمنون - ٢٣)، (المؤمنون - ٣٢).

لم يقل رسول بعث لقومه ((ما لكم من ربّ غيره)) .. وكما قلنا سابقا فإن اسم الربوبية عند رب العالمين هو (الرحمن) ..

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ النبا: ٣٧

كون الرحمن اسم الربوبية لا يتكلم مع أحد ولكنّه يفعل. رب العالمين برأ مريم عليها السلام براءة رحمانية

﴿فَكُلِّ وَاشْرِي وَفَرِيَ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًى وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ مريم: ٢٦ - ٣٣ لقد أنطق سبحانه وتعالى عيسى بعد لحظات من ميلاده. ولو

شاء الله أن يُبرأ امرأة متهمه بالزنا براءة رحمانية فإن فرجها سينطق. هذه البراءة الرحمانية (لا يوجد كلام) الإنسان لكي يكون رحمانى يجب أن يمارس الأمور بنفسه ويكسب خبرة في أي عمل. مقابل البراءة الرحمانية هناك براءة إلهية جاءت في الكتاب هي براءة عائشة رضي الله عنها.

كيف نفهم إذن قوله سبحانه وتعالى

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ الناس: ١ - ٣

من يؤمن بأن الله هو ربّ الناس، سيؤمن أنه إله الناس. وإذا لم يؤمن أنّه ربّ الناس فسوف لن يؤمن أنه إله الناس. مقام الربوبية قبل مقام الألوهية دائما .. الربوبية ساحتها الخضوع وليس الطاعة.

قد يتساءل البعض كيف نفهم إذن قوله سبحانه وتعالى

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾﴾ قريش: ٣

نقول: نحن نعترف بالألوهية ولكننا نعبد الرب مالك هذا البيت. نحن نعبد رب هذا البيت من مقام الألوهية. لقد طلب من الرسول الأعظم أن يقول **لا إله إلا الله** ولم يطلب منه أن يقول (لا رب إلا الله) لأنّ الإنسان ممكن أن يتخذ غير الله إلهًا، ممكن أن يطيع غيره.

كيف تتداخل الألوهية والربوبية؟

فرعون إدعى الربوبية، بعدها قال بالألوهية. لقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَوِمُ الْيَسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٥١) الزخرف: ٥١ إدعاء الربوبية

حين يكون هناك طاغية ومستبد فإن كل أبلد تعرف أنه مالك أبلد. لكن هذا الطاغية حين يتحدث فإنه يتحدث إلى حاشيته وليس إلى كل أهل أبلد .. هذا ما حصل حين ادعى فرعون الألوهية

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى

الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ

﴿ القصص: ٣٨ هنا نلاحظ أنه خاطب الخاصة القربين منه يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ .

إذا لم يكن هناك رادع للطاغية المستبد فإنه يتصور نفسه إلهاً .. هذا ما حصل مع فرعون.

الكفر بالطاغوت والأيمان بالله يأتوا دائماً مقابل بعض

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ البقرة: ٢٥٦

لن يستطيع أن يؤمن بالله إلا إذا كان يملك حرية الضمير وحرية الاختيار. أنا أقول لا إله إلا الله مختاراً. الله سبحانه وتعالى أخذ منا ميثاق الربوبية ..

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ الأنعام: ١٠٢

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) ... ربوبية

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (فَاعْبُدُوهُ) إلهية

دائماً حين نطلب من الله شيئاً نطلبه من مقام الربوبية (رب) ولكننا نطيعه سبحانه وتعالى ك (إله).

ولذلك حين قال سبحانه وتعالى عن فرعون ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ ﴿٢٥﴾

النازعات: ٢٥ .. فإن الأولى هي الربوبية والآخرة هي الألوهية.

الربوبية قوانين صارمة – خبرة ﴿ ... الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴾ ﴿٥٩﴾ الفرقان: ٥٩

ليس ((فَسَلِّ عَنْهُ خَيْرًا)) .. بأي شيء تكون خبيراً يجب أن تكون رحمانياً، تمارس الأشياء بنفسك.

علاقة الرسالة والنبوة بمقام الألوهية ومقام الربوبية

النبوة من نبأ، والنبأ يحمل معنيين

- أن يكون غيبي
- أن يكون مختصر

النبى يعطي أنباء (أحداث) إما طبيعية وإما إنسانية وأما أن تكون ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا. قصص الأنبياء من نوح إلى هود إلى صالح إلى ... عليهم السلام أنباء أوحيت إلى الرسول من الماضي ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ ۚ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

هذه الآية ٤٩ هود: ٤٩ إذن هي أنباء من الماضي كانت غيبية بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك لقومه، ورغم أن نوح عليه السلام قد بُعث في قومه ٩٥٠ سنة إلا أن قصة نوح قد ذكرت بأسطر قليلة في القرآن الكريم (إيجاز).

القرآن الكريم ذكر العديد من الأحداث التي حصلت في الماضي والتي كانت غيبا بالنسبة للنبى وقومه، من هذه الآيات التي تحدثت عن غيبات الماضي

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَنْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ التوبة: ٧٠

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا ۖ بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ۚ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ إبراهيم

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَغْنَاهُمْ ۖ يَكْفُلْ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ آل عمران: ٤٤

أموراً كثيرة كانت قد حصلت في الماضي لم تكن معروفة للنبى محمد عليه الصلاة والسلام أو لقومه جاء القرآن ليحدثنا بها بأيجاز. أيضا قد يكون النبأ مختص بالحاضر كقوله تعالى

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ،

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٢﴾﴾

التحریم: ٣

أما أنباء الغيب التي تتحدث عن المستقبل فهي أيضا كثيرة في كتاب الله كآيات ألبعث والساعة والجنة والنار ونهاية الكون والعديد العديد من الآيات الدالة على مصداقية الكتاب الموحى.

النبأ الغيبي يجب أن يحمل المصداقية. عندما أنبأنا الله سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ٣١ هذا حدث في الماضي، أين نرى المصداقية؟ كيف نتحقق منها؟

اليوم عندنا علم قائم بذاته ميتورولوجيا (علم الحفريات). الحفريات تؤكد لنا صدق الخبر القرآني.

والله أمرنا في كتابه أن نبحث ونجتهد ونقرأ وننظر كيف بدأ الخلق ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٠﴾﴾ العنكبوت: ٢٠ وونتساءل هل الذين حدثونا عن خلق آدم في كتب التراث – هل ساروا في

الأرض ١٠٠ كلم ليعرفوا كيف خلق آدم، هل بحثوا ونظروا وتدبروا ذلك؟ أم إنهم اكتفوا بروايات إسرائيلية لا تقبلها عقولنا وتنفيها وتثبت عدم صِدْقِتها الإكتشافات الحديثة.

نحن هنا نريد أن نقول بأن عقولنا لا تقبل أن نتبنى كل ما ورد في كتب التراث وأن نتعامل مع التفسيرات الموروثة كما نتعامل مع آيات الله نفسها. تلك كتب تاريخية، نعم هذا تراثنا – لا ننكره ولكن علينا أن نتجاوزه معرفيا وليس تاريخيا.

علينا أن نفهم أن هناك آيات نبوة في الكتاب كما أن هناك آيات رسالة. الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣ هذه الآية الكريمة ليست من النبوة .. هذه رسالة.

القرآن والسبع المثاني – نبوة

القرآن له علاقة بالوجود والجنة والنار والبعث والخلق وأحداث التاريخ. عندما نقول القرآن فإننا نعني آيات القرآنية في المصحف. هناك آيات أحكام أيضا في المصحف هي ليست قرآن ولكنها من

الكتاب ومن عند الله نؤمن بها كلها ﴿... ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾ آل عمران: ٧

إذن كل الآيات – من أول آية في سورة الفاتحة وحتى آخر آية في سورة الناس – كلها من عند الله، نؤمن بها ونشهد أنها أوحيت إلى الرسول الأعظم. لكن الله سبحانه وتعالى بعث رسالته الخاتمة إلى كل الناس ووقع على رسالته توقيع لا يقلد، هذا التوقيع الإلهي هو القرآن. فالأحكام الواردة في الكتاب هي أرسالة والنبوة هي التوقيع الإلهي على مصداقية تلك الرسالة.

الله سبحانه وتعالى أرسل رسالة بأوامر ونواه بين لنا ما هو حلال وما هو حرام ووجهنا لما يجب أن نفعل وما يجب أن لا نفعل. أمرنا بالصلاة والصوم والحج والزكاة وعدم قول الزور وعدم أكل مال ألبتيم ... إلى ما هناك من أحكام في كتاب الله. هذه الرسالة لنعرف أنها من عند الله قرنها بالقرآن الذي يستحيل تزويره على أي من الإنس والجن ليثبت أن هذه الرسالة هي من عند الله.

الأحكام يسهل تقليدها، والبشر قد تشرع. حمورابي مثلا عنده أحكام لكنه لم يقل أن هذه الأحكام هي من عند الله. المجالس الأنبيائية في الدول كلها تسن تشريعات حسب الظروف أيضا لكنها لا تدعي أن تشريعا ما قد أوحى به رب العالمين. لكن ما جاء في الكتاب من أحكام هي من عند الله ولذلك قرنها بالقرآن المعجز ليثبت ذلك.

النبوة والرسالة

قال تعالى ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٦٧ ولذا دعك من التفسير لأن الله قال لنا أن لكل نبي وقت يظهر فيه. ولنفهم ما هو التأويل وما هو المستقر يجب أن نميز بين الأنبياء والخبر.

الرسول الأعظم كان نبيا ولم يكن مخبرا.

وقلنا أن الأنبياء يكون غيبي ومقتضب ولذا حتى في حياتنا اليومية نقول موجز الأنبياء. أما الخبر فيكون حضوري وتفصيلي.

كيف فرق المصحف الشريف بين الأنبياء والخبر؟

موسى عليه السلام عندما رأى النار قال

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَآئِكُمْ بِسَهَابٍ مَّعْلُومٍ

تَصْطَلُون﴾ النمل: ٧ قال عليه السلام **بَخَبَرٍ** لأنه ذهب إليها (حضور)

أيضا عن الحديث عن أحداث الساعة قال سبحانه وتعالى

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ ﴾

﴿ ٣ ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ ﴾ الزلزلة: ١ - ٤

مثال

لو أنه في القرن العشرين تنبأ أحد أنه في القرن الواحد والعشرين سيحكم أمريكا رئيسا من أصول أفريقية فإن هذه النبوءة الغيبية قد لا تتجاوز الأسطر الواحد. ولكن عندما يصبح أوباما ذو الأصول الإفريقية رئيسا لأمريكا فإن مجلدا أو أكثر قد يكتب حول هذا الخبر.

التأويل النهائي للنبا هو عندما يتحول هذا النبا إلى خبر ... هذا هو ميزة المنتشابه

فمثلا يوسف عليه السلام رأى مناما ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأْتَبِتْ لِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ۖ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۚ ﴾

يوسف: ٤ هذا نبا غيبي مقتضب، ولكن حين

تحقق هذا النبا وسجد أبويه قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ

يَتَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ

السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي

لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ ﴾ يوسف: ١٠٠ لقد أصبح الحلم حقيقة.

أحداث نوح عليه السلام بالنسبة لنوح وقومه أخبار أما بالنسبة للرسول الأعظم ولنا فهي أنباء.

إن الأحداث التي حصلت زمن الرسالة الخاتمة كانت بالنسبة للرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه وبالنسبة لقومه أخبار (واقع يعيشونه) أما بالنسبة لنا فهي أنباء (غيبيات حدثنا عنها القرآن)

القصص المحمدي كما ورد في سورة التوبة وسورة الأنفال وجزء من سورة محمد - وكل أحداث السيرة المحمدية في القرآن الكريم هي **قصص محمدي وليست رسالة**. وبالتالي لا يؤخذ منها أحكام.

ماذا نأخذ من أحكام مثلا في شق البحر في قصة موسى مع فرعون؟ أليست هذه القصة جزء من المصحف؟ سورة يوسف هل يوجد فيها أحكام؟ القصص القرآني يعطينا عبر. قال سبحانه تعالى

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

يوسف: ١١١

سورة المسد ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۖ وَمَا كَسَبَ ۝٢

سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ

مَسَدٍ ۝٥﴾ المسد: ١ - ٥ هذه الآيات نزلت وأبو لهب على قيد الحياة، وهذه الآيات تقول أن

أبو لهب سيموت كافرا وسيدخل النار. ما علاقتي الآن بهذه السورة في أقرن الواحد والعشرين؟

ترى ماذا لو أن أبو لهب آمن بعد نزول هذه الآية؟ ماذا سيحدث لمصادقية الرسالة الخاتمة؟ الله سبحانه وتعالى يعلم أن أبو لهب قد وصل إلى نقطة اللاعودة في رفضه للدعوة وأنه استنفر كل طاقاته لمحاربة الرسول الخاتم وهنا لا مجال للتراجع.

الله يريد أن يقول لنا من خلال هذه القصة أن علينا أن لا نتطرف أبدا في مواقفنا لأننا قد نجد أنفسنا غير قادرين على التراجع بل يستحيل علينا ذلك.

إذا كانت الولايات المتحدة الأميركية قد أيقنت أن صدام حسين بعد غزوه للكويت قد وصل إلى نقطة اللاعودة وأنه لن يخرج من الكويت أبدا، فما بالك بالله وله المثل الأعلى، ألا يدري سبحانه وتعالى أن أبو لهب قد وصل إلى نقطة اللاعودة؟

هذا قصص، وهذا ليس أزل، وهذا ليس موجودا في الإمام المبين قبل حصوله.

معجزات الأنبياء

لماذا لم تكن معجزة الرسول الخاتم حسية كما كانت معجزة الأنبياء السابقين؟

موسى عليه السلام أوتي تسع آيات بينات ليبرهن أنه رسول رب العالمين

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَّالَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَنجُورًا ۝١٠٢﴾ الإسراء: ١٠١ - ١٠٢

هذه الآيات البينات كانت: ١- العصا ٢- اليد ٣- شق البحر ٤- الطوفان ٥- الجراد ٦- القمل

٧- الضفادع ٨- الدم ٩- الرجز. ولقد شاهدها الناس ولذا قال عنها **بَصَائِرُ**. محمد صلى الله عليه

وسلم أوتي أكثر من ٢٠٠٠ آية من الآيات البينات والتي سماها سبحانه وتعالى بصائر تماما كما

سُمِّيَتْ آيات موسى عليه السلام ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ **بَصَائِرُ** مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ

فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝١٠٤﴾ الأنعام: ١٠٤

آيات الرسول الخاتم هي ايضا تبصر ولكن ليس دفعة واحدة ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٧) . محمد صلى الله عليه وسلم لم يُبعث لقومه كما بُعث الأنبياء السابقين لأقوامهم فقط، لكنه بُعث للعالمين وحتى قيام الساعة وبالتالي فإن الناس في كل زمان وفي كل مكان يجب أن يُبصروا تلك الآيات البينات. فمع تقدم الأسقف المعرفي للناس فإن هذه الآيات ستبصر وهكذا فإن نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه قائمة أبدا تصديقا لرسالته. طالما الأرض مستمرة وطالما هذا الكون مستمر فإن نبوته عليه السلام قائمة. ولكل نبي وقت يتحقق فيه. لذلك نقول دعنا من كتب التفسير.

القرآن يؤخذ حسب المواضيع – القرآن يحتوي على موضوعات في مختلف العلوم ومن يفسر القرآن عليه أن يكون ملما بتلك المواضيع كلها، عليه أن يكون جيولوجيا، وعالم أرساد، وفيلسوف، وعالم دين، و... عالم في كل شيء. فمن يملك القدرة على ذلك؟

الذين اكتشفوا معجزات القرآن هم للأسف ليسوا من فسرنا القرآن.

الإنسان عندما يقرأ أي شيء، حتى مقال في صحيفة فإنه يوظف آليا معلوماته في فهم المقال. نحن أيضا حين نقرأ القرآن الكريم علينا أن نوظف آليتنا المعرفية لفهم آياته. لكن للأسف بدل من أن نفعل ذلك فإننا نفتح كتب التراث ونقرأ ما قاله السلف.

كتب التفسير لها قيمة تاريخية فقط .. كتب التفسير تعطينا فكرة عن المستوى المعرفي للعصر الذي كتبت فيه تلك الكتب.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بكل إيجابياته هو وصمة عار على من يعمل به. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يكون بأن نتدبر نحن أتباع الرسالة المحمدية آيات التنزيل الحكيم ونكتشف ما فيها من إعجاز لا أن نفتش في كتاب الله عن آيات تشير إلى أي اكتشاف علمي لنقول أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة. أين كنا نحن منذ ١٤٠٠ سنة؟ لم نتدبر تلك الآيات بأنفسنا؟

المطلوب حين نقرأ القرآن الكريم أن نفكر تبعا لما وصلنا إليه من معرفة. الله سبحانه وتعالى قال

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿آل عمران: ٧﴾ قالوا هناك وقفة بعد لفظ الأجلالة **اللَّهُ** أي لا يعلم تأويله إلا الله وحده.

وأقول هذا صحيح ولكن اضيف أن الله وحده يعلم تأويله **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ليس شخص واحد بل مجموعة العلماء في كل المجالات إذا اجتمعوا لفهم كتاب الله فإن ذلك ممكن.

الله سبحانه وتعالى وضع من عنده علم الكتاب شريكا له في الشهادة

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣)

هل ممكن إن رب العالمين يعطينا نبوءات يقول عنها أنها هدى للناس وتكون غير قابلة للفهم؟

أخيرا أحب أن اضيف قول لأبو القاسم الحاج حمد قال فيه عن حاكمية الله موضحا أن حاكمية الله مرت بمراحل ثلاث:

- المرحلة الأولى – التدخل المباشر فالله سبحانه وتعالى فضل بني إسرائيل على العالمين حيث عمل كل شيء عنهم
- المرحلة الثانية – أعطى الله قوته لخلفائه في الأرض حيث سخر سبحانه وتعالى الطبيعة لداوود وسليمان، وسخر لهم الجان أيضا
- المرحلة الثالثة – مع الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم حيث توقف التدخل المباشر وكذلك الخلافة تدخل الله أصبح غير مباشر.

الله أعطى الرسول الخاتم آيات بينات ومعرفة أصبح التدخل الإلهي مع الرسالة الخاتمة تدخل غير مباشر بعد أن وصل الإنسان إلى مرحلة من النضج الفكري جعلته قادرا على أن يكون خليفة الله في الأرض.

معجزة الرسول الخاتم هي ديمومة كشف السنن والظواهر، وهذه هي عالمية النبوة.

الآيات البينات لموسى عليه السلام كانت محلية ولم تكن عالمية، لأن موسى عليه السلام لم يبعث إلا لبني إسرائيل وليس لأهل الأرض جميعا.

أخيرا القرآن هو كتاب النبوة وبه أصبح محمد بن عبد الله نبيا. والأحكام كما سماها الله (أم الكتاب) هي كتاب الرسالة وبتبليغ تلك الأحكام صار محمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

القضاء والقدر

جميعنا يُقرُّ كلمة القضاء بكلمة القدر ونراها كلمة واحدة تعني سنة الله التي تجري علينا، أي ما قدره الله لنا. وبالطبع كما تقول الآية الكريمة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) الفتح: ٢٣ ..

هل القضاء والقدر بمعنى واحد ؟ هل هما دالان على مدلول واحد؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه. تاريخيا .. مع بداية الدولة الأموية عندما طرحت مشكلة الحرية تم وضع تعريف للقضاء والقدر. قالوا: **القضاء هو علم الله الأزلي، والقدر هو نفاذ هذا العلم.** وبالتالي قضى الله منذ الأزل أن بني أمية سوف تحكم ولا بد لقدره أن ينفذ وأن يصير الحكم لبني أمية. إذن وجود بني أمية هو قضاء الله وقدره. هكذا مُنِعَ التَّحَدُّثُ في القضاء وقُطِعَتْ رؤوس على ذلك.

أين الحرية الإنسانية إذا قضى الله منذ الأزل أن يكون هذا وهذا وهذا ... فأين حرية الاختيار .

هذا التعريف الذي جاؤوا به إختلط مع مفهوم **علم الله**.

القضاء في التنزيل الحكيم له عدة معانٍ:

- **المعنى الأول هو الإخبار**

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا

كَبِيرًا﴾ (٤) الإسراء: ٤

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ (٦٦) الحجر: ٦٦

- **القضاء هو نفاذ الأجل**

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا

نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨) القصص: ٢٨

- **القضاء هو إتخاذ قرار**

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥) مريم: ٣٥

● القضاء بين الخصوم

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) النساء: ٦٥

من كل هذه المعاني هناك شيء أساس أن **القضاء فيه إخبار أو عدم إخبار – نفي وإثبات** أثبت الخبر ونفى ضده. قضى أمرا (مثلا قرر إهلاك قوم) تعنى نفي أن يبقوهم على قيد الحياة.

إذن القضاء هو نفي وإثبات بين شيئين، القاضي ينفي التهمة عن فلان ويثبتها على فلان. لكن حين ينفي ويثبت أو يخبر يجب أن يسبق القضاء **معرفة** على ماذا نقضي أصلا. قبل القضاء يجب أن يكون هناك قضية حقيقية تقضي بها. وبالتالي الحقيقة – الوجود وقوانين هذا الوجود هي **القدر**. الله قدر الجاذبية، الضوء، الصحة، المرض، الموت ...

الوجود الموضوعي للأشياء هو قدر الله ولذا نقول ((الموت قدر)) ولا نقول الموت قضاء وقدر.

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) الواقعة: ٦٠ فالله سبحانه وتعالى قدر

الموت، وقدر الصحة وقدر المرض ... وعيت ذلك أم لم تع.

الإنسان لكي يقضي في هذا الوجود يجب أن يكون هناك سابق معرفة بم يقضي. فالقضاء قرار واعي (نفي وإثبات). حين أقرر أنا مثلا أمرا ما أذهب أو لا أذهب، أعطي أو لا أعطي .. هذا القرار يجب أن يكون مربوط بمعرفة. لماذا أذهب أو لماذا لا أذهب؟ لماذا أعطي أو لماذا لا أعطي؟ لماذا أنفي أو لماذا أثبت؟

الذي لا يعرف لا يقضي وبالتالي رب العالمين أخرج (أوجد) الموت

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ ۚ

فَإِنِّي تُؤَفِّكُونَ ﴾ (٩٥) الأنعام: ٩٥

الموت قدر ولكن القتل قضاء.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

﴿ ١٤٤ ﴾ آل عمران: ١٤٤

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) آل عمران: ١٤٥

رب العالمين نسب القتل لنفسه مرة واحدة في المصحف ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧) الأنفال: ١٧ الموت موجود ولكن الله تدخل وقصر أعمارهم وقتلهم، حدث ذلك في معركة بدر. لم يستعمل القتل من قبل الله إلا مرة واحدة. الله أوجد الموت وحرّم القتل. الموت قدر والقتل قضاء.

إذا قالوا عن شخص مات بقضاء الله وقدره نسال من قتله؟

إذا قتل إنسان إنسانا آخر نقول عن المقتول مات قدرا بقضاء القاتل (الله قدر الموت والقاتل قضى). القاتل قصر عمر المقتول ولذا فإن عقاب القاتل في الشريعة الخاتمة هو القتل .. أي إن عمره يُقصر تماما كما قصر هو عمر المقتول.

الإذن والمشينة

المشيئة تحتل وجهين. قال تعالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) التکویر: ٢٨ الذي لم

يستقيم أعوج، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...﴾ الإنسان: ٣٠

أما الإذن فله وجه واحد ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥) آل عمران: ١٤٥

الإذن له وجه واحد هو الوجود – التنفيذ المشيئة تحتل الوجهين. الله أذن وأوجد قوانين وأوجد كتاب الموت. قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) الرعد: ٣٨ يعني أن الآيات التي تحصل مع الرسل كلها ضمن قوانين صارمة نافذة أوجدها الله سبحانه وتعالى.

التعبير الدارج في حال الموت الطبيعي (مات فلان قضاء وقدر) هو تعبير خاطئ .. أَلصَّحَّ أن نقول مات فلان بقدر الله.

قلنا إذن أنَّ القضاء إرادة واعية بين إثنين – نفي وإثبات. وقضاء الله ليس أزلي وغير نافذ بالضرورة

فالله سبحانه وتعالى قضى أن نعبد وحده وأن يُبر الإنسان والدية ﴿ وَفَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ الإسراء: ٢٣ فلو كان قضاءه

سبحانه وتعالى أزلي ونافذ لوجدت جميع الناس تعبد وحده ووجدت أن كل إنسان يبر والديه ..

القضاء يرتبط بالرسالة والقدر يرتبط بالنبوة

إذا فهمنا الفرق بين القضاء والقدر نستطيع أن نفهم آيات كتاب الله التي قد تبدوا للوهلة الأولى متناقضة في المعنى، كمثال قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۚ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ النساء: ٧٨ - ٧٩

الآية ﴿٧٨﴾ تقول أن السيئات والحسنات من عند الله بينما الآية ﴿٧٩﴾ تقول أن الحسنات من عند الله

بينما السيئات من أنفسنا، فكيف نفهم ما يبدو تناقضا في الفهم؟

الحقيقة إن نهاية الآيتين تبيان لنا المعنى. فالآية الأولى قرآن (قدر) ، وجود بدليل قوله سبحانه

وتعالى لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ، أي أن كل ما يحصل أوجده الله سبحانه وتعالى. أما الآية الثانية

فهي رساله (قضاء) بدليل قوله سبحانه وتعالى وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا . وبالتالي فإن الإنسان

يقضي بين أمرين أوجدهما الله الذي أمرنا أن نحسن ونهاننا أن نسيء، وهنا تظهر حرية الإنسان

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ النحل: ٩٠

إذن الآية (٧٨) من آيات النبوة، بينما الآية (٧٩) من آيات الرسالة.

العلاقة بين القضاء والقدر والنبوة والرسالة تبدو من خلال هاتين الآيتين .. فالرسالة فيها القضاء والنبوة فيها القدر.

آيات القدر في القرآن [النبوة] وآيات القضاء في الأحكام (أم الكتاب) [الرسالة].

آيات رسالة (أوامر ونواه - إفعال ولا تفعل) قضاء ... منها:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَكُمْ تَنْقُوتَ ﴿١٨٣﴾﴾ البقرة: ١٨٣

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الأنعام: ٧٢

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام: ١٥١

﴿إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكَ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٥١﴾﴾ الأنعام: ١٥١

آيات نبوة - قدر ... منها:

﴿نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُنْزِلَ الْهَبْلَ مِنْ سَمَاءٍ مِثْلُ النُّجِيِّ إِنَّ إِلَاهُ لَكُلِّ شَيْءٍ خَافٍ ﴿٦٠﴾﴾ الواقعة: ٦٠

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ يس: ٣٨

إذن آيات القدر في القرآن (النبوة) وآيات القضاء في الأحكام (الرسالة)

الأعمار

قال تعالى

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْزًا مُوجَّلاً ...﴾ آل عمران: ١٤٥

هناك كتاب اسمه كتاب الموت، هذا الكتاب هو مجموعة الشروط التي إذا اجتمعت مع بعضها حصل الموت. قال **كِتَابًا مُؤَجَّلًا** ولكن ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ الأعراف: ٣٤ أي حتى يحين الأجل، يجب أن يتحقق كتاب الموت.

كما نقول في المهر مؤجل الصداق – مؤجل حتى الموت أو الطلاق .. مؤجل حتى حدث معين.

قوله **يَا ذَنْنِ اللَّهِ** حتمي ..

أطرب يدرس القدر – قوانين الموت والحياة، علوم الطبيعة هي من علوم القدر أيضا . أما الحقوق والأدلة الجنائية تدرس القضاء. وهنا نسأل هل العقل الإنساني قادر على إدراك قوانين القدر والوصول إليها.

العقل الإنساني قادر على تأجيل الموت لا إلغائه (ضمن القدر). أطرب يدرس جهاز الدوران مثلا، تعرف على جهاز الدوران فصار يقضي فيه. **العلاقة بين القضاء والقدر هي المعرفة** وحرية الإنسان هي القضاء والقدر معا.

عندما يعرف الطبيب جهاز الدوران يستطيع أن يتخذ قراراً بأن يجري العملية أو لا يجريها. الطبيب يقرر أن يجري العملية أو لا يجريها – إذن هناك (نفي وإثبات) .. والعلاقة بين النفي والإثبات هي (أن هناك معرفة). ولا يمكن أن يكون هناك علاقة بين القضاء والقدر إلا بالمعرفة .. الذي لا يعرف شيئا لا يقضي، والإنسان يطلب الأشياء حسب معرفته، والذي لا يعرف لا يطلب. إذا ممكن صياغة المعادلة:

القضاء = القدر + المعرفة بالمقدرات

كيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ التوبة: ٥١ نلاحظ أولا أن الحديث جاء بصيغة الجمع

يُصِيبَنَا أي لكل أهل الأرض، أي لم يقل سبحانه وتعالى ((ما كتب الله لك)) . ماذا يعني

هذا؟ هناك آلاف الأمراض في هذا الوجود وأي إنسان يُصاب بمرض ما فهو من ضمن هذه الأمراض أي مما قدر الله ..

هناك حديث شريف

عن أبي العباس عبد الله بن عباس قال كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: " يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ شَيْءًا لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ شَيْءًا لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" رواه الترمذي ، وأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧) .

هذا الحديث لولا كلمتي **لَكَ** و **عَلَيْكَ** لتوافق مع الآية الكريمة مئة بالمئة .. وربما راو الحديث اضاف عن غير قصد هاتين الكلمتين على هذا الحديث لأن الأحاديث لم ترو كما نطقها الرسول بالضبط، وربما قال عليه الصلاة والسلام **لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ**، فأضاف الراوي دون قصد **لَكَ** و **عَلَيْكَ**.

لقد جاءت الرسالة والقانون الأخلاقي لتعلمنا المقدرات لأننا كلما تعلمنا المقدرات كلما زادت حريتنا.

الأطباء في بلادنا يجب أن يُحاسبوا إذن على التسبب بقتل مرضاهم وعدم التذرع بمقولة (لقد قضى الله أمره). كثيرا من الأحيان تكون سبب الوفاة إهمال الطبيب المسؤول عن إجراء العملية، أو نتيجة خطأ طبي تسبب في موت المريض ولذا يجب أن لا نحمل القدر أهملنا وأخطأنا. بلدان كثيرة لا يمارس الطبيب فيها مهنة الطب ما لم يكن هناك تأمين له، أما في بلادنا فاسهل شيء نقوله (لقد قضى الله أمره).

أيضا أمثال شعبية نتداولها ونحن مؤمنين بانها صحيحة مثل ((لَوْ صَبَرَ الْفَائِلُ عَلَى الْمَقْتُولِ كَانَ مَاتَ لَوْحْدَهُ)) هذا غير صحيح على الإطلاق. إذا كان الله قد قدر الأعمار سلفا فلم نلوم تلك الدول التي تقتل مئات الآلاف من البشر في حروب عبثية.

رب العالمين يقول ﷺ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ**

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤ لاحظ قوله سبحانه وتعالى **مَاتَ** أو **قُتِلَ**. فالموت شيء والقتل شيء آخر.

أن الاعتقاد أن الله منذ الأزل قد كتب لفلان أنه سيعيش ٣٠ سنة و ٤ اشهر و ٦ ايام و ١٢ ساعة و ٢١ دقيقة و ١٥ ثانية اعتقاد خاطئ.

الأعمال

أيضا إذا كانت أعمالنا كلها مكتوبة سلفا فنحن حاشى لله فإننا نتهم الله بنقصان المعرفة، لأن هذا الشيء يجب أن يحصل حتى يتحقق ما أَرَادَهُ اللهُ، وما علمه سبحانه وتعالى. هم بهذا القول وضعوا علم الله بالإحتمال الواحد، علما أن الله سبحانه وتعالى يعرف كل الإحتمالات التي ممكن أن تحدث ومعرفة لكل احتمال متساوية، والله سبحانه وتعالى لا يتدخل ليفرض على أي إنسان إختيار أي إحتمال من تلك الإحتمالات.

أمثلة توضيحية

- إذا كان علم الله سبحانه وتعالى واحد وأنَّ هناك فقط إحتمال واحد من بين العديد من الاحتمالات المتاحة أمامي أن أختار منها فهذا يعني أنني حين أرتكب معصية فإن علي أن أرتكبها، لأنني إن لم أفعل ذلك فإن هذا يعني أن الله لا يعلم – حاشا لله. أيضا إن كنت سأفعل ذلك فأين حرّيتي؟ ولماذا يحاسبني الله سبحانه وتعالى على أمر لا خيار لي فيه.
- إذا كان يجب أن آتي إلى هذا المكان، ورب العالمين عرف منذ الأزل أنني سأتي إلى هذا المكان وكتب ذلك في الإمام المبين، فأنا يجب أن آتي وإن لم أحضر فإنَّ هذا يعني أن الإحتمال الواحد الذي عرفه الله كان خاطئا وحاشا لله أن يكون كذلك.

الله يعلم كل الاحتمالات لأن علمه كامل، وكل الاحتمالات بالنسبة إليه متساوية.

- لو رغبت أن أسافر من مدينة (أ) إلى مدينة (ب) باستخدام القطار. نحن نعلم أن القطار يسير على سكة حديد محددة سلفا يجب أن تكون موجودة ليتحرك القطار عليها. في هذه الحالة أنا ليس لدي أي خيار باختيار الطريق التي سأسلكها من المدينة (أ) إلى المدينة (ب).
- لو فرضنا أنني قررت أن أذهب من المدينة (أ) إلى المدينة (ب) على ظهر حصان. في هذه الحالة هناك آلاف الطرق التي ممكن أن يسير عليها الحصان. لو أن هناك طائرة هيلوكوبتر تحلق في السماء وتصور حركة الحصان وتسجل حركاته، فإن الطائرة لن تفاجئ في أي وقت من الأوقات أين وكيف يسير الحصان .. والله المثل الأعلى هكذا نحن في حركتنا على هذا الأرض.

قال تعالى

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ ۝٣ ﴾

يَضَعُ سِنِينَ^٤ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ^٥ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

الروم: ٢ - ٤

هناك مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ^٥

بالنسبة لله لا يوجد زمن. بالنسبة لنا هناك من قبل ومن بعد، ماذا يوجد بينهم (الآن) .. الآن لي.

الله كامل المعرفة هناك ملايين الاحتمالات، أنا أخذ احتمال من هذه الاحتمالات، الله يسجل على لكن علم الله كامل من قبل وكامل من بعد. في لحظة الآن أنت تنتقل بإرادتك احتمال من قبل إلى احتمال من بعد. الأصل نحن بالإختيار. ثم يسجل ما اخترناه علينا

﴿ هَذَا كَتَبْنَا بِطُوقِ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ أَنْكُنَا^٦ نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٩

هذا دليل على حريتنا في الإختيار لأن أعمالنا تسجل علينا بعد حدوثها.

الحرية هي الحركة الواعية بين نفي وإثبات في شيء موجود، وكلما زاد الوعي كلما زادت الحرية.

القضاء الإنساني متطور وصاعد إلى الأعلى ومحوره القدر .. المعرفة بالمقدورات تعطيك مجال للقضاء لكي تقضي بين نفي وإثبات.

هناك حديث شائع

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال " : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ، فيقول : أي رب ، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ، ثم تطوى الصحف ، فلا يزال على ما فيها ولا ينتقص .

هذا الحديث ليس عليه إشكال ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ الزخرف: ٨٠ أُرسل تكتب ماذا سيحصل في كل لحظة، وهذا الحديث لا يعني أن الأمور مسجلة سلفا .. أيضا شقي أم سعيد تكتب حين الموت لأنه أصبح له كشف حساب. المشكلة إذن ليست في الحديث. المشكلة في فهم الحديث.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

مُبِينٍ ﴿١٢﴾ يس: ١٢

إذا الكتابة تحصل بعد أن يحدث الأمر وليس سلفا. تماما كقوله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... ﴾ التوبة: ٥١ لأن ما سيصيبنا هو واحد من ضمن الاحتمالات التي كتبها الله في الكون.

قضاء الله وقضاء الإنسان

هناك آية في كتاب الله تقول

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

الإسراء: ٢٣

وهناك آية أخرى تقول على لسان من آمن وتحدى فرعون

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۚ إِنَّمَا تَقْضِي

هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ طه: ٧٢

وورد القضاء الإنساني أيضا في قوله سبحانه وتعالى

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥

فهل قضاء الله يشبه قضاء الإنسان؟

الله يقضي والإنسان يقضي أيضا. والقضاء له علاقة بالمعرفة. الله سبحانه وتعالى كامل المعرفة، أما الإنسان فمعرفة ناقصة. إذا يظل القضاء الإنساني متطور متراكم.

الإنسان يقضي الآن في الطب، لكن قضاءه في الطب منذ ١٠٠ سنة كان أقل بكثير مما هو عليه اليوم. قضاء الإنسان إذن متراكم مع تراكم المعرفة ومتزايد مع تزايد المعرفة أيضا.

إذن الإنسان يقضي، لكن الفرق بين قضاء الله سبحانه وتعالى وبين قضاء الإنسان ناتج عن الفرق بين علم الله وعلم الإنسان. قضاء الله كامل (الله كامل المعرفة)، بينما الإنسان ناقص المعرفة.

الدعاء

الإنسان يقضي إذن والله يقدر .. ما دور الدّعاء؟ وهل يُغيّرُ الدّعاء من شيء في القدر؟ ما هو الدّعاء؟ ما ساحته؟ ما مناطه؟ ماذا يعني؟

قال الرسول الأعظم **رُتُوا الْقَضَاءَ بِالْدَّعَاءِ** .. لا يوجد شيئا مكتوب سلفا على الإنسان. إذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء سلفا على الإنسان كما يقولون، فلم الدّعاء إذن؟

الإمام المبين والذي يحتوي على أحداث الطبيعة الجزئية (تصريف الرياح، هطول المطر، إنجاب الأولاد ...) هو مناط الدّعاء الإنساني. **هنا يتدخل رب العالمين. والتدخل الإلهي يكون غير مباشر.**

لكن الله لا يتدخل في القدر. الله لن يُلغي الموت ولو دعا أهل الأرض كلهم جميعا، لكن الله سبحانه وتعالى قد يطيل الأعمار.

التدخل الإلهي الغير مباشر أعطانا الله مثالا عليه في قصة موسى والعبد الصالح. العقل الإنساني لم يفهم العبرة من أن يسبق فعل العبد الصالح عما يظنه أو يراه. الله تعالى قال عن العبد الصالح

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاثِيَتْهُ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

الكهف: ٦٥

ماذا تعني **لَدُنَّا** ؟ حين أقول لك ماذا لديك؟ هذا يعني ماذا عندك الآن. وبالتالي فإن **وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا**

عِلْمًا تعني أنه في اللحظة الراهنة، في المنطقة التي كان فيها العبد الصالح أعطينا صورة المكان الذي هو موجود فيه – أي أطلعه الله على غيب جزئي عن المكان الذي هو فيه.

الله سبحانه وتعالى لم يعط العبد الصالح غيب الماضي والمستقبل، بل أعطاه معلومات حاضرة عما هو موجود في الفترة التي هو يعيشها.

ما قام به العبد الصالح من خرق السفينة، وقتل الغلام وبناء الجدار كان لا بد لموسى عليه السلام أن يحتج على تلك الأفعال **لأن موسى عليه السلام يمثل القانون والعبد الصالح يمثل المعرفة.** المعرفة تتناقض مع القانون أحيانا. واجب القانون أن يحتج. لكن السؤال في قتل الغلام. هذا السؤال سنجيب عليه في فصل لاحق.

الأعمال والأرزاق

إختصَّ الله عزَّ وجل بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو، كما إنَّه سبحانه وتعالى لا يطلع على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول. ثمة أسئلة قديمة جديدة تتفرع عن هذا الأمر أبرزها: هل أرزاقنا وأعمارنا وأعمالنا محددة سلفاً؟ هل كتب الله علينا كل ما نقوم به من عمل؟ هل حَدَّدَ آجالنا مُسبقاً؟ هل نحن مخيرون في هذه الحياة أم أننا مجبرون للقيام بما كتب علينا؟

بين المشيئة الإلهية والخيار الإنساني تكمن علاقة ما، ما هي هذه العلاقة؟

المفهوم ألسائد أنَّ أعمالنا مكتوبة علينا سلفاً. هل هذا الاعتقاد صحيح؟

ألفعل والعمل

قبل أن نحاول أن نجيب على هذا الأسئلة علينا توضيح الفرق بين مفهومين أساسيين هما **ألفعل** و**العمل**. هل أعمالنا أم أفعالنا هي المكتوبة علينا سلفاً؟ الفرق كبير جداً بين ألفعل والعمل.

ألفعل هو **العملُ المَعْرِفُ**. أنا أقول لك ماذا تفعل؟ تقول: إني أكل – إني أقرأ – إني أجلس.

ضرب فعل ماضي وليس عمل ماضي. ألفعل عمل مَعْرِفُ بالضرب.

ألفعل يكون على وجه العموم. صيغة مصدرية مجردة. مثلاً

﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِبَلَاغٍ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ المائدة: ٦٧ أي لم تبلغ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا فَذُنُّوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩ أي إن لم تذروا

﴿كَرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ الانفطار: ١١ – ١٢

نأكل، نشرب، ننام ... هذه كلها أفعال. ألفعل محدد

رب العالمين يقول ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ الزلزلة: ٧ – ٨

لو قال ((من يفعل مثقال ذرة)) لوجب أن نعرف ما هو الفعل الذي إذا قمنا به هو مثقال ذرة. لكن رب العالمين خلق أفعال الناس كلها. الآية ﴿ قَالَ اتَّعَبُدُونِ مَا نَنحْسُونَ ﴾ ٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ الصافات: ٩٥ – ٩٦ الآية ٩٥ تحتوي على فعلين فلو جاءت الآية ٩٦ على الصيغة ((والله خلقكم وما تفعلون)) فإن هذا يعني أن الله سبحانه وتعالى قد خلق فقط هذين الفعلين (النحت والعبادة)، لكن الله خلق ما نعمل على وجه العموم.

العبادة عمل معرف، النحت عمل معرف، الأكل عمل معرف، الشرب عمل معرف .. العمل على وجه العموم غير معرف .. الفعل هو عمل معرف.

الأفعال

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ

قَالَ يَتَابِتِ **أَفْعَلٌ** مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ١٠٢ الصافات: ١٠٢

أَفْعَلٌ يعني إذبح.

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ١١٢ طه: ١١٢

لو قال سبحانه وتعالى ((ومن يفعل من الصالحات)) لوجب تعداد الأفعال الصالحة التي يجب القيام بها.. إفعل كذا، وإفعل كذا. لكنه سبحانه وتعالى تركها على وجه العموم. دائما مع الصالحات هناك عمل.

الله أثبت العلم ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا

وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ٩١ النحل: ٩١ كل الأفعال.

ونفى عن نفسه الجهل على وجه العموم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

مَنْ ءَامَنَ بَعَّغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ۚ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٩٩ آل عمران: ٩٩

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أثبت المعرفة على وجه الخصوص

وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ نفى عن نفسه الجهل على وجه العموم.

هل افعال الله معرفه له، نقول نعم ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) البروج: ١٦ وليس ((عَمَالٌ لِّمَا يُرِيدُ))

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ

اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤) الحج: ١٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم

بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) الأنعام: ١٥٩ على وجه الخصوص.

كثير من الآيات قدم فيها أفعال على العمل، أو العمل على الفعل.

إرادة الله كلها أفعال ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي

آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٤) الأنفال: ٤٤

شيء محدد

إذا استعرضت كل التَّنْزِيلِ الحكيم فإن الأفعال تذكر على وجه الخصوص، هناك فعل معين يتكلم عنه. أما الأعمال فتكون على وجه العموم.

الإنسان في عملية الإنتاج – عملية إنتاج السيارة مثلا تتم العملية بتقسيم العمل إلى أفعال أولية (خط سير الإنتاج).

الموظف في الدائرة الحكومية يقوم بالعديد من الأفعال (يأتي إلى العمل، يفتح الباب، يجلس على المقعد، يراجع الملفات، يتخذ قرارات ...) مجموعة أفعال.

هنا يتبادر سؤال على أذهاننا .. هل قدر الله علينا الأفعال أم الأعمال؟ أم إنه سبحانه وتعالى لم يقدر علينا أي منهما؟

الأفعال مخلوقة قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦١) الصافات: ٩٦ جعلها على وجه

العموم. لأنه لو قال سبحانه وتعالى ((وما تفعلون)) لكان الحديث عن أفعالين السابقين (الأنح والعبادة).

لو تأملنا الطبيعة لوجدنا أن الحرية موجودة في بنية الطبيعة ذاتها. لو أن الحرية غير موجودة في بنية الطبيعة لما تحدثنا عن الحرية نهائيا. في الطبيعة أيضا يوجد أضداد، ويوجد أزواج. قانون التكيف وقانون التأثير والتأثر، قانون الأضداد والحركة بين الضدين، قانون التناقضات (النتطور).

رب ألعالمين خلق الكف، القبض والبسط مخلوقين في بنية الكف وليس من اختراع الإنسان.

بنية الكون فيها حركة حرية ما.

الوجود موضوعي والخيار إرادي.

في بنية اليد هناك مفصل عند المرفق، نحن لا نستطيع أن نحرك يدنا إلى الوراء، أي ليس لدينا حرية الحركة إلى الوراء، لكن هناك حرية حركة باتجاهات أخرى.

هل ممكن أن نُغيّر التصميم في الطبيعة؟ أجب: نعم.

ممكن عمل روبوت بيد يستطيع تحريكها عند المرفق إلى الوراء.

تدخل الإنسان يكون ب

- **ألتقليد** فعل طيران أدى إلى اختراع الطيارة. لو أن الطيران غير موجود في الطبيعة لما خطر على بال الإنسان أن يفكر بالطيران. لكن الإنسان رأى الطيور تطير بأجنحتها فتوصل إلى اختراع الطائرة. إذا أفعال التي نراها في الطبيعة نقلدها إما بالتكبير، وإما بالتصغير، أو بتغيير المادة. في الطائرة مثلا استبدل الإنسان ريش الطائر بمادة في أجنحة الطائرة.
- **تغيير الترتيب** ممكن للإنسان أيضا أن يعيد الترتيب. ممكن للإنسان مثلا أن يعمل يدا بأربع مفاصل (في الطبيعة هناك مفصل واحد)

إذا الإنسان حين يتدخل فإنه يقلد، يكبر، يصغر، يغير المادة ويعيد الترتيب.

الإنسان يختار أفعاله وهي ليست مكتوبة سلفا وليست مقدرة علينا منذ الأزل

المعتزلة حتى يؤسسوا للحرية قالوا أن الإنسان يخلق أفعاله. الحرية موضوعيا لها وجود، لكن المطلوب أن يكون عندنا إرادة.

بقي أن نذكر أن هناك اصطلاح ورد في كتاب الله له علاقة فعل وعمل وهو **صنع**.

الصناعة هي إنتاج العمل.

قال تعالى ﴿وَالَّذِي مَّا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا **صَنَعُوا** إِنَّمَا **صَنَعُوا** كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ

حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ طه: ٦٩

﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

هود: ٣٧

﴿وَعَلَّمْنَاهُ **صِنْعَهُ** لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الأنبياء: ٨٠

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ النحل: ١١٢

لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ اليوم صنعوا القنابل الذرية كم كلفت؟ صنعوا حاملة الطائرات، كم

كلفت؟ صنعوا الصواريخ، كم كلفت؟ إذن تكلفة مادية + خوف مما صنعوا.

أخيرا نقول أن **الكسب هو مردود العمل**.

الأجل – الموت

عندما عرفنا الكتاب، قلنا إن أعمالنا كلها كتب، وقلنا أن هناك كتاب الصلاة، وكتاب الصوم، وكتاب

الموت وكتاب المرض وكتاب الحياة ... وقلنا إن كتاب الموت هو مجموعة العناصر التي إن

اجتمعت فإن الموت حاصل لا محال. ولذا فإنه ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ ولكن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ

كِتَابٌ ﴾

الكتاب يستطيع الإنسان أن يؤجله.

﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ كِتَابًا مَّوقُوتًا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١٠٣

كِتَابًا مَّوقُوتًا أستطيع الآن أن أقول لك متى صلاة العصر غدا. لكن الموت كِتَابًا مَّوَجَّلًا .

حتى يبين أن الأعمار غير ثابتة، قال تعالى

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ

إِلَّا بِعِلْمِهِ ۖ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿ ١١ ﴾ فاطر: ١١

هذه الآية أشكلت على البعض قالوا ما يُعَمَّر من مُعْمَر وينقص من عمر آخر، أي إن الله سبحانه وتعالى كتب طول العمر لأنسان وقصر عمر إنسان آخر. بينما الآية تتحدث عن نفس الشخص الذي يطول عمره أو ينقص.

إذن هناك كتاب يطيل الأعمار، وهناك كتاب ينقص الأعمار. من يضع هذا الكتاب؟

رب العالمين خلق الكتب كلها. كتاب الموت وكتاب الحياة موجودين في الطبيعة ﴿الَّذِي خَلَقَ

الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الملك: ٢ الموت والحياة من قوانين الطبيعة.

الكتاب ليس خط، الكتاب مجموعة الشروط التي إذا اجتمعت حصل الموت.

الأعمار تطول وتقصّر، كيف نستوعب ذلك؟

أمور كثيرة تحصل لنا نقول أنها حصلت بالصدفة. الصدفة موقف معرفي.

الله حين قال

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

بِمَقْدَارٍ ﴿٨﴾ الرعد: ٨

هذا لا يعني أنّ الإنسان لا يعلم ما تغيص الأرحام وما تزداد. هذا لا يعني أننا ممكن أن لا نعرف.

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ العلم اليوم كله يقوم على المقادير. تخطيط القلب مقادير، تحليل الدم مقادير، أعمليات مقادير. أدخلنا علم الكمبيوتر لنحول المعلومات إلى مقادير. عندما نركب دواء نقدر الكميات بالمليغرام. المقادير هي أحسن تعبير لفهم الوجود. الوجود الموضوعي هو القدر وأعلى مرحلة هذا الوجود يدرك بالقدر.

الموت والوفاة

اكتملت الشروط وجاء الأجل. النفس التي تتنفس تموت.

النفس هي التي تتخذ قرار مؤلفة من ثلاث عناصر:

- العنصر الأول: الفيزيولوجيا .. الغرائز، الأكل والشرب والجنس ...
- العنصر الثاني: القيم
- العنصر الثالث: المعرفة

هذه العناصر الثلاث تشكل النفس الإنسانية، وهذه تشكل إتخاذ القرار، ولهذا السبب فإنّ النفس الإنسانية تحاسب. التي تذوق الموت هي الأولى فقط. التي تتنفس.

هنا نريد أن نقول أن لا علاقة للروح بالموت كما هو شائع فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان يقول ((والذي نفس محمد بيده)) ولم يقل > والذي روح محمد بيده < وسنفصل معنى الروح في فصول قادمة.

نعود للنفس لنقول أنه سبحانه وتعالى حين قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا

فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ النساء: ٩٧ فإن المقصود هنا النفس الكاملة، ليس النفس التي تتنفس. النفس التي تتنفس + العنصرين الثاني والثالث يشكلوا النفس التي تتخذ القرار والتي تحاسب.

لنفهم معنى الوفاة نقرأ قوله سبحانه وتعالى

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَى

عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَنْفَكِّرُونَ ﴿٤٢﴾ الزمر: ٤٢

عندنا حالتين، حالة الموت وحالة الوفاة. هناك تشابه ما بينهما.

الوفاة ليست في النوم. **الوفاة تحصل أثناء النوم في المنام.** النوم ليس وفاة **المنام هو الوفاة.** رأينا منام مدته ثانية، نموت، نتحول إلى تراب ثم نصحو – نبعث، هذا لا يؤثر علينا هذا هو الوفاة.

لحظة الموت (دون رجعة) الإنسان يرى شيئاً ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾

الواقعة: ٨٨ – ٩٤ هذا المنظر الذي يراه الإنسان قبل موته يكاد يشبه المنام. هذا المنظر إما أن

يكون مريح أو غير مريح. لذلك قال عن فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ غافر: ٤٦ عرضهم على النار هو

تماماً كالمنام، بالنسبة للميت ثانية. هذا المنظر الذي هو الوفاة.

خلاصة نقول

الموت: هو موت عضوي إنتهاء الحياة، وتموت النفس التي تتنفس (بيولوجيا)

الوفاة: أيقاف كل شيء، صورة كالمنام، هذه الصورة إما جيّدة أو سيئة، وتبقى إلى أن تقوم الساعة ويصحى كما يصحو من المنام.

الأرزاق

أول ما يتبادر إلى الذهن حين يتم الحديث عن الرزق قوله سبحانه وتعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ الذاريات: ٣٢ وليأكدوا أنَّ رزق الإنسان مُقدَّر سلفاً من رب العالمين يستشهدوا

بقوله سبحانه وتعالى ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٤﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ الزخرف: ٣٢.

نقول أنَّ هذا الفهم لهذه الآيات غير صحيح. وللأسف فإننا نقرأ آيات كتاب الله دون أن نتدبرها فلا نفهمها كما أراد الله لنا أن نفهم.

الحديث في الآية ٣٢ من سورة الذاريات هو حديث عام لكل البشر وليس موجهاً لشخص محدد. الغطاء النباتي، ولحوم الحيوانات التي نعيش عليها كلها بسبب الماء، والماء مصدره السماء، والماء هو الرزق، كما قال سبحانه وتعالى في سورة الجاثية

﴿وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَالْحَيَاةُ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

الرِّيحِ ؕ إِنِّي لَفَتُّ لِقَوْمٍ لِّعَقْلُونَ ﴿٥﴾ الجاثية: ٥

إذا المطر هو الرزق الذي في السماء كما تبين الآية.

الغطاء النباتي يحتاج إلى الماء لكي ينمو، المياه الجوفية أصلها من السماء، الأنهار تتشكل نتيجة سقوط الأمطار وتجمعها في الأرض يتنفجر بعدها ينابيعها وأنهارا.

وبالتالي لولا المطر، لما كان نبات ولا عاش حيوان.

وأما قوله وَمَا تُوعَدُونَ فإشارة إلى أن الوحي أيضا جاء من السماء، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ

مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ السجدة: ٥ فالأوامر التي تأتي من رب العالمين إلى الملائكة والرسول تأتي من السماء.

وقوله سبحانه وتعالى ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٤﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

فإشارة إلى أنَّ الحياة الدنيا لا يمكن أن تقوم إلى على تنوع الاختصاصات. هناك الأستاذ والمزارع ومخترع الطائرة و... إلى ما هناك من اختصاصات.

الأستاذ مسخر أن يعلم ابناء المزارع، والمزارع مسخر أن يزرع لناكل كل مسخر لخدمة الآخر

لنستمر الحياة على هذه الأرض ﴿لِئَلَّا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا

يَجْمَعُونَ﴾ الحياة الإنسانية لا تقوم بأن يعمل الإنسان كل شيء لوحده.

الحياة الإنسانية حياة إجتماعية متطورة، وكلما تطورت الحياة زاد التقليل. هناك تطور في جميع الميادين قائم على التقليل.

المعرفة صاعدة ومحورها ألقلم، والقضاء الإنساني صاعد ومحوره ألقدر.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

هنا الحديث عن المجتمع الإنساني ككل وليس كشخص، لا يمكن أن يكون هناك تكافؤ في الإمكانيات بين جميع عناصره. إذا كما قلنا أنا مسخر لك بمجالي، وأنت مسخر لي بمجالك ولكن قد يكون أجرك أعلى من أجري، إذ لا يمكن أن تتساوى الأجور في كل الأعمال. هنا جاء مفهوم الزكاة والصدقات وأعمال الخير والتكافؤ الاجتماعي، الضمانات والتأمين الصحي ... لتؤكد أن هناك مجتمع إنساني وأن هناك قيم.

الرزق إذا من عمل الإنسان ويتفاوت من شخص لآخر وللرزق مصدران، الطبيعة وعمل الإنسان

﴿وَأَيُّهُمْ لَّهُمُ الْأَرْضُ أَلَمِيتُهُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٣٣) وَجَعَلْنَا

فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا

عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ يس: ٣٣ - ٣٥ هذا بالنسبة لجميع اهل الأرض.

إذا مصادر الرزق

- هي خيرات الطبيعة (بهائم، نباتات، أنعام، معادن ...)
- عمل الإنسان (صناعة، تجارة، طب، وكل الأفعال)

هنا يجب أن يكون كفاءة في التوزيع. لكن في الحقيقة فإن هناك تقصير إنساني. فإله سبحانه وتعالى لم يكتب على سكان إفريقيا المجاعة، كما أنه لم يكتب على الأوروبيين التهمة. لكن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وأنانيته هي التي أدت إلى ذلك.

الشَّهَوَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَمَفَاهِيمُ الْجَمَالِ

كتب قليلة نظرت إلى مفهوم الجمال والشهوات الإنسانية والغرائز وما زين للناس والمتاع وكل ما يعني ذلك. لكن الدكتور محمد شحرور ربط بين هذه التعبيرات والإصطلاحات ليستنتج مفهوما جديدا. قال تعالى في سورة آل عمران:

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ آل عمران: ١٤

قبل الحديث في مفهوم هذه الآية يجب توضيح الفرق بين مفهوم الشهوة ومفهوم الغريزة

الشَّهَوَاتُ وَالْغَرَائِزُ

الشَّهَوَاتُ إِنْسَانِيَّةٌ وَالْغَرَائِزُ بَهِيمِيَّةٌ. **الإنسان في الغرائز** سلوكه سلوك بهيمي بحث. الغرائز هي الطعام، الشراب، الجنس والبقاء. هذه أمور غريزية موجودة في الإنسان وفي البهائم أيضا. البهائم تأكل وتشرب وتمارس الجنس وتتكاثر.

الشَّهَوَاتُ شيء مختلف تماما عن الغرائز. الشهوات هي رغبات واعية. الله سبحانه وتعالى قال **زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** وما دام الحديث عن الناس فهذا يعني أن هناك قيم وهناك معرفة. الشهوات شيء داخل في مُدركات الإنسان، يريد من إدراك وليس بشكل أوتوماتيكي.

حين تحدث الله سبحانه وتعالى عن الفاحشة قال ﴿ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا

سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ

النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ الأعراف: ٨٠ - ٨١ قال أن قوم لوط عليه السلام

يأتون الرجال شهوة، هذا يعني أنهم مدركون تماما لما يقومون به وإنهم يقومون بهذا العمل عن سابق إصرار وترصد.

الإسراف ليس الزيادة كما يفهم البعض. **الإسراف هو الوقوع في الحرام**. قال تعالى

﴿ يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ الأعراف: ٣١ لا يعني لا تأكلوا كثيرا ولا تشربوا كثيرا.

﴿ ... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ﴿٤٣﴾ غافر: ٤٣ حصرا هم أصحاب النار.

﴿... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) يونس: ٨٣ هل هذا يعني أن فرعون كان يأكل كثيرا أو يشرب كثيرا ... أبداً هذا يعني أنه وَقَعَ في الحرام.

الإنسان ممكن أن يعزم أشخاص خمس ويذبح عشرة خراف، هذا ليس إسراف **هذا تبذير**. الإسراف أن أعطيك لقمة واحدة من لحم الخنزير. ولذلك قال سبحانه وتعالى **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**.

ولأن الإسراف يكون في حقل الحرام، ولأن الإسراف يحتاج إلى مغفرة رب العالمين، قال تعالى

﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) الزمر: ٥٣

بعد مفهوم الغريزة والشهوة والإسراف والتبذير نقول إن الحياة الإنسانية والاقتصاد الإنساني يقوم على هذه الشهوات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران – الآية ١٤، ولولا هذه الشهوات لتضرر أكثر من ٩٠٪ من الاقتصاد العالمي. هذه الآية قرآن ومصادقيتها يجب أن تظهر في كل عصر وفي كل مكان بدءاً بعثة الرسول الخاتم وحتى قيام الساعة.

عندما تحدث سبحانه وتعالى عن قوم لوط عليه السلام قال **مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ** ولم يقل ((ما سبقكم بها أحد)). ظاهرة اللواط التي كان يمارسها قوم لوط لم يسبقهم بها من أحد لأنهم كانوا

يمارسون اللواط علني وجماعي ولذلك قال ﴿... وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾

العنكبوت: ٢٩. كانوا يتنادون لإرتكاب الفاحشة. إذن ظاهرة اللواط كعمل فردي ربما تكون موجودة قبل زمن لوط عليه السلام، لكن بالطريقة التي كان قوم لوط يمارسونها كانوا هم أول من فعلها. ولقد

كانوا مدركين تماما لما يفعلوه ولذلك قال تعالى **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً**. لهذا وجب عقابهم.

كون الشهوة ليست بهيمية فإن فيها حساب. لاحظ ذكر الشهوة مع الجنة

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) الأنبياء

الإنسان في الجنة يعرف ماذا يريد.

﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْلَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (٣١) فصلت: ٣١

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ

الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧١) الزخرف: ٧١

إذن في الجنة شهوات محققة وليس غرائز، كل الشهوات التي نريدها موجودة في الجنة. الحياة هناك ليست بهيمية، وطلب الأشياء فيها يكون عن سابق معرفة وتصور.

إذا قوم لوط لم يعاقبوا على الشهوة، ولكن عوقبوا على الإسراف. الشهوة هنا ذكرت لكي يبين الله سبحانه وتعالى إن تصرف قوم لوط لم يكن غريزيا وإنما كان عن سابق إصرار وترصد، أي تصرف واعٍ مُدْرَك.

شهوة الجنس

الغريزة سلوك غير واعٍ. الجنس مثلا غريزة بالنسبة للإنسان وبالنسبة للحيوان أيضا. لكن الإنسان إلى جانب هذه الغريزة فقد أضاف إليها الشهوة وذلك عن طريق مُقَدِّمَاتُ العملية من عطور ولأنجيري وزينه وكلمات تنثير الطرفين. هذه شهوات تولدت من خلال الحاجات، ولذلك يقال لمن يمارس الجنس بدون هذه المقدمات أنه يمارسه بشكل بهيمي، تماما كالحيوان الذي تدفعه غريزته لذلك.

شهوة الأكل

الإنسان أيضا حول غريزة الطعام إلى شهوة. النمر مثلا يأكل لحم فريسته نيئة بلا ملح وبلا بهارات وبدون شواء. الإنسان حين يريد أن يأكل فإنه يستعمل الشوك والسكين والملعقة، والملح والبهارات ويأكل اللحم إما مشويا أو مقليا أو حسب ما تشتهي نفسه ويضع إلى جانبه أنواعا من السلطات التي تزيد شهيته للأكل. حتى أننا نستخدم التعبير العامي ((أشتهي هذه الأكلة)) لأن معرفة الإنسان دخلت في تجهيزها

شهوة الشراب

الشراب أيضا حوله الإنسان إلى شهوة. فهو على خلاف الحيوان الذي يشرب الماء نرى الإنسان يشرب أنواعا مختلفة من المرطبات بالإضافة إلى الماء. والإنسان يرطب الشراب حسب رغبته ويستعمل الأكواب حسب ذوقه.

الحيوان لا يدخل أي معرفة سواء على الجنس أو الأكل أو الشراب وإنما يقوم بهذه الأشياء بشكل غريزي.

التبذير والإسراف

قلنا أن الإسراف يكون في الحرام.

التبذير يكون في الحلال. قال تعالى

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٢٧) الإسراء: ٢٦ - ٢٧

الشيطان يُضلك حتى في الحلال. الصدقة مثلا يجعلك تتصدق بكل ما تملك ولا يبقي لديك شيئا وهذا لا يجوز.

الزينة

قال تعالى

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ الكهف: ٧

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ ٦٠ ﴾ القصص: ٦٠

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتَن تَرُدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

أُمْتَعِكُنَّ وَأُسْرِحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٨

الله رب العالمين جعل الغابات والجبال زينة للأرض. والله سبحانه وتعالى جعل لنا في هذه الحياة الدنيا أشياء نتمتع بها ونزّين بها أيضا.

نعود الآن للشهوات الإنسانية المذكورة في الآية ١٤ من سورة آل عمران وهي: النساء – البنين – القناطير المقنطرة من الذهب والفضة – الخيل المسومة – الأنعام والحرث ونحاول أن نفهم ماذا تعني كل واحدة من هذه الشهوات.

الآية ذكرت أن هذه الشهوات هي متاع الحياة الدنيا، وهذه الشهوات هي كما قلنا اساس الإقتصاد العالمي.

ثانيا هذه الشهوات كلها في مجال الحلال ولا يوجد حرام واحد ضمنها.

بدأت الآية بقوله سبحانه وتعالى **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** وانتهت بقوله **ذَٰلِكَ مَتَعُ**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إذن الحديث يدور حول أشياء – متاع.

الآية تتحدث إذا عن أشياء – أغراض، وبعد تعداد تلك الشهوات تنتهي الآية بقوله **ذَٰلِكَ مَتَعُ**

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فهذا دليل على أن تلك الشهوات عبارة عن أشياء ولا علاقة لأي عاقل بها.

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ ﴾ الناس هم ذكور وإناث مصداقا لقوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات: ١٣ .. والناس موجودون في كل العالم، في نيويورك وموسكو وطوكيو وفي مكة والقاهرة ودمشق .. والله يُذَكِّرُ الناس، كل الناس، والله حق وقوله الحق، لذا يجب أن نرى مصداقية هذا الخبر القرآني في كل مكان وكل زمان على سطح هذه الكرة الأرضية.

ما هي هذه الشهوات التي زينت للناس؟ لنشرحها واحدة واحدة

النساء

النساء في اللغة إما جمع امرأة وإما من النسبي.

المتكلم عندما يخاطب السامع لا يقصد إفهامه معاني الكلمات المفردة وإنما النظم. من خلال النظم نفهم أن النساء في هذه الآية لا يمكن أن تكون جمع امرأة، فلقد قال أنها متاع الحياة الدنيا ووضعها مع الأنعام (الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم ...) فهل المرأة شيء؟ وهل ممكن أن توضع المرأة مع الأنعام؟

إذا فهمت النساء هنا على أنها جمع امرأة فمن حق من يهاجم الإسلام أن يقول أن المرأة غير محترمة في الدين الإسلامي.

هنا في هذه الآية النساء متاع (شيء)، وبالتالي يجب أن تكون من النسبي ووضعها سبحانه وتعالى كشهوة أولى في هذه الآية. وفي الواقع فإن ٩٠٪ من صناعات أهل الأرض تقوم على هذه الشهوة. النسبي هو المتأخر من الشيء. إنتاج ٢٠١٠ تأخر عن إنتاج ٢٠٠٩. الإنسان في كل شيء يشتهي ما استجد، وهذه هي الشهوة رقم واحد عند كل سكان الأرض. تصور لو أن الإنسان يلبس فقط من أجل أن يقي جسمه من البرد، النتيجة تكون أن مصانع الألبسة ستتوقف عن الإنتاج، لأن الشخص سيظل يلبس نفس أثوب حتى لا يعود صالحا. لكن الإنسان في ملبسه يتبع الموضة ولهذا تسمر مصانع الألبسة بإنتاج كل جديد.

هذه الشهوة موجودة عند كل الناس كما قلنا.

ما استجد من الأشياء، كل الأشياء: لباس، طعام، شراب، سيارات، أجهزة إلكترونية، كل صناعات أهل الأرض، لو إن شهوة التجديد هذه غير موجودة ماذا حصل للصناعات العالمية؟

هذه متاع الحياة الدنيا، الحديث هنا ليس عن الآخرة فلا يحتج أحد ويقول وهل على الإنسان أن ينظر لهذه الشهوات؟

قد يتساءل البعض، ماهي الصناعات التي كانت منذ عشرة قرون مضت؟ نقول حتى من عشرة قرون كان هناك صناعات وكان هناك تطور ولكنه كان بطيئا. هذا أولا. وثانيا من قال أن القرآن هو لجبل معين أو لزمان معين أو لمكان معين؟ كتاب الله لا تنقضي معجزاته حتى قيام الساعة؟

أيضا إذا فهمنا النساء هنا على إنها جمع إمراة نكون إلى جانب إساءتنا للمرأة قد أخرجنا النساء من الناس، وكان الآية موجهة للرجال وكأن قوله سبحانه وتعالى **زَيْنَ لِلنَّاسِ** تعني زين للرجال. أما إذا فهمنا النساء على أنها من النسيء - المتأخر من الشيء، فإننا نرى حينها مصداقية الخبر القرآني في كل زمان ومكان على سطح كوكبنا الذي نعيش عليه.

وَالْبَيْنِ

هنا أيضا إذا فهمنا البينين على أنها الذكور من الأبناء نكون قد وقعنا في مشكلة. فالبينين أيضا لها معنيين، فهي إما

- الذكور من الأولاد
 - مجموعة الأبنية (الأموال غير المنقولة) من فعل بَنَنَ
- أي مفردة آخرها هاء مثل بننه فإن جمعها بنان وجمع أجمع بنون وفي حالة ألنصب بنين. كذلك نقول (كنانة - كنان - كنون)، (ظنانة - ظنان - ظنون) .
- إن سياق الآية هو الذي يُحدِّدُ المعنى. ولقد وردت لفظة (بنون) في كتاب الله بالمعنيين. أحيانا بمعنى الذكور وأحيانا بمعنى البنيان.
- بمعنى الأبناء الذكور، كما في قوله سبحانه وتعالى

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩) الصافات: ١٤٩

﴿ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَيْنِ ﴾ (١٥٣) الصافات: ١٥٣

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ (٣٩) الطور: ٣٩

في هذه الآيات فإن الْبَنُونَ ، أو الْبَيْنِ تعني الأولاد الذكور

لكن لو تأملنا الآيات

﴿ وَأَنْقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ (١٣٣) الشعراء: ١٣٢ - ١٣٣

هل هذه الآية تعني أن الله يُمنِّهُمُ أنه سبحانه وتعالى أعطاهم دواب وأولاد ذكور؟ ماذا بالنسبة للبنات؟ هذه الآية تتحدث عن قول هود عليه السلام لقومه. **وَبَيْنَ** هنا تعني البنيان لأن سياق الآيات

التي قبلها يشير إلى ذلك ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩

لماذا وضع سبحانه وتعالى الأنعام مع البنين؟

الأنعام لم تذكر إطلاقاً مع نوح عليه السلام. الأنعام ذُلت في الفترة التي امتدت بين نوح وهود عليهما السلام. أي إن الإنسان لم يستقر (شيد البنين) إلا بعد أن ذلل الأنعام .. ذلل الأنعام فاستقر. هذا هو الخبر أقراني. المؤرخون يؤكدون ذلك أيضاً.

﴿ أَلَمْ آتِ الْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمْلاً ﴾ (٤٦) الكهف: ٤٦

هل المقصود أيضاً بهذه الآية الكريمة أن المال والأولاد الذكور هم زينة الحياة الدنيا؟

ما معنى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ ؟

حديث شريف

حدثنا **النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ** ، أَخْبَرَنِي **أَبُو أُوَيْسٍ** ، حَدَّثَنَا **الْعَلَاءُ** ، عَنْ **أَبِيهِ** ، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : **مَالِي مَالِي** ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ **مَالِكَ ثَلَاثٌ** : مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ دَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ " .

قال الفقراء للرسول الأعظم، يا رسول الله الأغنياء يتصدقوا ونحن ليس عندنا شيئا نتصدق به. فقال لهم: قولوا سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فظنوا أن الباقيات الصالحات هي هذه الأقوال.

الباقيات الصالحات هي ما تصدقت به من المال أو البنين (البنان).

السياق هنا يبعدنا عن فهم البنين على أنها الذكور من الأبناء. كما أن صدق الخبر يظهر أن المال والبنان زينة الحياة الدنيا.

أيضاً قوله سبحانه وتعالى في الآيات

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ (١٣)

المدر: ١١ - ١٣ ... بنين شهودا .. والبنات لا؟

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩

يعني هل تنفع البنات؟

في هذه الآيات لا يتحدث عن الأبناء الذكور. الحديث هنا عن ألبنيان. الأهرامات شهود. فرعون لن ينفعه الهرم الذي بناه (بنون هنا من بناء)

وَالْبَنِينَ إذا هي أشياء، أموال غير منقولة عمارات، قصور، حدائق، مصانع ... وما شابه ذلك.

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

ما هي القناطر؟ وما هي المقنطرة؟

الذهب والفضة موجودان كفلزات في داخل الأرض على عمق ١٠٠٠ متر تقريبا. الناس لا تنتهي الذهب والفضة في هذه الحالة. الذهب يجب ان يُستخرج من باطن الأرض ثم يُصنع. لو ذهبنا إلى أي صائغ في العالم لوجدنا أن الذهب والفضة مقنطر، على شكل قنطرة (منحنى - Curve). الخاتم، الإسورة، المحبس، العقد، الحلق، حتى الأونصة في نهايتها منحنى.

إذا الذهب أو الفضة في باطن الأرض على شكل فلزات لا يشتهيها أحد، عندما يُستخرج من باطن الأرض ويُصنع ويُقنطر يصبح شهوة. تدخل إليه معرفة – الشهوة فيها معرفة.

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

المُسَوَّم .. أي فيه قوة. قال تعالى

﴿ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (٨٣) هود: ٨٣ كل ما يملك قوة

إندفاع هو مسوم "سيارة، طائرة، قطار، دراجة نارية ...". أي كل وسائل المواصلات، كلما تفنن الإنسان بها تدخل في الشهوات. الخيل أحدها، ولو كان المقصود الخيل فقط لما ذكرت لوحدها لأن الخيل من الأنعام وقد ذكر سبحانه وتعالى الأنعام على أنها من الشهوات. كم يشتهي الناس وسائل المواصلات وكم يرغبوا بامتلاكها.

وَالْأَنْعَامِ

شهوة الناس للأنعام واضحة و داع للحديث عنها فنحن نرى كيف ينشئ الناس المزارع ويهتموا بتربية الأنعام، وهي موجودة في كل الدول حيث يستفيد الناس منها في مجالات عدة: مواصلات، لحوم، حليب، جلود لصنع الملابس والأحذية ...

وَالْحَرْثِ

الحَرْث تعني بالضبط المكسب.

عبد المطلب رُزِقَ بمولود سَمَاهُ الحَارِثُ، سألوه لم اخترت له هذا الاسم، فأجاب هذا الكسب. أيضا حرث الدنيا: مكاسب الدنيا، حرث الآخرة: مكاسب الآخرة.

الناس تحب الربح والكسب.

الحرث في الزراعة هو ألغلة، وليس الأرض. ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) الأنبياء: ٧٨

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣) البقرة: ٢٢٣

لقد قرأوا هذه الآية فظنوا أنها تشير إلى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة. علما أن الآية السابقة

لهذه الآية قد حَسَمَتْ أمر تلك العلاقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا

النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) البقرة: ٢٢٢ هذه الآية جامع مانع، لقد

حدد الزمان والمكان ولا نحتاج لنقول أكثر من ذلك.

نِسَاؤُكُمْ يخاطب الذكور والإناث (ميم الجماعة).

حَرْثٌ لَكُمْ كل ما يستجد من الأشياء هو مكسب لكم.

زمن التَّنْزِيل في القرن السابع، نحن الآن في ألقى ألواد والعشرين، لقد استجد آلاف الأشياء منذ زمن التَّنْزِيل حتى اليوم. هل سنسأل عن كل جديد هل هو حرام أم حلال؟ لقد حسم رب العالمين لنا هذه القضية فقال تعالى كل ما يستجد هو مكسب لكم. لكن علينا أن ننقي الله في كل ما استجد وأن لا نستخدمه إلا كما يريد الله.

قلنا عندما تحدثنا عن النَّفْس أن النفس الإنسانية تتألف من عناصر ثلاث: الغرائز، القيم والمعرفة. والقيم هي ضمن السلوك الإنساني. الغرائز والمعرفة تعطي الشهوات. هذه الشهوات تضبط بالقيم. **الشهوات في النفس الإنسانية، والغرائز في النفس البشرية.**

أين جاءت نساء في كتاب الله دون أن تعني جمع امرأة؟

○ سورة النساء.

النساء هنا لا تعني جمع امرأة. هناك أحكام أُخْرِت وجاءت للرسول أختام دون غيره من الرسل، ضُمَّنَتْ في سورة النساء مثل الإرث. الإرث لم يأتِ لرسولٍ قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

○ نَسَائِهِنَّ فِي سُورَةِ النُّورِ. هُنَا تَعْنِي الذُّكُورَ حَصْرًا أَيْ الْبَنِينَ وَالْحَفْدَةَ لِلذُّكُورِ

الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتٍ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور: ٣١

كَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ الْأَحْزَابِ: ٥٥

أَهَمُّ شَيْءٍ حِينَ نَقَرَأُ التَّنْزِيلَ الْحَكِيمَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ الْخَبَرَ الْقُرْآنِي صَادِقٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَوْلُهُ الْحَقُّ.

ضَمِنَ مِمَّا رَسَدَ هَذَا الْمَتَاعُ وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ صَارَ هُنَاكَ جَنَّةُ وَنَارُ وَاللَّهُ لَا يَعْبُدُ إِلَّا هُنَا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَوْ رَحْمَةٌ. رَبُّ الْعَالَمِينَ يَتَكَلَّمُ عَنْ شَيْءٍ أَمَامَنَا أَصْبَحَ أَكْثَرَ وَضُوحًا عَنْهُ أَيَّامُ الْأَصْحَابَةِ.

الأوثان – الأصنام – النحت

الله سبحانه وتعالى طلب منا إجتنب الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَلَمْ يَطْلُبْ مِنَّا إجتنب الأوثان ذاتها. قَالَ

تَعَالَى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. وَأُحِلَّتْ لَكُمْ

الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا

قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ الحج: ٣٠

الوثنية ظاهرة عامة .. عبادة النجوم وثنية، عبادة الشمس وثنية، عبادة القمر وثنية، تقديس النار وثنية.

الرَّجْسُ هو الاختلاط في الأمور، الإنسان يصنع تمثال من البرونز مثلا، على الإنسان أن لا يختلط عليه الأمر أن هذا التمثال ينفع أو يضر.

إذا كان هناك من يعبد الشمس فهل نُفَجِّرُ الشمسَ أو نسكن في قبو بحيث لا نرى الشمس. لذلك أمرنا الله أن نجتنب الرِّجْسَ من الأوثان، لأن الوثنية هي الظاهرة العامة .. الرِّجْسَ في عقل الإنسان ليس في الخارج.

الشعر والأدب

الشعر والأدب من أرقى أنواع الفنون لأنهما يعبرا عن جمال الكلمة، والكلمة إذا كانت جميلة يسهل وصولها .. الطغاة دائما أعداء الكلمة. القرآن الكريم صيغ صياغة كلامية بأرقى ما يمكن. القرآن الكريم لم ينتقد الشعر والأدب، لكنه انتقد عدم الالتزام

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦

فن العمارة الإسلامية

طغت الفنون على هذا الفن لأنه كان في ذهن أصحابه أن الرسم والنحت لا يجوز ممارستهم إسلاميا. إذا اعتُبر كل من الرسم والنحت من المحرمات، ولذا فقد انتشر فن الخط العربي بشكل كبير، ومن هنا فقد امتاز الخط العربي بأشكاله الرائعة. هنا انعكست الثقافة على هذا الفن.

فن العمارة الإسلامي مفتوح داخليا مغلق خارجيا. تراه من الخارج عادي جدا ولكن ما إن تلج إلى داخله حتى تراه مطلقا على مناظر تسر العين .. هذا ناتج عن تأثير الثقافة على الفن كما قلنا.

آدم ونشأة الكلام الإنساني

تكمُن الأهميّة البالغة لقصة آدم في القرآن بأنها

- تُبنى عليها قصة الخلق في كل الدِّينَات
- منها بداية المُخالفة والخطيئة والمعصية
- فيها نشأة التّعليم والكلام الإنساني
- هي بداية نفخة الرّوح من الله عزّ وجلّ في المخلوق
- هي نقلة من الجنّة إلى سواها
- بداية إستخلاف الله سبحانه وتعالى لخليفة في الأرض، وكذلك التكليف والوعي وقضايا كثيرة سنحاول أن نفهمها في هذه الفصل.

قصة آدم وإبليس والجنّة من أكثر الآيات تشابها في القرآن الكريم، تحتاج إلى تأويل. والتأويل النهائي

للاية هي حين تتحول إلى حق ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧) الأنعام: ٦٧ وبما أنها أنباء من الماضي يجب أن نعتمد على الحفريات والدراسات والصور وكل ما توصل إليه العلم للتأكد مما حصل في السابق. هذا توجيه من رب العالمين لنا بأن نقوم بهذه الأشياء للوصول إلى الحقيقة، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ﴾

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ العنكبوت: ٢٠ .

نعود لقصة آدم في القرآن الكريم. قال تعالى

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي

فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ص: ٧١ - ٧٢ إذا نفخة الروح جاءت بعد التّسوية. ما هي الروح؟

الآيات البينات هي الحق، والحق هو الوجود الموضوعي خارج الوعي الإنساني. كل آيات القرآن حق.

﴿وَإِذَا نُنَاطِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧) الأحقاف: ٧

آيات الأحكام ليست حق.

عندما سئل الرسول الأعظم عن الرّوح كان الرّد الإلهي ﴿وَسْأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ

مِن أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) الإسراء: ٨٥ لقد فهموا كما لو أنّ الله

سبحانه وتعالى أمرنا أن لا نسأل عن سر أَلرُّوح لأنها من إختصاص ربِّ العالمين. ربِّ العالمين في هذه الآية أجاب بقوله سبحانه وتعالى: قُلِ أَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .

أَلرُّوح هي ما يُقال عنها الذاتي – أَلشيء الذي لا يوجد له وجودٌ موضوعي.

الصوم مثلاً، له وجود ذاتي، الوجود الموضوعي للصوم هو الإنسان، الصوم هو سلوك ما. نحن نرى إنساناً صائماً ولا نرى شيء مجرد اسمه الصوم. كذلك الصلاة والتقوى والإحسان. إذا أَلروح هي من أوامر رب العالمين. **وَالرُّوحُ قَسَمِينَ: أوامر رب العالمين والمعلومات التي أعطاها رب**

العالمين، ولذلك قال تعالى قُلِ أَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا جبريل عليه السلام نقل الأوامر والمعرفة إلى الرسول الأعظم. أَلتنزيل الحكيم يحتوي على مجموعة أوامر ونواه. هذه الأوامر والنواه حملها جبريل عليه السلام إلى الرسول الأعظم.

لنتأمل بعض الآيات التي وردت فيها لفظة أَلروح

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣

بالنسبة لمريم عليها السلام ﴿ ... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٧

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴿٢﴾ ﴾ النحل: ٢

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ القدر: ١ - ٤

- أَلروح هو الذاتي (Subjective)
- أَلروح أوامر رب العالمين
- أَلروح المعلومات والمعرفة.

الإنسان تميّز أَلرُّوح، أعطاه الله المعلومات والمعرفة. وأعطاه الأمر والنهي. وأنزل الكتاب روحاً من أمره، ولذلك فإن الآية التي تأتي مباشرة بعد الآية التي تم الإجابة فيها على السؤال حول أَلروح توضح هذه القضية

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ أَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

وَلَيْنَ شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾

الإسراء: ٨٥ - ٨٦

إنَّ المفهوم السائد أنَّ أَلرُّوح هي سر الحياة هو مفهوم خاطئ، فلا علاقة للروح بالحياة. الله خلق الموت والحياة، والموت والحياة لا علاقة لهما بالروح. الله سبحانه وتعالى أعطى أَلرُّوح لآدم ولم يعطها للبهائم. أَلبهائم ليس لها أرواح. إذن:

- أَلرُّوح ليست سر الحياة
- أَلرُّوح هي سر الأنسنة (تحويل البشر إلى إنسان)
- أَلرُّوح هي أوامر رب العالمين ونواهيهم
- أَلرُّوح هي المعرفة

ماذا تعني النفخ

النفخ هو عملية الإسراع في الشيء

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ﴿٧٢﴾ ص: ٧٢ تسريع لتحويل البشر إلى إنسان

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ الزمر: ٦٨ تسريع في الصيرورة للكون

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ ﴿٩٦﴾ الكهف: ٩٦ تسريع أشعال النار

النفخ هو ما نسميه (الطفرة) – تسارع في عملية ما. نحن ننفخ في النار حتى نزيد اشتعالها – هذا واضح في آية (الكهف: ٩٦)

البشر

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ الروم: ٢٠

التحريات والحفريات تشير إلى أنَّ البشر المنتصب قد وجد من ٥٠٠ مليون سنة. الإداة **ثُمَّ إِذَا** تفيد

التعاقب مع التراخي. **إِذَا** شرط لما يُستقبل من الزَّمن، لو أردنا أن نعبر عن مسافات زمنية طويلة

جدا نستعمل **ثُمَّ إِذَا** .

المسافة بين التراب إلى البشر المنتصب أخذت ملايين السنين. حين صار بشرا إنتشر في الأرض. قبل أن ينفخ فيه أَلرُّوح كان البشر يعيش في المملكة أَلْبهيميَّة، لكنه كان منتصبا على قدميه. أي إن

الإنسان لم يكن على أربع كباقي البهائم.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَكَرِيمٌ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَّكَ ﴿٧﴾﴾

الانفطار ٦ - ٧

خُلقك، فسواك فعذلك ... أي إنَّ الإنسان كان أربع فوقف.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَزْوَاجٌ

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصِرُّونَ ﴿٦﴾ الزمر: ٦

بداية الخلق كان وحيد الخليّة، وكان التكاثر ذاتي ثم جاء قانون الزوجيّة ثم جعل (تغيير في الصيرورة) - حتى أن العلم المادي يقول ذلك.

ربّ العالمين أمرنا أن نسير في الأرض لنرى كيف بدأ الخلق. لو لم تكن قادرين على ذلك لما طلب الله منا ذلك. إذا علينا أن نسير في الأرض ونفهم بداية الخلق كيف حصل وأن لا ننتظر أن يأتي الغرب ليقول لنا تلك الحقائق ثم نقول أن القرآن أشار إلى هذه الحقيقة منذ ١٤٠٠ سنة.

الأنثى جاءت بعد الذكر، ونحن نعرف أن الذكر يحتوي على كروموسومين (X,Y)، المرأة عندها كروموسومين (X, X). إذا المرأة تعطي دائماً X، أما الرجل فيعطي X وفي هذه الحالة يكون الجنين أنثى أو يعطي Y وفي هذه الحالة يكون الجنين ذكر. إذا هكذا نفهم ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا.

ولكن ما هي علاقة وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجٌ بالسياق

هذه إشارة على أن البشر ظهر على سلم الخلق مع الأنعام ((حتى الآن نحن نتكلم عن البشر أي قبل أن يتأنس)) . إذن البشر خلق مع الأنعام وانتصب.

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ

- بدأ الخلق في البحار (الظلمة الأولى)
- الظلمة الثانية البرمائية (البيض)
- الظلمة الثالثة (ظلمة الرحم)

تطور الإنسان في بطن أمّه يعطيك هذه الظلمات.

- الظلمة البحرية (الخلية)
- الظلمة البرمائية (الخلاص)
- ظلمة الرحم

خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلُمَتٍ ثَلَاثٍ أَي إن هناك ثلاث مراحل من التصميم.

هذه الآية من الآيات البينات – هذه الآية قرآن، هذه الآية وأمثالها هي التي قالوا عنها أنها سحر، لأنهم كانوا يسمعونها دون أن يدروا ماذا تعني تلك الكلمات.

الخلافة

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠

أحد معاني الخلافة هو أن يخلف أحد آخر. تماما كما قال موسى لأخيه هارون عليهما السلام

﴿... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الأعراف: ١٤٢

أو قوله سبحانه وتعالى لداود ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

بِالْحَقِّ ...﴾ ص: ٢٦

إذن الخليفة له إرادة الأمر والنهي.

هذه الخلافة أعطى الله سبحانه وتعالى ألقوة فيها لداود عليه السلام

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أَوْيٍ مَّعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

سبأ: ١٠

أيضا الله سبحانه وتعالى حين جعل الإنسان خليفة في الأرض فإنه سبحانه وتعالى سخر له الطبيعة وأعطاه القدرة أيضا على تسخيرها لمصلحته. هذه الإمكانية تحتاج إلى قانون أخلاقي.

الخلافة أعطيت في الأرض

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

ولكي يكون خليفة في الأرض يجب أن يكون له ميزتين:

- الأمر والنهي
- المعرفة

وهذا هو **الرّوح**

إذا انتصب البشر بعد أن كان يسير على أربع وحُرِّرتْ يداه لكي يستطيع ان يقوم بالأعمال المطلوبة. ثم أعطى البشر حنجرة قابلة للتصويت. هنا أصبح البشر جاهزا للانتقال من المرحلة البهيمية وأن يصبح خليفة في الأرض.

الملائكة شهدت بما عرفت أمامها، فلقد كان البشر يعيش تماما كبقية البهائم وربما يأكل بعضه بعضا تماما كما تفعل بقية الدواب ولذا كان قول الملائكة لرب العالمين **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ**

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ . لكن الله نفخ الروح في البشر فأعطاه الأمر والنهي وأعطاه المعرفة **وتحول البشر إلى إنسان.**

هنا الحلقة المفقودة في نظرية دارون. الإنسان لم يتطور من قرد إلى إنسان، ولكنه تحوّل من بشر إلى إنسان، القردة لم تنفخ فيها الروح فبقيت قردة.

إذا كمعادلة رياضية نقول: **الإنسان = بشر + روح**

البشر (بيولوجي)، نحن نقول كلية الطب البشري – تدرس أعضاء الإنسان. يقابل هذه الدراسة العلوم الإنسانية والتي تدرس، الأخلاق، الحقوق، السياسة، الأدب ... الدراسات الخاصة بالإنسان كمجتمع.

إذا الملائكة سألت كيف يختار الله سبحانه وتعالى من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فكان قوله

سبحانه وتعالى **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**.

الله يعلم أن هذا الكائن سيصل إلى الفضاء وسيغوص إلى قاع البحار وأهم من هذا كله أنه سيعبد الله بمحض إرادته وسيعصى أيضا بإرادته .. الملائكة لا تعصى.

ولذا فلقد أعطى الله هذا الإنسان **المعرفة**، فالمعرفة شيء أساسي لاتخاذ القرار، يجب أن يعرف لكي يقرر أن يفعل أو لا يفعل. فكيف اكتسب الإنسان المعرفة؟ يأتي الجواب

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) البقرة: ٣١

بماذا علم آدم وما هي وسيلة التعليم؟ جاء الجواب في سورة العلق **﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤)**

العلق: ٤. أي **بالتّعليم**. هذا هو أساس التعليم التّعليم (التمييز)، وهذا ما يفعله الإنسان في كل زمان ومكان إن أراد أن يتعلم.

لكن ما هي الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا التي علمها الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام؟

جاء التفصيل في قوله **ثُمَّ عَرَضَهُمْ** ولكن قبل أن نشرح ذلك نريد أن نقول أننا نعتقد أن آدم ليس شخص وإنما هو إسم جنس للمجموعة الأدمية والتي هي مجموعة من البشر الذين انتشروا في الأرض قبل أن ينفخ الله الروح في ذلك الكائن ليعطه المعرفة ويجعله خليفة في الأرض. من هنا جاءت كلمة آدم .. **آدم هو المخلوق المتكيف المتلائم**.

أيضا نريد أن نقول أننا نعتقد أن آدم وزوجه لا تعني آدم وإمرأته، اي ليس ذكر وأنثى. قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠) ينتشر البشر في الأرض قبل الإنسان. البشر هو أكثر مخلوق متلائم أن يعيش مع الطبيعة. الله سبحانه وتعالى اصطفى آدم (مجموعة من البشر) وزوجه (إنسان نياندرتال - Neandertal). آدم هو نحن، زوجه – إنسان نياندرتال. انقرض إنسان نياندرتال وبقينا نحن – الحفريات تؤكد ذلك.

نعود الآن إلى قوله تعالى **ثُمَّ عَرَضَهُمْ** ، ونسأل ماذا يُعْرَضُ؟

الأسماء لا تعرض، الحب لا يعرض، التوبة لا تعرض، الإحسان لا يعرض ... ما يعرض هو المسميات وليس الأسماء. الله سبحانه وتعالى قال **ثُمَّ عَرَضَهُمْ** ولم يقل ثم عرضها. إذا أصبح آدم قادرا على التمييز. أصبح يميز كل شيء يصدر صوتا في الطبيعة.

كُلُّهَا بدأ التمييز بالأصوات، لم يكن هناك مخاطب ومتكلم. لكن أصبح هناك علاقة بين الدال والمدلول. أَلْقَطَةُ (نَو)، أَلْكَب (عَوْ) .. وإلى الآن اي إنسان يولد ضعه في غايه فإنه سيقلد كل الأصوات التي يسمعها هناك.

مطلوب منا أن نبرهن على مصداقية التنزيل الحكيم. الآن هناك إمكانيات لفهم هذه الآيات. التاريخ صاحب الحق في إظهار مصداقية التنزيل الحكيم. التاريخ الإنساني وتطور التاريخ الإنساني هما أصحاب الحق لإظهار المصداقية.

نحن نصدق أن هذا الكتاب من عند الله، ولذا نقول أن آيات القرآن هي دليل إيماني وليس دليل علمي إلا بعد أن تظهر مصداقيته على أرض الواقع. **المصداقية تتطور التآويل النهائي عندما يتحول الأنبا إلى خبر يتحدث به الناس.**

الهبوط

هناك هبوطين في المصحف بينهما آية واحدة

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥) فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا

أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي

هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ البقرة: ٣٥ - ٣٨

بين المهبطين كان هناك الإنسان العاقل. بعد المهبطين صار الإنسان العاقل والعقل والذين نحن منهم.

المهبط في أذهان الناس أنه من الجنة إلى الأرض.

نقول هناك مهبطين وبين هذين المهبطين آية واحدة. هل في هذه الآية سر؟

كيف عصى إبليس قول الله والله قوله الحق؟

الله قوله الحق. والله قوله نافذ، فكيف عصى إبليس ربه.

الله سبحانه وتعالى لم يقل لإبليس أن يسجد، لكنه أمره بذلك ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ الأعراف: ١٢

الله قال للملائكة اسجدوا. لذلك سجد الملائكة، أما إبليس فقد عصى. لأن الله حين يأمرنا فإننا قادرون على أن نطيع أو أن نعصى. قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ النحل: ٩٠

الله سبحانه وتعالى أمرنا بالعدل والإحسان فهل كل الناس تعدل وتحسن؟

والله أمرنا بالصلاة وبصوم رمضان، فهل كل الناس تصلي وتصوم؟

من هنا نفهم كيف عصى إبليس رب العالمين ولم يسجد لآدم. لو قال الله لإبليس اسجد لسجد ولن يكون بمقدوره أن يرفض لأن الله حق وقوله الحق. لكن الله سبحانه وتعالى أمر إبليس بالسجود ولذا كان لإبليس القدرة على العصيان.

الطاعة والمعصية

إبليس وعصيانه

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ البقرة: ٣٥

لأول مرة يُذكر الزوج.

لم يذكر في الكتاب أن الله نفخ الروح في زوج آدم، لقد جاءت نفخة الروح فقط لآدم.

آدم مجموعة من الناس، وزوجة مجموعة من البشر. لقد حصل قانون التكيف والتكيف المتبادل بين آدم وزوجته، أي بين تلك المجموعة التي نفخ الله فيها الروح وبين المجموعة الثانية التي لم يتم نفخ الروح فيها. لقد سكنت المجموعتان معاً، حصل بينهما تأثير وجدل. علم آدم زوجته. ثم انقرض زوج آدم (زوج آدام ليس حواء كما هو معتقد). الذكر والأنثى موجود في كل المخلوقات حتى في البهائم.

وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ

القضية هنا رمزية، الإنسان بدائي جداً، كيف ممكن أن يفهم؟ أكثر عنصر مشخص في الطبيعة هو الشجرة. **المهم هنا أول نُهي إلهي للجنس البشري**، هذا النُهي إنتهي الآن.

ما يهمنا أن الله سبحانه وتعالى يصور لنا مرحلة التَّطَوُّر الإنساني والتي تعتبر قصيرة جداً إذا ما قورنت بتطور البشر على الأرض، ففي حين استمرت فترة تطور البشر حوالي مئات الملايين من السنوات لم تستغرق فترة تطور الإنسان لينتقل من المنطقة البهيمية إلى الأنسنة أكثر من ١٠٠ ألف سنة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

آل عمران: ٥٩

هذا عند الله، لم يقل سبحانه وتعالى عند الإنسان بل قال **عند الله**، بالنسبة لنا تطور البشر أخذ مئات الملايين من السنوات. آدم عليه السلام حتى تطور استغرق ذلك ملايين السنين، أما عيسى عليه السلام فقد استغرق دقائق.

﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ

فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ البقرة: ٣٦

تفاعلا وتخاصما إلى حين، هذا الحين أخذ حوالي ٦٠ ألف سنة .. فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ^{هنا}

يقصد أحوالهم ولا يقصد الجنة. وحين قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ اسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا

مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ البقرة: ٣٥ فإن

الجنة المقصودة هنا ليست جنة المتقين .. جنة المتقين دائما تُوصف. وجنة الآخرة ليس فيها موت حتى يدخل الشيطان من هذا الباب ليوسوس إلى آدم عليه السلام.

الجنة هي كل مكان فيه مجموعة من الشجر والزرع، وهذا واضح تماما في قوله سبحانه وتعالى في

سورة الكهف ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنْ رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا

بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ الكهف: ٣٢

أيضا الهبوط المشار إليه في الآية (البقرة: ٣٦) لا يقصد به الانتقال من السماء إلى الأرض، القرآن يُعبّر عن هذا الانتقال بالنزول .. أما الهبوط فإنه تعبير عن إنتقال من مكان إلى آخر على نفس المستوى، تماما كما أشار سبحانه وتعالى إلى هبوط بني إسرائيل

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَهُودُ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ

مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ أَهَيِّطُوا مَصْرًا ۖ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١

فهل هبط بنوا إسرائيل من السماء إلى الأرض؟

إذا الهبوط هو إنتقال من حالة إلى حالة وَقُلْنَا أَهَيِّطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. صار هناك صراع

بين آدم وزوجه.

آدم .. تعبير عن المجموعة الواعية التي نفخ الله فيها الروح فتحوّلت من بشر إلى إنسان والزوج .. تعبير عن المجموعة الثانية التي تأثرت بها ولكن لم ينفخ فيها الروح أي لم تتأنسن.

إذا آدم عبارة عن جنس وليس شخص، آدم مجموعة من البشر اصطفاهم الله ونفخ فيهم الروح فتحوّلوا من بشر إلى إنسان ..

كذلك فإن زوج آدم هي مجموعة البشر التي لم تتأنسن ..

ماذا حدث بعد أن عصى آدم ربه واستقر في الأرض؟

﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧)

هذه الآية إشارة إلى قفزة هائلة حدثت في بعد الهبوط. لقد أعطى الله لآدم التجريد .. التلقي يأتي دائما

من الخارج ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّالِي الْفُرْعَانِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: ٦ ..

لأول مرة يأتي مفهوم التوبة – معنى مجرد. هنا بدأت العلاقة الغير طبيعية بين الصوت والمدلول.

ألنهي مشخص ← وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ... ثم التوبة (مجردة)

ماذا فعل آدم حتى تاب؟

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ

آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (١٢١) طه: ١٢١

آدم فقط الذي عصى ربه زوج آدم لم يعص .. زوج آدم لم يكن معه.

فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا أي بدى له سوء عمله

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ (سلوك طفولي) حاولا الإختباء، تماما كما يتصرف أي

طفل عندما يُذنب فإن أول ما يفكر به هو الإختباء.

ثم اجتنبه ربه فتاب عليه، المُستقر والمتأخ إلى حين انتهى.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا لم يقل هنا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .

هنا إشارة إلى إن المجموعة الثانية (زوج آدم) إنقرضت وهذا حدث بعد الهبوط الثاني.

أصبح هناك الإنسان العاقل العاقل.

بعد الهبوط الأول كان هناك الإنسان العاقل فقط.

ألكائن المنتصب	قبل آدم	
ألكائن المنتصب ألعافل	قبل الهبوط الثاني	(تسوية جسدية)
ألكائن المنتصب ألعافل ألعافل	بعد الهبوط الثاني	(تسوية جسدية وعقلية)

إذا كان هناك تسوية جسدية ثم تسوية عقلية. في هذا الوقت نما الدماغ الإنساني.

الهداية والضلال لا يُورثا في الجينات، كذلك المعرفة لا تورث .. ولهذا السبب نحتاج إلى ذاكرة كبيرة. وهنا كانت القفزة الهائلة – التعبير المادي للطفرة.

يقول الدكتور محمد شحرور أنه لا يوجد في الطبيعة مجردات، ويتساءل: من أين جاء التجريد وهنا يتحدث عن توبة آدم ليقول أخيرا أن هذه الإشارة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قصة آدم كانت من أهم الأمور التي جعلته يؤمن أن هناك خالق.

النظرية المادية في المعرفة تؤكد أن المعرفة تكون من الخارج إلى الداخل. في الخارج لا يوجد مجردات، من أين جاءت المجردات. ﴿فَلَقَّيْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَمَتِ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ﴾

الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ البقرة: ٣٧ مفهوم التوبة جاء من الخارج. مفهوم التجريد جاء من الخارج.

وإلى اليوم كل اللغات الإنسانية المجردة تعلم لأهل الأرض جميعا، ولو لم يكن هناك تعليم لما كان هناك لغة ولقد أهل الأرض الأصوات تقليدا. فالطفل مثلا يقول (مَوْ) قبل أن يقول قطعة، ويقول (عَوْ) قبل أن يقول كلب.

باختصار نحن والكرة الأرضية وما عليها نتيجة الهبوط الثاني.

إجتباه ... إصطفاه

يذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى مرة اصطفى آدم ومرة اجتباه، فما هو الفرق بين الإصطفاء والإجتباه؟

اصطفاه حين قال سبحانه وتعالى أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، واجتباه لوحده أي بعد فناء الزوج.

إبليس – من هو أو ما هو إبليس؟

اعتبر الدكتور محمد شحرور إن إبليس والإغواء والعصيان ضرورة وليس مجرد حادثة أو قصة، ويوضح ذلك بقوله أن إبليس لو فعل تماما ما أمره رب العالمين لأصبح ملاك. رب العالمين يريد أن يعلمنا أن حرية الاختيار لا تُعرف إلا بالطرف المقابل .. لماذا غفر الله لآدم وتاب عليه؟ آدم عبر عن حرية اختياره بالمعصية.

الحرية تعبر بكلا قبل نعم .. والله لا يستحي من الحق. وجود المعصية دليل على الحرية، ورب العالمين يحب أم يعصى ويستغفر. هنا تأتي جدلية الطاعة والمعصية والتوبة.

دور إبليس

في الأديان السابقة كان هناك إله الشر وإله الخير. عندنا هناك إله واحد .. إبليس رمز للشر حتى لا نقول هناك إله شر.

هذا ما يسميه علم النفس (ego) هذا ما فعله إبليس

﴿... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ طه: ١٢٠

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ طه: ١١٨

قدم له تصور وهمي.

عندما أعطى الله الإنسان المعرفة أصبح محتاجا إلى قانون أخلاقي.

﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزخرف: ٣٦ هذه المعرفة.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨ هذا هو القانون الأخلاقي.

المعرفة + القانون الأخلاقي = النفس الإنسانية

الغرائز + المعرفة + القيم الأخلاقية يعطونا القرار كيف نتصرف. وهؤلاء الثلاثة يشكلوا النفس

الإنسانية التي قال سبحانه وتعالى عنها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس: ٨ وهذه هي النفس التي تتوفي.

النفس التي تحاسب (القيمة الأخلاقية + المعرفة)

الروح = القانون الأخلاقي + المعرفة

الروح + الغرائز = النفس الإنسانية

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الزمر: ٧٠.

الآن إذا تأملنا آيات

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ

ذُرِّيَّتَهُ ۚ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا

۝٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤﴾ الإسراء: ٦٢ - ٦٤

نحن أمام مشهد قرآني مليء بالمعاني - مداخل الشيطان عديدة: صوتك، جنبك، رجلك، شاركتهم بالأموال والأولاد، وعدهم.

مداخل الشيطان إلى النفس الإنسانية:

- لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ الصِّراط المستقيم هي القيم التي وردت في سورة الأنعام

الآيات (١٥١ - ١٥٣) الشيطان يمنع الإنسان القيام بها.

- لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ۚ حنك الإنسان الدابة أي لجمها، وهناك الحنكة أي طول الممارسة

وما يفعله الشيطان هو ربط وتوجيه الإنسان.

- وَأَسْتَفْزِرُ (الاستفزاز) جعلك تخرج عن طبيعتك

- بِصَوْتِكَ (الصوت) حب الظهور .. النجومية

- بِخِيلِكَ (التخيل) الوقوع بالوهم ... أفعال هنا من الخيلاء

- وَرَجِلِكَ من القدرة كقوله (الرجال قوامون على النساء) أو السلطة

- وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كيف يشاركتهم - فلان نصب لفلان شرك (مكيدة)

أي فخ، من أجل الأولاد يكذب، يأكل مال أليتهم، يشهد شهادة الزور، ومن أجل المال ممكن أن يعمل كل شيء.

إذا هذه هي مداخل الشيطان للنفس الإنسانية. آدم عليه السلام وقع في المكيدة، ولكنه تاب. المعصية والتوبة فقط للإنسان.

الغواية والضلالة

الغواية: فيها شيء مقصود ... (هناك محرّض)

الضلالة: لا يدري أنه على خطأ (ضل الطريق مثلاً)

في الحياة الدّنيا ضلال والآخرة هداية ... (دلالة بدون إكراه).

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَنَٰى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الزمر: ٧١ - ٧٣

في الحياة اليوميّة ماذا يحصل؟

الشيطان يمارس عمله ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ الأعراف: ١٧

الكل يشكوا ولكن ماذا تعني مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ؟

حين نقول ماذا بين يديك الآن؟ فإننا نعني ما تفعله الآن أي عملهم اليومي.

وَمِنْ خَلْفِهِمْ أي يجعله يتراجع في قراراته - يوسوس له الشيطان ليغير قراراته.

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ أي صاحب اليمين وليس جهة اليمين

وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ أي أشملهم جميعاً أيضاً ليس المقصود هنا جهة الشمال

وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا الغرور هو عدم النضوج في القرارات، كل هذه
الوعود غير ناضجة ... وعود شيطانية.

هل يقبل الله سبحانه وتعالى توبة إبليس؟

إذا تاب إبليس لا يوجد عمل لرجال الدين لأن أحدا لن يغلط وسلوك البشرية يصبح مئة بالمئة. لكن
البشرية قائمة على الخير والشر والمعصية والتوبة.

آدم عصي وتاب المغفرة.

عصيان إبليس ... المجتمعات الإنسانية بما هي عليه الآن جاءت من عصيان إبليس، بمشيئة من الله،
ولهذا السبب قال فِيمَا أَغْوَيْتَنِي .

إذا هذه العملية جاءت عن سابق إصرار وترصد ولم تأت صدفة، ولهذا قلنا إنها ضرورة حتى يوجد
جدل الإنسان والفكر الإنساني.

لكن قبل أن أنهى أريد أن أقول أنّ هناك نوعين من الشياطين يجب أن نميز بينهم:

- شيطان الحق والباطل ... كل إنسان لديه شيطانه الخاص (جدلي)
- شيطان الأخلاق ... ممكن أن يأتي جمعا (شياطين الإنس والجن)، هؤلاء لهم عمل قائم على:
 - الخطأ
 - الضلال
 - التكبر
 - الغرور
 - الوهم

الحياة الإنسانية قائمة على الجدلية بين هذين الإثنين.

الإسلام والمسلمون

قبل نصف قرن من الزمان تلاقى رؤى المفكرين من الغرب والشرق على مصير البشرية وما ستكون عليه أحوال الإنسانية في المستقبل وهم يتصدون في عصرنا هذا وما بعده .. من الشرق والغرب تنبأ كل منهم بأمر ما وبأن هذه البشرية لن تعيش إلا ضمن مجمع سكني واحد. هذا ما قاله المفكر والكاتب الإسلامي الراحل **مالك بن نبي** حيث توقع في كتابه الذي صدر أواخر الخمسينات وأوائل الستينات وعنوانه "**حديث البناء الجديد**" أن البشرية ستضطر إلى العيش في مجمع سكني واحد وقال في نهاية كتابه "حديث البناء الجديد"، إنه إذا شبت النار في إحدى الشقق فإن بقية الشقق لن تكون بمنأى عن الخطر. هذا عن مالك بن نبي.

ألفين توفلر صاحب كتاب "**صدمة المستقبل**" تنبأ بعصر الاستبدال السريع وعلى أكثر من مستوى. في مستوى الأشياء والتطور والتكنولوجيا والإختراعات. في مستوى الأفكار قال إن الناس سوف تستبدل أفكارها بسرعة في العقود القادمة. وفي مستوى الأشخاص قال لن يكون هناك المدير الأبدي ولا الصديق الأبدي ولا حتى الزوج الأبدي.

المفكر الإسلامي **جودت سعيد** ركز على مشكلة العنف وأصدر كتابه في نفس الحقبة "**مذهب ابن آدم**

الأول" وتوجه بالآية الكريمة ﴿لَنْ يَبْسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ

لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ المائدة: ٢٨.

بقي المفكر والفيلسوف البريطاني **برنارد راسل** في كتابه "**هل للإنسان مستقبل**" قال إن البشرية ستضطر إلى اختيار نظام أو مبدأ أو عقيدة ما تكون جامعة لبني البشر، وحدد سماتها كضرورة وليس كأيديولوجيا وحدد سمات هذه العقيدة بأنها يجب أن تكون:

- تتبذ الحروب والعنف
- تعترف بالآخر
- يتعايش الناس فيها أخوة
- يصون الكوكب الأرضي - نسميه اليوم مشاكل البيئة.
- فيها نوع من الأيثار في مشكلة الغذاء.

وقال برنارد راسل في كتابه إن البشرية ستلجأ مضطرة لإنشاء نظام عالمي ليس بالمفهوم السياسي دائما - بالمفهوم الاجتماعي. هذا النظام العالمي الذي يحمل سمات حددها هو ستلجأ إليه البشرية مضطرة لتستمر. وقال ليس أمامها سوى الشيوعية أو الإسلام.

أما الشيوعية فقد أسقطها من حسابه لأنها تصدر مساحة من الروح عند الفرد ولأسباب أخرى أيضا. قال بقي الإسلام.

إذا أخذنا مبادئ الإسلام فإنها تحمل نفس الشروط المطلوبة. هذا ما قاله راسل. لكن ربما تلجأ البشرية إلى إسلام مستعار، أو تحت اسم مستعار، أو نظام يشبه الإسلام. لقد رأى أكثر ما رآه كثير من المسلمين. رأى شيئا ما في عالمية الإسلام.

ماذا رأى هؤلاء الفلاسفة والمفكرين في الإسلام ولم نره نحن؟

أولاً: الخطاب الإسلامي في القرن العشرين كان خطاب محلي، يعني إننا نحن المسلمين نقف أمام المرأة ونخاطب أنفسنا. لم نستطع أن نقفز بالإسلام إلى الصفة العالمية. أي إننا لم نستطع أن نقدم مصداقية قوله سبحانه وتعالى

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨) الأعراف: ١٥٨

ومصداقية قوله

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧

يجب أن نرى هذا على أرض الواقع لا أن نعرض إسلام في الفراغ. يجب أن تكون لدينا لغة (خطاب) تقدم الإسلام إلى كل أهل الأرض، وأن تكون مفهومة للعقل الإنساني – فيه العالمية واضحة، فيها ألبعد الإنساني واضح جدا .. هذا الإسلام.

ثانياً: نحن نقدم إسلام ونخلط بين الإسلام والسياسة. هذا الخلط بين الإسلام والسياسة يضر بالإثنين، يضر بالإسلام ويضر أيضاً بالسياسة.

ما معنى كلمة إسلام؟

- الإسلام يأتي من مشتقاته السلام، التسليم، الإستسلام والسلامة. الإسلام عندما يكون شخص لآخر .. أسلم يعني الإستسلام. عندما قال سليمان عليه السلام

لبلقيس ملكة سبأ ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا

عَلَىٰ وَأَتُونَكَ مُسْلِمِينَ ﴿ (٣١) النمل: ٣٠ – ٣١ فأن سليمان عليه السلام طلب الإستسلام من بلقيس.

- الإسلام لله سبحانه وتعالى هو التسليم وليس الإستسلام. الله بم يطلب منا الإستسلام. طلب منا الأيمان بالله – أن نسلم أي أن تكون تلك مسلمة. والإسلام في هذا المفهوم له ثلاث مستويات. مستوى كوني، مستوى عالمي ومستوى محلي. نحن وللأسف وقفنا عند المستوى المحلي.

أما المستوى الكوني فنفهمه في قوله سبحانه وتعالى

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) آل عمران: ٨٣

الربوبية كرها والألوهية طوعا. شئنا أم أبينا فإن الله رب الناس جميعا وهو رب العالمين ورب كل شيء، ولكنه إله العاقل ولذلك قال سبحانه وتعالى وَلَهُ **مَنْ** فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . إذا كان هناك مخلوقات عاقلة في كوكب ما في هذا الكون الفسيح فإنهم بلا شك قد سمعوا وعلموا أن هناك إله. إن ورود **مَنْ** في الآية الكريمة تشير إلى أن هناك عاقل. هذا العاقل بمفهوم الإيمان بالله مثلنا مثله، هو يؤمن بالله ونحن نؤمن بالله أيضا، لكننا لا نعلم شيئا عن شعائره.

هذه هي تذكرة الدخول إلى الإسلام – الإيمان بالله واليوم الآخر. تُسَلِّمُ أن هناك إله وأن هناك بعث وحساب. فإذا أضفت لهذا الإيمان العمل الصالح فلا خوف عليك ولا تحزن، تصديقا لقوله سبحانه

وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِّنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ البقرة: ٦٢

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ ءَامَانِيهِمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ البقرة: ١١١

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ فصلت: ٣٠

ونسأل هل بدأ الإسلام مع الرسول الخاتم ونحن نقرأ قوله تعالى:

﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ الجن: ١٤	الجن
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ آل عمران: ٦٧	إبراهيم
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ البقرة: ١٣٢	يعقوب

يوسف	﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١
سحرة فرعون	﴿ وَمَا نُنْقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٦
فرعون	﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ۚ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس: ٩٠
الحواريون	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ٥٢
نوح	﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَنَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يونس: ٧٢ - ٧٣
لوط	﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الذاريات: ٣٥ - ٣٦

إبراهيم عليه السلام أول من وصل إلى توحيد الله بتفكيره وبنظرته إلى أكون.

رأس الإسلام: لا إله إلا الله (التوحيد)

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

الزمر: ٦٥ ﴿٦٥﴾

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ﴿١٠٨﴾

الأنبياء: ١٠٨

عندما يذكر الله وحده يقول مسلمون، ولكن عندما يذكر الله ومعه أحد لا يقول مسلمون.

هناك إذن شهادتان لاتباع الرسول الخاتم فنحن نقول:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

لو قال لا رب إلا الله لقنا محمد نبي الله

إذا الإسلام بدأ بنوح وختم بالرسول الأعظم. هذا الدين (الإسلام) له فروع ثلاث أو حقول ثلاث

○ أفرع الأول:	ألقم	خضعت للتراكم ولم تأت دفعة واحدة
○ أفرع الثاني:	أشرايع	خضعت للتطور
○ أفرع الثالث	أشعائر	خضعت للاختلاف

ألقم: أول ركن من أركان الإسلام ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥

﴿٦٥﴾ الزمر: ٦٥

نوح جاء بالتوحيد وبر الوالدين والتوحيد هو القيمة المشتركة بين النبوة والرسالة. النبوة فيها توحيد والرسالة فيها توحيد.

شعيب جاء بالتوحيد وإيفاء الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم. لقد صار هناك قيمة جديدة على سلم التاريخ، ذلك أنه مع شعيب عليه السلام صار هناك تبادل للسلع فتطلب ذلك تلك القيمة.

إذا الرسائل إنتقلت وتطورت، ولو أردنا أن نشبه ذلك التطور نستطيع أن نقول أن نوح عليه السلام يمثل الطفولة والرسول الأعظم يمثل التخرج من الجامعة. بعد التخرج أصبحت البشرية قادرة على التشريع، ولم يعد هناك رسل وأنبياء. نحن اليوم نعيش عصر ما بعد الرسائل. نحن اليوم لسنا كقوم نوح، يجب أن يكون هذا واضحا في أذهاننا ونحن نقرأ ألتنزيل الحكيم.

إبراهيم عليه السلام عندما قال ﴿ ... إني أرى في المنام أني أذبحك ... ﴾ الصافات: ١٠٢

يعني أنه إبراهيم سيقتل ولده إسماعيل عليهما السلام.

الجريمة الأولى بدأت عندما قتل قابيل أخاه هابيل، لكنَّ ربَّ العالمين حرَّم قتل النفس مع رسالة موسى عليه السلام. إذن حتى رسالة موسى عليه السلام كان القتل قرار إنساني.

إبراهيم عليه السلام حين فكر بذبح إسماعيل عليه السلام كان منطقيا في تفكيره لأنَّ القتل لم يكن قد حرَّم.

أيضا إبراهيم عليه السلام رأى في ذلك الوقت أنَّ هناك سوقا للآلهة: إله الشمس، إله القمر ... آلهة كثيرة، وكان القوم عندما يتحدَّثوا يقولوا إله إبراهيم ليميزوه عن آلهتهم.

هذا أيضا كان واضحا مع موسى عليه السلام فالسحرة عندما آمنوا قالوا: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأعراف: ١٢١ - ١٢٢ لأنَّ الآلهة كانت كثيرة.

نحن حين نقول إله لا نقصد إلا إله واحد، لكن قديما لم يكن الأمر كذلك، لقد كان هناك تعدد للآلهة.

ولكن لماذا عاقب فرعون السحرة؟ الجواب واضح في قوله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ

أَنْ ءَاذَنَّا لَهُ إِنَّهُ، لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِ

وَلَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ طه: ٧١ إذا العقاب كان لأنَّ السحرة لم يستأذنوا فرعون بذلك. لو استأذنوه ربما سمح لهم لكنه تصرف الطاغية.

إذا القيم اكتملت عند موسى ثم عيسى ثم الرسول الأعظم.

فالقيم جاءت منظومة متكاملة إلى موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ البقرة: ٥٣

الْكِتَابَ شريعة،

وَالْفُرْقَانَ مجموعة من القيم (الوصايا العشر)

الشريعة جاءت معدلة لعيسى عليه السلام ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ

وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ^٥ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾﴾ آل عمران: ٥٠

جاءت أيضا للرسول الأعظم ولكن أفرق في القيم.

الوصايا العشر جاءت أوامر ونواه بالنسبة إلى موسى عليه السلام .. (لا تقتل، لا تزني، إتبع تعاليم الرب إلهك...) لكنها بالنسبة للرسول الأعظم إنتقلت لتصبح محرمات.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣

الحرام كما قلنا شمولي وأبدي.

وكلمة حرام أول مرة وردت في المصحف الشريف كانت مع إبراهيم عليه السلام، ولقد وردت مع

المكان وليس في السلوك ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ

الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ

الْثَمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ ... كلمة حرام ليست موجودة مع لوط وشعيب عليهما السلام.

ثم ذكرت كلمة حرام في السلوك والأكل في قوله تعالى

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ مِنْ قَبْلِ

أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ٩٣

بعد ذلك جاءت المحرمات للرسول الأعظم مفصلة (محرمات النكاح، محرمات الطعام، محرمات الأخلاق)

كُلُّ مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْمَوْسِيقَى حَرَامٌ أَوْ التَّدْخِينَ حَرَامٌ فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَكَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ (٣٣) الأعراف: ٣٣

نحن حين نرى خبائث فإننا ننهي عنها ونمنعها ولكن لا نحرم، التحريم لله فقط.

الطبيب مثلا ينهى عن التدخين، السلطة تمنع التدخين.

إذا هناك نهى، منع، تحريم.

النهى	لأي إنسان
المنع	للسلطة
التحريم	لله والله فقط.

قد يقول البعض لكن الله يقول ﴿... وَلَا يَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ التوبة: ٢٩، نقول

إن التحريم هنا متصل وليس منفصل، أي إن الله سبحانه وتعالى لم يقل مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَحَرَّمَ رَسُولُهُ والفرق كبير، ذلك أن تحريم الرسول يكون تبيانا لما حرم الله وليس إستقلالاً من الرسول بالتحريم. حين نقول فلسفة الكلمة والحرف فهذا يعني أن هناك فلسفة واحدة. ولكن حين نقول فلسفة الكلمة وفلسفة أحرف فهذا يعني أن هناك فلسفتان.

التشريع خضع للتطور

الشعائر خضعت للاختلاف

قال تعالى

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ... البقرة: ١٨٣ - ١٨٤

الأيام المعدودات عندنا غير الأيام المعدودات عند النصارى. فعندما ترى إنسان يصوم شهر رمضان تعرف أن هذا الشخص من أتباع الرسول الخاتم.

لكن القيم لها بعد إنساني. مثلا حين نرى إنسان يبر والديه فنحن لا نستطيع أن نحدد عقيدته. فأتباع الرسول الخاتم يبرون والديهم، كذلك فإن النصارى يفعلون ذلك كما يفعله اليهودي والبوذي وأي إنسان مهما كانت ملته.

فالقيم هي الفرع العالمي للإسلام

أما الشعائر فهي الفرع المحلي.

أتباع الرسالة الخاتمة في الكتاب هم (المؤمنون)

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء: ١٠٣

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٤

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٢

إذا أتباع الرسالة المحمدية هم المسلمون الذين آمنوا بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.
هناك نوعين من الأيمان بالنسبة لأتباع الرسول الخاتم

- الأيمان بالله وباليوم الآخر
- الأيمان بالرسالة الخاتمة

الدليل

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد: ٢٨

الكفل الأول عن الأيمان الأول

الكفل الثاني عن الأيمان الثاني

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ

﴿٥٣﴾ القصص: ٥١ - ٥٣

الأسلام يسبق الأيمان.

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَإِذَا قُلِّمْنَا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾

الحجرات: ١٤

الإسلام فطري ... أَلْطَفْلُ إِن لَّمْ تَعْلَمْهُ الْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَن يَكْذِبُ.

يقولون الإسلام دين الفطرة ويستشهدوا بالحديث الذي يقول بني الإسلام على خمس:

- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
- إقامة الصلاة
- صوم رمضان
- إيتاء الزكاة
- حج ألبيت لمن استطاع إليه سبيلا

ونقول إن شهادة أن لا إله إلا الله ممكن أن يصل إليها الإنسان وحده - بفطرته السليمة، ولكن شهادة أن محمدا رسول الله لن يصل إليها الإنسان بفطرته بل يحتاج لمن يخبره ويرشده إلى ذلك.

أيضا إقامة الصلاة تكليف وليس فطرة، كذلك الصيام والزكاة والحج. كل التكاليف ضد الفطرة.

الآية الكريمة تقول

﴿ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ الروم: ٣٠

فهل فطر الله الناس أن يصوموا في رمضان؟

الحنيفية ليست شعائر، الحنيفية تغير وتطور، ولهذا السبب هناك أيمايين

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودٌ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ الفتح: ٤

الأيمان الأول هو الأيمان بالله واليوم الآخر، والأيمان الثاني هو الأيمان بالرسالة الخاتمة. الأيمان الأول .. نحن مسلمون، الأيمان الثاني .. نحن مؤمنون.

ألم نسمع خطباء المساجد يرددون على المنابر ((**اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات**)) ... من هم المسلمون؟ ومن هم المؤمنين؟

المؤمنون هم المسلمون الذين آمنوا بالرسول الأعظم. والشعائر التي جاءت مع الرسالة الخاتمة هي التي تميز أولئك المؤمنون.

صلاة الأجازة مثلا لا يقوم بها إلا أتباع الرسالة المحمدية.

المشكلة التي وقعنا فيها أننا أخذنا المميزات التي يتميز بها أتباع الرسالة الخاتمة وقلنا أن هذه هي أركان الإسلام، فأخرجنا بذلك ما نسبته ٨٠٪ من أهل الأرض من أن يكونوا مسلمين. فقلنا إن قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ آل عمران: ١٩ ... يعني ديننا نحن.

وقلنا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾ آل عمران: ٨٥ ، يعني ديننا نحن.

وأعتبرنا أن أركان الإسلام التي وردت في الحديث الشريف ((بُني الإسلام على خمس...)) هي التي تُحدد ما إذا كان الإنسان مسلما أم لا، علما أن هذه الأركان لا يقوم بها إلا أتباع الرسالة المحمدية، بالتالي فإن الجنة لنا فقط دون سائر الخلق.

هذه الأركان التي قالوا عنها أركان الإسلام لا يوجد فيهما أي قيم ولا شرائع.

أقيم عندنا ميتة .. عندنا إفطار يوم في رمضان أهم بكثير من الكذب أو الغش. أركان الإسلام التي قدمت إلينا لا يوجد فيها أخلاق. أين المحرمات؟

قالوا إن الحديث الشريف نُقِلَ إلينا بالمعنى ولم يُنقل حرفيا تماما كما قاله الرسول الأعظم. لو أن هناك عشرة رواة للحديث، ولو لأن راوٍ واحد من أولئك العشرة بدل كلمة واحدة من كلمات الرسول الأعظم – عن غير قصد – لأختل ربما المعنى الذي قصده الرسول الخاتم. وقد يكون هذا ما حصل في الحديث الذي نحن بصدد ((بُني الإسلام على خمس...)) ، فلو أن الحديث جاء بالصياغة ((بُني الأيمان على خمس...)) لكان أقرب للحقيقة، لأن هذه الأركان الخمس هي التي تميز المسلمون المؤمنون الذين آمنوا بالرسالة الخاتمة.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَكُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ الحجرات: ١٧ الإسلام قبل الأيمان، لأن الأيمان تكليف وليس فطرة.

نحن لا نصوم رمضان بالفطرة، نحن نصوم رمضان لأن هناك من حمل إلينا تكليفا بذلك، ولولا هذا التكليف لم كان هناك صيام. كذلك الأمر بالنسبة للصلاة والزكاة والحج.

لكن بر الوالدين هو فطرة إنسانية، المسلم ببر والديه، والبوذي ببر والديه واتباع الملل كلها تجد فيهم من ببر والديه ولذلك فإن بر الوالدين من الإسلام.

أركان الأيمان يجب أن يهديك أحدا إليها للقيام بها، ولذلك نقول الإسلام فطرة والأيمان تكليف. أركان الإسلام تحتوي على القيم والشرائع وليس على الشعائر. كون أتباع الرسالة الخاتمة اتخذوا موقف

إقصائي فقد اعتبروا ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ يعني الإسلام ما جاء به محمد صلى الله

عليه وسلم. ولما لم يجدوا تخريجا لما قالوه في المصحف الشريف إستشهدوا بالحديث الشريف ((بُني الإسلام على خمس...)).

ولذا يجب أن نقول ((الأيمان يجب ما قبله)) وليس الإسلام. لا يوجد شيء قبل الإسلام يجبه.

قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ محمد: ٢

أعود وأقول أنَّ الأخلاق في أركان الإسلام التي أفروها غير موجودة. العبادات لا تقدم الناس ولا تؤخرهم، هذا ليس تقليل من شأن العبادات، لكن العبادات هي علاقة بين الإنسان وخالقه. العبادات لا تنصرنا، العبادات شخصية. لكن الشرائع والقيم إجتماعية.

إذا صمت رمضان أم لم تصم ما علاقة المجتمع بك؟ العبادات إرضاء لمرضات الله.

كل المحرمات لها قيمة إجتماعية.

ولذلك فإن تعبير **صحوة إسلامية** تعبير خاطئ، والأصح أن نقول **صحوة إيمانية**.

عدد من يصوموا رمضان ازداد، المساجد ازدادت، عدد المصلين زاد .. الحجيج في ازدياد من سنة إلى أخرى .. الأيمان في ازدياد.

بالمقابل الكذب زاد، الغش زاد، الإحتيالات زادت، البطالة زادت، الرشوة زادت .. أين الصحوة الإسلامية إذن؟

يجب أن ندرس أقيم قبل أن ندرس الشعائر. الله رب العالمين يُسامح في حقوقه حين نحج، لكنه لا يسامح أبدا في حقوق عباده. **أقيم هي حقوق الآخرين**.

﴿... إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ العنكبوت: ٤٥ تنهى ولا تمنع.

ألتقافة السائدة تقول أنَّ المسلمين هم أتباع الرسالة المحمدية فقط، هذا غير صحيح.

يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ البقرة: ٦٢

الذين آمنوا أتباع الرسالة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه

الذين هادوا أتباع موسى عليه السلام

النصارى أتباع عيسى عليه السلام

الصابئين من صبا عن موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) – أي بقية أهل الأرض.

أيام الرسول الأعظم كانوا يقولون صبا فلان، أي خرج عن دين الآباء والأجداد.

إذا كان الصائبة هم جزء من أهل العراق كما يقول البعض، فإن الله سبحانه وتعالى قد سامح ٥٠٪ من سكان الكرة الأرضية، وبالتالي فإن الآية (البقرة: ٦٢) تتكلم عن إله الشرق الأوسط – حاشا لله.

إذا هناك مسلم مؤمن، مسلم يهودي، مسلم مسيحي، مسلم بوذي ... كل من آمن بالله وعمل صالحا. الله سبحانه وتعالى يقول أن كل هؤلاء الذين آمنوا بوحداية الله وأن هناك بَعَثُ وعملوا صالحا –

هؤلاء فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ البقرة: ١١٢

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

آل عمران: ٨٥

هم يحتجون بهذه الآية أن الجنة لأتباع الرسول الخاتم.

نحن نقول صحيح أن الله لن يقبل دينا غير الإسلام أذ كيف يمكن أن يقبل الله سبحانه وتعالى دينا هو غير موجود فيه.

الإسلام كما قلنا هو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. وإن تذكرة الدخول إلى الإسلام هي شهادة أن لا إله إلا الله.

أركان الإسلام وأركان الإيمان

قُلْنَا إِنَّ هَٰذَاكَ أَيْمَانِينَ: إيمان الفطرة وإيمان التكليف، واستشهدنا بالآية الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨).

إيمان الفطرة هو الجانب العالمي من الإسلام، أو ألبعد الإنساني من الإسلام. وإيمان التكليف فهو إيمان محلي خاص باتباع الرسالة المحمدية. ولذا نقول: **الإسلام فطرة والإيمان تكليف.**

قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) آل عمران: ١٠٢

هذه تقوى الإسلام، هنا نتقي الله حق تقاته. رأس الإسلام لا إله إلا الله، والمحرمات كلها من الإسلام. الإسلام بدأ مع نوح وانتهى مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وأساسه التوحيد. لا يقال بذلت جهدي لأؤمن بالله واليوم الآخر ولكني لم أستطع .. هنا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، لا يوجد أنصاف خلول.

أما تقوى الإيمان فقد عبّر عنه في الآية الكريمة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن: ١٦).

إذا في الإيمان فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ أنت مكلف بالصوم، لكنك مريض ولا تستطيع الصوم، لا تصوم، كذلك الصلاة والزكاة والحج تكاليف، أنت غير قادر على القيام بها كما فُرِضَتْ فإن الله رخص لك أن تقوم بها حسب استطاعتك، تصلى جالسا إن لم يكن باستطاعتك الصلاة واقفا. ظنوا أن الآية (التغابن: ١٦) نسخت الآية (آل عمران: ١٠٢) ولم يدركوا أن لكل آية حقل.

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لها حقل، فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لها حقل آخر.

أنت لا يوجد عندك مال لا تُزكي، غير قادر على الحج ... لا تحج، مريض وغير قادر على الصوم ... لا تصوم، غير قادر على الصلاة واقفا ... صل جالسا أو حتى بعيونك.

الإسلام فطرة والإيمان تكليف.

الْمُسْلِمُونَ وَالْمُجْرِمُونَ

قال تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦ ،
عكس المسلم هو المجرم وليس المشرك أو الكافر.

المجرم من جرم. ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴾ (٢٢) هود: ٢٢ يعني
أمر مقطوع فيه. كذلك نقول الأجرام السماوية لأنها منقطعة.

والمجرم هو من قطع علاقته بالله، ﴿ ... وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨)
القصص: ٧٨ أو من قطع علاقته بالمجتمع.

إذا هناك مجرم إجتماعي إنساني .. من قطع علاقته بالمجتمع، الحكم على هذا المجرم عائد للمجتمع،
وهناك المجرم الذي قطع صلته بالله والحكم على هذا المجرم هو الله، ولا علاقة للمجتمع به.

نَحْنُ لَا نَحْكُمُ عَلَى النَّاسِ، بَلْ نَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ. نَحْنُ نَحْاسِبُ النَّاسَ عَلَى الْقِيَمِ أَيُّ نَحْاسِبُ الْمُجْرِمَ
الْقَاطِعِ صِلَتَهُ بِالْمُجْتَمَعِ.

قال تعالى

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٢) الروم: ١٢

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١٢) السجدة: ١٢

﴿ وَامْتَرُوا يَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥٩) يس: ٥٩

﴿ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَتَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٤١) الرحمن: ٤١

﴿ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٥) أَلَمْ نُهَبِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ المرسلات: ١٥ - ١٨

الآن نريد أن نقرأ الآية الكريمة

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الماعون: ٤ - ٥ ،

إنسان سَمِيَ عَنْ صلاة العصر مثلا، هل يُحاسب كالمُلجِد أو كالمُجْرِم ألقاطع صلته كليًا مع الله؟
 هنا يجب أن نُمَيِّز بين المُصَلِّين وبين مُقيمي الصَّلَاة. المُصَلِّين ليسوا بالضرورية مُقيمي الصَّلَاة،
 ولكن بالضرورة مُقيمي الصَّلَاة مُصَلِّين.

هناك فعل **صَلَّى** وهناك فعل **أَقَام الصَّلَاة**.

صَلَّى من الوصل.

قال تعالى ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۚ وَلَٰكِن كَذَّبَ ۖ وَتَوَلَّى ۚ ﴾ القِيَامَةُ: ٣١ - ٣٢

صَدَّقَ	...	كَذَّبَ
صَلَّى	...	تَوَلَّى

(إما وصل أو بُعد)

وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۚ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۚ ﴾ الأعلى: ١٤ - ١٥، هنا صلاة مع الله، كقولك مثلا "يا رب". مُجرد أن تقول يا رب أصبح عندك صلة مع الله. الصَّلَاة التَّعَبُّدِيَّة الأخذة شكلا ما، والتي نقوم لنأديها هي **إقامة الصَّلَاة**. وهذه تختلف من شعيرة إلى أخرى ومن ملة إلى أخرى. ولكن عند كل الملل **المُصَلِّين** نفس الشيء.

لنقرأ الآيات من البداية

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۚ ﴾ الماعون: ١ كَذَّبَ بالدين ويوم الدين (مُجْرِم)

﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ ﴾ الماعون: ٢ - ٣ (قضايا إجتماعية)

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ ﴾ الماعون: ٤ هنا ترك صلته بالله وليس صلاة أظهر أو العصر.

نأخذ **الوليد بن المغيرة** مثلا ونرى ما قال الله فيه ﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۚ وَمَا آَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا

بُقِيَ وَلَا نَذْرٌ ۚ ﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۚ ﴿٢٨﴾ عَلَيْهَا إِسْعَةَ عَشَرَ ۚ ﴿٣٠﴾ المدثر: ٢٦ - ٣٠ وفي نفس السورة

يقول سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۚ ﴾ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ

﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ ﴿٤٢﴾ المدثر: ٣٨ - ٤٢ ونحن نفهم أن الوليد بن

المغيرة هو واحد من أولئك المُجْرِمِينَ. الصَّلَاة لم تكن قد فُرِضَتْ بعد عند نزول هذه الآيات.

نحن نحاسب المجرم الحساب القيمي الاجتماعي كائننا من كان .. حتى المسلم والمؤمن يحاسب اجتماعيا أيضا.

المجرم ألقاطع صلته بالله حسابه على الله وليس على المجتمع.

حين نقول

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾

﴿ الفاتحة: ٦ - ٧ ﴾

الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم. من هم المغضوب عليهم؟ هم أناس خرجوا عن الصراط المستقيم، ولقد حدد الله مفهوم الصراط المستقيم في الآيات (١٥١ - ١٥٣) من سورة الأنعام. أما الضالون فقد عرفهم سبحانه وتعالى لنا في كتابه الكريم حين قال

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ ﴾ النساء: ١١٦

﴿ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَمْسَةَ أَنَّ

غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ ﴾ النور: ٨ - ٩

أيضا قاتل النفس من المغضوب عليهم، من أي مله كان.

﴿ الصَّلَاةَ ﴾ و ﴿ بِصَلَاتِكَ ﴾

الآن علينا التمييز بين ورود الصلاة بالواو (صلوات) أو ورودها بالألف (صلاة) وعلينا أن نميز أيضا بين أفعال (صلى) والفعل (أقام الصلوة).

قال تعالى

﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۝ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ۝ ﴾ القيامة: ٣١ - ٣٢

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ ﴾ الإسراء: ١١٠

الصلاة في الآيتين جاءت بالألف وليس بالواو. هنا لا يقصد الركوع والسجود. هنا الحديث عن الدعاء. قال عليه الصلاة والسلام «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

عندما يقصد الركوع والسجود يرد الفعل «أقم الصلاة».

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيزُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة: ٣

﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة: ٤٣

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء: ١٠٣

إذن يجب أن ننتبه لرسم الكلمة القرآنية، وعلينا أن نعي أن كلمة صلاة لا تعني الركوع والسجود دائما.

قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) الكوثر: ١ - ٢

هنا لا يقصد الركوع والسجود أو إقامة صلاة الظهر أو صلاة العصر إنما صلاة هنا من الصلاة.

أركان الإسلام وأركان الأيمان

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَحُجَّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ) رواه البخاري ومسلم.

هذا الحديث ككل الأحاديث التي نقلت إلينا، نقلت بالمعنى وليس حرفيا كما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم. وأرى أنه لو تم استبدال كلمة الإسلام بكلمة الأيمان في الحديث الذي نحن بصدده لكان أكثر انسجاما مع كتاب الله. أي (بُنِيَ الْإِيمَانُ عَلَى خَمْسٍ).

التكاليف تأتي بصيغة الأيمان وليس بصيغة الإسلام.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣

الإنسان حين يجوع، وأن يشرب حين يعطش، وأن يغضب عند الضرورة .. لكن الصيام يمنع كل ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...﴾ المائدة: ٦

الصلاة تفرض علينا أن نصحوا من نومنا لإداء تلك الفريضة .. أو أن نتوقف عن كثير من الأشياء إذا حان وقت الصلاة .. هذا ضد الفطرة.

كذلك الحال بالنسبة للزكاة، فالله جبل الإنسان على حب المال والسعي للحصول عليه، لكن الزكاة تطلب من الإنسان أن يعطي لا أن يأخذ، وهذا أيضا ضد الفطرة.

الحج أيضا ضد الفطرة لما فيه من مشقة وتكلفة.

أركان الإسلام التي وصلت إلينا كلها ضد الفطرة لأنها تكاليف، والتكليف يحتاج إلى مبلغ يُخبرك أن عليك القيام به، أما الفطرة فأنا نفعلها دون أن يخبرنا أحد بها كأن نأكل حين نجوع أو نشرب حين نعطش.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ الحجرات: ١٧

لاحظ قوله أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

الحجرات: ١٤

الأيمن يأتي بعد الإسلام. هم وضعوا العربية أمام الحصان .. وضعوا الصلاة والصوم والزكاة والحج أركاننا نقوم بها قبل أن نؤمن بالله. هل يعقل أن أصلي قبل أن أؤمن بالله؟

أعود وأقول أَنَّ الكل يقر أَنَّ الحديث نقل بالمعنى وليس بالنطق، ولو وضعت كلمة **الإيمان** بدل كلمة **الإسلام** لأصبح الحديث أكثر واقعية.

أكثر من ذلك الإسلام عالمي والإيمان محلي. ولهذا السبب فإن المؤمنين أتباع الرسالة المحمدية لا يتجاوزوا ال ٢٠٪ من سكان الأرض، وهذا ما أقره كتاب الله

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ يوسف: ١٠٣ صدق الله العظيم

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ يونس: ٩٩

هذا ناموس إلهي لن يتبدل، الإيمان خاص باتباع الرسالة الخاتمة.

كل عمل خير وأخلاقي وقيمة عليا أخلاقية يقوم بها أتباع الرسالة الخاتمة، وغير أتباع الرسالة الخاتمة هو من الأسلام. (الوفاء بالكيل والميزان، عدم الغش، رعاية الأيتيم، عدم قتل النفس ...)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

الكهف: ٣٠

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَهُ ﴿٨﴾ الزلزلة: ٧ - ٨

نحن نحاسب الناس على القيم وليس على العقيدة.

كل عمل لا يقوم به إلا أتباع الرسالة الخاتمة - سواء أكان شعائري أو خلقي - هو من الإيمان. (الصلاة كما فرضت، صوم رمضان، الزكاة، الحج، صلاة الجنازة ..).

نحن أمة محمد لنا خصوصيات، هذه الخصوصيات تفرقنا عن سائر الأمم، بحيث إنك إن رأيت شخصا يصوم رمضان أو يصلي أظهر أربع ركعات فإنك تعرف أنه من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

أخطأ الكبير أننا اعتبرنا أن أركان الإيمان على أنها أركان الإسلام وربطناها بالآيات الكريمة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ ... ﴿١٩﴾ آل عمران: ١٩

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

آل عمران: ٨٥

وبذلك أرسلنا ٨٠٪ من سكان العالم إلى النار، وعزلنا أنفسنا عن العالم.

إن الله سبحانه وتعالى حين يتحدث عن سمات خاصة باتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يذكر المؤمنين.

قال تعالى

﴿ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٤)

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٢)

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٣)

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢)

الأيمن الواحد يزيد وينقص. الذي لا يصوم رمضان مثلاً نقول أن أيمنه نقص، كذلك الذي يتقاعس عن الصلاة.

الأيمن يجب ما قبله

قالوا الأسلام يجب ما قبله، وأقول الأيمان يجب ما قبله لأن ليس قبل الإسلام شيء. الأسلام يسبق الأيمان. الإنسان يكون مسلماً قبل أن يؤمن. قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ محمد: ٢

عندما نفهم أركان الإيمان وأركان الإسلام بشكل جيد نستطيع أن نقدم إسلاما ذا بعد عالمي، وليس إسلام محلي كما هو حاصل اليوم.

نحن إن أردنا أن نخاطب العالم لن نخاطبهم بصوم رمضان ولا بصلاة الجنازة (ليس بأركان الإيمان).

أيضا علينا أن نفهم أنّ أركان الإيمان لا تتناقض مع ولاية الجنسية ولا ولاية القومية هذه قضية مهمة جدا. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ المائدة: ٥٥ ..

سؤال قد يتبادر على الذهن، هل ممكن أن يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر ثم لا تكون له شعائر ولا تكون له ضوابط؟

قلنا إنّ الإسلام خضع للاختلاف في الشعائر، والتراكم في القيم والتطور في التشريع. وقلنا إنّ الأيمان بالله واليوم الآخر هو المدخل إلى الإسلام، ويسبق كل شيء.

رجل في مكان ما يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا شيء، هو مسلم رغما عن أنف الجميع. هذا الرجل مسلم لله، ليس لي وليس لك، ولا لأحد على هذه الكرة أو في هذا الكون. نحن نحاسب هذا الإنسان على أعماله، ولا يوجد إنسان تصوره عن الله يطابق تصور الآخر.

أنواع التقوى

قلنا أنّ هناك إيمانين، الإيمان الأول له تقوى (الإسلام له تقوى "الإسلام دين الفطرة")، والإيمان له

تقوى. هذا واضح في قوله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ المائدة: ٩٣

اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الإيمان الأول هو الإيمان بالله واليوم الآخر والتقوى الأولى

هي تقوى الإسلام. وتقوى الإسلام هي الالتزام الكلي بما ورد في الآيات ١٥١ - ١٥٢ من سورة الأنعام كما قال سبحانه وتعالى

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ﴾

ذَلِكَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ ﴿١٥٣﴾ ﴿الأنعام: ١٥٣﴾

ثُمَّ اتَّقُوا وَعَاقِبَةُ اللَّهِ لَسْعَاءٌ هذه التقوى الثانية وهي تقوى الأيمان

ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا ۚ هنا تقوى الثالثة ولكن لا يوجد أيمان ثالث. هنا نقول أنه ممكن أن يكون عند الإنسان

تقوى أيمان دون أن يكون عنده تقوى إسلام أو العكس، ولكن إن اجتمعت عند إنسان واحد تقوى الأيمان وتقوى الإسلام عندها يكون من المحسنين، والتقوى هنا هي تقوى الإحسان. إذا

تقوى الإسلام + تقوى الأيمان = تقوى الإحسان ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

إذا الإحسان أن نلتزم بتقوى الأيمان وتقوى الإسلام، أي أن نلتزم ب ((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)) وب ((فاتقوا الله ما استطعتم))

هذا يتناسب مع تعريف الرسول للإحسان ألوارد في صحيح مسلم ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))

المحرمات

قلنا إنَّ الحرام شمولي وأبدي، وأنه لا يحق لأحد أن يحرم ما أحلَّ الله أو أن يُحلَّ ما حرم الله. وقلنا أنَّ الرسول الأعظم بختم الرسالة قد ختم المحرمات، وأنَّ هذه المحرمات قد انتقلت من أمر ونهي عند موسى عليه السلام إلى تحريم مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

إن القول بأن الموسيقى حرام يعني بأنه منذ اللحظة التي قيل فيها بتحريم الموسيقى وحتى قيام الساعة فإنه لا يجوز لأحد على أي مكان من هذا الكوكب الإستماع إلى الموسيقى. الإنسان لا يملك حق التحريم، الإنسان ينهى ويمنع ولكن لا يحرم. الطبيب مثلاً ينهى عن التدخين، السلطة تمنع التدخين. ولكن لا الطبيب ولا السلطة تملك الحق بتحريم التدخين.

المحرمات في الرسالة الخاتمة عددها ١٤ محرماً، والله نهانا أن نقول هذا حرام وهذا حلال ما لم يرد نص صريح بتحريمه في كتاب الله. قال تعالى

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ النحل: ١١٦

فما هي المحرمات التي وردت في كتاب الله؟

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣

لا يوجد في الأرض إنسان إلا وله في الإسلام نصيب. الآية ١٥٣ تشير إلى أن على الإنسان أن يتبع كل ما أُمِرَ إليه في الآيتين السابقتين دفعة واحدة وليس بالتقسيت. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ، الخروج عن هذا الصراط المستقيم لا يمكن أن يتم دفعة واحدة ولا يكون إلا بالتقسيت. إذا استحيل أن نجد إنسان على سطح الأرض يقوم بكل تلك المحرمات دفعة واحدة: يشرك بالله، لا يبر والدية، يقتل أولاده، يقرب ألفواحش، يقتل النفس، يأكل مال اليتيم، يغش في الكيل والميزان، يشهد زورا ولا يفي بعهوده .. تلك استحاله، ولذلك قلنا أنه لا يوجد إنسان في الكون إلا وله في الإسلام نصيب.

هذا الصراط المستقيم هو الذي ندعوا الله أن يهدينا إليه في كل ركعة ونحن نقرأ سورة الفاتحة

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ ﴾ الفاتحة: ٦

الخروج عن هذا الصراط المستقيم هو الإسراف، لأن الإسراف لا يكون إلا في الحرام

﴿ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الأعراف: ٨٠ - ٨١

﴿ لَا جَرَمَ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ

وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ غافر: ٤٣

﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ الزمر: ٥٣

ألبعد الإنساني في الصراط المستقيم.

محارم النكاح

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ

وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن

الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن

نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ

الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَذَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ

ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ

فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ النساء: ٢٣ - ٢٤

محارم الأطعمة

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ

وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ

تَسَنَّقِسُمُوا بِالْأَزْلَمِ ۚ ذَلِكُمْ فَسَقُ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ المائدة: ٣
الربا

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ البقرة: ٢٧٥

ألفوا حش

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ الأعراف: ٣٣

بقي أن نشير أخيرا أن الله سبحانه وتعالى حين يحرم لا يقول "يا أيها المؤمنون" لأنها لجميع أهل الأرض.

هذه هي المحرمات التي ذكرت في كتاب الله، وإذا اعتبرنا وما ذُبح على النُصب وأن

تَسَنَّقِسُمُوا بِالْأَزْلَمِ ۚ يصبح عدد المحرمات ١٦.

هناك تحريم مؤقت ورد في كتاب الله وهو الصيد في الأشهر الحرم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَنَّى عَلَيْكُمْ
غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ المائدة: ١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهٖ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُصْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ المائدة: ٩٥

واكثر ما هو محرم هو وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ

كون الْمُحَرَّمَاتِ لله فقط، وهي شمولية وأبدية فقد فصلها الله لنا

﴿... وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ...﴾ الأنعام: ١١٩

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ الأنعام: ١١٤

أحيانا مفصل بآيات القرآن وأحيانا مفصل بآيات الرسالة وكلاهما في المصحف.

الشرك

يُعدُّ الشرك من رأس المحرمات **أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ولكن كيف نوفق بين هذا القول وقوله

سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ يوسف: ١٠٦

في هذه الحالة معظم أهل الأرض يذهبوا إلى النار! ما هو الشرك الذي يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

عند انفصال الإنسان عن المملكة الالهيية – وقد ابتدأت المملكة الالهيية بالمشخص، حتى العلاقة بين الصوت والمدلول ابتدأت بالمشخص، حتى ألنهي عن الشجرة جاء مشخص ((هذه))،

﴿... وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ...﴾ البقرة: ٣٥ فالإنسان ميال بنفسه إلى التشخيص. ولقد

تطورت الرسالات وتطورت حتى وصلت إلى التجريد.

موسى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ البقرة: ٥٥

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي ۖ فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿١٤٣﴾ الأعراف: ١٤٣

كان في ذهن موسى عليه السلام إنَّ القوم طلبوا منه رؤية الله سبحانه وتعالى. إنتقال البشرية من التشخيص إلى التجريد أخذ آلاف السنين. بذهن قوم موسى الإله المجرّد غير واضح.

الله أعطانا مثالا عن التشخيص في سورة البقرة حين ذكر قصة ذبح البقرة

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَنَنخِذُهَا هُزُؤًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۖ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۖ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۖ صَفْرَاءُ ۖ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۖ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ۖ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا ۖ قَالُوا آلَتَن جِئْتَ بِالْحَقِّ ۖ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾

هنا تصوير لفكر قوم موسى إنهم يريدون بقرة محددة كي يذبحوها. ولذا فإن شريعة موسى احتوت على حوالي ٦١٣ بند تشريعي.

حتى اليوم من ينزعون إلى التشخيص يحددون أوصافا محددا للكش الذي يجب أن يُضحى به سواء بالنسبة لصوفه أو قرنيه.

بختم التشريع وصلنا إلى مرحلة التجريد، حتى آيات القرآن أعطيت صيغة مجردة، سيأتي يوما ونراها (تُشخّص).

الشرك الذي لا يغتفر هو التشخيص، أن تُشرك بليس كمثله شيء.

يعني

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۖ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٧

إذا سألت بوذيا عن تمثال بوذا، هل هذا التمثال هو خالق السماوات والأرض سيقول لا، لكن الذين قالوا أن الله هو المسيح شخصوا الله سبحانه وتعالى.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢

التسجيد هو الشُّرك الذي لا يغتفر.

رب السماوات سبحانه وتعالى جعل الكعبة مشخصة. هذه بيت الله وليس سكن الله. البيت هو مجموعة علاقات. في الكعبة تقام العلاقات مع خالق السماوات والأرض. والله سبحانه وتعالى ربط قمة الشخص (الكعبة) بقمة المجد (الصلاة) فجعل صلاتنا باتجاه الكعبة.

التثليث

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثٍ ۚ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة: ٧٣

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ليس كلهم، هؤلاء ليسوا في نفس المرتبة الذين قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

المسيحيين ليسوا واحدا هناك من قال أن المسيح هو الله، هؤلاء أشركوا "جسدوا الله".
عندما قال أن الله هو المسيح ذكر الشُّرك الذي يُحرَّم عليه الجنة، وعندما ذكر التثليث ذكر الكفر.

الكفر والشرك

لقد أوضحنا أن الشرك الذي لا يغفر هو شرك التمسيد.

الكفر – كفر أي غطى عن سابق معرفة حتى في الإنجليزية نقول "COVER". وبالتالي فإن قوله

سبحانه وتعالى ﴿... لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ...﴾ المائدة: ٦٥ أي لغطيناها.

الكفر موقف يجب أن تكون واعيا لما تكفر به ويكون موقفك منه عن سابق تصور والقرآن الكريم ذكر 7 أنواع من الكفر

• الكفر بمعنى الشرك بالله

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنَزَّل بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿آل عمران: ١٥١﴾

• الكفر بمعنى النفاق

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ

نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ

بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ آل عمران: ١٦٧

• الكفر بمعنى الاستكبار

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة: ٣٤

• الكفر بالآيات الكونية

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ آل

عمران: ٧٠

• الكفر مقابل الشكر

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكُمْ لِمَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابٍ لَشِيدٍ ﴿٧﴾ إبراهيم: ٧

• الكفر مقابل النعمة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ إبراهيم: ٢٨ ﴾

• الكفر مقابل الإنفاق

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾

الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ الحديد: ٢٤

إذا قلنا إنسان كافر يجب أن نقول كافر بماذا. كافر وحدها لا تكفي.
شخصان أو طرفان مؤمنين بالله واليوم الآخر، أحدهم ضد الآخر بقضية سياسية ما، تقاتلا .. كل
منهم كافر بقضية الآخر. الكفر يكون بقضية أو بموضوع.

مفهوم الكفر يجب أن يكون موقف واضح. مثلا – أنا كافر بمبدأ باب سد الذرائع، اي أنا ضد هذه
الفكرة ولا أؤمن بها.

مصطلح دار الكفر ودار الأيمان لا يعني شيئا، هذا مصطلح سياسي تاريخي بحت، أطلقه الفقهاء في
زمن كانت فيه الدولة الإسلامية أقوى دولة في المنطقة. هذا المصطلح سياسي وليس له اي علاقة
بالعقيدة.

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ ﴿١﴾

البينة: ١

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ليس كل أهل الكتاب. هناك من أهل الكتاب ممن سمعوا بالرسالة المحمدية لم
يقفوا معها، لكنهم لم يقفوا ضدها ولم يتخذوا أي موقف منها. الذين كفروا هم من وقفوا ضدها
وحاربوها وأخذوا موقف عدائي منها. هنا الحديث ليس عمن كفر بالله أو لم يكفر بالله. الحديث هنا
عمن اتخذ موقفا من الرسالة الخاتمة ومن لم يتخذ موقفا منها (أي كان سلبيا).

وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

تحت شعار بر الوالدين صار عندنا استبداد أسري واستبداد اجتماعي. الله سبحانه وتعالى فصل لنا
كيف يكون بر الوالدين. قال تعالى

﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

الإسراء: ٢٣ - ٢٤

﴿ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا ۖ وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تُطْعِمُهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ العنكبوت: ٨

﴿ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَرٌ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ لقمان: ١٥

من رأى والذين يُجاهدا ابنهما ليشرك بالله؟ من سمع بهذا؟ هناك

تهديد

وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي

ترغيب (مكافأة)

وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ

لنفهم ما هو المقصود بالشرك في الآيات (العنكبوت: ٨) و(لقمان: ١٥) نقرأ قوله تعالى في سورة الكهف

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا

بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ

جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ

قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ الكهف: ٣٢ - ٣٨

الرجل الأول لم يشرك، قال مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا .

ماذا كان جواب الرجل الثاني أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا .

أي هذا قانون التطور، والرجل الأول ألغى هذا القانون بأن جنته لن تبديد ابدا.

هنا مجاهدة الآباء تماما بنفس الصورة، يريدوا أن يثبتوا كل شيء كما عهدوه، ولا يرضوا ولا يوافقوا على تطور الحياة، هذه التقاليد. كأن يقولوا لابنهما:

إذا لم تنزوج ابنة عمك أغضب عليك **وإن جَهْدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي .**

وإن تزوجتها أعطيك بيتا أو سيارة **وإن جَهْدَاكَ عَلَيَّ أَنْ تُشْرِكَ .**

رب العالمين حسم قانون التطور لصالح الأبناء وعدم خضوع الأبناء لفرض الزوج أو اختيار الدراسة أو المهنة لا يعد عقوق للوالدين. أما أخلاقيا فقد حسم الله القضية لمصلحة الآباء.

فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أَمْرٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . حتى وأنت تخالفهم الرأي عليك

أن تكون مؤدبا ولبقا في رفضك وأن لا يسبب رفضك أي عدا بينك وبينهم فَلَا تُطِعْهُمَا

وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا .

أبعد الإنساني في العلاقات أن العائلة تبقى معا، في المملكة البهيمية فإن الأب لا يعرف أبيه بعد أن يصبح قادرا على تأمين حياته. لذلك قال تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ، ولم يقل ((وَوَصَّيْنَا الْوَالِدَيْنِ بِأَبْنَائِهِمْ)) لأن هذا أمر فطري طبيعي.

إذا من ناحية التطور والتقدم والتحرر وحرية الإرادة وحرية القرار فقد حسم رب العالمين الأمر

لمصلحة الأبناء ... لا تقل ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ

مُهْتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٢. أما من الناحية الأخلاقية فإن الأمر حسم لصالح الآباء وليس

الأبناء.

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا

هنا لا علاقة للإجهاض. المقصود هنا قتل الأولاد بعد الولادة. قديما لم يكن لهم القدرة على إطعام الأولاد وتأمين الحياة اليومية لهم، فكانوا يقتلونهم بعد ولادتهم فحرم الله ذلك.

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنُ

يجب أن نُميز بين **وَلَا تَقْرَبُوا** و **اجْتَنِبُوا**. اجتنبوا ولا تقربوا لا تعني التحريم.

اجتنبوا يقال لشيء تراه دائما أمامك. لا تقربوا يقال لأمر تقصد في مظنها.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣٢) الإسراء: ٣٢

﴿ ... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (٣٠) الحج: ٣٠

عبادة الشمس، عبادة القمر، عبادة النار ... كلها من الوثنية نراها دائما أمامنا. أما الزنى فإنه يقصد إلى أماكن خاصة لممارسته الإنسان.

اجتنبوا (تحاشوا) ... لا حكم فيها.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ (٩١) المائدة: ٩٠ - ٩١

الخمير والميسر نهى عنها

الأنصاب والأزلام تحريم

في الآيات (المائدة: ٩٠ - ٩١) لم يعط حكم. إنما جاء تحريم الأنصب والأزلام في الآية (المائدة: ٣).

رجس الأنصاب الذبح

رجس الأزلام الاستقسام

رجس الخمر السكر

يقول البعض إن الإجتنب أكبر من التحريم، نقول أن الله سبحانه وتعالى قال (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ) وأمرنا بإجتنب الخمر. فهل شرب كأس من البيرة أصعب من نكح الأم. معاذ الله

أي عقل يقبل ذلك.

ألفوا حش ثلاثة

- ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ النساء: ١٥ (السحاق)

- ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ النساء: ١٦ (اللوواط)

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ الإسراء: ٣٢ (الذكر والأنثى)

نكاح المحارم يعد فاحشة حتى لو كان بعقد.

لقد شرح الله لنا عقوبة الزنى في الكتاب. قال تعالى

- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾
- النور: ٢ - ٣

نشير هنا لنقول أن الزَّانِيَة والزَّانِي تعني عازبة وعازب، أما مُشْرِكَة ومُشْرِك هنا فإنها تعني الممتزوجة والممتزوج. أي المُشْرِكَة أشركت شخصا آخر سرير زوجها. وفعل نكح هنا تعني العملية الجنسية وليس العقد.

وَلَا تَقْنُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

الأنفس هي التي تتنفس.

الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما حرم الله، أما في القتل فالأساس الحرام إلا ما أحل الله. الأساس
إحترام الحياة لأن للحياة قيمة.

نحن نتكلم عن النفس البشرية والكائن الحي بشكل عام – البشر والحيوان.

رب العالمين لم يُحرّم قتل الضّبع لأنّه بالأصل حرام، لكنّ الله أحلّ لنا الأنعام، لأننا حين نريد أن
نأكل لحمها علينا ذبحها، إذن هناك قتل. لكنّ الله طلب منا أن نُسَمّي – ماذا يعني ذلك؟ نحن نذبح
البقرة ونقول بسم الله أكبر، وكأننا نجيب عللا سؤال: أنت تقتل نفسا، من سمح لك؟ فنرد بالتسمية
والتكبير أنّ الله سمح لنا.

الذبيحة تعتبر نفسا ولهذا قال تعالى ﴿... وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ ...﴾ الحج: ٣٠

هذه نفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق. لم يقل سبحانه وتعالى "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الضَّبَاعُ" لأنّ الضباع
ليست من الأنعام. لذا مطلوب منا نحن أتباع الرسالة المحمدية الحفاظ على الحياة على سطح الكرة
الأرضية وأن لا نأخذ إلا ما يلزمنا من الطعام والدفاع عن أنفس، وليس أكثر من ذلك.

هناك قتل الإنسانية ولا نعني هنا قتل البشر فهل هذا حرام أيضا؟

الله سبحانه وتعالى بنفخة الرّوح أعطى الإنسان المعرفة وأعطاه القيم. الجهل عدو الإنسانية – أجهل
يقتل الروح الإنسانية. إذا أردنا أن نحافظ على إنسانية الإنسان علينا أن نعطيهِ المعرفة وأن نعلمه.
إنّ تعليم الإنسان هو ضرورة أساسية للبعد الإنساني ولكي يمارس الإنسان إنسانيته. وكأنّ هنا بعض

الإشارة لقوله تعالى ﴿... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ...﴾

المائدة: ٣٢. أما قوله سبحانه وتعالى

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ

سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣

فالمقصود أن العقاب يكون فقط من القاتل وليس من أي شخص آخر، وهنا إشارة إلى حرمة الثأر.
الله سبحانه وتعالى يُحذّرنا من التعرض لأي أحد غير القاتل نفسه – لا يُقتل إلا القاتل.

ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

جاء تسلسل الوصايا تاريخيا، في الآية التي تلت انتقلنا إلى التجريد. في أول الآية التالية إنتقلنا إلى

مفهوم اليقين ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الإسراء: ٣٤

وقد فصل الله لنا ذلك كيف يكون:

﴿وَأَنْتُمْ أَلْيَنَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ

حُوبًا كَبِيرًا﴾ النساء: ٢

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْفَعُ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ النساء: ٣

﴿ وَأَبْنُوا إِلَيْنَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ النساء: ٦

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ الضحى: ٩

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۚ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ

فِي يَتَمَى النِّسَاءِ ۚ أَلَّتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ

وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوُلَدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ النساء: ١٢٧

القرآن الكريم يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الْيَتِيمَ كَانَ مَعْرُوفًا زَمَنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ
وَالْعَبْدِ الصَّالِحِ. قَالَ تَعَالَى

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ،

عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ الكهف: ٨٢

وَحَدَّدَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ الْيَتِيمَ هُوَ فَاقِدُ الْأَبِ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**. هُنَا ذَكَرَ الْيَتِيمَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، ولكن فيه إشارات تاريخية. كلمة حرام مثلا أول ما وردت في
القرآن الكريم وردت مع إبراهيم عليه السلام ووردت في المكان "بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ". كلمة يتيم أول ما
وردت في القرآن الكريم وردت في قصة موسى والعبد الصالح "الْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ".

من هذا المنظار ننظر إلى القصص القرآني. الله سبحانه وتعالى يعطينا نبذة من خلال ألقصص القرآني عن تطور التاريخ.

ليس عبثاً أن نرى في الحفريات ديناصور لنستنتج من خلال الحفريات أن هناك عصر إسمه العصر الجوراسي "عصر الديناصورات".

الديناصور انقرض منذ ٦٥ مليون سنة ووجدناه. الذين يقولون أن آدم عليه السلام كان طوله ٦٠ ذراعاً ليعطونا دليلاً على ذلك. هل ساروا في الأرض ليروا كيف بدأ الخلق – كما أمرنا الله سبحانه وتعالى؟ ما هي الدلائل التي اعتمدوا عليها ليقولوا ذلك؟

يلوم البعض أننا ندرس التاريخ من منظار مادي ونقول ما العيب ما دام الكون مادي.

الوجود مادي موضوعي .. الوجود الموضوعي لله، والوجود المادي الموضوعي هو للكون.

القرآن هو كتاب الله المسمطور، والكون هو كتاب الله المنشور وما دام خالق الكون هو منزل القرآن فيجب أن نرى تطابقاً بين الكتاب المسمطور والكتاب المنشور.

حتى نظرية المعرفة في القرآن هي نظرية مادية.

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكِلُفٌ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ

صناعات الدنيا قائمة على هذه القاعدة. المواصفات للسلع هي عبارة عن الكيل (الحجم والوزن)، أي مواصفات يجب أن تحتوي إما الحجم أو الوزن.

بالقسط: القسط غير العدل، ولقد جاء القسط والعدل في آية واحدة

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ فَإِنَّ

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ النساء: ٣

ألقسط يكون من طرف إلى آخر (أنا أقسط إليك)

أعدل يكون بين طرفين (أنا أعدل بينك وبين أخيك)

مثلاً إذا تزوج رجل أم يتيم فهو يقسط لليتيم، وحين يضم اليتيم إلى أولاده، فعليه أن يعدل بين اليتيم وأولاده.

أما في البيع فالمفروض في الكيل والميزان أن يكون لمصلحة الشاري قبل أن يكون لمصلحة البائع. هذا هو القسط.

لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ هنا الحديث عن دقة الوزن. نحن حين نبيع دواء مثلاً فإن دقة

الوزن تختلف عنه في حال بيعنا قمحاً. أحياناً يستحيل أن يتساوى الوزن مئة بالمئة .. الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نتوخى الدقة حسب إمكانياتنا، لا يوجد عسر في هذا الأمر، علينا أن نستخدم التقنية الموجودة.

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

هذه القيمة تعتبر مادة في الدستور. هذه ليست قانون، هذه مادة في الدستور. الله فصل لنا هذه القيمة، قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ

الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوًى أَنْ

تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ النساء: ١٣٥

في دساتير معظم دول العالم يحق للإنسان أن يمتنع عن الشهادة إذا كان هناك احتمال أن تؤدي شهادته إلى تجريمه. يحق له أن لا يشهد ضد نفسه، ولكن إن شهد عليه قول الحق. إذا رضيت أن تشهد على نفسك إياك أن تقول إلا الحق. كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ هنا عندما تشهد على نفسك.

وقال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة: ٨

هنا عندما تشهد على أشخاص لا تحبهم أو بينك وبينهم عداوة عليك أن تشهد بالحق أيضا. قلنا ونعيد، هذه ليست قوانين .. هذه نص دستوري. كيان الدولة قائم على الدستور. الدستور أساس نظام القضاء وهو أعلى من القانون. بعض المجتمعات وصلت إلى هذه القيم. أقيم أعلى كثيرا من القوانين.

وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا

هناك اصطلاحات يجب التمييز بينها: العقد، العهد والميثاق.

العقد يكون بين شخصين (عقد بيع سيارة، عقد شراء بيت)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴾ المائدة: ١

العهد لا يكون إلا مع الله.

انت أصبحت مواطن لدولة ما، فتقسم يمين المواطنة والانتماء للدولة. هذا اليمين لا يحق لك نقضه والتكفير عن ذلك بصيام أيام ثلاث. كذلك الطبيب لا يمكنه بأي حال من الأحوال نقض ما أقسم عليه.

لنأخذ مثلاً ربما يوضح الموضوع أكثر. أنت خالفت إشارة ضوئية أثناء قيادتك لسيارتك هذا موضوع ليس له أي علاقة بالحلال والحرام. لكن لو إنك قبل حصولك على إجازة القيادة أطلعت على قانون السير علناً وأقسمت أمام الناس أنك لن تخالف هذا القانون وأن تتقيد بحذافيره ومن ثم خالفت وتجاوزت الإشارة فإن هذا يصبح حرام لأنك تكون قد نقضت العهد.

العهد يجب ان يكون علني.

ما يحز في النفس أنّ الكثير يقسمون على المهنة دون معنى. الطبيب مثلاً الذي أقسم على أن يحافظ على أسرار مرضاه ثم يخبر تلك الأسرار للآخرين هذا حرام.

الميثاق هو مضمون العهد (أي البنود نفسها)

علينا أن نبدأ بتربية أجيالنا بحيث يصل الإنسان إلى سن ١٨ عاماً أن نأخذ منه ميثاق الإيمان وميثاق الإسلام طوعاً حتى يقر أنه دخل الإسلام عن قناعة وليس بالوراثة.

ميثاق الإسلام يعني الالتزام بالقيم

ميثاق الإيمان الالتزام بالشعائر والعبادات.

بقي أخيراً أن نقول في هذا الأمر أنّ الآية ١٥٣ من سورة الأنعام تشير إلى أن علينا أن نتبع هذه

الوصايا كلها دفعة واحدة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَفَرَّقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ الأنعام: ١٥٣

محارم النكاح

بينت الآية ٢٣ من سورة النساء محارم النكاح المحرم على الإنسان عقد نكاح معهن.

الترتيب الوارد في هذه الآية هو ترتيب أنثروبولوجي – أي ترتيب تاريخي.

ما يميز الإنسان عن الحيوان في هذا المجال، أن الحيوانات ليس عندها محارم نكاح.

المجتمع بدأ مجتمع أمومة. الأنسنة بدأت إجتماعياً وليس معرفياً. الإنسان تعرف على أمه بعد البلوغ (دخلت أمه بالوعي – مجتمع أموي) وعلماء الاجتماع يُسمّون ذلك المجتمع مجتمع المشاع.

إذاً أدرك الإنسان أمه أولاً، ولم يدرك أخته وعمته وخالته أو أبوه. ولهذا بدأ التحريم بالأم.

ولنرى أن المجتمع العربي مجتمع غارس في القدم، فإن آثار هذا التحريم كان في السفاح، حيث كان أكثر من عشرة رجال يجامعون امرأة واحدة وإذا حملت فإنها تحدد من هو والد الطفل، ولا يحق للذي اختارته أبا أن يرفض ذلك الاختيار. هذا من بقايا مجتمع الأمومة.

هذا الترتيب مهم تاريخيا - وعي الأم، وعي ألبنت ووعي الأخت. هنا تشكلت الأسرة. بعدها بدأ الإنسان يعي من هو أبيه، ومن ثم أصبح ينتسب لأبيه وليس لأمه. حتى المرأة أصبحت تنتسب لزوجها.

النسب للأب مرحلة حضارية. هذه قفزة في المجتمعات الحضارية. هذا مفهوم إنساني لأن المجتمعات البهيمية مجتمعات أمومية (غريزية).

إذن أصبح هناك ما يعرف بمحارم النكاح، أصبحت ألبنت تعي أن هذا أبوها ولا يجوز أن تجمعه.

آخر ما ورد في هذا الترتيب هو ﴿... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ...﴾ النساء: ٢٣ لأنه حتى قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يجمعوا بين الأختين، لهذا نقول أن ترتيب ذكر المحارم جاء ترتيبا تاريخيا.

ألربا

ألربا ذكر في آيات سبع في المصحف الشريف

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٧٥

هل البيع أصلا حرام حتى يقول سبحانه وتعالى وأحل البيع؟

قال تعالى

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ ذَكْوَرٍ

تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ الروم: ٣٩

هنا قارن ألربا بالزكاة. نحن نتصدق على الفقراء والمساكين، هؤلاء إذا أعطيناهم قرضا هل لهم القدرة على ايفائه. هنا الحديث ليس عن شركات النفط ولا على المصانع الكبرى، هنا الحديث عن شريحة في المجتمع لا تقدر أن تقي دين.

كان هناك من يُقرض هذه الفئة وحين يعجز الأفراد عن السداد يزيد عليهم المبلغ (يربوا) حتى يبلغ أضعاف المبلغ الأصلي.

هنا أيضا لا يتكلم عن فوائد ألبنوك.

﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: ٢٧٦

هذه هي الحالة الأولى من الربا.

هناك حالة ثانية

﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا

تُظْلَمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٩

هنا أخذ التضخم في الاعتبار.

أنت أقرضت إنسان ١٠٠٠ دولار على أن يسدها إليك بعد ٣ سنين مثلاً. حين يأتي لإرجاعها إليك تكون قيمتها الشرائية تغيرت،

الحالة الثالثة

﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٨٠

نقول أخيراً

فوائد البنك – عقد

المساكن بالتقسيط – لا غبار عليها

البنك يتقيد بنسب الفوائد، المرابي لا يتقيد ويزيدها أضعاف مضاعفة (وهذا هو الربا الحرام).

مهما طال القرض في البنك لا يجوز أن تبلغ الفائدة الضعف

﴿يَتَأْتِيهَا مِنَ الْبَنِّ ءَامِنُونَ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٣٠

الحنيفية والإستقامة وعلاقتها بالحدود

عندما نقف لُصَلِّي نَسْتَفْتِح صَلَاتِنَا بِدَعَاءِ فَنَقُولُ ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ...)).

ثُمَّ نَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ فَنَقُولُ ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦ . فِي الدَّعَاءِ كُنَّا نَقْرَأُ بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَطْلُبُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

الحنيفية والإستقامة قد يبدو لمن يتأمل ويتدبَّرُ أَنَّهُمَا مُتَعَارِضَتَانِ. هَلْ هُمَا مُتَعَارِضَتَانِ؟ هَلْ هُمَا مُتَكَامِلَتَانِ؟ هَلْ هُمَا مِنَ الْأَزْوَاجِ؟ أَمْ هَلْ هُمَا مِنْ جَدَلِ الْأُضْدَادِ؟

يَبْدُو أَنَّ اللفظتين للكثير من الناس متعاكستين!

الحنيفية والإستقامة هما من جدل الأزواج، وليس من الأضداد. هناك تأثير وتأثير متبادل بين الحنيفية والإستقامة.

- **الحنف** هو الميل
- **الحنف** هو الميل في الوصية
- **الحنف** هو الميل في الصوت

كل هذه الأمور ميزات جذر واحد وهي تعني الميل.

الطبيعة نفسها هي الميل (حنيفية)، متغيرة. أول من اكتشف هذا القانون قانون الحنيفية هو سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٧٤)

﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥)

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ (٧٦)

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (٧٧)

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٨)

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩)

﴿ الْأَنْعَامِ: ٧٤ - ٧٩ ﴾

الحنيفية صفة السماوات والأرض .. في الطبيعة كل شيء متغير ولا يوجد أي شيء ثابت فيها، من الكواكب والنجوم إلى أصغر الذرات والالكترونات كلها متغيرة. الثبات غير موجود في الطبيعة. الثبات لله فقط.

هنا جاءت الحنيفية – صفة التغير. ميل كل نقطة يختلف عن ميل النقطة التي قبلها. التطور في كل شيء والثبات غير موجود. لو أخذنا صورة ميكروسكوبية لجسم ما ثم أخذنا صورة أخرى بعد ثانية واحدة سنجد أن الصورة الثانية تختلف عن الصورة الأولى. هناك تغير مستمر في كل جسم في هذا الكون. الكون نفسه أيضا متغير.

وعى هذا التغير بالنسبة للأجسام الحية هو الموت، وفي الأجسام غير الحية تغير الشكل.

قد يقول قائل، ألتمو أيضا تغير، الطفل يكون صغيرا ثم يكبر، هذا أيضا تغير. نقول هذا التغير إذا لم نؤمن به يكون هناك شرك. وهذا ما أرادنا الله أن نفهمه في مثل الرجلين في سورة الكهف:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ﴾ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۖ﴾ (٣٧)

الكهف: ٣٥ – ٣٧

الرجل الذي دخل جنته ألغى قانون التطور، وثبت الحال، وبهذا لم يعد هناك أي معنى للساعة بالنسبة له ولهذا قال له صاحبه أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ليذكره بأن كل شيء هالك.

إذا ثبتنا كل شيء ينتهي الموت، وينتهي البعث، وتنتهي الساعة.

الله لم يلهنا الحنيفية – نحن طلبنا من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، لأن طبيعتنا حنيفية.

الأمثال في كتاب الله هي من القرآن

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا (ليس المقصود هنا الجنس وإنما جعلك تسير على رجلك)

إذا هنا إشارة لقانون التطور وعدم الثبات .. تراب، نطفة، رجلا.

إبراهيم عليه السلام ربط الثبات أيضا بالشرك. قال تعالى:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ الأنعام: ٧٩.

وهذا واضح أيضا في علاقة الأبناء بوالديهم:

﴿... وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ العنكبوت: ٨

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ لقمان: ١٥

هنا يريد الآباء أن يثبتوا التطور وأن يلزموا أبناءهم بأن يتقيدوا بما ورثوه هم عن أجدادهم وبذلك يوقفوا حركة التاريخ. فالشرك هنا هو الثبات أي الحفاظ على العادات والتقاليد والموروثات.

قلنا إن الطبيعة حنيفية، وكل مظاهرها كذلك.

السكر في الدم مثلا. نسبة السكر في الدم من ٧٠ - ١١٠. في كل لحظة فإن نسبة السكر تتغير بين ٧٠ وال ١١٠. إذا نقص عن ٧٠ معناه أن هناك نقص والإنسان يشعر بذلك، وإذا ازداد عن ١١٠ أصبح هناك ارتفاع في السكر، والوضع غير طبيعي. هذ يعني أن رب العالمين قد وضع في الطبيعة نفسها مجال الحنيفية

قد يقول قائل، كيف أكون حنيفا (متغيرا) وبنفس الوقت أكون مستقيما. نقول تماما إن مثال السكر في الدم هو خير جواب على هذا التساؤل. نسبة السكر تتغير في كل لحظة بين ٧٠ وال ١١٠ ومع كل تغير بين هذين الحدين فإن النسبة صحيحة.

كوننا حنفاء بطبيعتنا - طلبنا من رب العالمين - أن يهدينا الصراط المستقيم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِلْخَلْقِ لِلَّهِ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الروم: ٣٠

الدِّينُ الْقَيِّمُ أي المسيطر.

هذه الطبيعة الحنيفية المسيطرة على كل أهل الأرض. الآية الكريمة ذكرت الفطرة، إذا جزء من طبيعة الإنسان أن يكون حنيفيا متغيرا منسجما مع طبيعة الكون.

الرسالة المحمدية رسالة حنيفية ((حنيفا مسلما)). اليهود والنصارى مسلمين ولكن ليسوا حنفاء.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

﴿ ٦٧ ﴾ آل عمران: ٦٧

اليهود والنصارى ليسوا دين بل ملة

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ﴾ البقرة: ١٢٠

شريعة موسى عليه السلام غير حنيفية، ولذا فهي شريعة مؤقتة.

الرسالة المحمدية

نقول أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الرسول الخاتم أي معه خُتِمَتْ المحرمات. بعد محمد صلى الله عليه وسلم لا يحق لأحد أي كان، سواء أكان بشرا أم برلمانا أم مجمعا فقهيا أن يقول عن شيء لم يرد نص صريح بتحريمه أن هذا الشيء حرام. الحرام لله وهو شمولي وأبدي، وأي تحريم جديد يحتاج إلى رسول جديد. ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل فأن المحرمات ختمت بما نُصَّ عليه في كتاب الله.

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

﴿ ١٦١ ﴾ الأنعام: ١٦١

في هذه الآية نجد

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

دِينًا قِيَمًا

حَنِيفًا

مِّلَّةَ

أقيم في الصراط المستقيم، والشرائع جاءت حنيفية.

العالمية في التشريع (الشرائع العالمية)، الشعائر محلية (خاصة باتباع الرسالة المحمدية)

معظم أقيم موجودة في المحرمات.

سؤال قد يتبادر إلى الذهن وهو أن المجتمع العربي زمن الرسالة كان مجتمعا بسيطا جدا، والرسالة الخاتمة جاءت عالمية. كيف استطاع هذا المجتمع استقبال هذه الرسالة وكيف استوعبها؟

كيف استوعب المجتمع العربي البسيط رسالة عالمية شاملة؟

هناك قاعدة تقول أن المعرفة تتراكم، وأن التشريع يحصل نتيجة قفزات.

لقد كان المستوى المعرفي والمستوى الاجتماعي والمستوى الثقافي والمستوى الإقتصادي للعرب في غاية البساطة بل إنه كان بدائيّ جدا.

حياة الرسول الأعظم في المدينة المنورة كانت غير كافية لإستنفاد أحكام الرسالة الخاتمة. الرسول الأعظم عاش حوالي ١٠ سنوات في المدينة المنورة، والرسالة المحمدية عالمية، هذه العشر سنوات غير كافية لإستنفاد أحكام الرسالة التي جاء بها الرسول الخاتم. **التعددية الزوجية** حتى الآن لم تطبق.

نستنتج أن تشريع الرسالة المحمدية كالنبوة تماما ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧)

الأنعام: ٦٧. المستوى المعرفي كان كثيرا متخلف زمن الرسالة، وكلما تقدم المستوى المعرفي كلما تأولت لنا آيات النبوة. التأويل النهائي للآية هو تحويل النبأ إلى خبر أي يصبح واقعا يرى. الآن معظم أهل الأرض تبنت وتقلد الرسالة الخاتمة.

محلية الرسالة الخاتمة في السيرة النبوية.

هناك فرق كبير. الرسول الأعظم عاش في شبه جزيرة العرب، ولد سنة ٥٧٠ ميلادية، وتوفي سنة ٦٣٢ ميلادية، أي إنه عاش في إطار جغرافي تاريخي محدد.

السيرة النبوية، وبالذات ما ثبت منها في المصحف، مثل سورة التوبة وسورة الأنفال وما جاء في سورة آل عمران وبعد السور التي ورد فيها ذكر لأحداث حصلت في زمن الرسول الأعظم – أي الجزء القرآني للسيرة النبوية، عبارة عن أحداث محدودة في التاريخ والجغرافيا وهي من القصص القرآني، تماما كقصة يوسف أو قصة موسى عليهما السلام. هذه القصص لا يؤخذ منها أحكام بل يؤخذ منها العبر. هذه الأحداث التي حصلت في عهد الرسول الأعظم وذكرها القرآن الكريم لها علاقة بالسلطة ولها علاقة في تقييم السلطة .. هي أحداث كأحداث موسى عليه السلام مع فرعون أو أحداث نوح عليه السلام مع قومه .. هذه قصص قرآني وليست رسالة. هذه الأحداث هي عبارة عن القصص المحمدي وهي من القرآن وهي ليست منسوخة.

الرسالة هي الأحكام والنبوة هي القرآن.

القصص المحمدي جزء من النبوة، لا يؤخذ منه أحكام وهو وحي تلازم فيه الإنزال والتنزيل وهو

جزء من القرآن نأخذ منه العبر، تماما كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

الله سبحانه وتعالى ثبت هذه الأحداث في المصحف ليقول لنا أن ما يلزمكم من السيرة النبوية في الأزمان والمكان موجود في هذا الكتاب الموحى إلى نبيه.

في المصحف دين وعقيدة .. خارج المصحف تاريخ.

كيف استوعب المجتمع عالمية الرسالة؟

هنا لا بد لنا من توضيح الفرق بين شريعة الرسول الأعظم والشرائع السابقة، كشريعة موسى عليه السلام. لقد كانت شريعة موسى شريعة عينية حدية لكل حالة جاء حكم بعينه يتناسب مع مجتمعهم ومع الإشكاليات الموجودة آنذاك، ولذلك نجد في شريعة موسى عليه السلام ٦١٣ بند تشريعي. بينما شريعة الرسول الأعظم شريعة حُدُودية وليست عينية.

ما هو المقصود بأن الشريعة الخاتمة شريعة حُدُودية؟

عين الإنسان تستطيع رؤية موجات الضوء التي تتراوح بين ٤٠٠ – ٧٠٠ نانوميتر، وهي الألوان التي تتراوح بين اللون الأحمر واللون البنفسجي. إذا هذه هي حدود الرؤية للعين البشرية. حد أدنى ٤٠٠ نانوميتر وحد أعلى ٧٠٠ نانوميتر. كل أطوال موجات الضوء الواقعة بين هذين الحدين يمكن للعين البشرية أن تراها. أما موجات الضوء ما دون الـ ٤٠٠ نانوميتر أو تلك التي هي فوق الـ ٧٠٠ نانوميتر فإن العين البشرية غير قادرة على رؤيتها.

الأذن البشرية تستطيع أيضا أن تميز الأصوات ذو الذبذبات المحصورة بين ٢٠ – ٢٠٠٠٠ هرتز. أي أصوات خارج هذه الحدود فإن الأذن غير قادرة على سماعها.

أعلى نقطة على سطح الأرض هي قمة أفرست ألبالغ ارتفاعها ٨٨٨٤ م عن سطح البحر، وأقل نقطة إنخفاضا على سطح الأرض عند ساحل البحر الميت (٣٦٢ م تحت مستوى البحر). سكان الكرة الأرضية يعيشون بين هذين المستويين. إذا لا يتجاوز أولئك الذين يسكنون المناطق الأقل إنخفاضا عشرات الآلاف وتلك الأكثر ارتفاعا العشرات، بينما البقية من سكان الأرض ينوسون بين المستويين.

لا يصح أن يأتي إنسان ليقول لك أنّ عليك أن تعيش على ارتفاع ٦٥٠ م عن سطح البحر. تماما كما لا يصح أن يقول لك الطبيب أن تسبة السكر في الدم لديك يجب أن تثبت عند الـ ٧٨ مثلا .. هذه استحالة.

أيضا ألد الأدنى للسرعة للخروج عن نطاق الجاذبية الأرضية هو ١١ كلم/ثانية، لكن هذا لا يعني أن علينا أن نرسل صاروخ بهذه السرعة ليخرج عن نطاق جاذبية الأرض، إذا يمكن للصاروخ أن ينطلق بسرعة ٢٠ كلم/ثانية أو ٣٥ كلم/ثانية أو أي سرعة فوق الـ ١١ كلم/ثانية. دائما هناك حد معين.

سكان مصر أيضا، عددهم حوالي ٩٠ مليون نسمة مثلا. كم عدد سكان مصر الذين يعيشون تماما على حدود الأراضي المصرية، نسبة لا تذكر بالنسبة لعدد السكان. سكان مصر بشكل عام يتمركزون ضمن حدود الدولة المصرية وينوسوا ضمن هذه الحدود.

ملعب كرة ألقدم له حدود، لا مشكلة إن لمست الكرة ألد أثناء اللعب، لكن غير مسموح أن تتجاوز الكرة حدود الملعب. هناك احتمالات لا نهائية للعب داخل الملعب.

هذه الفكرة عن الحدود هي تماما ما نراها في المصحف وهي تماما ما نغنيه عندما نقول أن **الرسالة الخاتمة هي رساله حُدُودية وليست حدية.**

الله سبحانه وتعالى عندما ذكر آيات الإرث قال بعدها:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) وَمَنْ
 يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
 مُهِينٌ ﴿ ١٤ ﴾ النساء: ١٣ - ١٤

لاحظ قفوله سبحانه وتعالى وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، الإرث حدود، ليس عين الإرث، لكن حدود
 الإرث. ماذا تعني حدود؟

إرث الزوجة الربع والثلث هو الحد الأدنى لإرث الزوجة. إذا توفي رجل وليس له أب أو أم أو
 أولاد، وله زوجة وله إخوة. الإخوة يأخذوا الثلث والزوجة تأخذ الثلثين.
 مهما كلنت الظروف فإن الحد الأدنى لحصة الزوجة هو الثلث. سيتم شرح موضوع الإرث لاحقاً
 لكن ما نريد أن نقوله هنا إن الأنثى هي الأساس في الإرث وإن الذكر تابع لها. قال تعالى ﴿لِلذَّكَرِ

مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ لنعرف حظ الذكر لا بد من أن نعرف حظ الأنثيين. تماماً كما نقول
 حظك مثل حظ أخيك، فلنعرف حظك لا بد من أن نعرف حظ أخيك.

آيات المواريث من الرسالة (حدود)، علم المواريث له طابع تاريخي .. طابع زمني، مكاني معرفي.
 هنا أريد أن أقول أن النسبة قد تزيد أو تنقص لكن يجب أن لا تقل عن نسبة معينة، تماماً كنسبة
 السكر في الدم.

هناك حدود لا يجب أن نتعدها . وهناك حدود يجب أن لا نقربها.

أحياناً يجب أن نقف على الحد وأن لا نتجاوزه كأن نعطي المرأة الثلث في الإرث مثلاً (لا تعتدوها).
 أما قوله سبحانه لا تقربوها فقد جاء في قوله تعالى

﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا
 الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا
 تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٨٧) البقرة: ١٨٧

هنا نوع ثان من الحدود فلا تقربوها .

إذا كان لك سور لحديقة، وجاء شخص ووضع يده على السور .. هذا مسموح. لكن ضمن الحديقة هناك مئات الاحتمالات وأحد هذه الاحتمالات أن تجلس على السور من الخارج أو من الداخل. ولكن إذا قمنا بكهربة السور يصبح الإقتراب من السور خطراً جداً وبالتالي يمنع الإقتراب منه. لهذا قال

تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) الإسراء: ٣٢ لأنك إذا اقتربت من الزنا وقعت فيه.

إذا فَلَا تَقْرَبُوهَا تعني أن علينا أن لا نقف على أحد، لأن وقوفك على الحد يعني أن هناك مشكلة. الصيام مثلاً طلب منا عدم الإقتراب من الحدود وبالتالي علينا الإمساك قبل دقائق من الفجر. دائماً حين تذكر الحدود فإن هناك حقل. حقل الصيام مثلاً من الفجر حتى الغروب.

كلمة حدود لا تعني عين التشريع، لكن تعني أن هناك حقل – نحن نتحرك ضمن حدود هذا الحقل.

نعود نقول أن الرسالة الخاتمة هي رسالة حدودية، أحياناً يسمح لنا بالوقوف عند الحد، وأحياناً يمنع علينا الإقتراب منه. في حالة الإرث مثلاً فإن الحد الأدنى لأرث الزوجة هو الثمن وبالتالي لا يحق لأحد أن يمنع المرأة من أن ترث أقل من ذلك، أما في حالة الزنى فإن الوقوف على الحد هو بحد ذاته زنى لذلك قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ تصف الواقع تماماً. الزنى يُذهب إليه في مظانه، يُقصد وليس موجوداً على الطرقات أو في الأماكن العامة. الله طلب منا أن نترك مسافة بيننا وبينه أن لا نقربه.

أهل الأرض بالفطرة حين يشرعوا يتحركوا ضمن حدّين – حد أعلى وحد أدنى، هنا نرى عالمية الرسالة الخاتمة.

حد القتل

أحد الأعلى لعقوبة القتل هو الإعدام (النفس بالنفس)، والحد الأدنى هو أُلصِفَح. الله سبحانه وتعالى

ذكر الحد الأعلى في قوله لبني إسرائيل ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ

قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ المائدة: ٤٥.

لو أن أناس ما في مكان ما ألغوا عقوبة الإعدام أو أقروها فكلاهما على حق لأنهم في الحالتين تحركوا ضمن الحدود التي أقرها الله سبحانه وتعالى. بين الحد الأعلى والحد الأدنى هناك مئات العقوبات التي ممكن أن تطبق على قاتل النفس.

قد يسأل أحدهم وهل هناك ما هو فوق الحد الأعلى ممكن أن يطبق على قاتل النفس؟ الله سبحانه وتعالى أجاب على هذا السؤال وبينه لنا حين قال

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ ۖ

سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٣٣) الإسراء: ٣٣

إن الإسراف في القتل هو تجاوزا للحد الأعلى في عقوبة القتل. وهذا يعني أن القصاص يجب أن يكون من القاتل نفسه ولا علاقة لأحد من أهله أو أقربائه أو عشيرته بذلك، وتحت هذا فإن ما يعرف بالثأر هو حرام في شرع الله. إذا الإسراف في القتل هو تجاوزا للحد الأعلى في عقوبة القتل.

العقوبات بين الحد الأعلى والحد الأدنى عقوبات متغيرة من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر أيضا، أي إنها ليست ثابتة لأنه كما قلنا فإن هناك الآلاف من الاحتمالات دائما بين الحدين. المهم أن لا نتعدى حدود الله في بعض الحالات وأن لا نقربها في حالات أخرى.

هذا ألتحرك بين الحدين هو الحنيفية. رب العالمين في حالة القتل مثلا وضع حدا أعلى للقتل (إعدام القاتل) ووضع حدا أدنى (الصفح عن القاتل)، بين هذين الحدين المجتمع يقرر كيف يعاقب.

حد السرقة

قال تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ ۚ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٨) المائدة: ٣٨

القطع في التنزيل الحكيم له معنيان، أحيانا يكون قطع معنوي وأحيانا يكون قطع مادي

قال تعالى

﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ ۖ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧) الأنفال: ٧

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۖ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۖ أَنْ يُوصَلَ

وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٧) البقرة: ٢٧

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥) الأنعام: ٤٥

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۖ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) محمد: ٢٢

أما أقطع المادي فليس بالضرورة أن يكون بترا أيضا أي أن يتم فصل جزء عن جزء آخر.

قال تعالى

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ يوسف: ٣١

﴿ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ الأعراف: ١٢٤

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ
يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
ذَٰلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ المائدة: ٣٣

إذا حين يكون هناك آلة حادة فإن فعل أَلْقَطَعَ يأتي مشدداً (قَطَعَ) ولكن ليس بالضرورة ورود الفعل
مشدداً أنَّ هناك آلة حادة.

نعود لقضية السارق. في حالة القتل قال تعالى ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾ وقال تعالى

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ النساء: ٩٣

أي ليس بالضرورة أن يكون القتل مهنة، هنا الحديث عن قاتل ارتكب فعلته ولو لمرة واحدة. أما في
حالة السرقة قال تعالى وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ (إسم فاعل)، السرقة هنا أصبحت مهنة يمارسها
الفاعل بحيث أطلق عليه إسم السَّارِقُ أو السَّارِقَةُ إذا كان الفاعل أنثى. لم يقل سبحانه وتعالى ((ومن
يسرق)) كما جاء القول في حال القتل. هذه إشارة تبين لنا أنَّ علينا أن نميز بين حد السرقة وحد
القتل.

منطوق الآية (المائدة: ٣٨) يقول إذا كان مقصود بالقطع هنا أن يكون بآلة حادة فإن علينا أن نقطع
الأربع أيادي (فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) أربع يدين. أَلْقَطَعَ هنا أيضا جاء بدون تشديد وبالتالي لا
يوجد آلة حادة للقطع. قطع يد السارق إذن تكون بأن نكف يد السارق عن المجتمع، أن نسجنه مثلا.

هنا ممكن أن يكون هناك توبة، هذا التَّنْكِيلُ (نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ). أَلحد الأدنى مفتوح. عمر بن الخطاب

رضي الله عنه لم يُلغ حد السرقة في عام الرَّمادة كما يظنُّ البعض. ما فعله عمر رضوان الله عليه هو أنه لم يطبق الحد الأعلى إنما تحرك ضمن الحدود، أي إنه اجتهد ضمن الحنيفية. كل العقوبات تخضع للتاريخ وهذا من الحنيفية.

الحنيفية عند كل المجتمعات بالفطرة يمارسونها في تشريعاتهم، وهم بذلك يقلدوا الرسالة الخاتمة في التشريع وإن لم يعوا ذلك.

نعود ونقول إنَّ قطع اليد غير تقطيع اليد، وقَطَعَ تختلف عن قَطَعَ (بتشديد الطاء). قَطَعَ اليد تعني كف اليد. وقلنا إذا كان هناك آلة حادة تعني قَطَعَ، ولكن قَطَعَ لا تعني ضرورة وجود آلة حادة، كقوله سبحانه وتعالى (وَنُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) .. هنا لا يوجد ساطور أو أي آلة حادة.

هنا (فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) السجن يكف يد السارق عن المجتمع.

نحن نستعمل فعل قطع مثلا حين نقول .. قطع الطريق، ماذا يعني هذا، يعني ببساطة أن السير قد توقف على تلك الطريق. وحين نقول قطع يد السارق فإن ذلك يكون بأن نضعه في السجن لنكف يده عن المجتمع، أي لنمنعه من السرقة، لذلك قال تعالى فأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا – سبل الوصول إلى السرقة.

العقوبات هي حد أعلى. هنا قال السَّارِقُ (اسم فاعل) أي إنَّ السرقة أصبحت مهنة بالنسبة له. وتتابع

الآية التالية ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ المائدة: ٣٩. إذا قطع يد السارق كما يفهم، فما هي الفائدة بأن يتوب؟ لكن إذا كفنا

يد السارق عن السرقة بسجنه مثلا، ورأينا أن سلوكه أصبح أفضل واقتنع بنفسه بعدم جواز السرقة وتاب وندم على ما فعل فمن الممكن أن نسامحه وأن نعيده إلى المجتمع الذي عزلناه عنه بالسجن – نفرج عنه، باب التوبة مفتوح. لكن إن كنا فهمنا القطع ببتير اليد فكيف نعيد يده إليه.

يقول البعض، لكن (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) جاءت أيضا كإسم فاعل، فكيف نفسر ذلك، هذا كلام خطير! هكذا يقولون.

سنرد على هذا السؤال في فصول قادمة، فلنتركه إلى حينه.

الرَّسول الأعظم قال ((ادْرَأُوا الْخُدُودَ بِالشَّيْهَاتِ))، هذ قاعدة يتبعها كل أهل الأرض. الله أعطانا في القتل وفي السرقة العقوبة القصوى. إذا كان هناك إنسان متهم بجريمة قتل وهناك شك بأنه ليس القاتل، لا يتم إعدامه – طبعا ليس بالضرورة أن تسامحه، لكنك لا تقتله. في كل قوانين العالم هناك ما يعرف بالشك المنطقي (Reasonable doubt).

إذا حصل الشك المنطقي لا تُطبَّق عقوبة الإعدام. هنا لا يُطلب منك أن تعفوا عن المُتهم، ولكن لا يجوز تطبيق حكم الإعدام عليه إذا كان هناك شك بأنه ليس القاتل. هذا يتوافق مع الحديث الشريف.

لو أردنا أن نفهم الحديث الشريف قانونيا ((ادْرَأُوا الْخُدُودَ بِالشَّيْهَاتِ))، فإننا نقول أنه يعني (أنَّ الأدلة ليست كافية).

كل تشريعات أهل الأرض على مر العصور تتوافق مع هذا المعنى. كل تشريعات أهل الأرض حدودية تعلمتها من الشريعة المحمدية.

ألكونغرس الأميركي، مجلس العموم البريطاني، البرلمان الفرنسي عند تشريع فإنها تضع تشريعات حدودية. مثال الضرائب: يُنصُّ أنَّ هناك حد أدنى لذوي الدخل المحدود وهناك حد أعلى لأصحاب الدخل الكبيرة. هنا نرى عالمية التشريع.

نحن لا نقول أن مشرعوا تلك الدول قد اطلعوا على الرسالة الخاتمة واستنتجوا تشريعاتهم من تلك الرسالة، لكن ما فعلوه هو تصديقا لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ

اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ ۚ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ الروم: ٣٠

الله سبحانه وتعالى أعطانا تجريد في التشريع. كلما تقدم الإنسان حضاريا وثقافيا ومعرفة، كلما وضحت الحدود أكثر.

ألفكر جودت سعيد قال إن رسالة محمد ونبوته ستظهر في التاريخ وليس في القرن السابع الميلادي. التاريخ الإنساني برمته هو ما سيظهر نبوة ورسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه. ألقهاء بفطرتهم عرفوا أنَّ هذه حدود عليا لأنهم قالوا أنه لا يجوز تطبيق عقوبه أكبر من تلك العقوبة المنصوص عليها في كتاب الله. أما لماذا لم يُشرَّعوا حدوديا فذلك عائد إلى المستوى المعرفي والمستوى الاجتماعي.

ألحد الأدنى – محارم النكاح

قال تعالى

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ

فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ

الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

وَرَبَبِّبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ

تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ النساء: ٢٢ - ٢٣

هذا هو أحد الأدنى من محارم النكاح والذي لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال. لكن من الممكن أن نزيد على هذا العدد من المحرمات نهياً ومنعاً ولكن ليس تحريماً. المجتمعات التي تمنع زواج ابن العم من ابنة عمه تعمل ضمن هذا المنطق.

رب العالمين في القرآن الكريم خاطب الرسول الأعظم بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ

عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ الأحزاب: ٥٠ السؤال هنا: لماذا أحل الله للنبي الزواج من ابنة عمه مثلاً علماً بأنها ليست حرام؟ نفس الشيء بالنسبة للمذكورات في الآية. رب العالمين سبحانه وتعالى يعطينا إشارة هنا إلى أنه يمكن للمجتمعات أن تمنع زواج الأقارب. **أَلْمَنَعُ لَيْسَ شُمُولِي وَلَيْسَ أَبَدِي وَمُمْكِنٌ أَنْ يَتَغَيَّرَ**.. أيضاً إذا تزوج شخص ما ابنة عمه في بلد يمنع الزواج من ابنة العم يكون قد خالف القانون ولم يخالف الشرع، وأحكام الشرع، ولا يجوز أن نقول أنه زاني.

قال عليه الصلاة والسلام ((كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَرُورَهَا)) الرسول يأمر وينهي في الحلال، **أَلْحَلَّالٌ مُطْلَقٌ وَلَا يُمَارَسُ إِلَّا مُقَيَّدٌ**.

الرسول الأعظم أضاف إلى محرمات النكاح، الجمع بين البنت وعمتها أو البنت وخالتها. الرسول نهى ولم يحرم.

نَهَى الرَّسُولُ لَيْسَ تَحْرِيمًا .. التَّحْرِيمُ شُمُولِي وَأَبَدِي.

الله سبحانه وتعالى لم يُعطِ الحقَّ لأحد بأن يُحرم ما أحله أو أن يُحل ما حرمه. لكن البعض يستشهد بقوله سبحانه وتعالى ﴿... مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ التوبة: ٢٩ نقول أن التحريم الذي جاء

به الرسول جاء من خلال الرسالة التي جاء بها. الله سبحانه وتعالى لم يقل (ما حرم الله وحرم رسوله)، لو جاءت بهذه الصيغة لكان هناك تحريم لله وتحريم للرسول.

في الطاعة هناك حالتين كما ورد في كتاب الله:

﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ آل عمران: ٣٢ (طاعة متصلة)

﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ النساء: ٥٩ (طاعة منفصلة)

الحد الأدنى في محرمات النكاح

قال تعالى

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخِفَةُ
وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ
تَسْنَقِيسُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣

حرم الأنصاب والأزلام، الخمر والميسر إجتناّب

تفصيل

﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا
مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ الأنعام: ١٤٥

الدم المسفوح هو المحرم وليس الدم المطلق. حين نذبح الدابة فإن الدم الذي ينزف هو الدم المحرم،
هذا ما نفهمه من مسفوح. لو كان جنس الدم هو المحرم لكانت مصيبة، لأنه بعد ذبح البهيمة يبقى
بعض الدم في العروق (غير مسفوح). الناس أيضا تأكل الكبد والطحال لأن الدم هنا ليس دما
مسفوحا.

ورد في تحريم الأطعمة فقط فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ. الإضطرار هو تجاوز مُحَرَّم ذُكِرَ.
الإضطرار غير الإكراه.

المصطلح الفقهي المتبع ((الضَّرورات تُبَيِّحُ الْمَحْظُورَاتِ)) هذا الإصطلاح للأسف غير دقيق.
ألحظر ورد في كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢٠)

الإسراء: ٢٠

الخطر يكون في العطاء وليس له أي علاقة بالأحكام والتَّحريم. ولذا أقول إنَّ هذا الإصطلاح وهذه القاعدة الشرعية ((الضَّرورات تُبَيِّحُ الْمَحْظُورات)) ليست دقيقة، ولم ترد لا في حلال أو حرام ولا في أمر أو نهْي ولا في إفعال ولا تفعل.

هناك محرمات وهناك منهيّات في المصحف المحظور ليس له أي علاقة بالمحرمات والمنهيّات،

لأن الخطر ذكر مرة واحدة في مقام العطاء وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا .

أنت غير مضطر لأكل مال اليتيم، ولست مضطرا لأن تشرك بالله، ولست مضطرا لأن تزني. الإضطرار ورد فقط في مجال الأُطعمة.

علينا أن نفرق بين الإضطرار والإكراه. الإضطرار في الظروف فقط والإكراه يكون من الآخر وساحته كل المحرمات. شرط للإضطرار الذي وضعه رب العالمين هو أن تكون غير باغ ولا عاد.

نفرض أنك في مدينة ما وأنَّ هناك مطعم لا يقدم سوى لحم الخنزير، وأنت قصدت ذلك المطعم للأكل، في هذه الحالة أنت بغيت، (أنت بغيت أي قصدت ذلك).

نفرض أنك في مطعم يقدم مختلف أنواع اللحوم، السمك، البقر، الدجاج، لحم الخنزير ... أنت طلبت لحم الخنزير في هذه الحال أنت عاد (هذا عدوان).

أما الإكراه فيكون بضغط من الآخر عليك. عمار بن ياسر مثلا، حين أكره على سب الله ورسوله

ماذا قال رسول الله له ((فإن عادوا فعد))، والله سبحانه وتعالى قال ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ

بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا

فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦) وقيل إن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر..

أيضا بلال مؤذن الرسول، تعرض للتعذيب أيضا لكنه ضل على قوله: أَخَذَ أَخَذَ.

الرسول عليه الصلاة والسلام لم يلم أي من عمار أو بلال، لأن لكل إنسان قدرته على التحمل.

إضافة للحد الأدنى من مُحَرّمات الأُطعمة

نفرض أن طعاما ما في بلد ما تسبب للناس بمرض الكوليرا، يصدر قرار يمنع تقديم ذلك الطعام في المطاعم. هذا قرار صحيح لا يعارض شرع الله، هذا ليس تحريم .. هذا نهْي ومنع.

هذه هي الحنيفية، الحياة كلها حنيفية. وزارة الصحة تمنع أصناف من التداول بناء على توصية الأطباء. هذا الأنواع من الأُطعمة التي يتم منعها هي فوق الحد الأدنى من محرمات الأُطعمة التي ذكرها الله لنا.

الإستقامة في الثوابت.

هنا نرى أنّ البرلمانات والمجالس التشريعية لها دور لا يتعارض مع التشريع الإلهي. آيات الأحكام لم تلغ المجالس التشريعية والبرلمانات.

الدول تضع قانون السير من يتجاوز القانون يغرم. لكن تجاوز تشريع الله حسابه على الله. البرلمان البريطاني حين أقر قانون زواج المثليين تجاوز حدود الله .. الله يحرس حدوده.

شخص قُتل والقاتل لم يعرف، القضية سُجِلَتْ ضد مجهول. هل انتهت القضية هنا؟ ألن يعاقب الله القاتل؟ ألم يتجاوز القاتل حدا من حدود الله؟ الله يحرس حدوده.

حدود المجتمع يحاسب عليها المجتمع، وحدود الله يحاسب الله عليها.

حالة الحد الواحد – أعلى وأدنى سواً.

حالة الزنى

قال تعالى

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا

زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

النور: ٢ - ٣

الله سبحانه وتعالى وضع الزانية قبل الزاني ليقول لنا أنّ العملية بالرضا وليس اغتصاباً. الأنثى التي تغتصب ليست زانية. القتل والسرقة جرائم ليست بالرضا.

الزنى سُمِّيَ كذلك لأنّ الجنسَ زَنَّ على مرتكبيه حتى أتوه علناً.

كون الزنى حالة عينية فقد وضع الله سبحانه وتعالى شروطاً لتنفيذها. لا يقام الحد إلا بشهادة شهودٍ أربع (في القتل يكفي شاهد واحد). حتى يتم إقامة حد الزنى فإن الفاحشة يجب أن تكون علنية (يشهدها أربعة على الأقل).

الزنى جريمة تتم بالتراضي وهو في نفس الوقت غريزة، وشروط إقامة الحد عليه هو أن يكون علنياً وأنا أرى لو أن زوجاً جامع زوجته في حديقة عامة لوجب إقامة حد الزنى عليهما

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ النور: ١٩

حالة الحد الأدنى والحد الأعلى في الإرث

الحد الأدنى للزوجة هو الثمن

الحد الأعلى ممكن أن يصل إلى كل شيء

قال تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ

رَسُولِهِ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ التوبة: ٩٧

الحدود تحتاج إلى وضع متقدم حتى تُفهم. الأعراب لم يكن الوضع مهياً لها أن تفهم الرسالة.

قلنا في السابق أن الرسالة المحمدية جاءت لا تتناسب مع الوضع الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي والمعرفي للأعراب فلقد جاءت متقدمة عن عصرهم. وقلنا إن سنوات عشر عاشها الرسول الأعظم في المدينة المنورة لم تكن كافية لتستنفذ خلالها آيات الأحكام. فالظروف لم تأت لتسمح للرسول الأعظم بتبيان كل ما أنزل الله من الأحكام.

الأحكام الشرعية حدودية. هناك حد أدنى وحد أعلى. بالنسبة للتعددية الزوجية فإن أصحاب الشبهات يطرحون سؤالا كيف تقسرون أن الرسول الأعظم تزوج من أكثر من أربعة، وما هو بالأصل حكم التعددية في الإسلام؟

نقول إننا حين نبحث فقه المرأة في الإسلام فإننا سنجيب على هذا السؤال بالتفصيل، لكننا الآن نكتفي بالتالي:

إن آية التعددية هي آية حدودية. قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ

لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ

أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ النساء: ٣

الحد الأدنى: واحدة

الحد الأعلى: أربعة (وليس: $2 + 3 + 4 = 9$ كما يحاول أن يقول البعض)

نحن نقول جاء القوم متنى وثلاث ورباع، هذا لا يعني أنهم جاؤوا تسعة تسعة، وإنما جاءوا إثنين، ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة.

الزوج الثانية والزوج الثالثة والزوج الرابعة يجب ان يكونوا أرامل، وذلك فهمناه من الآية الكريمة

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا

تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ النساء: ٢٠

حالة الحد الأدنى موجب لا يجوز تجاوزه وحالة الحد الأعلى سالب يجوز تجاوزه

لنقرأ آيات الربى في كتاب الله

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ آل عمران: ١٣٠

﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبِّ الرِّبَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن ذَّكْوَرٍ

تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ الروم: ٣٩

﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... ﴿٢٧٥﴾ البقرة: ٢٧٥

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ

تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ

وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُّو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ

لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٨٠

لا يقال عن الربى ربا إلا إذا كان المدان يقبض ما لا يستطيع أيفائه. في هذه الحالة ربط الربا بالزكاة، (الروم: ٣٩). الإنسان لا يزكي أو يتصدق لشركات البترول أو مصانع السيارات. الإنسان

يتصدق على من ذكرهم الله في الآية الكريمة ﴿...﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ

السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ التوبة: ٦٠

الرسول صلى الله عليه وسلم حدد الحد الأدنى للزكاة ب (٢,٥٪) أما الحد الأعلى فتركه مفتوحا. لهذا قال لنا سبحانه وتعالى أنه إن كان هناك إنسان مدان وغير قادر على إيفاء دينه فاصبر عليه (البقرة: ٢٨٠)، وإن كنت قاسيا معه فلك ما دفعت له - رأس المال (البقرة: ٢٧٩)

إذا حدودية الربا تكون بالشكل التالي:

مع أصحاب الصدقات الذين لا يستطيعوا أن يفوا ديونهم إما أن تسترد منهم ما دفعته لهم إذا كنت قاسيا معهم (هذا ما نسميه القرض الحسن)، وإما أن تسامحهم وتتصدق عليهم (وهذا خير لك).

هناك عُرف في البنوك أن الفائدة يجب أن لا تتجاوز ضعف المبلغ (أحد الأعلى أضعاف مضاعفة). من يتجاوز هذا الحد يصبح من المرابين، وقانون معظم دول العالم يمنع المرابين ويطلقون عليهم إسم **القرش**.

أما لماذا قال سبحانه وتعالى **(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)** ^٤ والبيع بالأصل حلال؟

نحن حين نتصدق على أصحاب الصدقات، فإنهم سيشترون حاجاتهم بالمبالغ التي تصدقنا بها عليهم. ألبائع سيربح منهم تماما كما يربح من أي إنسان آخر سواء أكان غنيا أو متوسط الحال أو إنسان عادي، ألبائع سيبيع الجميع بسعر واحد، وهذا حلال. تصور أن التاجر سيسأل من يشتري أي بضاعة منه: هل أنت فقير؟ هل أنت مسكين؟ هل أنت من أصحاب الصدقات قبل ان يبيعه؟ عندها سيحصل مشكلة كبيرة في المعاملات التجارية. ولذلك فأن الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه في البيع فأن اصحاب الصدقات يعاملون تماما كما يعامل أي إنسان آخر.

إذا أصحاب الصدقات وأصحاب الزكاة لا يُعطوا قروض وإنما يُعطوا هبات.

لأصحاب الصدقات الربى ممنوع والبيع مسموح.

عظمة هذا الدين أنه يجمع بين الحنيفية والإستقامة. الإستقامة هي حدود الله - الثوابت.

أحد الأدنى تستطيع أن تتجاوزه. مثلا في محرمات النكاح ذُكرَ من لا يجوز على الإنسان عقد نكاح معهن. لكن المجتمع يستطيع أن يضيف بحيث يمنع جواز الأقارب مثلا، والطبيب يستطيع أن يمنع جواز أي إثنين إذا كان هناك أسباب طبية لذلك، لكن إياك أن تسمح بالزواج ممن ذكروا في محرمات النكاح.

أيضا أحد الأعلى لعقوبة أقتل هي الإعدام. هذا هو الثابت نفسه في القرن السابع وحتى تقوم الساعة. هذه الحدود التي وضعها الله كحد أعلى أو كحد أدنى لا يجوز تجاوزها.

الإنسان والمجتمع الإنساني يضع تشريعات أيضا، لكن هذه التشريعات حنيفية، متغيرة. مثلا قد يوضع حد لضريبة الدخل ثم يعدل هذا الحد بالزيادة أو النقصان حسب ظروف الدولة.

ألرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه نظم المجتمع ونظم السوق بتشريعات إنسانية تناسب الفترة التي عاشها والمجتمع الذي عاش فيه. **((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الفضة بالفضة ، ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ، ولا الملح بالملح إلا مثلا بمثل سواء بسواء عينا بعين))** هذا ليس تشريعا إلهيا ثابتا لا يتغير. هذا تنظيم لمجتمع عاش فيه الرسول الأعظم علينا أن نتعلم منه كيف ننظم لمجتمعنا ولعصرنا.

كل التفاصيل التي وضعها الرسول للسوق هي لمجتمعه وهي ليست شمولية وليست أبدية. هذا ما يجب ان نفهمه.

الإسلام وقضايا المرأة

الوصية والإرث

المجتمعات العربية بمختلف أيديولوجياتها، يمين أو يسار، تقدمي أو رجعي، متدين أو علماني كل هؤلاء عندما يكون الحديث عن المرأة فأن جميعهم يتحولون إلى ذكر متعصب. جميعهم يصبح لديه نفس الرأي. أقول وأنا أذكر أن هناك خمس مصطلحات عربية أساسية تسيطر على العقل العربي مرتبطة بشكل كبير مع المرأة – وهي كلمات عربية فصحي – لم تذكر في التنزيل الحكيم. هذه المصطلحات هي: **الشرف، العرض، الشهامة، المروءة والنخوة**.

هذه الكلمات الخمس لو وجدت في التنزيل الحكيم كيف كنا نفهمها. كلمة **"الشرف"** لو وجدت، كيف يفهم الشرف، هل كنا نفهمه كما يفهمه العربي أو كما يفهمه الياباني. إن مفهوم الشرف عند الرجل العربي هو امرأته أما شرف الرجل الياباني فهو إخلاصه في عمله، علاوة على أن المرأة لا شرف لها بمعنى أن الرجل ليس شرف المرأة، لو أخطأ الرجل العربي فإن ذلك لا يعيب المرأة، ولكن لو أخطأت المرأة فإنها تعيب الرجل.

لو كان التنزيل الحكيم من تأليف الرسول الأعظم، لوجدت هذه المصطلحات الخمس بين كلماته. الكتاب حقاً تنزيل رب العالمين.

عندما نقرأ الكتب نفرق بين البعد المحلي والبعد العالمي واستحالة أن نقيس البعد العالمي على البعد المحلي. هذا مستحيل. قال تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧

﴿قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴾ الأعراف: ١٥٨

المرأة شأنها شأن الرجل في العقوبات المذكورة في كتاب الله، لا تمييز بين الزانية والزاني ولا بين السارقة والسارق، كذلك من قتل سواء أكان رجل أو امرأة فالعقوبة واحدة. أما في العطاء فحصة المرأة هي نصف حصة الرجل (كما هو شائع). يقال أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى الذكر كالأنثى في الأرض. عندما أعطى عمر هذا الأفضلية لم يحتج أحد ولم يعلق أحد لأن هذا ليس إرث الدولة توزع أملاكها، الدولة تعامل الذكر تماماً كالأنثى. لو كان ما فعله عمر إرثاً لوجدت هناك من يحتج.

نقل الملكية في الإسلام

أول ما جاء في كتاب الله حول نقل الثروة هو الوصية والإرث. الوصية جاءت تكليف كالصلاة، لكن هذا التكليف جاء لكل أهل الأرض وليس فقط للذين آمنوا. قال تعالى

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠) فمن بدله بعد ما سمعه فإنها إثمه على

الَّذِينَ يَبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ البقرة: ١٨٠ – ١٨١

لاحظ قوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يوجد ((يا أيها الذين آمنوا)) هذه لكل أهل الأرض، تماما كالمحرمات حين قال سبحانه وتعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ...) (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُوا مَا حَرَّمَ رَبِّي ...). كل أهل الأرض توصي إلا نحن !!!

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ قانون عام .. ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ هنا قال لِلْوَالِدَيْنِ ..

في الإرث قال ﴿ لِأَبَوَيْهِ ﴾ ..

هذه أول طريقة لنقل الثروة .. النصيب معلوم، ألحظ مجهول.

يقال النصاب القانوني في مجلس الشعب $\frac{2}{3}$ من مجموع الأصوات أو فوق ال ٥٠٪. إذا النصيب يكون معلوما. نصاب الزكاة معلوم أيضا. وحين قال تعالى

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء: ٧ فإن المقصود هنا

الوصية لورود كلمة نصيبًا. لأنه سبحانه وتعالى استعمل كلمة حظ حين ذكر الإرث

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ

فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ

لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا

تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

النساء: ١١

إذا نقول الوصية أساس وهي خاصة وموقعها عام. كل إنسان يوصي لوحده وهو أعرف الناس بمن حوله وبثروته. الإنسان يستطيع أن يوصي لميتم في بلد ما كالهند مثلا، في الإرث لا تستطيع. أيضا الإنسان ممكن أن يوصي لشخص يعمل عنده كان له الدور الأكبر في تكوين ثروته، في الإرث لا يستطيع. في الوصية تستطيع أن توصي لأبن معاق غير قادر أن يعيل نفسه في الإرث كل الأبناء يحصلوا على نفس المبلغ. أيضا يمكن أن توصي لذوي القربى في الإرث لا يوجد ذوي قربي.

أما الإرث فهو قانون عام لكل أهل الأرض أما ساحته فهي خاصة.

في الإرث لا يوجد مساكين. في الإرث ولد معاق يتساوى مع طبيب مختص في ما يحصل كل منهما. في الإرث طفل لم يبلغ ورجل يملك ثروة هائلة يحصل على نفس المبلغ إذا ورثا أبيهما ولذا قال تعالى أن الوصية تؤخذ بعين الاعتبار.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ

قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ النساء: ٨

يعني أنت توصي تكتب وصيتك تستطيع أن تعطي لأولوا القربى واليتامى والمساكين – هؤلاء لا شيء لهم في الإرث.

لتقييد الوصية سبب سياسي

أجمع أئمة الفقهاء أن الحديث النبوي لا يرد القرآن ولا يناقضه. قالوا "لا وصية لوارث"

ولكن إعطاء الطفل المعاق كالطبيب تماما في الإرث والله يقول

﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ

وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ النساء: ٩

نعود لآية الإرث والتي بدأت بقوله سبحانه وتعالى ب ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ .. وهناك آيات تنتهي ب

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ .. هل تنطبق وصية الله على الوصية والإرث؟

الوصية كتبت على الناس. الناس يجب أن توصي، فكما كتب الله الصلاة والصوم على الناس كذلك كتب الوصية. في الوصية الله سبحانه وتعالى لم يعط قيمة ولكن أعطى توجيهات، كما جاء في الآيات (النساء: ٧)، (النساء: ٨) و(النساء: ٩) ولما كان بالإمكان أن تكون الوصية شفهية فقد قال سبحانه

وتعالى ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

البقرة: ١٨١

الوصية فرض عين كالصلاة، لأن الموصي يعلم ما لديه ويستطيع أن يوص لبعض من لم يرد لهم نصيب في آية الإرث، ويمكن أن نقول أن آية المواريث هي الإحتياط وليس الأساس. الله سبحانه وتعالى في آية المواريث قسم الثروة لمن لم يوص ولذلك يرد في آيات المواريث دائما قوله سبحانه

وتعالى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ .

ألفقهاء بقولون إذا استغرق الدين كل الثروة لن يرث أحد، فلماذا إذا استنفذت الوصية كل الثروة لا يكون أحوال نفسه أي لا يرث أحد أيضا.

الآن سنبحث آيات المواريث. إنسان لم يوص، نطبق آيات المواريث وينتقل المال للأبناء بالحظ وليس بالنصيب. ألحظ أن هناك معطيات لا الوالد ولا الأبناء أيضا لهم أي دور فيها. لكن نشير هنا أن معظم أهل الأرض يعتمدون الطريقة الأولى في نقل الثروة – أي الوصية وليس الإرث.

الولد في آية المواريث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ يمكن أن يكون ذكرا أو أنثى، ولكن لسبب سياسي بحث أعتبر الولد هو الذكر فقط. نقول أن الولد هو إما ذكراً أو أنثى معتمدين على قوله سبحانه وتعالى ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ البقرة: ٢٣٣

فهل الوالدات يرضعن الذكور فقط؟ كذلك قوله ﴿وَالِدٌ وَمَوْلَا﴾ البلد: ٣ أيضا هل يُلد الذكر فقط؟ إذا نؤكد أن الولد ممكن أن يكون أما ذكر أو أنثى. لكن هنا نريد أن نقول أن الأنثى هي الأساس في الإرث وأن الذكر تابع لها. فلكي نعرف حصة الذكر يجب أن نعرف حصة الأنثى، نقول ذلك ونحن نقرأ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ، أي لنعرف حصة الذكر علينا أن نعرف ما هي حصة الأنثيين. فالأنثى هي المتحول والذكر هو التابع.

الله سبحانه وتعالى لم يقل ((الذكر مثلاً حظ الأنثيين)) وإنما قال ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ، أي ثنى المعدود وليس العدد. لأنه كان بالإمكان أن يقول ((الذكر مثلاً حظ الأنثى)). المثل هو القيمة الرياضية أو القيمة الحسابية (المبلغ). لو قال سبحانه وتعالى للذكر مثلاً حظ الأنثى لكانت هذه هي القاعدة العامة للإرث ولتوقفت آيات الإرث هنا. لكن الله سبحانه وتعالى أوضح لنا غير ذلك لأن الآية هنا تشير إلى حالة خاصة عدد الإناث إثنين مع وجود ذكر واحد. ولكن ماذا إذا كان عدد

الإناث والذكور غير ذلك؟ يقول تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ ،

إذا عدد النساء هنا فوق إثنين. في هذه الحالة تكون حصة الإناث $(\frac{2}{3})$ وحصة الذكور $(\frac{1}{3})$ ولا يحصل الأعمام أو الأخوال على أي شيء. أما الحالة الأخيرة فهي حالة وجود أنثى واحدة. قال تعالى

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ أي في هذه الحالة تحصل الأنثى على النصف وبقية الذكور على النصف.

إذا آية النساء ذكرت الحالات الثلاث

- عدد الذكور ضعف عدد الإناث
- عدد الإناث فوق إثنين
- أنثى واحدة

الأنثى تغيرت من الواحد إلى أي عدد وفي كل الحالات كان الذكر تابعا لها.

رب العالمين هو صاحب هذا الكتاب، وهو منزل آيات الإرث. رب العالمين معلوماته أكثر من جمع وضرب وطرح وقسمة – تلك العمليات التي كانت معروفة لدى الفقهاء زمن التنزيل وشرح آيات الإرث. فإذا كان هذا الكتاب للناس كافة وهو كذلك فإنه يحق لنا كوننا من الناس أن نستعمل الرياضيات الحديثة وأن نستعمل الهندسة التحليلية والتحليل الرياضي ونظرية الاحتمالات وكل علوم الرياضيات الحديثة لفهم آيات الإرث. أي نستعمل أدوات معرفية جديدة لم تكن متوفرة زمن التنزيل.

نحن حين استخدمنا الرياضيات الحديثة حلت كل إشكالات علوم الفرائض، وكل ما هو صحيح في علوم الفرائض إنتقل بشكل مباشر وتلقائي للحسابات الجديدة. أقول هذا لأن علوم الفرائض القديمة جعلت ابن عباس يقول حسب ما ورد إلينا: ((وروى سيف بن عميرة، عن ابى بكر الحضرمي عن ابى عبدالله عليه السلام قال: (كان ابن عباس يقول: ان الذى احصى رمل عالج ليعلم ان السهام لا تعول من ستة)).

فوق وأكثر

قال تعالى

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾

﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾

قبل توضيح الفرق بين فوق أو أكثر نوضح ما يلي:

نساء هنا جمع أنثى ولكن لماذا ورد كلمة نساء ما دامت (كُنَّ) تُعبّر عن النساء؟ يقول الدكتور شحرور أن كلمة نساء هنا أضافت شيئا أي مفهومها للآية أي إنها تشير إلى أن النساء بالغات.

الآن نعود إلى فوق وأكثر

أكثر تُستعمل للعدد الصحيح

﴿... وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧) الأعراف: ١٨٧

﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ (٢٥) التوبة: ٢٥

فوق تستعمل في حال وجود عنصرين

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (١٨) الأنعام: ١٨

﴿أَوْ كُظِّمَتْ فِي بَحْرٍ لِيَجِيَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ﴾ (٤٠) النور: ٤٠

بعضها فوق بعض ... (٤٠) النور: ٤٠

فوق اثنتين

نقول في المجلس الأنباي صوت ٧٨ صوتاً ضد ٥٠ نسبة التصويت فوق ال ٥٠٪

$$\text{نسبة التصويت} = \frac{(100 \times 78)}{128} = 60\%$$

نفرض الآن أن عدد النساء ٥ وعدد الذكور 2 إذن نسبة الإناث بالنسبة للذكور هي $\frac{5}{2}$ أي ٢,٥ فوق

إثنتين

في هذه الحالة فإن حصة النساء ال ٥ تكون $\frac{2}{3}$ من المبلغ وحصة الذكور ال ٢ هي ال $\frac{1}{3}$ الباقي

إذا المساواة في الإرث تكون بين مجموعة الذكور ومجموعة الإناث لا بين الذكر والأنثى لأن هذا قانون لكل أهل الأرض وليس لأسرة واحدة.

آيات المواريث غير تاريخية، علم الفرائض تاريخي.

الرد والعول أنتهى والميراث أصبح حدود

بإعتمادنا على ما توصلنا إليه فإن كل حالات المواريث تشكل معادلة قطع زائد والنقاط كلها تقع على هذا المنحنى. بينما في علم المواريث التراثي فإن النقاط عشوائية (لا علاقة لها بالطبيعة).

أقول وأؤكد

- لا يرث إلا المذكور في الآية
- العم والخال لا يرثا
- الذي عنده بنت واحدة أو كل ذريته بنات ترث أو يرثن كل شيء
- (إذا كانت واحدة فلها النصف)، يعني أن هناك ذكور. ألتذكير الحكيم لم يذكر أبدا حالة الجنس الواحد.
- رجل عنده فقط بنات أو فقط أولاد ذكور، الإرث يكون بالتساوي.
- الأساس بالمواريث الأنثى.

الإسلام وقضايا المرأة

التعددية الزوجية

قضايا المرأة، مسائل المرأة، مشكلات المرأة، المرأة في الإسلام، المرأة العربية .. عناوين بارزة لقضايا متشعبة .. قديمة جديدة .. عميقة في جذورها في التاريخ. معالجتها أيضا عميقة لدى علماء الدين والمفكرين والفلاسفة والباحثين. فالمرأة ليست الزوجة فقط، هي أيضا الأم والإبنة والأخت . هذه المسائل شغبت إشكالات كثيرة عند البعض، حتى إن تعدد الزوجات اعتبره الدكتور محمد شحرور من أهم المشكلات التي تواجه المرأة العربية المسلمة، وأيضا من أهم المشكلات التي تثير علينا كمسلمين الكثير من الشبهات في الغرب والشرق أو من غير المسلمين.

آيات التعددية الزوجية يعلمها الجميع وهي معروفة وواضحة، لكن الدكتور محمد شحرور قرأها بصورة مغايرة. ربما لم يكن هو الوحيد الذي فهمها بمفهوم مغاير عما فهمه السلف. كلف فهم الدكتور شحرور التعددية؟ يقول الدكتور:

المصطلح صحيح مئة بالمئة، تعدد الزوجات وليس تعدد الأنكحة. في التنزيل الحكيم هناك تعدد

زوجات وهناك تعدد أنكحة. بالنسبة لتعدد الأنكحة قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ المؤمنون: ٥ - ٦

التنزيل الحكيم فرق بين: أن هناك زوج وهناك ملك يمين، هذه ليست هذه والنكاح في كليهما، وبالتالي

نحن نتكلم الآن عن الزوجات فقط. الزوجات حسب التنزيل الحكيم لها تعريف ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ الفرقان: ٥٤ هنا نرى أن هناك

نَسَبٌ وَصِهْرٌ. وفي سورة النحل قال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ

لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِإِنْعَامِ

اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ النحل: ٧٢ هنا نرى أن الزواج ينتج **الأبناء والحفدة**.

إذا الزوج هي صِهْرٌ وَنَسَبٌ وأُسرة. ليس فقط نكاح، أنت تعيش مع امرأة بهدف أن يكون هناك نسب ومصاهرة بين العائلات وهناك نية لتأسيس عائلة.

رابطة إجتماعية ورابطة أسرية هذا الزواج وهذا لا يكون في المصحف إلا واحدة، وحددها بشرط واحد. قال تعالى

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا

مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى

بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ النساء: ٢٠ - ٢١

ما هو هذا الميثاق الغليظ؟

نلاحظ أنه في الآية (النساء: ٢٣) جاءت كلمة **وَأَخَذَتْ** بنون النسوة، وهنا إشارة إلى أن

الميثاق الغليظ يعطى من الرجل إلى المرأة. هل الميثاق الغليظ هو العقد؟ قطعاً لا ذاك يُسمى عقد الزواج وليس ميثاق.

الزواج يُستبدل. ليكن معلوماً أننا حين نقول زوج هذا يعني أنّ هناك أسرة. الزواج - صهر، ونسب وأبناء. وإذا كان هناك زوجة ثانية فإن شروط الزواج يجب أن تتحقق، هنا تظهر التعددية.

آية التعددية الزوجية جاءت لمجتمع لا يوجد فيه تعددية زوجية لذا قال تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ

أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ فَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ

شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ النساء: ٢٠ ولكن التطور التاريخي يسير

من التعدد إلى اللا تعدد. هذا سير التاريخ. لاحظ ما قال سبحانه وتعالى عن زوجات النبي ﷺ مَا

كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الأحزاب: ٣٨ هذا ليؤكد أنّ التعددية قديمة جداً .. والبشرية تسير باتجاه

عدم التعدد. العشرة المبشرين بالجنة زوجاتهم معروفين، عدد الزوجات عدا ملك اليمين بمعدل ٩ لكل واحد. في عصر الرسول الأعظم الأساس أنه لا يوجد تعددية، الأساس أن يُجمَع. واحد من العشرة المبشرين بالجنة أبو عبيدة عامر بن الجراح كان له زوجة واحدة فقط. عبد الرحمن بن عوف ٢٠ زوجة. أقول هذا لأن هؤلاء الصحابة عاشوا المرحلة الإنتقالية أي وقفوا عند الأربعة ولم يزد أي منهم عن الأربعة بعد أن نزلت آية التعددية الزوجية. "هنا أريد أن أقول أن هؤلاء الصحابة كان لديهم ٤ زوجات ولكن كان الواحد منهم يطلق واحدة ويتزوج من أخرى إلى أن وصل معدل زوجات كل منهم ٩ زوجات.

إذا أعرف المجتمع كانت تبيّن أن زوجة واحدة قليلة. التعددية لجيل الصحابة ليست نموذجاً لنا.

كل فقهاء المسلمين يعتبرون أن التعدد حلال، ولكن لو أخذنا دولة مثل سوريا مثلاً، ما هي نسبة التعدد هناك - قليل جداً. التطور الإنساني يسير باتجاه إلغائه بشكل طبيعي. إنّ عدد المتزوجين من ٢ قليل جداً وال ٤ يكاد يكون نادراً. الوعي الاجتماعي والشروط هي التي حددت ذلك وليس الفقه.

رب العالمين قال أن هناك شرط يجب أن يتحقق لكي يكون هناك تعددية. وحتى لو ألغيت التعددية وتحقق الشرط فبالإمكان إرجاعها - شرط إنساني بحت. نُفَصِّلُ: قال تعالى

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ (١٥٢) الأنعام: ١٥٢

﴿وَأَتُوا الْيَتِيمَ أَموالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٢) النساء: ٢ - ٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَىٰ طُلُمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) النساء: ١٠

إذا في سياق الحديث عن اليتامى عطف آية التعددية على آية اليتامى. نسأل الآن: من هو اليتيم؟
اليتيم طبقاً للتنزيل الحكيم هو فاقد الأب والقاصر.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي﴾ (٨٢) الكهف: ٨٢

لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ... وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا تُبَيِّنُ أَنَّ الْيَتِيمَ هُوَ فَاقِدُ الْأَبِ

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الْقَاصِرُ

ولذا حين يوصي الله سبحانه وتعالى باليتامى فإنه سبحانه وتعالى لا يوصي قطعاً أباه، بمعنى أنه إذا كانت الأم متوفاه فإن الله لا يوصي الأب، وإنما يوصي كافل اليتيم. والحديث الشريف "لَا يَتِمُّ

بَعْدَ اخْتِلَامٍ" هو الحد الأدنى كما ورد في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا

النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ (٦) النساء: ٦ إشارة للحد الأدنى.

بعض الدول تعتبر أن الطفل يبلغ الحلم حين يصبح ١٥ عاما، دول أخرى تعتبر أن سن الرشد ١٨.

إِذَا عَاسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا تَخْتَلَفُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ. الْحُلْمُ ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ وَالْحَدُّ الْأَدْنَى مِمَّنْ رَفَعَهُ

الآن امرأة توفى زوجها وترك عندها أيتام، رجل يريد أن يقسط للأيتام (القسط يكون من طرف آخر، بينما العدل يكون بين طرفين) كيف ممكن أن يقسط لليتيم، الحل أن يتزوج أمه، إذا أصبح هناك أسرة. الزوجة الثانية ليس للمتاع وإنما الهدف الأساسي للزواج منها هو أن تقسط للأيتام. هؤلاء الأيتام كلما كانوا صغارا كلما كان الأجر أكبر ومنطقي أن تكون أهم أصغر سنا، وهكذا فإن الرجل يكفل الأيتام مدة أطول ويتمتع بأهمهم أيضا.

الآن .. الزوجة الأولى عندها أولاد، كذلك الزوجة الثانية عندها أولاد، كذلك الثالثة ... إذا أصبح الرجل المتعدد الزوجات يعيل عددا أكثر من الأبناء، وهنا حدد الله شرطين أساسيين للتعددية:

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً ... ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا العدل هنا بين الأولاد وليس بين الزوجات

كما هو شائع .. هذا الشرط أي كثرة العيال والخوف من العدل بينهم وعدم القدرة على إعالتهم

إضافة إلى الشرط الأول وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا .. يجب أن يتحققا معا ..

هل تتصور كيف فسروا هذه الآية؟

قالوا رجل كفل يتيمة لكي يربّيها، وحين كبرت أراد الزواج منها دون أن يدفع لها مهرا .. فقال له سبحانه وتعالى تزوج غيرها .. هل يُعَقَّل هذا؟ هل هذا الرجل الذي كفل اليتيمة ورباها حتى كبرت ممكن أن يفكر بالزواج منها؟

الله سبحانه وتعالى قال اليتامي ولم يقل أليتيمات، واليتامي ممكن أن يكونوا ذكور أو إناث. واليتامي يكونوا قاصرين لأنهم بعد أن يبلغوا الحلم لا يعودوا يتامي .. وأيضا هناك شرط وجواب

الشرط. الشرط وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ وجواب الشرط فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ

النِّسَاءِ .

إذا الرجل يريد أن يقسط لليتيم، كيف يفعل ذلك؟ يتزوج أمه، يكفله ويضمه إلى أولاده. هنا الزواج

يكون عن طيب خاطر وليس فقط من أجل المتعة مَا طَابَ لَكُمْ ، عن طيبة نفس وليس مكره .. لأن

هذا الزواج هو عبء على الرجل وبالتالي يجب أن يكون عن طيب خاطر.

نعود لنؤكد أن العدل يكون بين أولادك والأولاد اليتامي الذين تزوجت أمهم ولا يوجد أي إشارة للعلاقة بين الرجل والزوجة ونهاية الآية تشير إلى أن المقصود بالعدل هو العدل بين الأولاد، لأن الرجل حين يضم أولاد الزوجة الأولى إلى أولاد الزوجة الثانية ... يصبح لديه العديد من

الأولاد (العيال) أي يصبح عيال كما نقول، ولذلك قال تعالى بعد أن أمرنا بالعدل بين الأولاد ذَلِكَ

أَدِّقْ أَلَّا تَعُولُوا وَإِلَّا عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَكْتَفِبَ بواحدة.

الآية بدأت بمثنى لأنها تتوجه للرجل الْمُتَزَوِّج وليس للأعزب لأنَّ الأعزب إن أراد أن يتزوَّج أرملة ولها أطفال لا يوجد هنا تعددية.

الله سبحانه وتعالى لم يطلب العدل بين الزوجات، الكلام من البداية للنهاية يدور حول الأيتامى.

أما قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ النساء: ١٢٩ فإنه يدور حول النساء ولذا قال تعالى أن العدل بين النساء لن يتحقق ولذلك لم يطلبه الله سبحانه وتعالى من الرجل، ولكنه طلب منه أن يعدل بين أولاده وأولاد الأرملة التي تزوجها. لكن علينا أن نعامل الأرملة كزوجة وأن لا نميل كل الميل لواحدة منهم ونترك الأخرى كالمعلقة.

قد يتساءل البعض إذا كان ما تقوله صحيحا وأن المشكل كله يدور حول الأيتام فإن هناك دولا قد وجدت حلا بأن أقامت دور رعاية لهؤلاء الأيتام. نقول الفرق بين دار رعاية اليتيم وهنا أننا حين نضع اليتيم في الميتم فإننا نفرق بينه وبين أمه ولكن في حالة التعددية فإن اليتيم يبقى مع أمه وهذا مهم جدا. الله سبحانه وتعالى حرص على أن تظل الأم إلى جانب أولادها ولكن حين يدخل الرجل عليها، عليه أن يعاملها كزوجة. إذا الآية (النساء: ١٢٩) لا تعني أن على الرجل أن ينام ليله عند الأولى وليلة عند الثانية، لكنها تقول:

- أن نعامل أولاد الأرملة تماما كأولادك
- أن نعامل الأرملة معاملة الزوجة ولا ندخل عليها كالضيف مثلا.

ماذا إذا لم يكن بمقدور الرجل أن يعطي الأرملة صداق. الجواب على هذا السؤال جاء في قوله

سبحانه وتعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ

أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ وَمَا

تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٣٧﴾ النساء: ١٣٧

هنا ذكر **يَتَمَّى النِّسَاءَ** حين نقول "تاريخ الكُتُب" فإننا قطعاً لا نعني "كتب التاريخ"، تماماً كما إن

"ظلمات البحر" لا تعني أبداً "بحر الظلمات". هنا أيضاً نقول أَنَّ يَتَمَّى النِّسَاءَ لا يقصد بها بأي شكل النِّسَاءَ اليتامى أصلاً لا يوجد نساء يتيمات لأنه كما جاء في الحديث الشريف "لا يتم بعد احتلام". ألمقصود هنا وجود نساء عندهن يَتَمَّى وترغب بأن تتزوج واحدة من أولئك النسوة – وليس اليتامى – ولا تأتيهن الصِّداق. هنا سمح الله سبحانه وتعالى بأن لا يُعطى صِداق إذا تكفل الرجل باليتامى وعاملهم معاملة أولاده. وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ^١

هنا

- كفل اليتيم
- لم يُفَرِّق بين الأم والأولاد
- أَمَّنْ للمرأة رجل

ومع ذلك فإنَّ التعددية بدأت بقوله (وَإِنْ خِفْتُمْ) فإن لم يكن هناك خوف فلا يوجد أي مشكل. وبالتالي إذا منعت بلد ما التعددية الزوجية وأمنت مراكز للأيتام وكفلت الأرامل، فهذا ممكن. وإذا زاد عدد الأرامل في بلد ما وكثر عدد اليتامى فإنَّ التعددية الزوجية يجب أن تكون حلاً (يُسمح بها حتى لو كانت ممنوعة). إنَّ عدم السماح بالتعددية في هذه الحالة سيؤدي إلى انتشار الفاحشة لا محال.

نقول

إذا سُنَّ قانون يمنع التعددية الزوجية فليس خطأ. لكن هذا المنع يكون لفترة وليس أبدي لأنه إذا كان أبدياً يصبح تحريماً. وبالتالي إذا تزوج شخص ما بعد المنع فإننا نحاسبه قانونياً (أي على أساس مخالفة القانون) وليس كزان.

يتساءل البعض لماذا ينتقد الغرب التعددية الزوجية؟

نقول لو فهم الغرب التعددية كما قلنا لقبّلوا بها وربما اعتمدوها، لكنهم فهموا التعددية كما وردت في كتب التفسير، وبالتالي فإن حكمهم جاء بناء على الموروث لا على النص القرآني.

آيات الأحكام لم تُستنفذ في عهد الرسول الأعظم، أي إن الفترة التي عاشها الرسول الخاتم في المدينة المنورة لم تكن كافية لتطبيق آيات الأحكام.

البشرية اليوم تسير في طريق منع التعددية. وهذا منطقي مع ما ورد في الآية الكريمة. فلقد ابتدأت الآية بأداة الشرط (وَإِنْ) ونحن نعرف أَنَّ الفعل بعد **إِحْتِمَالِي الوقوع**. بينما نجد أن ظاهرة الطلاق لا يمكن إلغاؤها، حتى أن كثيراً من الدول التي كانت قد ألغتها في السابق قد أعادتها من جديد ولذا نجد أن آية الطلاق قد بدأت بقوله سبحانه وتعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ (١) الطلاق: ١

ونحن نعرف أَنَّ الفعل بعد (إذا) **حتمي الوقوع**.

القوامة

قال تعالى

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤

فهم الكثير عبر التاريخ أنَّ الرجال متفوقون ومسؤولون أيضا عن النساء وهم في درجة أعلى وفي مرتبة أعلى، لكن القوامة حتى عند العلماء هي مسؤولية وهي تكليف.

قال تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ولم يقل الذَّكَوْرُ قَوَّامُونَ عَلَى الْإِنَاثِ. الرجال غير الذكور والنساء غير الإناث. مُمكن أن يكون ذكور نساء وممكن أن يكون إناث رجال. قال تعالى:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧ فهل الحج فُرِضَ على الرجال فقط؟ رجالاً هنا تعني مُتَرَجِّلِينَ.

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣ إنَّ أول من قضى نحبه في الإسلام إمراة (أم عمار) وليس رجلا.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ...﴾ الأحزاب: ٤ فهل جُعِلَ لأمرأة قلبين في جوفها؟

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ الكهف: ٣٧ فهل المرأة سُوِّيتْ بطريقة مُختلفة؟ رجلاً هنا تعني تَرَجَّلَ أي أصبح واقفا على رجليه.

إذا الرجل في كتاب الله لا تختص دائما بالجنس وكذلك لفظة النساء لا تختص دائما بجنس الإناث. الرجل هو المتمكن في شروطه المادية والإدارية والمعنوية، والنساء هم ما تلى ذلك في التمكن والإمكانية. أي تأخر عنه من (نسيء).

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ يجب أن نرى مصداقيتها في العالم كله، في اليابان والسويد ولوس أنجلوس تماما كما نراها في مكة والقدس ودمشق والقاهرة. هذه الآية للناس كلهم وليست تكليف خاص بالمؤمنين أتباع الرسالة الخاتمة.

في العالم كله صاحب المال له الكلمة وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ^{٢٠}.

أيضا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ - وليس (بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضُهُمْ) - للتأكيد على أن بعضهم ذكور وإناث.

قال تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^{٢١} وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ

تَفْضِيلًا^{٢٢} ﴾ الإسراء: ٢١ ذكور وإناث.

﴿ كَلَّا تُمَدِّدْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا^{٢٣} ﴾

الإسراء: ٢٠ أيضا (هَؤُلَاءِ) تعني الذكور والإناث.

إذا نقول:

- (الرِّجَال) تعني ذوي الإمكانات الممتازة (ذكور وإناث)
- (النِّسَاء) تعني ذوي الإمكانات الأقل - من نسيء (ذكور وإناث)
- (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) بالإمكانات المادية والذهنية (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

إمرأة صاحبة مصنع، تُعيّن مديرا للعمل. أوّل ما حصل هذا الأمر مع الرسول الأعظم نفسه، فقد عمل عند أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فهل هذا يُعيب الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا أمر لم يُعيبها ولم يعيبه. هذا نموذج لنا. في حقل التجارة كانت القوامة لخديجة رضي الله عنها وعندما بُعث الرسول وتفرغ للدعوة لم يعد يعمل كانت خديجة هي من تتكفل بالمصاريف. الرسول كان دائما يذكر خديجة بالخير.

علاقة الرِّجَال بالمرأة مُوجهة بين أُنْجَاهَيْنِ:

- العلاقة العاطفية: الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ
 - العلاقة الإقتصادية الإجتماعية: الْقَوَامَةُ (الإدارة)
- علاقة المودة والرحمة هي قبول أحدهما الآخر، من هنا يبدأ الأيجاب والقبول. يقال أن

المودة من المرأة والرحمة من الرجل، أنا أقول أنها مُتبادلة ﴿ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ^{٢٤} وَأَنْتُمْ

لِيَاسٍ لَهُنَّ^{٢٥} ﴾ البقرة: ١٨٧

الجانب الإداري

إمرأة صاحبة مصنع، عيّنت مدير المصنع رجلاً. الكلمة لها لأنها صاحبة المال. المثال الرسول الأعظم وزوجه خديجة رضي الله عنها . قد يكون الاتفاق متبادل – هنا الكلمة لكليهما. ومثال على ذلك إذا دعا شخص ما شخص آخر على مطعم فإنّ الداعي يختار المطعم، أما إذا كل منهما سيدفع حسابه فإنّ كليهما يتفقا على المطعم ونوع الطعام.

القوامة إدارة ومال

كفاءة الإدارة والكفاءة الماليّة تحدد القوامة

بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ الكفاءة الإدارية

وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ^{٣٤} الكفاءة الماليّة (أنفقوا .. ذكور وإناث)

الآن إذا كانت القوامة للإناث

﴿... فَالصّٰلِحٰتُ قٰنِنٰتٌ حٰفِظٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ وَاللّٰتِي تَخَافُوْنَ

نُشُوْرَهُنَّ فَعِظُوْهُنَّ بِطِ

فَلَا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا^{٣٤} إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ النساء: ٣٤

فَالصّٰلِحٰتُ تعني هنا صالحات للقوامة. بدأ بالمرأة هي المديرية ليس المقصود صالحات

الأخلاق. قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيٰى

وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ^{٣٤} إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

وَرَهَبًا^{٣٤} وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ الأنبياء: ٩٠ هنا أصلحنا تعني أنها كانت عاقر

فجعلناها ولود، ولا تعني أنها كانت فاجرة فأصبحت تقية.

نعود للآية (النساء: ٣٤) موضوع الآية القوامة. الصالحة هنا هي الهادئة ليست مُشاعبة تحفظ خصوصيات زوجها ولا تعيره بأنها هي التي تصرف على البيت .. بعض النساء قد تنتشر في هذه الحال. والنشوز هو التكبر والاستعلاء. يقال نشز الرجل إذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله عز

وَجَلَّ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ

لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ **أَنْشُرُوا** فَ**أَنْشُرُوا** يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^{٣٤}

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ المجادلة: ١١ إذا النشوز لا يعني الخروج عن الطاعة، وإنما تعني هنا أن الزوجة تَمُنَّ على الزوج وتتكبر عليه، وقد نسيء إلى شعوره بشكل كبير جداً. قال تعالى ﴿... وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ...﴾ البقرة: ٢٥٩ أي عليت ووقفت وهنا أيضا نشزت المرأة أي تكبرت وعلت. ماذا علينا حينها، قال تعالى

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ العظة لأي كان له قوامه. لأنه لا يشترط أن تنتشر الزوجة فقط، فقد تكون المرأة أرملة تقوم على تربية أبنائها فتمنّ عليهم بأنها تطعمهم وتعلمهم وتربيهم. يجب في هذه الحالة أيضا أن نوجه النصيحة لها بأن هذا التصرف لا يرضاه الله.

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ مقاطعة. وهنا يقصد بهجر الزوج.

﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ الضرب في المصحف له معنى فيزيائي ومعنى محمول عليه.

عندما يأتي الضرب بالمعنى الفيزيائي يضع الفعل

﴿... فَصَكَتْ وَجْهَهَا...﴾ (٢٩) الذاريات: ٢٩

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُوا عَلَىٰ عَنَمِي...﴾ (١٨) طه: ١٨

﴿... فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ...﴾ (١٥) القصص: ١٥

كل احتكاك جسدي فيزيائي له فعل يعبر عنه إستعمله التنزيل في أكثر من موقع. هناك اللطم، الصفع، الرفس ... هذه أفعال. إذا كانت (اضربوهن) هنا تشير إلى معنى فيزيائي فقد تكون لطم، رفس، صفع، وكز ... أو أي فعل من الأفعال التي تشير إلى الضرب.

الحديث الشريف " اتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهْتُمْ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ " [مسلم : ١٢١٨]
قال عطاء: قلت لأبن عباس، ما ضرب غير المبرح؟ قال بالسواك ونحوه.

أما إذا كان الضرب محمولا عليه كقوله تعالى ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

طَبِيبَةً كَشَجَرَةٍ طَبِيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) إبراهيم: ٢٤

هل هناك ضرب؟ أو قوله سبحانه وتعالى

﴿...وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (٢٠) المزمّل: ٢٠

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ (١٠١) النساء: ١٠١

﴿...وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ...﴾ (٣١) النور: ٣١

هذه المعاني للضرب محمولة عليها. والضرب في الآية (النساء: ٣٤) يعني أن الرجل يتخذ موقفا

صارما من الزوجة، حينها ماذا يجب فعله، يقول تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٣٥) النساء: ٣٥ .. الرجل والمرأة وصلا إلى مرحلة لا يستطيعا حل مشكلتهما. ألقوامه للمرأة، نشزت، الرجل اتخذ موقفا تجاهها، المرأة لم ترتدع. هنا يتم تدخل طرف آخر ليصلح بينهما.

المرأة لا تستطيع أن تنشز أن لم تكن تملك ألقوامه. المنشوز يكون حين تكون هي صاحبة الكلمة، وهي التي تتصرف ويبيدها الحل، ولا حول ولا قوة للرجل في هذا المجال. الرجل رقم ٢ في الإدارة أو رقم ٢ في الإنفاق.

هنا نشوز عن عدم الصلاحية للقوامه.

مررنا على جزء من الآية (النساء: ٣٤) وهو فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَكِيلًا أي إذا اتخذتم موقفا وأطعنكم فالأمر ينتهي عند هذا الحد.

قد يتساءل البعض، هل تستطيع المرأة أن تكون ناشزا وزوجها صاحب القوامه .. الجواب لا. لكن ممكن أن يكون الزوج ناشزا أي يتكبر ويمنن زوجته لدرجة التجريح والإهانة.

قال تعالى

﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨) النساء: ١٢٨

هنا أعطانا سبحانه وتعالى الحالة الثانية. الرجل هو الناشز، هنا قال بعلها ولم يقل زوجها. أفرق كبير جدا بين البعل والزوج. في حال أفراش هو زوج ما عدا ذلك هو بعل. ولذلك نقول حين قال

240

- إمّا دكتاتور في البيت بحيث لا يكون للزوجة رأي
- وإمّا مُعرض غير مكترث وتارك أمور البيت تسير على الهوى، يقضي وقته بعيدا عن البيت غير مهتم بأبنائه وغير مكترث بأمورهم الدراسية.

هذين النوعين من الرجال موجودين في كل مُجتمع وفي كل عصر، ولذا قال تعالى ﴿وَإِنْ

أَمْرًا﴾ إحتمال أن يكون هناك امرأة مع واحد من هذين الصنفين الذين ذُكرا إمّا رجلا ناشزاً وإمّا رجلا مُعرضاً وترضى المرأة أن تعيش معه، تلك مشكلتها.

إذا نحاول أن نصلح الأمر ﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾ عندما يأتي الرجل وإمرأته

ليتصالحا فإنّ كل منهم يضع العِلْلَ في الآخر، كل منهم لا يذكر سوى سيئات الآخر، هذه هي الأنفس الشُّحّ، كل يتهم الآخر، ولذا إن استطعتم أن تصلحوا فأصلحوا بينهما وإن لم يكن ففراق ..

الشُّحّ: أن تأخذ كل شيء إيجابى لك وتضع كل شيء سلبى على الآخر.

قلنا إن لم يكن مجال للصلح ففراق ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ

وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ النساء: ١٣٠ المرأة غير مجبورة أن تتحمل. هنا نرى مصداقية كتاب الله في مسألة القوامة.

نعود لنموذج الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة رضي الله عنها لنقول، بعد أن بُعث الرسول وتفرغ للدعوة فإنّ خديجة هي التي كانت تقوم بأمور البيت، ولم تنتشر، وهنا نرى مثالا للصالحات المشار إليهن في الآية الكريمة.

بعد أن رأينا نشوز المرأة ونشوز الرجل نسأل هل من الممكن أن تكون القوامة مشتركة؟ وهل هذا له علاقة بعقد النكاح؟ العِصمة بيدها .. كما يقال بالعامية، أو العِصمة بيده؟

الميثاق الغليظ مطلوب من الرجل ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ

وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء: ٢١ لاحظ نون النسوة في

وَأَخَذَ لتشير إلى أن المرأة هي التي تأخذ الميثاق من الرجل.

هناك ميثاق الإسلام. الله أخذ الميثاق من بني إسرائيل .. لا تقتلوا، لا تسرقوا ولا ... ومن بني إسرائيل أخذ أيضا ميثاقا غليظا. ما هو الميثاق الغليظ؟

ميثاق الزوجية من المفروض أن يقوم به القاضي الذي يعقد عقد الزواج، وهذا الميثاق يجب أن يكون علني أمام شهود وهو شبيه بيمين الولاء الذي يقسم به الضابط حين تخرجه، أو قسم الطبيب أو قسم السفير. في الميثاق الغليظ يضع الزوج يده على المصحف أمام الشهود ويُقسم على أن:

- أن يتعهد بالصدق مع الآخر وعدم غشه.
 - أن يتعهد بعدم ارتكاب الفاحشة (الخيانة الزوجية).
 - أن يتعهد بالمحافظة على صحة الآخر وماله، والصبر على السراء والضراء والصحة والمرض.
 - أن يتعهد برعاية الأولاد رعاية كاملة.
 - أن يتعهد بالمحافظة على خصوصيات الآخر وعدم الترتبة أمام الآخرين بهذه الخصوصيات.
- هذه هي بنود الميثاق الغليظ التي يجب أن يقسم بها الزوج (والزوجة) ويتعهد (يتعهدا) على الالتزام بها قبل إعلانهما زوجا وزوجة.

أما ما يوجد في عقد الزوجية من ذكر للصدّق من مُقَدَّم ومُؤَخَّر فهذا ليس ميثاقاً .. في الميثاق يجب أن تأتي الزوجة نفسها ولا يصح أن يأتي وكيلها، بل هي نفسها، تتعهد أمام الله بوجود شهود على أن ترعى زوجها وتحافظ على ما اشترطت عليه تماماً كما يحافظ الزوج ويُقسم (على الأقل الميثاق يجب أن يقوم به الرّجل) أما المرأة فليس شرطاً إن أحببت قامت به ولها أن لا تقوم به.

الميثاق ليس يمين كاذب ممكن أن يُفتى، هذا ميثاق لا يمكن أن يُفتى.

هنا أوجه قضية إلى رجال الدين أن يهتموا إلى هذه القضية.

اللباس

بعض المفكرون تحدّثوا عن مشكلة الرّي، آخرون قالوا الحجاب، آخرون قالوا الجلباب وآخرون

قالوا الخمار لأنّ الخمار لفظة قرآنية ﴿... وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ...﴾ النور: ٣١

والحجاب ورد في القرآن الكريم كلفظ والجلباب ورد في القرآن الكريم أيضا ﴿... يَدْنِيكَ

عَلَيْنَّ مِنْ جَلَبِيبٍ ...﴾ الأحزاب: ٥٩ ولكن لماذا اختار الدكتور شحرور كلمة اللباس؟

علما أن لفظة القميص أيضا قد وردت في كتاب الله. هل اختيار كلمة اللباس جاء بناء على الآية

الكريمة ﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوْرِى سَوْءَ تَكْمُ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ النَّفْوٰى ذٰلِكَ

خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ ءَايٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢٦﴾﴾ الأعراف: ٢٦

اللتنزيل الحكيم يستعمل كلمة ثيابهن ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ اَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ

لَهُنَّ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ النور: ٦٠ هذا أسم الجنس. وضع الثياب يعني أن تبقى

عارية.

الثياب ما يُردُّ عليك، تماماً كالنّواب. أنت تفعل خيراً يُرد عليك أجره.

هناك جلباب، لباس خارجي، لباس داخلي، قيص، خمار ... هذه الأسماء عبارة عن قطع من الثياب. أما اسم الجنس فهو الثياب – ما يرتد على جسم الإنسان. ومنها جاءت ثواب.

ذُكِرتَ الْفِتْنَةُ فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ مَعَ مُشْتَقَّاتِهَا ٦٠ مرة. لم تذكر مرة واحدة مقترنة بالنساء. لم تُقَرَّنْ الْفِتْنَةُ مَعَ الْمَرْأَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

يقولون فتنة المرأة. ما المقصود بفتنة المرأة؟ في التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ ذَكَرَتِ الْمَرْأَةُ وَذَكَرَتِ الْفِتْنَةُ وَلَكِنْ

لَمْ يَرِدْ إِرْتِبَاطُ الْمَرْأَةِ بِالْفِتْنَةِ. أَكْثَرُ مِنْ هَذَا – مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿... إِنَّ هِيَ إِلَّا

فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ...﴾ الأعراف: ١٥٥ الربط بين المرأة والفتنة غريب.

فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ الْمَرْأَةُ مَذْكُورَةٌ وَالْفِتْنَةُ مَذْكُورَةٌ وَالزَّنى مَذْكُورٌ وَالْفَاحِشَةُ مَذْكُورَةٌ. لَكِنْ نَكَرَرُ لَيْسَ هُنَاكَ أَيْ رِبْطٌ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَالْفِتْنَةِ فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ.

(المرأة كلها فتنة) وهناك من اعتبرها (كلها عورة). أنا لا أرد على الفقهاء بهذا الكلام، لكن أقول إن ربط المرأة بالفتنة خطأ، لأن ديننا جاء من عند الله بالنص والمحتوى وفي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ لَا يَوْجَدُ هَذَا الرِّبْطُ الَّذِي يَدَّعُونَ.

العورة

العورة جعلوها مفهوم إجتماعي ومفهوم تاريخي بينما في كتاب الله لها مفهوم خاص جدا. الرسول الأعظم استعملها كما يجب.

العورة هي ما لا يرغب المرء في إظهاره من فعل أو عمل أو جنسه.

رجل أصلع وضع باروكة، هذا الرجل اعتبر صلعته عورة.

الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ قَالَ (كُلُّ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ مَا عَدَا وَجْهَهَا وَكَفْيَهَا) فِي هَذَا الْمَفْهُومِ ١٠٠٪ صَح. الرُّسُولُ كَانَ يَشْرَحُ وَلَمْ يَكُنْ يُحَجِّبُ. فَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَخْجُلُ مِنْ رَقَبَتِهَا مِمَّا أَنْ تَغْطِيَهَا، كَذَلِكَ أَيْ جُزْءٌ مِنْ جَسْمِهَا، إِلَّا إِنَّهُ عَلَيْهَا أَنْ لَا تَغْطِيَ وَجْهَهَا وَكَفْيَهَا. لِأَنَّ الْوَجْهَ هُوَ هَوِيَّةُ الْإِنْسَانِ. عَلَى الْمَرْأَةِ أَلَّا تَسْتَحْيَ بِإِظْهَارِ وَجْهِهَا.

هذا المعنى للعورة يتناسب مع التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لِيَسْتَعِزَّزَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ

وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ

عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ النور: ٥٨ أنت لا ترغب أن يراك الناس خلالها.

أيضا يقولون

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَافِئَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّهَلَّ يَتْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ **يُوتِنَا عَوْرَةً** وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ الأحزاب: ١٣

أيضا بيته مكشوف للضرب وليس الأمر كذلك.

الرسول الكريم حين قال (مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هل كان يعني أنّ شخصا يرتدي شورت فجاء رجل وغطى رجله. المقصود هنا أن يستتر نقائص أعماله. رجل يعمل عملا ما لا يرغب أن يراه الناس فالواجب أن لا يفضحه أحد.

أيضا قوله سبحانه وتعالى

﴿ ... أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ... ﴾ النور: ٣١

ولكن هناك أبحاث أنّ هذه اللفظة إصطلاحية شرعية تعني ما يخجل منه الإنسان جدا حتى أنه يقال العورة المغطاة أي السوءة.

قال تعالى

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا

الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ الأعراف: ٢٧

هناك ربط بين ما يخجل الإنسان منه وبين الثياب وهذه قضية شرعية وليست إجتماعية. عندما أخرج أبونا من الجنة هل كانوا يرتدوا الثياب؟ نزع أول إحساس بالذنب. نزع لباسه لا تعني أنه صار عار. هنا أدرك أنه ارتكب عمل سيء وأراد أن يختبأ

المرأة ليست فتنه.

العورة ليست عورة بالمفهوم الشائع عند الناس.

الآيات التي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى (قُلْ)

يرى الدكتور محمد شحرور أنّ الآيات التي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى (قُلْ) لها مفهوم خاص. قال تعالى

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ

شِيعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

الأنعام: ٦٥

﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ ص: ٦٧

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الملك: ٢٤

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ الإخلاص: ١

والعديد من الآيات.

مرّة سأل العقيد معمر القذافي قائلاً: قال الله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فنحن علينا أن نقول هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ .. هذا السؤال قد يخطر على بال أكثر من واحد، أنا إن قلت لك: قل أحمد، تقول أحمد.

هذه هي اللغة. ولكن في التنزيل الحكيم هناك ثلاث أطراف

- الله سبحانه وتعالى

- جبريل عليه السلام

- الرّسول الأعظم

ثلاث ذوات مختلفة. من يكلم من؟ الله سبحانه وتعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى الرّسول الأعظم وقال له: يا جبريل قل لمحمد أن يقول (هو الله أحد). ماذا يقول جبريل عليه السلام للرّسول الأعظم؟ هناك فرق بين أن يقول سبحانه وتعالى لجبريل عليه السلام:

○ (قل له أن يقول) أو

○ (قل له)

في الحالة الأولى فإن الرّسول يقول (قل هو الله أحد)، أما في الحالة الثانية فإن الرّسول الأعظم سيقول (هو الله أحد).

الله جل جلاله أرسل جبريل عليه السلام ليقول للرّسول الخاتم ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ﴿٢﴾ الروم: ٢

بلغها الأمين للرّسول الأعظم فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾. ولكن لو أن الله

سبحانه وتعالى قال لجبريل عليه السلام قل للرّسول صلى الله عليه وسلم أن يقول غُلِبَتِ

الرُّومَ لقال عليه السّلام (قُلْ غُلِبَتِ الرُّومُ).

هناك اللوح المحفوظ والإمام المبين، هناك آيات من اللوح المحفوظ وآيات من الإمام المبين. وُضِعَتِ الآيات معا. في سورة الأعراف مثلا هناك آيات تحدثت مثلا عن موسى عليه السلام بعدها

جاءت الآية ﴿قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

الأعراف: ١٥٨ ثم تابعت الآيات للحديث عن موسى عليه السلام.

لو لم ترد لفظة ﴿قُلْ﴾ في الآية " الأعراف: ١٥٨ " لكان الخطاب ﴿يَتَايَهَا النَّاسُ﴾

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿ كَانَ موسى عليه السلام هو من يقوله، وكان موسى هو من

بعث للناس جميعا وليس الرسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ الزخرف: ٨١ - هذه مداخلة. هذه ليست

من اللوح المحفوظ ولا من الإمام المبين.

نعود لموضوع القواعد من النساء. هناك إستثناء حتى للحد الأدنى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي

لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ

بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ النور: ٦٠ هنا وضع

سبحانه وتعالى اسم الجنس ثِيَابَهُنَّ ولكن ما هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى يَضَعْنَ

ثِيَابَهُنَّ ومن هُنَّ القواعد من النساء. قال تعالى

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ...﴾ آل عمران: ٣٦

﴿... وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ...﴾ الطلاق: ٤

إذا نفهم أن الله سبحانه وتعالى قد أجاز للقواعد من النساء أن يتعرّين تماما إذا اقتضت الضرورة ونفهم أن القواعد من النساء لسن فقط اللواتي لا أمل لهنّ بالزواج بسبب العمر وإنما ممكن أن يضاف لهنّ العاجزات، المصابات بالشلل اللواتي تحتاج أجسادهنّ للتعرض للشمس. هؤلاء النسوة جعل الله أهل الأرض جميعا محارم بالنسبة لهنّ.

أما قوله سبحانه وتعالى ﴿غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ^ط فالمقصود منها أن هذه المرأة لا تخلع ثيابها من أجل إبراز زينتها.

كيف تخرج المرأة إلى الطريق

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ

أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

﴿٥٩﴾

الأحزاب: ٥٩

ما ورد في مناسبات النزول في هذه الآية حول التعرض للمؤمنات صحيح. اللباس الخارجي لأي امرأة يجب أن يكون بحيث لو خرجت المرأة إلى الطريق لا تعرض نفسها للأذى ^ط ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ

أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ^ط . امرأة مؤمنة في باريس لبست اللباس التقليدي لأهل باريس، من

يتعرض لها؟ قطعاً لن تتعرض للأذى بسبب هذا اللباس.

أحد الأعلى للباس يتبع للأعراف والطقس والبيئة. المرأة في سيبيريا تلبس وتغطي نفسها أكثر من المرأة في الحجاز هذا حكم البيئة.

اللباس الشرعي من أين جاء؟

لباس فقهاء المسلمين كلهم أخذ بالقياس. أخذوا ما لبست المرأة المسلمة في القرن السابع وقالوا هذا لباس المرأة المسلمة. اعتبروا إذاً ذلك النموذج للباس على أنه اللباس الشرعي معتبرين أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل حكماً به. وبالتالي بات هذا اللباس جزءاً من الفرائض وجزءاً من الإسلام.

يقول البعض أن لا أحد يقول أن هذا اللباس مفصل من عند الله، لكن هذا اللباس يستر ما أمر الله به أن يستر. أيضاً هذا اللباس يحقق الحشمة بأفضل شكل كان، ومن حق المرأة المسلمة أن تستر جسمها كله ما الخطأ في ذلك؟

أقول حق المرأة المسلمة أن تستر جسمها كيف تشاء، هذا صحيح ولكن هذا ليس فريضة، هنا وجه الخلاف. الآيات الواردة في اللباس أعطت الحد الأدنى والحد الأعلى للباس المرأة. وأعطت الحد الذي لا يجب تجاوزه، كما أنها أعطت تعليمات للباس الخارجي الذي إذا خرجت به المرأة المسلمة لا تعرض نفسها للخطر. هذا اللباس أعراف، تقاليد، تعصب للمرأة العربية في القرن السابع أو افق، ولكنه ليس ديناً وليس حكماً شرعياً. المرأة العربية لباسها لم يتغير قبل وبعد البعثة النبوية؟

نبذة تاريخية

أخذ العرب الحجاب عن الفرس الزرادشتيين، الذين كانت المرأة عندهم كائناً غير طاهر، عليها أن تربط فمها وأنفها بعصابة كيلا تدنس بأنفاسها النار المقدسة. وقد ألحقت العرب البيزنطيين في عزل المرأة وانزوائها بالمنزل، الذين أخذوا ذلك عن الإغريق، حيث كان المنزل نصفين مُستقلين،

أحدهما للرجال والآخر للنساء، وتعزز هذا التقليد كليا أيام الوليد الثاني في العهد الأموي، الذي كان أول من أحدث ركن الحريم في المنزل العربي^(١).

وكان العرب قبل وإبان البعثة المحمدية يتألفون من طبقتين، طبقة الأحرار وطبقة العبيد. فقد كان الرّق نظاما معمولاً به عند العرب قبل وبعد البعثة المحمدية. وكان للرق والعبيد مصدران، أسواق النخاسة والغزو. ولم تخرج الغزوات في العصر النبوي عن كونها مصدرا من مصادر الرق،

فالإمام الواحدي في أسباب النزول يربط نزول قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... ﴿النساء: ٢٤﴾ بغزوة أوطاي فيقول عن أبي

سعيد الخدري: أصبنا سبايا يوم أوطاس نعرف أنسابهنّ وأزواجهنّ فكرهنا أن نفزع عليهنّ فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهنّ^(٢). والإمام الرازي في تفسيره الكبير يرى للإحصان أربعة وجوه أحدها الحرية. فالمحصنة هي الحرّة. ولما سقطت هذه الصفة عن المرأة المسيبة في

الغزو أصبحت من مَلِكِ الأيمن فحل وطؤها. ويستشهد بقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ

طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ... ﴿النساء: ٢٥﴾^(٣)

الرسول الأعظم فتح ألباب في تحرير الرق وتحرير المرأة ولكنه لم يتم إلغاء الرق تماما زمن الرسول الخاتم.

إذاً كان هناك الحرية والأمة وكان العرب يميزوا في لباس كل منهما. ولقد فرّق العرب قبل البعثة المحمدية وأثناءها وبعدها، بين لباس الحرّة ولباس الأمة. فلباس الحرّة العربية هو لباس السيدة خديجة رضي الله عنها التي تزوجها النبي قبل البعثة. غطاء للرأس بقي من الحر ويجمع الشعر أن يتبعثر، وثوب طويل يستر القسم الأسفل من الجسد لعدم وجود البسة داخلية وقتها، وفضفاض يسمح لها بحرية الحركة في أعمالها وتحركاتها داخل البيت وخارجه، ولم يكن في الثوب فتحات أو جيوب إلا فتحة الصدر، تبدو منها نهود المرأة حين تتحنى إلى الأمام وهو الجيب الذي ضربت عليه المرأة المؤمنة خمارها حين نزلت آية (النور ٣١). ولم يكن لباس الرجل يختلف من هذه الزاوية البيئية الاجتماعية عن لباس المرأة، فقد كان يُغطي رأسه من الحر، ويلبس ثوبا طويلا كيلا تظهر عورته حين يقعد لعدم وجود البسة داخلية وقتها. بالإضافة إلى لحية كان يطلقها الرجل، حتى لا يعاب بين قومه. وتروي السيرة أن النبي كان ليبس كما يلبس الناس من حوله، حتى إن الرجل يدخل المسجد فيسأل ألقاعدين: أيكم محمد؟.

أما لباس الأمة، التي اعتبروها ملك يمين فقد كان لباسها مختلف عما ذكرنا. حتى أنه في كتب الفقه هناك أحكاما للحرّة والحرّ وأحكاما للأمة والعبد في مجال النكاح والطلاق وقذف المحصنات والزنا وغيرها.

(١) أنظر حسين العودات " المرأة العربية في الدين والمجتمع " ص ١٠١، ١٠٢

(٢) أسباب النزول، الإمام علي بن أحمد الواحدي ص ٨٥.

(٣) التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، ج ٩ ص ٣٢.

- فللعبد في موطأ مالك أن يتزوج بإمرأتين أما الحر فبأربع.
- يقع الطلاق من العبد بتطليقتين ومن الحر بثلاث
- عدة الطلاق للأمة شهر ونصف، وعدة الترميل بعد وفاة الزوج شهران وخمسة أيام.
- حد العبد والأمة في الزنا خمسون جلدة، وحدّهما في قذف المُحصنات أربعون جلدة، وليس على قذف الأمة حد.
- لا يجوز للعبد إذا طلق زوجته أن يرتجعها إلا بعد أن يطأها رجل آخر.

المصدر موطأ مالك ص ٤٦٤ – ٤٧٦

أما في مسألة الحجاب فقد منعت الأمة من أن تتشبه بالحرائر في لباسها، حتى أن الفقهاء اعتبروا أن عورة الأمة هي تماما كعورة الرجل أي من السرة إلى الركبة – حتى في الصلاة تصلّي الأمة وهي مكشوفة الرأس والصدر. الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمتنع الأمة أن تضع غطاء للرأس وسار على هذا الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ولكن نسأل عندما قال رب العالمين

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ هل فرق بين الحرة والأمة؟ للأسف المجتمع فرق.

الآن لا يوجد حُرّة وأمة. أي لباس مقبول؟ أنا أسأل أي لباس مقبول عند رب العالمين وليس عند المجتمع؟. المشكلة أن الاعتماد على الأحاديث أكثر من الاعتماد على الآيات في أحكام الفقه.

أسئلة وأجوبة

لا إجتهد في مورد النص. الذين قرأوا الآيات وجدوا فيها حكما شرعياً ولذلك توقف الإجتهد

البشري وتوقف العرف. ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

الأحزاب: ٥٩

يرد الدكتور: الله سبحانه وتعالى إشتراط المعرفة بالأذى. إذا خرجت امرأة في بلد ما بفستان عار وسارت في الشارع ولم تتعرض لأي أذى، هل يحصل هذا في العالم أم لا يحصل؟. المرأة التي تتعرض للأذى مهما كان لباسها لا يوجد قانون في العالم يسمح بذلك، العكس صحيح لقوانين صارمة بحق من يتعرض لأي امرأة مهما كان لباسها.

لماذا نضع الذنب على المرأة، يجب أن تلبس هكذا حتى لا يعتدي عليها أيّ عديم أخلاق؟ لماذا لا نحاسب عديم الأخلاق على التحرش؟.

هل إذا وجدنا آية فيها قَرَضَ فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْنَا – ولم تنته الآية بعقوبة أو وعيد من الله، ألا يفهم ضمناً أن مخالفة أوامر الله يُحاسب عليها الإنسان؟

ببساطة رب العالمين قال ﴿... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ...﴾ غافر: ٤٣

الأسراف هو الانتقال من حقل الحلال إلى حقل الحرام. المُحرمات معروفة.

لم أصل إلى الجواب، إن وجدت آية أن عليّ أن أُرَدُّ التَّحِيَّةَ ولم أفعل ما يعني هذا، أنت تقول أنه لا يحق لأحد أن يضع عقوبة لم يضعها الله!!

لا .. يحق وضع عقوبة إجتماعية، كمن يُخالف إشارة المرور مثلا فإنه يتعرض لغرامة لكن الله لن يُحاسبه على مخالفة الإشارة الضوئية. هذه القضية ليست أمرا شرعيا. تنظيم الحلال وتنظيم حالات المجتمع تخضع للتطور، وتخضع لتغيير الأحكام بتغيير الزمان والمكان. الحلال لا يمارس إلا مُقَيَّد.

هل تعتبر لباس المرأة المسلمة – الحجاب والجلباب من أمور المجتمع أم من أمور الدين؟

هم وضعوه من أمور الدين والحقيقة أنه أمر إجتماعي.

يقول ابن تيمية **الحجاب مختص بالحرائر دون الإماماء**.

ويقول ناصر الدين الألباني في كتاب " حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة": **كان من شرط المسلمين الأولين على أهل الذمة أن تكشف نسائهن عن سوقهن وأرجلهن كي لا تتشبهن بالمسلمات**.

ما يُقال عن الحجاب هو لزوم ما لا يلزم.

الحجاب أصبح علامة مميزة للمرأة المسلمة، أقصد الجلباب. وهنا لا نحكم على التوايا في القلوب. كل أصحاب الأديان يميلون إلى وضع علامة مميزة وكأنهم يعتزّون بما يعتنقون. لماذا هذه الحملات على المحجبات؟ مع أن الصحوّة الإسلامية تركز على الحجاب وكل إنسان من حقّه أن يدعو إلى دينه وقناعاته ومذهبه. بعض الدول تمنع الشعارات الدينية ثم تشمل الحجاب ضمن تلك الشعارات والغريب أن تلك الدول تدعي الحرية.

أولا الصحوّة الإسلامية بعد السبعينات تميزت بالشعائر والحجاب. عدد المصلين زاد، كذلك عدد الحجيج وعدد المحجبات. التّركيز على اركان الإيمان وليس اركان الإسلام.

ثانيا بعد حرب ال ٦٧ خفنا على ضياع الهوية. هذه قضية هامة جدا. بعد ال ٦٧ ضاعت الأمة، فبحثنا عن هوية .. ماذا حدث؟ الثورة المعلوماتية انتشرت والهجرة إلى أوروبا زادت .. نحن أمة مأزومة ومهزومة. في نفس الوقت بحثنا على قيمة موجودة عندنا وليست موجودة عندهم. هل نستطيع أن ننافسهم في القضاء؟ هل نستطيع أن ننافسهم بالتأمينات الإجتماعية؟ بالأيفاء بالعقود والمواصفات؟ بتنظيم المجتمع؟ بالعناية بالأيتام؟ ب ... كل هذه الأشياء لا نستطيع أن ننافس بها مع أنها قيم إسلامية. فوجدنا حجاب المرأة وجعلناه قيمة. هذه موجودة عندنا وليست موجودة عندهم

(أحيينا قيمة ولم نجد لها)

المهم جعلناها قيمة. يقولون هناك حملة على المحجبات. أقول هناك أيضا حملة على المسافرين من قبل من يدعوا إلى الحجاب .. المرأة سواء تحجبت أم لا هذا ليس دين.

لكن هناك من يسعى لبناء مجتمع صالح من خلال الشّعائر.

الشّعائر شخصية. الشّعائر لا تبني دولة. الذي يبني دولة هو القيم وهو العمل، وسلطة الدولة علاقة لها بسوق الناس بالقوة إلى الجنة أو بإدخالهم النار بالقوة. هناك قيمة كان يجب الإهتمام بها وهي الحرية .. لكنها للأسف هي ليست قيمة في فقهاء الموروث. الحرية ليست من القيم المقدسة في كتب الفقهاء.

أَلْتِي تَتَحَجَّبُ تَلْتَزِمُ بِالْحَدِّ الْأَعْلَى لِلْبَاسِ وَلَكِنْ لَا تَزِيدُ عَلَى أَحَدٍ بِحِجَابِهَا أَكْثَرَ تَدِينًا مِنَ الْأَخْرِيَّاتِ السَّافِرَاتِ.

آيَاتُ الْحُدُودِ وَآيَاتُ التَّعْلِيمَاتِ

التَّعْلِيمَاتُ أَنْ تَلْبَسَ مَا لَا يَعْزُضُ لِلأَذَى. هَذِهِ لَيْسَتْ تَشْرِيعَاتٍ. التَّشْرِيعُ هُوَ الْحَدُّ الْأَدْنَى.

تَعْلِيمَاتُ الرِّسَالَةِ الْحُدُودِيَّةِ .. ١٠ سَنَوَاتٍ فِي الْمَدِينَةِ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً لِاسْتِنْفَازِ آيَاتِ الْأَحْكَامِ كُلِّهَا. إِلَى الْآنَ الْبَشَرِيَّةُ تَتَطَوَّرُ وَتُطَبَّقُ الْحُدُودُ .. الرِّسَالَةُ عَالَمِيَّةٌ وَمُصَدِّقَاتُهَا تَظْهَرُ مَعَ تَقَدُّمِ الْبَشَرِيَّةِ. كَذَلِكَ النَّبِيُّ فَإِنَّهَا عَالَمِيَّةٌ أَيْضًا وَكَلِمَا ابْتَعَدْنَا زَمَانِيًا عَنْ زَمَنِ التَّنْزِيلِ كَلِمَا كَانَتْ النَّبِيُّ أَكْثَرَ وَضُوحًا.

لَقَدْ تَمَّ التَّعَامُلُ مَعَ الْمَرْأَةِ عَلَى أَنَّهَا مَتَاعٌ .. إِذَا خَرَجَتْ سَافِرَةً فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَلْقَاهَا فِي الطَّرِيقِ سَيَسْهَلُ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ مَعَهَا وَكَأَنَّ الْمَرْأَةَ لَا رَأْيَ لَهَا .. هُنَاكَ إِرَادَةٌ وَهُنَاكَ إِغْتِصَابٌ.

أَحَادِيثُ نَبَوِيَّةٍ عَنِ الْمَرْأَةِ

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: ((لَوْ كُنْتُ أَمْرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا)) (التِّرْمِذِيُّ ١٠٧٩) هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَتَّفِقُ مَعَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الروم: ٢١

رَوَى ابْنُ الْأَحْوَصِ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ ((النِّسَاءُ عَوْرَةٌ فَاحْبِسُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ)) وَهَذَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)) - الْبَخَارِيُّ ٤٧٨٧ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَيْرُ عِنْدَ النَّبِيِّ هُوَ السَّجْنُ. حَاشَاهُ.

جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمَصْلَى، فَمَرَّ عَلَى نِسَاءٍ فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، قُلْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَةَ، فَمَا رَأَيْتُ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ وَمَا نَقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ نِصْفُ شَهَادَةِ الرَّجُلِ، فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلَّ وَلَمْ تُصُمْ، فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا)).

رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ ((تَقْطَعُ صَلَاةَ الرَّجُلِ، الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ)) - مُسْلِمٌ ٧٩٠ وَكَانَ هَذَا الْحَدِيثُ مَدَارَ حِوَارٍ طَرِيفٍ بَيْنَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَبِي هُرَيْرَةَ.

أُورِدَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ الْمُلَقَّبُ بِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ فِي كِتَابِهِ إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ حَدِيثًا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، يَقُولُ فِيهِ النَّبِيُّ: ((لِلْمَرْأَةِ سِتْرَانِ الزَّوْجُ وَالْقَبْرُ))

وَأُورِدَ حَدِيثًا آخَرَ أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ فِيهِ النَّبِيُّ: ((لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ، إِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الزَّوْجَ وَاحِدَةً، وَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرَ أَلْعَشْرُ)) وَغَيْرُهَا الْكَثِيرُ

الأب والوالد

تطوّرت الأسرة وتطور المجتمع من سلطة الأم إلى سلطة الأب، عندها تكامل تشكيل كيان الأسرة مما اقتضى إنزال تشريع سماوي يأمر ببر الوالدين. إذن البر للوالدين والإرث للأبوين، ما الفرق بين الأبوين والوالدين؟ وماذا يتفرّع من هذه المسألة؟

الفرق كبير جداً، جذر ولد يختلف تماماً عن جذر أب وجذر أم .. مختلفين تماماً في الجذر وبالتالي لا يمكن أن يكون المعنى واحد. في التنزيل استعمل كل معنى منفصل عن الآخر. ما جعلني أقوم ببحث الفرق بين هذه المعاني أمورٌ عدّة، أهمّها:

- 🌸 **مسألة التبني.** هناك مأس كبيرة جداً في التبني. هل التبني حرام؟ سمحوا في طفل الأنابيب وفي نفس الوقت اعتبروا أن استئجار الرحم حرام!
- 🌸 **ضياح الأنساب.** الخوف على ضياح الأنساب. إذا فرقنا بين الأبوين والوالدين نرى أن مشكلة التبني قابلة للحل تماماً ونرى أن الأنساب لا يمكن أن تضيع أبداً.

الوالد من جذر "ولد" وهو يعني النسل وينطلق على الذكر والأنثى. قال تعالى

﴿وَالِدٌ وَمَوْلَدٌ﴾ (٣) البلد: ٣

﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلِينَ ...﴾ البقرة: ٢٣٣

الوالدة صاحبة البويضة فقط، التي تلد هذه تضع ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ (٣٦) آل عمران: ٣٦

﴿وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦) آل عمران: ٣٦

نقول فعل الولادة في المصحف هو (وضع)

﴿... وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

يُسْرًا﴾ (٤) الطلاق: ٤

إذا ورد فعل (وضع) وليس (يلد)

قد يسأل البعض ماذا تقول في قوله سبحانه وتعالى ﴿قَالَتْ يَوْنِلَيْتُ ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا

بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) هود: ٧٢ هنا امرأة إبراهيم عليه السلام كانت كبيرة في العمر (عجوزٌ عقيم) ولا أمل لها في الإنجاب، أي أن لا دورة شهرية تأتيها. ولذلك قال

تعالى ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلْيَسِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)

هود: ٧١ .. هنا إشارة إلى أن امرأة إبراهيم عليه السلام قد شعرت بأن الدورة قد حدثت لها، والعرب تقول أن المرأة تفرح عندما تأتيها الدورة الشهرية لأنها تشعر أنها ما زالت ولود.

فعل الولادة مشترك بين الإنسان والحيوان (عملية بيولوجية بحت). تحليل الحمض النووي يحدد الوالد والوالدة، لكنه لا يحدد الأب والأم. قد تكون أوالدة أم وقد لا تكون، وقد يكون الوالد أب وقد لا يكون. في أغلب الأحيان الأب والوالد يكونا واحد كذلك الأم والوالدة أيضا تكون واحدة.

هناك معنى آخر للولادة في القرآن الكريم وهو إعطاء المعلومات والقناعة والعقيدة والتربية. قال

تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْسُدُوا

عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٢٧) نوح: ٢٦ - ٢٧ لو كانت الولادة هنا بيولوجية،

أي إن الفاجر الكفار يأتي نتيجة ال DNA - هكذا يولد .. فأين الحساب إذن. المقصود بالولادة هنا التربية.

ولأن الأم هي التي تربي قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُمْ

أُمَّهَاتِهِمْ إِن أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ

اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٢) المجادلة: ٢ أي اللواتي ربوكم.

إذا ولد ممكن أن تكون بالمعنى البيولوجي وممكن أن تكون بالمعنى التربوي.

الأب أيضا لها أصلاً:

(١) العشب الذي تاكل منه الأنعام ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾ (٣١) مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ﴾ (٣٢) عبس: ٣١

- ٣٢ .. يُقال في بلاد الشام "أب الربيع" أي طلع العشب.

(٢) الأب أي المقصد، يُقال أب الرجل إلى سيفه أي توجه إليه وقصده.

أبوك من أب لك ومن أجلك لا علاقة له بوالدك.

الأم أيضا لها أكثر من معنى

(١) الأصل والمرجعية

نحن نؤم المسجد الحرام. أتباع الرّسالة المحمدية أهل القبلة كلهم يقفوا ويتجهوا لسلوك واحد، ومنها جاء الإمام والأمة.

عندما كفر إبراهيم عليه السلام بالسلوك والمنهج السائد في عصره، قال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل: ١٢٠ - مع أن إبراهيم

شخص واحد. الأمة سلوك وثقافة. نحن أمة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم نقوم بسلوك موحد يدل على أننا من أتباع الرسول الخاتم.

الأمة ليست وفقا على الإنسان البهائم أيضا أمم، كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام: ٣٨ هناك سلوك خاص بالشامبازي، سلوك خاص بالغوريلا

وسلوك خاص بالدلفين ...

(٢) وسلوك الأمة يكون موحدًا ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ

النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي

حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ القصص: ٢٣ ... إن لفظة يَسْفُونَ

تشير إلى السلوك الموحد لتلك الأمة.

وعندما قال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ آل عمران: ١٠٤ هنا أيضا حين ذكر سبحانه

وتعالى الأمة أعطى سلوك هذه الأمة من دعوة للخير، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ولذلك كان سلوك الأبناء لما كان عليه آباءهم (داء الآبائية) هو الذي يحدد ما إذا كانت تلك الأمة

أمة كفر أم أمة إيمان .. ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ

مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الزخرف: ٢٢

(٣) الأمة تشير إلى فترة زمنية .. قال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا

أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ يوسف: ٤٥

(٤) الأم تشير إلى التربية .. فلانه تؤم فلانا أي تربيبة

٥) كل ما يَضُم ما قبله وما حوَالِيه يسمى أم (أم القُرَى) (أم الكتاب) (أم الرّأس)

إذا أمك من أمّتك وربّتك وغدّتك

الوالدة تُعطي بُويضة، البُويضة تَلْقَحُ .. يتكون الجنين، الجنين ينمو في الرّحم. هذا الرّحم أصبح أم لأنه يغذي الجنين .. والأيّنين التاليتين توضحا الفرق بين الوالدة والأم

قال تعالى

﴿ قَالَتْ يَوَيْلَیَّ ءَإِلَیَّ وَأَنَا عَجُوزٌ ... ﴾ هود: ٧٢ أي لا أمل بأن تُعطي بويضة

ولكن إذا أصبح الجنين في الرحم ﴿ الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَرَهُ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ

رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ النجم: ٣٢ في أَرْحَامِهِنَّ.

لماذا قال ربّ العالمين ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ﴾ النساء: ٢٣

الوالدة واحدة، لكن هناك أكثر من أم. هناك الأم المُرضِعة، الأم الحاضنة للجنين، الأم التي ولدت، أم المؤمنين. الآية (النساء: ٢٣) شملت الجميع. لو قال سبحانه وتعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ وَالِدَاتُكُمْ) لخرج من الحرمة الأم المُرضِعة، والأم المُربيّة وأم المؤمنين.

الأب

قال تعالى

﴿ ... مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۖ ... ﴾ الحج: ٧٨

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ... ﴾ يوسف: ٤

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ... ﴾ الأنعام: ٧٤

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا ... ﴾ الزخرف: ٢٢

﴿ وَأَعْفِرْ لِآثِمِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ الشعراء: ٨٦

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ ... ﴾ نوح: ٢٨

قلنا لأب من أب لك ومن أجلك، والأب من ربك.

إبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه واستغفر لوالده. آزر هو أب إبراهيم وليس والده. آزر هو من

رَبِّي إبراهيم، ولذلك قال تعالى ﴿لَأَبِيهِ أَزَرَ﴾ ذكر الاسم، بينما في سورة يوسف، قال

تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ ، لم يقل لأبيه يعقوب. والد إبراهيم هو تارح.

إبراهيم تبرأ من أبيه آزر.

﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا

بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٤

إبراهيم عليه السلام استغفر لوالده تارح.

موضوع التبني

هل التبني مسموح في الإسلام؟

قلنا إن قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ أُمَّهُتُكُمْ إِلَّا وَالَّتِي وَلَدْتُهُمْ﴾ يقصد به التربية.

الأم حين تُطلق على واحدة على أساس الحُرمة فهذا زور، ولكن إذا أُطلقت على أساس التقدير والإحترام فهذا ممكن. الله سبحانه وتعالى حين يُطلق على امرأة لقب الأم فقد حرّمت .. أما الإنسان فلا يجوز له أن يطلق لقب أم على أي امرأة من أجل تحريمها.

عندما عدد سبحانه وتعالى محارم النكاح ذكر مِمَّنْ ذكر ﴿... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

مِنْ أَصْلَابِكُمْ ...﴾ النساء: ٢٣ إذا بالضرورة هناك أبناء ليسوا من أصلابنا وإلا

أصبحت لفظة الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وحاشا لله.

الابن بالتبني يَرِثُ وَيَحْمِلُ إسم أبيه .. الأنساب إنسانية. ألبولوجيا بهيمية (البويضة والحيوان المنوي)

إنَّ فَحْصَ أَل DNA يُحَدِّدُ ألبولوجيا (الوالد والوالدة)، الإنسان هو الأم والأب.

الابن بالتبني إذا تزوّج امرأة وطلقها يحق لك التزوُّج منها. الرسول الأعظم تزوج زوج زيد.

ولكن ما هي شروط التبني؟

كل الأمهات لهن حُرمة، لكن أم واحدة لها ألحمة والبر والإرث وهي ألتى دخلت وعي الطفل.

عيسى عليه السلام حين كان صغيراً لحظة ولادته قال ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا

شَقِيًّا﴾ (٣٢) مريم: ٣٢ ذكر أوالدة. أما حين كبر ودخلت مريم عليها السلام وعية وعلى أنها

هي التي ربته، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ^ع إِنْ

كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ^ع تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ^ع إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

﴿١١٦﴾ المائدة: ١١٦ لاحظ هنا ذكر الأم.

متى يبطل التبنّي

قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) لقمان: ١٤

أحد أنواع الفصال هو فصال الذاكرة.

تبدأ ذاكرة الطفل بالتشكيل حين يبلغ السنتين من العمر، وبالتالي التبنّي يجب أن يكون قبل أن يبلغ الطفل السنتين من عمره.

عالم النفس التربوي **جان بياجيه** يقسم مراحل الطفولة فيقول هناك:

- مرحلة الطفل الصّغير
- مرحلة الاندماج مع الذات
- مرحلة الانفصال عن الذات

ويقول **جان بياجيه** إن الطفل يعي أولاً أمّه ثم أباه بعدها يبدأ بالتعرف على الآخرين.

في مرحلة الطفولة الأولى الطفل لا يعي ذاته، لذا نراه يأكل رجله ويده ويعض أعضاء جسمه.

عادة في مراكز الأطفال اللقطاء فإنّ معظم الذين يتبنون الأطفال يختاروهم بحيث تقل أعمارهم عن السنتين. وأحياناً تقوم امرأة غير متزوجة بالأصل بتبني طفلاً ما. وسبحان الله نقولها ونحن نقرا قوله عزّ وجلّ

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ

الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ۖ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ الإسراء: ٢٣

زيد بن حارثة وقصة تبنيه

نشأته

زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد جاء ذكر اسمه في القرآن الكريم تكريماً له، وقصة زيد بن حارثة تبدأ حين كان بصحبة أمه في زيارة لأهلها فخطف وبيع زيد في سوق عكاظ وكان غلاماً صغيراً واشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة بنت خويلد "رضي الله عنها" فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وتمضي الأيام وفي موسم الحج رآه بعض أقاربه فتعرفوا عليه وعادوا إلى ديارهم فأخبروا أباه الذي أسرع ليفتدي ابنه ويحرره، وكان زيد يحظى عند النبي صلى الله عليه وسلم بمكانة عظيمة، لدرجة أنه كان يقال عنه: (زيد بن محمد).

قصة التبني

روي أن أباه وعمه جاءا إلى النبي قبل أن تبناه، وطالبوا به، فقال له النبي: "إخترني أو اخترهما". فقال زيد: "ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم". فقالا له: "وبحك! أختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟" فقال لهما: "ما أنا بالذي أختار عليه أحداً. وإني يا أباي رأيت من ذلك الرجل الشيء الحسن فما أنا بمفارقة". فحينها فرح الرسول ووقف على صخرة أمام الكعبة وقال: "يا أهل قريش اشهدوا، هذا زيد ابني يرثني وأرثه". فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا. ومنذ ذلك الحين دعي بزيد بن محمد، حتى جاء

الإسلام فنزلت الآية الكريمة: ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا

ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ،

وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ الأحزاب: ٥ فدعي منذئذ

زيد بن حارثة، ونُسب بعد ذلك كل من تبناه رجل من قريش إلى أبيه.

قلنا أن الإنسان له أب واحد قد يكون هو أوالده وقد لا يكون، أمّا الأم فقد تكون أكثر من واحدة. هناك الأم المرضعة، الأم المربية، الأم الحاضنة والأم الولود.

اللقاح والنكاح

سابقا كان الحمل والنكاح مرتبطين معاً. الآن هناك حمل بلا نكاح، وهو ما يعرف ب (اللقاح) أي فصل الجنس عن الحمل. عبارات الشرف والمروءة والكرامة المرتبطة بالجنس لم يُعد لها دور، لأنها ألفاظ مُرتبطة بالجنس.

طفل الأنابيب مثلا .. يُؤخذ الحيوان المنوي من الرجل والبويضة من المرأة ويتم التلقيح خارج الرحم وبدون نكاح. هذا الجنين بعد مدة يوضع في الرحم.

حالة ثانية .. الأم عندها بويضة والرجل عنده حيوان منوي، الزوجة رحمها لا يعمل، ممكن بهذه الحالة أن يتم تلقيح بويضة المرأة بالحيوان المنوي للرجل وبعدها يُضع الجنين في رحم امرأة أخرى، أي يتم إستئجار جنين المرأة لتحمل هي المولود وتضعه، بعدها لا يعود لها علاقة بالطفل بعد ولادته. هذه المرأة التي أستئجر رحمها هي أم للطفل (أم حاضنة للجنين) وليست والدته، وهي مُحَرمة عليه إذا كبر بناتها أيضا. هذه الأم لا تترث. قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۖ ﴾ النجم: ٣٢

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۖ أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ۖ ثَلَاثٌ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۖ ﴾ الزمر: ٦

هذه الأم التي حملت الجنين ليست والدته، وهي محرمة على الطفل حين يكبر وهي أيضا لا تترث منه. ويحق للمرأة أن تستأجر رحم أمها أو رحم أختها، هنا لا يوجد جنس.

رب العالمين طيب خاطر الجميع، لكن المشكلة في من شدد من البشر.

لنفرض أن هناك رجل لا يُرزق أطفال والسبب هو وليست زوجته، هذا الرجل يرغب بالحصول على طفل، هناك طريقتين:

- الأولي أن يتبنى طفل. في هذه الحالة فإن الرجل يكون أب للطفل وليس والد، كذلك الأم تكون أم وليست والدته.
- الثانية أن يذهب إلى بنك حيوان منوي بحيث يأخذ منه حيوانا منويا يتم تلقيح بويضة زوجته به. في هذه الحالة فإن الرجل يكون أب للطفل وليس والد أما الأم فهي أم ووالدة.

ذوي القربى وأولي القربى

ذوي القربى ليس لهم علاقة رحم مع الشخص، وقد ذُكروا مع الأيتام والمساكين. شخص يعمل معك منذ فترة، قريبا دائما منك، هذا من ذوي القربى. قد يدخل ضمن هذا التعريف السكرتير، السائق، زميل العمل، الخادم ... هؤلاء لا يُنسوا في الوصية.

أولي القربى هم أقارب الدم والنسب .. ابوك، أمك، أخيك، أختك، عمك، خالك ...

الْعِبَادُ وَالْعَبِيدُ

الْعِبَادَةُ وَالْعُبُودِيَّةُ.

هناك فرق بين العباد والعبيد.

مع نفخة الرُّوح في آدم بدأت جدلية الطاعة والمعصية، وبدأ معها جدلية التوبة والمغفرة ومعها جدلية الثواب والعقاب. هذه الثنائيات الثلاث

- الطاعة والمعصية
- التوبة والمغفرة
- الثواب والعقاب

لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان الإنسان مُختاراً، إذا لم يطبق على الإكراه، أي إنَّ الإنسان أطاع مُختاراً أو ارتكب المعصية مُختاراً بحيثُ يستطيع أن يتوب وهناك مغفرة أي أن يكون هناك ثواب وعقاب. هذه الإصطلاحات الستة مرتبطة بعضها ببعض.

عبد من أفعال الأضداد في اللسان العربي. عَبْدٌ تعني الطاعة وفي نفس الوقت تعني المعصية. وأنا مُطيع عابد وأنا عاصي عابد. عندما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) أي ليطيعوني بإختيارهم أو ليعصوني بإختيارهم. فالذين أطاعوا بإختيارهم عباد الله والذين عصوا بإختيارهم هم عباد الله أيضاً. إذا عبد قد تأتي في الجانب السلبي (عصى) وقد تأتي في الجانب الإيجابي (أطاع).

الجانب السلبي

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)

أسرف ثبني أنه وقع في الحرام ﴿... وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣)

غافر: ٤٣ ومع هذا يخاطبهم الله ﴿يَاعِبَادِيَ﴾

أما في الجانب الإيجابي

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةً وَسِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن

قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (إبراهيم: ٣١)

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣)

ولقد ورد معنى العباد بالمعنيين معا في قوله تعالى ﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (١٠)

رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ مَوْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) ق: ١٠ - ١١

يوم القيامة أيضا ﴿وَإِذْ يَتَحَفَّضُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ (٤٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ

﴾ (٤٨) غافر: ٤٧ - ٤٨

الله سبحانه وتعالى حكم بين الناس المختارين ولم يُحاسِبْ من ارتكب المعصية أو الحسنه بالإكراه.

نعود الآن للآية (الذاريات: ٥٦) لنقول أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجن والإنس ليطيعوه بإرادتهم أو ليعصوه بإرادتهم، ومن أجل هذا خلقهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩)

هود: ١١٨ - ١١٩ .. إذا غاية الخلق هي الحرية، وهنا جاءت جدلية الثواب والعقاب، الناس

مختارين وعندما قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ استثنى فقط مجموعة الأنبياء. هؤلاء هم

الذين لم يختلفوا لأنهم جميعا بعثهم إله واحد. الذين لم يختلفوا هم فقط الأنبياء.

إذا الغاية من الخلق هي الحرية والله سبحانه وتعالى كرم الإنسان بهذه، ومن يُهِنُ إنسان فإنه يُهِنُ رب العالمين .. الله خلق الناس ليكونوا عبادا له يُطيعوه على إرادتهم ويعصوه على إرادتهم وعليه يكون الثواب والعقاب. والله سبحانه وتعالى يحب العصاة الذين يستغفرون ليغفر لهم ويتوب عليهم. تؤكد أن الغاية من الخلق هي حرية الاختيار والا إكراه. الإكراه لا يكون إلا للبهائم. ألبيهاهم تُساق والإنسان يُهدى ولا يُساق.

الله طلب من الإنسان أن يكون عاصيا في آية واحدة.

إن صلب العقيدة هي أن الله واحد لا شريك له ولقد بين الله ذلك في آيات عديدة في الكتاب، قال تعالى

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ (٢) ﴿الإخلاص: ٣﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلِيلٌ ۚ

﴿البقرة: ١١٦﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٦) ﴿الأنبياء: ٢٦﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٨٩) ﴿مريم: ٨٨ - ٨٩﴾

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥)

مريم: ٣٥

هذه الآيات تؤكد أنّ الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد وليس له شريك في الملك ولذلك طلب من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أنه سيكون أو العاصين إذا ثبت أن للرحمن ولدا.

ولهذا قال ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ (٨١) ﴿الزخرف: ٨١﴾ .. الله سبحانه

وتعالى يقول للرسول الأعظم: قل يا محمد إذا كان للرحمن ولد فأنا أول الكافرين به. لهذا السبب

جاء لفظ ﴿إِنْ﴾ احتمالية .. لاحظ أيضا أنّ الآية جاءت مداخلة بدليل لفظ ﴿قُلْ﴾ العابدين

جاءت تماما هنا في مكانها.

بينما رب العالمين حين يذكر العبد وينسبته لنفسه فإنه يتحدث عن العبد الجيد، كما في الآيات:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا

كَبِيرًا﴾ (٤) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا

خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٥) ﴿الإسراء: ٤ - ٥﴾

﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ۖ ذَا الْأَيْدِ ۚ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) ﴿ص: ١٧﴾

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ ۚ نَعَمْ ۚ الْعَبْدُ ۚ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) ﴿ص: ٣٠﴾

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ۚ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ۚ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٤١) ﴿ص: ٤١﴾

﴿ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ ﴾ مريم: ٢

﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص: ٤٥

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١

في كل الآيات السابقة نرى أن الله سبحانه وتعالى حين ينسب العبد لنفسه، فإنه يذكرها على العبد المؤمن، العبد الطائع .. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ.

العبد بالمعنى الإيجالي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥

الآن كيف نعبد الله وكيف نستعين به؟

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ شَيْءً وَأَنْ نَسْتَعِينَ بِهِ شَيْءً آخَرَ، ولكل منهما ورد اللفظ ﴿ إِيَّاكَ ﴾

لقد بين لنا الله كيف نعبده وكيف نستعين به. فبالنسبة لعبادته قال تعالى

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

﴿ ٦٠ ﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ يس: ٦٠ - ٦١

ونحن ندعوا الله في صلاتنا في قراءتنا لسورة الفاتحة في كل ركعة أن يهدينا الله هذا الصراط

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ ﴾ الفاتحة: ٦ فهدانا الله هذا الصراط في الآيات ١٥١ - ١٥٣

من سورة الأنعام، والتي انتهت بقوله ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾

ولكن كيف نستعين بالله؟

أيضا جاء الجواب في الآية الكريمة ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ البقرة: ٤٥ ..

إذا العبادة شيء، والاستعانة شيء آخر. نحن نعبد الله بالصلاة المُستقيم ونستعين به بالصبر والصلاة. ولقد بين الله سبحانه وتعالى لنا هذه الحقيقة في أكثر من آية. قال تعالى

﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُوْدِيَ بِمُوسَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

﴿ ١٢ ۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ ﴾ طه: ١١ - ١٤

إذا أولا **فَاعْبُدْنِي** وبعدها **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ** .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ ﴾ البينة: ٥ إذا هناك العبادة وهناك إقامة الصلاة وأيتاء الزكاة.

إذا حين يقول تعالى عبد وعباد فإن الحديث يدور حول أناس لهم حرية الاختيار تماما. أما العبيد الذين لا يملكون الحرية فإن مفردتها في التنزيل الحكيم **عَبْدًا مَمْلُوكًا**. قال تعالى

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا

فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿ ٧٥ ۝ النحل: ٧٥ العبد المملوك مسلوب الإرادة، ليس له حرية الاختيار. أما عبد لوحدها

فتشير إلى إنسان حر في اختياره.

إذا عبد مملوك تُجمَع على عبيد، ولذلك حين يقول تعالى ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ

عَلِيمٌ ۖ ﴾ النور: ٣٢ فإن الحديث لا علاقة له بالرق هنا. عندما يُذكر الرق في القرآن

يقول **تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ولا يذكر **العبيد**.

العبيد مسلوبوا الإرادة ووردت في التنزيل الحكيم في مواقع خمس، والآيات تتحدث كلها عن يوم الحساب، لأنَّ النَّاسَ يوم الحساب لا إرادة لهم.

في الدنيا ذكر الله **العباد** لأن الإنسان مُختار لتصرفه. قال تعالى

﴿ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۚ ﴾

غافر: ٣١

في الآخرة ذكر الله **العبيد** لأن الإنسان مسلوب الإرادة. قال تعالى

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ **لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (١٨٢) آل عمران: ١٨٢

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ **لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (٥١) الأنفال: ٥١

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ **لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (١٠) الحج: ١٠

﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ **لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (٤٦)

فصلت: ٤٦

﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ **لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (٢٩) ق: ٢٩

كل الآيات تتحدث عن اليوم الآخر. العبد المملوك لا يملك إرادة وجميعها عبيد. نحن الناس أحرار لسنا رِقَّ لله ، نحن في الحياة الدنيا لسنا عبيد لله نحن عبادا له وفي يوم الحساب نحن عبيد لله لأنه

في ذلك اليوم لا إرادة لنا. أما بعد الحساب فنحن عباد لله ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا

تَفْجِيرًا ﴾ (٦) الإنسان: ٦. إذا

- في الدنيا نحن عباد الله
- يوم الحساب نحن عبيد الله
- بعد الحساب نحن عباد الله

الله سبحانه وتعالى لم يطلب من الناس العبودية، الله طلب العبادة وليس العبودية.

نعود إلى قوله سبحانه وتعالى

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۚ ۝٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (١) الفاتحة: ٥ - ٦

نقول الشعائر (الصلاة، الصوم، الزكاة ...) هي تكاليف الإيمان. عندما تعصى وتريد أن تتوب وتستغفر فكل ذنوبك مع الله تغسلها الشعائر.

الله يُعْبُدُ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَيُحِبُّ بِالشَّعَائِرِ وَعَلَى رَأْسِهَا الصَّلَاةُ. الله في وجداننا بالشعائر.

أريد هنا أن أؤكد أنه إذا كان هناك عبودية في الحياة الدنيا فهي بالضرورة ليست لله. العبودية لله غير مطلوبة. الطاعة العمياء تكون في الشعائر.

في أركان الأيمان الإبداع بدعة، وفي أركان الإسلام بدع ما شئت في العمل الصالح.

ألشعائر حُب رمزي لله، ألقيام بالصلاة كما أمر بها الله وكما بينها الرسول الأعظم دليل على حُبنا

الله. هذه ليست عبادة. قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا

وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

اعبدوا جاءت بعد الركوع والسجود (وأحيانا تأتي قبل)

أيضا في الزكاة. قال تعالى

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَوَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ

الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة: ١٧٧

الصدقات صدقات الإسلام والزكاة زكاة الأيمان.

أين يُعْبَدُ الله؟

الله يعبد في الصراط المستقيم. قال تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ

وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَارُفٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ

فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ الحديد: ٢٠ وصف الحياة الدنيا بتفاصيلها، وهنا لا

يُوجَدُ ذم ولا يُوجَدُ مدح، إنما هناك حقائق تُعطى.

ماذا يريد الشيطان؟

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ الإسراء: ٦٤

لاحظ نهاية الآية (الحديد: ٢٠) ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ﴾ ونهاية الآية

(الإسراء: ٦٤) ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

يعني أنَّ الشيطان له عمل في الحياة الدنيا فقط. إذا ما ذكر في الآية (الحديد: ٢٠) هي مداخل الشيطان وهذه الأشياء ليس فيها صلاة أو صوم.

لقد وردت اللفظتين لعب ولهو في آيات أخرى.

قال تعالى ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ الأنعام: ٣٢

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ

أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ محمد: ٣٦

وفي سورة العنكبوت قدم اللهو على اللعب ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ

الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ العنكبوت: ٦٤

لماذا جاءت آية العنكبوت **لَهْوٌ وَلَعِبٌ** بينما الآيات الأخرى جاءت **لَعِبٌ وَلَهْوٌ**؟

اللعب

الحياة عبارة عن مباراة، تماما كمباراة كرة القدم، تُلَعَبُ مرة واحدة. الحياة الدنيا منذ الولادة وحتى الموت هي فترة النشاط الإنساني، هي لعبة واحدة يلعبها الإنسان، ولن يستطيع أن يلعبها مرتين. إما أن يفوز وإما أن يخسر وليس هناك مجال لمباراة أخرى لتعود خسارتك.

اللهو

لو أخذنا مباراة كرة القدم كمثال. هناك ١١ لاعبا في كل فريق. كلما كان اللاعبون أسرع في اللعب كلما كانت اللعبة أمتع وهذا هو اللهو. اللهو هو إنتقال أطابة من لاعب إلى آخر.

كذلك الحياة الدنيا. أكل يلهي عن الوقوف، والوقوف يلهي عن الجلوس، والصلاة تلهي عن الأكل. باختصار اللهو هو الإنتقال من بند إلى آخر في الحياة. هذه هي الحياة كلها.

لنوضح ذلك نقول: كما في كرة القدم، كلما كانت اللعبة اسرع، أي كلما كان عدد نقلات الكرة من اللاعبين اكثر كلما كانت اللعبة أمتع، كذلك في الحياة كلما كان الإنتقال من بند إلى آخر – أي من

حركة إلى أخرى – من عملٍ إلى آخر اسرع، كانت الحياة أكثر حيوية. وبالتالي كلما زادت البنود زاد اللهو. تشير هنا إلى أن اللهو يعني معنى سيء. اللهو هو فقط الانتقال من بند إلى آخر. الانتقال من الجلوس إلى القيام هذا بند، من الوقوف إلى المشي هذا بند ...

السجين تقل عنده البنود، ولذلك يقل عنده اللهو. جالس ينتظر ويثقل عليه الزمن.

الآن من الطبيعي إنَّ ازدياد بنود اللهو عند الإنسان تعرضه أحياناً للكذب، الغش، أكل مال أيتيم، نقص الكيل ... أي بنود الصراط المستقيم وهي ملعب الشيطان. إذا عند الانتقال من بند إلى بند في هذه الحياة، على الإنسان أن يحرص على أن يطبق الصراط المستقيم. أي أن لا يقتل، لا يرتكب فاحشة، لا يعق والديه، لا يكذب ...

إنَّ مادة اللهو هي الزينة قال تعالى

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾ آل عمران: ١٤

هنا يلزمنا الصراط المستقيم .. أي في الحياة العامة. أما في المسجد فلا يلزمنا الصراط المستقيم. ونحن في المسجد لا مجال لأكل مال أيتيم، والزنا. في المسجد نُحِبُّ الله. في المسجد الله في وجداننا.

الزينة هي مادة اللهو. زينة المكان – أي الانتقال من مكانٍ إلى آخر .. الانتقال من بندٍ إلى آخر في الحياة الدنيا، في المتاع .. هذه الزينة.

التفاخر .. كل إنسان يُدْخِلُ شيئاً في الزينة يُميّز منتوجه عن الآخر، نقول مثلاً ((المرسيدس فخر أصناعة الألمانية)) .. التفاخر يكون في المتاع، في الزينة.

نتيجة اللهو والزينة والتفاخر يأتي التكاثر في الأموال والأولاد (مادة الشيطان) ..

اللعب أساسي، هذه هي الحياة الدنيا في كل البلاد.

متاع الغرور

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ وهنا الحديث عن المتاع، ونهاية الأمر

﴿ وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ وهي المتاع.

الغرور هو شيء غير ناضج، أنت تظن أنك الأفضل علماً أنَّ هناك دائماً من هو أفضل منك. أي إنَّ كل شيء ممكن تجاوزه في هذه الدنيا. لا يوجد شيء في الحياة الدنيا اسمه نهاية المطاف. نهاية المطاف هي الحياة الآخرة، عندها يبعث الناس في كون ليس فيه موت. الحياة الأخرى فيها ألبقاء والحياة الدنيا فيها الدوام. الدوام هو التقطع والإستمرار، مثلاً حين نقول: إنَّ المطر ينزل في

الشتاء فهذا لا يعني أن المطر ينزل طيلة الوقت خلال فصل الشتاء وإنما ينزل وينقطع. إذا لم يكن هناك إنقطاع نقول مُسْتَمِرٌّ، كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ القمر: ١٩ .. ولذا نقول: هطل المطر ٣ ساعات مستمرة.

أدائم ليس من أسماء الله الحسنى وإنما الباقي. وحين قال عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم: ٣١ هذا لا يعني أنه استمر بالصلاة والزكاة طول الوقت، بل كان هناك إنقطاع بين صلاة وصلاة أو زكاة وأخرى. كل شيء في الحياة الدنيا ممكن تجاوزه، ونحن نقول أن فلان غر أي لا يوجد عنده نصوح وخبرة.

هناك آية واحدة وضع الله سبحانه وتعالى فيها الله قبل اللعب وهي ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: ٦٤ لأن حقل هذه الآية هو أدار الآخرة. في أدار الآخرة لا يوجد بنود كثيرة إذا لا لعب، الله مستمر ولذا بدأ سبحانه وتعالى باللهو، ولذلك نقول وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ أي منتهى الحيوية. الله لا يتوقف ولذلك قُدِّمَ الله على اللعب.

في هذه البنود تكمن الطاعة والمعصية في الصراط المستقيم. أثناء القيام بها يخالف الإنسان الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه، يلهو ويتفاخر، تماما كالنبات يهيج ويصفر ويموا ويُعطى الثمر ثم يموت. هذه الدورة لا تتوقف، هي كذلك بالنسبة للإنسان. لهذا قال سبحانه وتعالى

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّةٌ الْغُرُورِ﴾

الحديد: ٢٠ لماذا قال عَذَابٌ شَدِيدٌ لأن في هذه البنود طاعة الله ومعصيته.

أخيرا نقول

الله خلق الناس من أجل أن يكونوا أحرارا، وإن حرية الإنسان هي القيمة العليا في هذه الحياة. لا يوجد قيمة أعلى من الحرية وهي فوق العدالة، لأن الإنسان أحر يستطيع أن يطلب العدالة وغير أحر لا يستطيع أن يطلب شيئا. والحرية مرتبطة بالمعرفة وكلما زادت معرفة الإنسان بالمقدرات زادت معرفته وزاد طلبه لها، وبالتالي زادت حريته.

الشهادة والشهيد

الشاهد والشهيد والشهادة.

لقد ورد تصريح هذا اللفظ في القرآن الكريم مرات عديدة.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ ﴿وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا﴾ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿شَهِدِينَ﴾

تارة نراها في الجمع شاهدين، وتارة نراها شهداء .. هذا الأمر إستلقت نظر الدكتور شحرور في قراءته المعاصرة، مما جعله يميز بين الشاهد والشهيد.

فَمَنْ هو الشاهد، وَمَنْ هو الشهيد؟

الشهيد والشاهد إسمان مُفردان مُختلفان في الإشتقاق ومن أصل واحد هو فِعْلٌ شهد. فهل شهد شهادة شهيد أم شهادة شاهد؟

التنزيل الحكيم أعطانا آيات فرقت بالضبط بين الشاهد والشهيد. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) فصلت: ٢٠ الشهادة

عبارة عن معرفة – شهد عليهم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ. إذن هناك معرفة عن طريق الحواس. الشهيد يجب أن يكون سميع بصير وموجود في الحادثة نفسها التي يُقدّم شهادته عليها. والشهيد لا يمكن أن يُطلق إلا على مَنْ هو على قيد الحياة.

الشهيد والشهادة ليس لهما علاقة بالموت والقتل إطلاقاً – لا من قريب ولا من بعيد. في التنزيل الحكيم لا يوجد شيء اسمه قتل وشهادة – تماماً كما لا يوجد أي علاقة بين الفتنة والمرأة. في التنزيل الحكيم العلاقة غير موجودة بين قتل واستشهد، أكرّر الشهيد لا يمكن أن يُطلق إلا على من هو على قيد الحياة.

قال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) النساء: ٦٩

النبي أخذ لقب النبوة وهو حي، والصديق أيضاً أخذ لقبه وهو على قيد الحياة، كذلك الشهيد لا يأخذ لقبه إلا وهو حي، بالوفاة ينتهي كل شيء.

ألقال ذكر في التنزيل الحكيم، لكن لم يُذكر معه شهادة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١١٩) آل عمران: ١٦٩

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ^ع أَفَإِنْ مَاتَ ^ع أَوْ قُتِلَ ^ع انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ^ع وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ^ط وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ^ع

﴿ ١٤٤ ﴾ آل عمران: ١٤٤

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ ^ع يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^ع فَيَقْتُلُونَ ^ط وَيُقْتَلُونَ ^ط وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ ^ع وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ^ع فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الذي

بَاعْتُمْ بِهِ ^ع وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التوبة: ١١١

كيف رُبط بين القتل والشهادة؟

الشَّهيد مُمكن أن يموت، وممكن أن يبقى على قيد الحياة وهو شهيد.

﴿ ... وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ المجادلة: ٦

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبُوهُ ^ع وَلِيَكْتُبَ ^ع بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ^ع وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ^ع فَلْيَكْتُبْ ^ع وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا ^ع فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ ^ع الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ^ع وَأَسْتَشْهِدُوا ^ع شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ^ط فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ^ط مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ^ط الشُّهَدَاءِ ^ع أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ^ع وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ^ع وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ^ط إِلَىٰ أَجَلِهِ ^ع ذَلِكَكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ ^ع لِلشَّهَادَةِ ^ط وَأَدْنَىٰ ^ط أَلَّا تَرْتَابُوا ^ط إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنُبُوهَا ^ط وَأَشْهَدُوا ^ع إِذَا تَبَايَعْتُمْ ^ع وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ^ع
وَأَنْ تَقْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ ^ط وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ^ط وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢

لقد ورد لفظ شهيد وتصريفه في آية المداينة عدة مرات، ولو استعرضنا تلك المرات لرأينا:

وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ هل نطلب منهم أن يموتوا أم أن ندعوهم وهم أحياء
للشهادة؟

مَنْ رَضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ هؤلاء لم يأتوا من مقابر الشهداء.

وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا أيضا الشهداء .. عليهم أن يأتوا للشهادة وألغيت الأعدار بدليل
وجود ما بعد إذا .

وَأَشْهَدُوا ^ع إِذَا تَبَايَعْتُمْ ^ع وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ^ع هنا شهيد عقد بيع لا أكثر الشرط
أن يكون حاضرا.

الشاهد أيضا من فعل شهد، ولكن له معنى آخر مرتبط بالمعرفة. هذه المعرفة ليست سمعية
بصرية كما في الشهود أي ليست حضورية. في قصة يوسف وإمرأة العزيز نقرأ قوله سبحانه

وَتَعَالَى ^ط قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِي ^ع وَشَهِدَ شَاهِدٌ ^ع مِنْ أَهْلِهَا ^ع إِنْ كَانَتْ

قَمِيصُهُ. قَدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٦﴾ يوسف: ٢٦

هذا الشاهد لم يكن حاضرا عندما راودت امرأة العزيز يوسف عليه السلام، لكنه قدم شهادته نتيجة
خبرته. فالفرق إذا بين الشاهد والشهيد أن

- الشاهد عليم خبير
- الشهيد سميع بصير

عندما يقول رب العالمين وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ قال شَيْءٌ يتحدث عن شيء.
ولكن حين قال سبحانه وتعالى

﴿ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا

لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ الأنبياء: ٧٨

أنا شهيد على كل شيء، ولكن الحكم عبارة عن أمر قرار .. أنا خبير عليم – هذا ليس شيء.

في عالم المُجَرَّدَات تحتاج إلى خبرة.

الكافر لا تعرفه من شكله

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ

أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ التوبة: ١٧

الكافر ليس شيء أما عقد البيع فهو شيء أمامك .. بعد أن يرى القاضي أو كاتب العدل العقد، الذي لم يكن هو حاضرا عند توقيعه، يُدَقِّقه يُصَحِّح ما فيه من أخطاء (يضع خبرته) ثم يكتب عليه "شاهد"، هنا القاضي أو كاتب العدل أصبح شاهدا على العقد.

لذلك حين نتحدث عن عقد تحريري لا نحتاج إلى رجل وامرأتان. في العقد التحريري لا يوجد مجال للنسيان لتذكر ألوادة الأخرى، كل شيء مكتوب. كل ما يمكن أن يسأله القاضي: هل التوقيع على العقد صحيح وغير مزور. رجل وامرأتان فقط في حالة العقد الشفوي.

الأنبياء صلى الله عليه وسلم لم يصعد إلى السماء ويرى الله سبحانه وتعالى ويتأكد أنه واحد أحد لا شريك له.

هل نحن نشهد أن لا إله إلا الله شهادة شاهد أم شهادة شهيد؟

بالطبع نحن نشهد شهادة شاهد وليس شهادة شهيد، ولهذا قال تعالى

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ الفتح: ٨

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ المزمل: ١٥

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾

آل عمران: ٥٣

آمنّا .. يتحدث عن مجرد .. الفرق دقيق.

نعود الآن للآية (التوبة: ١٧) .. لو كان المشركين شهداء فإنهم سيشهدون ألمسجد نفسه كمادة .. لكنهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، الكفر مفهوم مجرد ولذلك جاء قوله تعالى **شَهِيدِينَ**.

إذا استعرضنا الآيات نجد أنَّ الفرق واضح بين الشاهد والشهيد وبالتالي **الشهيد ليس له أي علاقة بالحرب والموت والقتل**.

نأتي الآن لقوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ الزمر: ٦٩

لماذا وضع الله سبحانه وتعالى **النبيين والشهداء** معا؟ ومن هم هؤلاء الشهداء؟ النبي هو من أعطى غيبات.

كانت الطبيعة كلها غيبات بالنسبة للناس، جاء أناس واكتشفوا بعض هذه الغيبات وقدموها للبشر. ابن الهيثم مثلا واحدا من هؤلاء. لقد قدّم هذا العالم العديد من النظريات في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري. أثبت ابن الهيثم حقيقة أن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين، وليس العكس كما كان يُعتقد في تلك الفترة، وإليه ينسب مبادئ اختراع الكاميرا. ابن الهيثم هو واحد من هؤلاء الشهداء.

كان هناك شيء غيبي بالنسبة للناس جاء ابن الهيثم شهده وقدم شهادته للناس، كتبه وقدمه .. هذا الذي يأتي مع النبي وليس الذي يقتل في القتال كما يتصور البعض.

لا يكفي أن يعلم الشخص لنفسه ما هو غيب عن الآخرين، يجب أن يُقدّمه للآخرين أن يشهد على تلك المعرفة التي وصل إليها ليستحق أن يكون من الشاهدين.

شاهد عليم .. يجب أن يشهد **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا** .

الشهداء من كل أهل الأرض، لا علاقة لهم بدين أو عقيدة. كل من اكتشف غيبا وقدمه للناس فهو شهيد. ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية وقدمها للناس، فهو شهيد مع النبيين. باستور إكتشف الجراثيم وقدم شهادة للناس فهو من الشهداء مع النبيين. ماري كوري إكتشفت الراديوم هي من الشهداء رغم التطبيق الشيطاني له. ألكسندر فلمنج إكتشف البنسلين وقدمه للناس فهو من الشهداء.

الشهداء من كل أهل الأرض، يأتون بدرجة مباشرة بعد الأنبياء.

سيقول البعض أنَّ هناك آيات كثيرة في الكتاب تصف أعمال الذين كفروا كرماد اشتدت به الريح، أو كسراب بقية، والذين تذهب أعمالهم هباء. وربط القرآن الكريم

بين العمل الصالح والإيمان بالله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ

غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦١﴾ التين: ٦ .. هؤلاء المُكتشفون، أنت تجعلهم يُحشرون مع النبيين

بصرف النظر عن معتقداتهم، سلوكهم، توحيدهم أم إشراكهم، كيف تستريح لمثل هذه الفكرة.

أقول إنّ قناعة هؤلاء برّب العالمين ليست مشروطة أن هؤلاء مُؤمنين برّب العالمين بنفس الطريقة التي يؤمن غيرهم بها. إيمانهم بالله وتوحيدهم لله لا يُشترط أن يُشبه إيمان مَنْ يتهمهم بالشرك. هؤلاء بالضرورة ليسوا من الذين ﴿... أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ...﴾ النور: ٣٩

ولا من الذين أعمالهم ﴿... كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ...﴾ إبراهيم: ١٨. صحيح إن الإيمان بالله شرط أساسي، ولكن الصحيح أيضا أن الإيمان بالله ليس بالطريقة التي أريدها أنا.

الإيمان بالله والعمل الصالح هذا هو تذكرة الدخول إلى الإسلام. رب العالمين أعلم بمن يؤمن به وهو يحكم بين العباد يوم القيامة. أنا أحكم أنّ هذا الإنسان إكتشف شيئا كان غيبيا عن الناس وقدمه لهم.

هناك أيضا شهداء الرأي. معظم الصحفيين في العالم شهداء. صحفي ذهب لتصوير معركة، هو شهيد المعركة (وهو حي)، إذا أخفى الصور فلا علاقة له بالشهداء، أما إذا قدم الصور للناس فهو شهيد.

هؤلاء الشهداء جعلوا من الناس شاهدين أي أوصلوا الخبر والدراية إلى الناس. الشهداء هم السبب أن يتحول الناس إلى شاهدين. شهداء معركة بدر هم من حضر معركة بدر من الأحياء ومن الذين قضوا خلال المعركة، لهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ((قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتَلَكُم فِي النَّارِ)). شهداء الحرب العالمية الثانية هم من حضر الحرب العالمية الثانية من الأحياء والأموات، من حضر الحرب فهو شهيد. اليوم نحن شاهدين على الحرب العالمية الثانية.

ماذا يفعل الشهداء؟

الشهداء هم من يجعلوا الناس شاهدين.

الذين يأخذوا عينات من الأرض ويضعوها تحت المجهر ويفحصوها، يصبحوا بعدها شاهدي العصر الكريتاسي، والعصر الجيوراسي والعصر الديفوني. هم شهداء العينات فتحولوا إلى شاهدين للعصور الجيولوجية. ألتقدم المعرفي له علاقة بالجدلية بين الشاهد والشهيد.

إنسان قدم رأيه في مقال كشف فيه الفساد، هذا قدم شهادة. فرّق بين من يعرف أنّ هناك فساد ولم يفعل شيئا (يكتّم شهادة)، الشخص الذي قد شهادة إذا اعتقل فهو شهيد الرأي (هو على قيد الحياة).

﴿... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ...﴾ البقرة: ١٨٥

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ آل عمران: ١٨

الشهر يُشهِدُ شهادة شهيد وشهادة شاهد. الرسول الأعظم قال (صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ وَأَقِطُوا لِرُؤْيَيْتِهِ ، فَإِنَّ غُيْبِي عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ) البخاري – كتاب الصوم – رقم الحديث ١٧٨٥. لكن

لا يوجد رؤية وحيدة. هناك رؤيا العين ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ﴾ آل عمران: ١٣

إذا هناك رؤيا غير رؤيا العين. هناك أيضا رؤيا المنام ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

الصفات: ١٠٢. هناك أيضا رؤيا فلكية، يُقدم الإنسان حسابات فلكية ثم يقول: ارى أن شهر رمضان يبدأ غدا الساعة السادسة مساء.

إذا ليس شرطاً أن تكون الرؤية بصرية، ممكن أن تكون الرؤيا عقلية. رؤيا العين أن تخرج وتري أهلال بعينك. لذلك فمن شهد منكم شهادة الشهيد فليصم، ومن شهد منكم شهادة الشاهد فليصم ايضاً.

ولكن حين قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾، هل رأى أولوا العلم الله سبحانه وتعالى ليشهدوا؟ هنا شهادة شاهد بالضرورة.

المسيح عيسى بن مريم قال ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ المائدة: ١١٧

الفرق بين اسم الله الشهيد والشهيد الإنسان

الشهيد الإنسان ناقص المعرفة، ولهذا السبب يكتسب المعرفة عن طريق الحضور (سميع بصير).
الله سميع بصير، لكن الله يسمع بدون أذن ويرى بدون عين لأنه كامل المعرفة. كامل المعرفة لا يلزمه ولا يحتاج إلى حواس لكي يكتسب المعرفة.

الله شاهد منذ الأزل على احتمالات السلوك الإنساني وشهيد على الاحتمال المحدد الذي يختاره الإنسان.

لتوضح ذلك نقول أن الله خلق الوجود من العدم. والعدم كما فهمناه هو الدال بدون مدلول. الدال بدون مدلول لن يحدث بعد على الأشياء .. الوجود هو كلمات الله أي إن كلمة الشمس بالنسبة لله هي عين الشمس. قبل الوجود كان هناك دال بدون مدلول (كانت كلمات الله ولم تكن المدلولات التي تدل عليها) كانت الشمس كدال، لم يكن شيء اسمه الشمس. لهذا قلت أن الله شاهد على كل

شيء قبل خلقه، كان الله عليم خبير، وبعد الخلق سميع بصير، صار هناك أشياء والله على كل

شَيْءٍ شَهِيدٌ . ولكن هناك شيء حتى يسمع وشيء حتى يرى. فالله سبحانه وتعالى على كل شيء

شهيد. الله بصير وشهيد على كل حدث وهو شاهد على كل الاحتمالات.

نُعطي مثال لتوضيح الصورة أكثر .. إنسان يُريد أن ينتقل من مدينة (أ) إلى مدينة (ب). هناك أكثر من احتمال للسفر. ممكن أن يسافر بالطائرة، بالقطار، بالسيارة، على الدراجة، على الدابة ... حتى

بعد إختياره لوسيلة السفر هناك عدة طرق للوصول . الله سبحانه وتعالى يعلم كل الاحتمالات للوسائل المتاحة ويعلم كل الطرق التي ممكن أن يسلكها المسافر ، سبحانه وتعالى عليم خبير فهو شاهد عليها. الآن حدد المسافر الوسيلة واختار الطريق، الله شهيد على ما اختار هذا المسافر ، فالله سميع بصير .

في أول سورة المجادلة يقول تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١ لكن هذا الاحتمال

موجود في علم الله منذ الأزل.

من هو سيد الشهداء؟

هناك احتمال كبير أن يدفع إنسان ما حياته ثمنا لإداء شهادته. هو شهيد حتى وهو على قيد الحياة، ولكن إذا حصل ودفع الإنسان حياته ثمنا لإداء شهادته، فهو سيد الشهداء. أي صحافي يدفع حياته ثمنا لرأيه فهو من أولئك السادة.

في غزوة أحد قال الرسول الأعظم (سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ) – الأُمالي الْمُطْلَقَةُ لِأَبْنِ حَجَرٍ – رقم الحديث ١٨٢. لقد قال عليه الصلاة والسلام عن حمزة أنه سيد الشهداء لأنه شهد شهادة علنية أمام الناس يوم اتجه إلى أبو جهل وضربه بالرمح على رأسه، بعد أن كان أبو جهل قد شتم الرسول وشج رأسه .. ولكن رغم إن حمزة كان ما زال على عدم إيمانه إلا أنه فعل ما فعل، وقال بعد أن قالوا له أن الرسول يسفه ألهم:

ومن أسفه منكم وأنتم تعبدون الحجارة. وصرخ حمزة رد علي إن استطعت "أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله" وهكذا كان إسلام حمزة. لذا استحق ان يكون سيد الشهداء.

كذلك الرجل الذي أدلى بشهادة أمام حاكم جائر فأمر بقتله هو أيضا من سادة الشهداء.

والطبيب الهولندي ألذي ذهب إلى أندونيسيا وقد كان مرض الكوليرا منتشرا هناك، وجعل نفسه يُصاب بالمرض لكي يصف الكوليرا سريريا كطبيب، وكيف يشعر المُصاب بالكوليرا، وسجل كل ذلك ومات. هذا الطبيب وضع حياته للإدلاء بشهادة تنفع الناس. هذا سيد الشهداء أيضا.

شخص شهد على عقد بيع وقتل بسبب شهادته، هو أيضا سيد الشهداء.

كل السجناء ألذين رضوا أن يُقام عليهم تجارب مقابل الإعفاء عنهم إذا دفعوا حياتهم مقابل ذلك هم أيضا من سادة الشهداء.

بعد غزوة أحد وفي سورة آل عمران قال تعالى ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ

قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ

مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٠. **شُهَدَاءَ** ألذين بقوا على قيد

الحياة لأن الله يخاطبهم.

الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن حمزة أنه سيد الشهداء لأنه شهد شهادة لم يشهدها أحد غيره. والصحافي الذي يُسجن هو شهيد الرأي وليس مُعتقل الرأي.

الشهود والأشهاد

أحياناً لا نجد الشاهدين ولا الشهداء، وإنما نجد الشهود والأشهاد فإلى أي طرف تميل هذه الألفاظ؟

الشهود هم الشهداء والشاهدين معا. لكن الزنا يحتاج إلى شهداء وليس شاهدين، كذلك قذف

المُحْصَنَات. لقد ورد لفظ الشهود في قوله تعالى ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْذُودِ﴾ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ

﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ البروج: ٤ - ٧.

هناك من سمع بما حصل للمؤمنين وهناك من حضر الحدث.

أما الأشهاد ففي يوم الآخرة فقط. قال تعالى

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٥١)

غافر: ٥١

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ

أَلْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ؕ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)

هود: ١٨

الأشهاد عندما يُبعث الناس يوم القيامة ويقدموا للشهادة. لم يستعمل أشهاد إلا يوم القيامة.

نأتي أخيراً إلى قوله سبحانه وتعالى

﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُودًا﴾ (٧٨) الإسراء: ٧٨ فكيف نفهم هذه الآية؟

نرتل آيات القرآن. قال تعالى

﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ الفجر: ١ - ٢ الفجر الأول

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾ القدر: ٥ الفجر الثاني

الفجر الموصوف في القرآن الكريم انفجار مادي، وليلة القدر تستمر حتى يحصل الانفجار الثاني.

ألولاء والبراء

ألولاء له معنيان متضادان:

- ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَقَوْلَى﴾ ﴿الْقِيَامَةِ: ٣١﴾
- ٣٢ تولى عكس صلى

- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الله يتولاهم في رعايته.

أيضا نقول فلان **مولى** فلان (أي **خادم**)، والله **مؤلانا** (أي **سيدنا**)

إذا ألولاء إما الإتياع أو الإعراض، ولقد ورد المعنيين للفظ في القرآن الكريم.

ألبراء له ايضا معنيين. إما مادي وإما معنوي

- المعنى الأول أن يبرأ من المرض ﴿وَأُبرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ آل عمران: ٤٩ (مادي)

- ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ

إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ الأنعام: ٧٨ أنا شفيت وأرفض كل ما له علاقة بالشرك. (معنوي)

ألولاء والبراء يتبع أمور ثلاث:

- ألولاء والبراء كأمه (الأمة سلوك)
- ألولاء والبراء كقوم (القومية لسان)
- ألولاء والبراء كشعب (الشعب نظام سياسي)

قال تعالى

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾ الحجرات: ١٣

فكيف نربط هذه الآية الكريمة بقوله

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ المائدة: ٥١

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ

أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ البقرة:

١٢٠

الشعوب منهم اليهود والنصارى. نحن كأمة مولانا الله ورسوله والذين آمنوا، كلمة نحن ملة إبراهيم. حين ذكر اليهود والنصارى لم يذكرهم كشعب ذكرهم كلمة حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ^ظ. الشعب نظام .. كل شخص قائم بذاته ومجتمعين في نظام واحد.

أنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قوميتي عربية، وأنا مواطن سورى. إنتمائي إذن

- كقومية للعرب
- كأمة للأمة المٌحمدية
- كشعب للجمهورية العربية السورية

هذه الولاءات الثلاث لا تتناقض بينها.

سافرت إلى أمريكا وعشت هناك وحصلت على الجنسية الأميركية وأقسمت يمين الولاء:

- ولاني للشعب الأمريكي
- وكأمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم
- وفي البيت أتحدث العربية مع أبنائي وأعلمهم أياها وهذا ولاء قوميتي.

إن ما يفيدنا من طرح موضوع الولاء والبراء هو أن نع أن الولاء السياسي للإنسان لا يكون إلا للشعب. الأمة المٌحمدية ليست شعب واحد وأنا ولاني للأمة المٌحمدية في الشُعائر (في خصائص الرسالة المٌحمدية).

قال تعالى

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هُدًى مِّنْ صَوَمَعٍ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ

كَثِيرًا وَلَئِنْ صُرْتُكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الحج: ٤٠

هناك حروب بين الناس إسمها حروب التدافع. تضارب المصالح يؤدي لتدافع بين الناس. ألهيئات الدولية هي التي لا تحول التدافع إلى حروب.

الدين والسلطة

لماذا الدين والسلطة، وليس الدين والدولة؟

تساءل الدكتور شحرور في كتبه لماذا لم تُذكر كلمة الحرية في ألتنزيل الحكيم، مع أنَّ كتاب الله ذكر كلمة الطغيان بلفظ أطاغوت. كما تكلم عن الإستبداد وأنواع الإستبداد ومنها أإستبداد ألمعرفي والإستبداد الإجتماعي والإستبداد السياسي وغيره.

قد يقول قائل إنه استغرق في ألتنظير ألفلسفي والسياسي، ولكن بعد أن يقرأ أالرَّبط بين ما نقول وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتولد لدى هذا القائل أكثر من سؤال. بداية نسال: ألدولة الإسلامية التي أسسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في ألمدينة ألمنورة، أليست نموذجاً وقوة في هذا المجال؟

ألدولة ألتّي أسسها أ الرسول الأعظم في ألمدينة ألمنورة أسست ضمن مقاييس وتطبيق ألقوة ومقاييس ألسلوك ألعسكري وألسلوك ألتوحيدي في ذلك الوقت، لذا كل أعمال تأسيس ألدول قام بها أ الرسول الأعظم من مقام أالنُبوّة، وملوك بني إسرائيل كلهم كانوا أنبياء، وهي تدخل ضمن ألقصص أالنبيوي ولا تدخل في أالرسالة.

كما إن أالآيات ألتسع لموسى عليه ألسلام وقصة موسى تدخل ضمن ألقصص أالقرآني، وكما إن قصة يوسف عليه ألسلام تدخل أيضاً ضمن ألقصص أالقرآني، كذلك هناك جزء خاص في أالقرآن أالكريم (سورة ألتوبة مثلاً، وجزء من سورة آل عمران، وسورة محمد وسورة أأنفال ...) غطت ألقصص أالمحمدي في أالقرآن أالكريم. أ الرسول الأعظم له حصة في هذا أالجزء وعلى رأسها سورة ألتوبة. في ألقصص أالمحمدي تم أستمعال ألقوة.

نحن أالآن في عصرنا أالحالي، نستطيع أن نستفيد مما قام به أ الرسول الأعظم في هذا أالجانب لأنَّ

رب أالعالمين قال لنا ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَى وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ يوسف: ١١١، نحن ندرُس ألقصص أالمحمدي لناخذ منه أالعبر لا

لناخذ منه أالأحكام أالشرعية. لقد أوردنا فيما سبق مثال على ذلك حين ذكرنا أنَّ أالعبرة ألتّي ممكن أن نأخذها من سورة أالمسد وقصة أابو لهب هي أن الإنسان يجب أن لا يتطرف في مواقفه لدرجة يستحيل معها أن يتراجع عن تلك أالمواقف.

قال أعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أالذاريات: ٥٦ أي يكونوا عباداً

لي يُطيعون بملئ إرادتهم ويعصون بملئ إرادتهم. في ألتنزيل أالحكيم هناك:

- أمر ونهي
- طاعة ومعصية
- ثواب وعقاب

ولكن لا إكراه. الإكراه غير موجود. لا يوجد شيء اسمه منع في التنزيل الحكيم. عندما منع قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا

﴿ ٩٤ ﴾ الإسراء: ٩٤

لهذا السبب كان العنوان الدين والسلطة وليس الدين والدولة.

السلطة مرتبطة بالسماح والمنع. مثال، قال تعالى ﴿ ... إِنَّكَ الصَّلَاةُ تَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ العنكبوت: ٤٥ .. لم يقل (إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْنَعُ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ ...).

الله سبحانه وتعالى سأل إبليس حين أبى أن يسجد لأدم عليه السلام

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾

الأعراف: ١٢

نشير هنا أن الله سبحانه وتعالى أمر إبليس أن يسجد ولم يقل له (اسجد) لأنه سبحانه وتعالى لو قال لإبليس أسجد، لسجد .. لأن الله حق وقوله الحق.

رب العالمين قال ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا

تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ الحجرات: ١٢ هذه الـ لا هي "لا الناهية"،

الله سبحانه وتعالى نهى عن التجسس ونهى عن الغيبة، ولكن عندما قال تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي

الَّذِينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَيَّعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦ فإن الـ لا هنا

هي " لا النافية"، أي نفي لجنس الإكراه. عندما نقول لا ماء في البيت، نحن ننفي جنس الماء، نحن لم نقل إشرب أو لا تشرب، فقط أعطينا حقيقة أن لا ماء في البيت. لا يوجد أمر ولا يوجد نهى.

الله سبحانه وتعالى يقول أن كل شيء يقوم على الإكراه ليس من الدين، ليس من الرسالة المحمدية وليس ديناً.

لا يوجد سلطة في العالم إلا وتملك أداة الإكراه. من لا يملك أداة الإكراه لا يمكن أن يكون له أي سلطة. ولهذا قلت السلطة والدين وليس السلطة في الدين.

كيان السلطة أنها تملك أداة الإكراه. هنا أتحدث عن سلطة الدولة التي تملك أداة الإكراه ويمكن لها أن تمارسه ممارسة حقيقية إن أرادت. هنا لا فرق سواء أكانت السلطة ديمقراطية أو دكتاتورية. أداة الإكراه بالنسبة للسلطة هي الجيش، الأمن، الشرطة، جهاز المخابرات أدوات تنفيذ القانون. أي شخص يخالف أوامر الدولة فإنه يُعتقل من قبل أجهزتها أو أدواتها.

السلطات في الدولة تتألف من:

- سلطة تشريعية
- سلطة قضائية
- سلطة تنفيذية

إذا كان هناك سلطة تشريعية وسلطة قضائية ولا يوجد سلطة تنفيذية، عندئذ لا يمكن أن يكون هناك سلطة قادرة على تطبيق القرارات. الدولة هي السلطات الثلاث مجتمعة، لكن السلطة التنفيذية هي التي تملك أداة الإكراه. هذه السلطة لا يمكن أن تأخذ شرعيتها من الدين. جنس الإكراه غير موجود في الدين. الدين يقوم على حرية الاختيار.

إذا كان هناك تقارب بين الدين والسلطة، معناه أن هناك قيمة عليا مشتركة بينهما وهي الحرية. أي كلما زادت حرية الناس وقل الإكراه كلما اقتربت السلطة من الدين. لذلك قلنا أن كل أدوات الإكراه والقتال الواردة في المصحف هي من القصص المحمدي في القرآن، يؤخذ منها عبر ولا يؤخذ منها تشريع.

حين قال تعالى (قَاتِلُوا) و(أَقْتُلُوهُمْ) الحديث هنا أكيد عن السلطة ولا يوجد أحكام ودين. الدين يعني أن لا إكراه. وإلا صار هناك تناقض رهيب.

مجرد أن امتلكت أداة الإكراه ابتعدت عن الدين. السلطة ممكن أن تأخذ قيمتها من الدين، والقيمة العليا في الدين هي الحرية (عبادية الناس لله)، لكن السلطة لا تستطيع أن تأخذ شرعيتها من الدين.

يقول البعض أنت تركز على لفظة الحرية وتنسبها إلى الدين، علما بأن هذه اللفظة غير موجودة ضمن ألفاظ التنزيل الحكيم.

أقول في مفردة العباد نجدها كثيرا. مفهوم الحرية متطور، أحر في القرن السابع كان ضد الرق. الحرية في التنزيل الحكيم وجدت بما يقابلها والذي هو الإستبداد – الذي سماه الله الطغيان. والطغيان له طيف واسع. هناك:

- الطغيان الفردي
- الطغيان الاجتماعي
- الطغيان السياسي
- الطغيان المعرفي

ولكن حين نذكر نوع معين من الطغيان نذكر الحرية التي تقابله. فحين ذكر الرق والذي هو نوع من الطغيان الفردي ذكر (تحرير رقبة).

لو جاءت لفظة الحرية في التنزيل الحكيم لفهمها شخص في القرن السابع بطريقة مختلفة عن مفهوم شخص في القرن العشرين. لكن الله سبحانه وتعالى أعطانا مفهوم الحرية بشكل غير مباشر أن لا إكراه في الدين، والربط بينه وبين الدنيا وهو الكفر بالطاغوت.

عدم الإكراه ورفض الطغيان، هذه هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها. لم يقل سبحانه وتعالى الحرية ولكن قال رفض الطغيان، أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

مرجعيات الحرية

الحرية من أين تستمد مرجعياتها إذا كنا لا نجد لها أساسا شرعيا كلفظ في التنزيل الحكيم؟

لقد أضاعت (تحرير رقبة) قليلا على ما نريد توضيحه. فحين عرّف الله الضد – نوع الطغيان (الرق) ذكر كلمة تحرير.

هناك طغيان سياسي، هذا ليس رق. هناك طغيان إجتماعي، هذا ليس رق ايضا. عندما نعرف الطغيان الإجتماعي نقول ما هي الحرية التي تقابله. من الطغيان الإجتماعي مثلا ضغط العادات والتقاليد بحيث إنك لا تستطيع أن تفعل أمرا ما لأن المجتمع لا يقبل ذلك.

يُنهم الدكتور شحرور أنه مهتم كثيرا بالحرية، وخاصة في كتبه الأخيرة خاصة أنه قال سابقا أنّ الحرية لا نجدها في أركان الإسلام أو أركان الإيمان التي نعرفها، وربما قال أكثر كن ذلك! لماذا يطالب الدكتور شحرور بالتنزيل الحكيم بأيراد كل المصطلحات التي يولدها العصر وكل زمن والتطور أيضا؟

ينفي الدكتور شحرور هذا الإتهام ويقول، العكس هو الصحيح .. ولهذا السبب فإن التنزيل الحكيم لم يذكر الحرية السياسية، والحرية الشخصية والحرية الإجتماعية وإنما ذكر شيئا أساسيا إنّ أي إكراه من أي نوع كان ليس من الدين .

مرجعيات تقييد الحرية

• المَرْجِعِيَّةُ الْمَعْرِفِيَّةُ

ألتنزيل الحكيم طلب من الناس أن تتقيد بالأوامر والنواهي والشعائر بمحض إرادتها وبدون إكراه. الطبيب مثلا ينهى عن التدخين، الدولة تمنع التدخين. الدين ينهى عن الفحشاء والمنكر ولكن لا يمنع ولا يوجد سلطة تمنع. ألتنزيل الحكيم يأتي من أنّ الدين بأنّ يُنمي الضمير عند الإنسان بحيث أن نفس الإنسان تمتنع عن الفحشاء والمنكر. لا يوجد آلية سلطوية في الدين لتمنع بالقوة. مثلا حجر الحرية للنهي عن التدخين يأتي نتيجة المرجعية المعرفية التي تبين أضرار التدخين وما يمكن أن ينتج عنها من أمراض ومشاكل إقتصادية ايضا. عندما يعرف الإنسان أضرار التدخين فإن الإنسان يمتنع بذاته عن التدخين. المرجعية المعرفية تحتاج لترسيخ عند الناس. لذلك نرى أنه قبل أن قررت الدولة منع التدخين فإنها قامت بحملة إعلامية طوال سنوات بينت خلالها للناس مضار التدخين، لدرجة أنّ الناس أنفسهم أصبحوا على استعداد لتقبل هذا المنع. أحيانا تقول الدولة أن أنواعا معينة من الخضار يمنع تقديمها في المطاعم لأنها قد تسبب الكوليرا، هذا المنع أيضا جاء نتيجة إرشادات وأبحاث تمت خلال سنوات حتى أصبح الناس على ثقة أن هذا المنع يأتي حرصا على صحتهم، ولهذا يتقبلوا هذا المنع.

• المَرْجِعِيَّةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ

وهي الوصايا أو القيم المشتركة في كل الأديان. الإنسان لا يسرق، لا يقتل، لا يشهد زور، لا يغش في الميزان ... أي أقيم العليا المستمدة من الدين. هذه المرجعية تراكمت عبر التاريخ (الوصايا العشر وبقية الأخلاقيات).

معظمها يتقيد بها أهل الأرض ويعتبرونها قيم ويستنكروا إذا قام بها أحد من الناس، فكل المجتمعات الإنسانية ترفض التجسس، والغيبة، والسخرية، وأن تُدخَلَ البيوت من غير أبوابها أو أن يشهد أحد زورا أو يغش في الميزان ... هذه قيم إنسانية مشتركة.

• المَرْجِعِيَّةُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ (العيب)

هناك أمور قد يرغب البعض أن يقوم بها، لكن عادات وتقاليد المجتمع لا تقبل ذلك فيضطر هذا الشخص مراعاة لمجتمعه أن يكف عن القيام بما يرغب حتى لا يكون حديثا بين الناس. مثلا حفلات الزفاف لها شروطها وأعرافها في المجتمعات ولذا يتقيد أغلب أعضاء المجتمع بتلك الشروط، حتى ولو كانوا غير مرتاحين لها. هذا ما نعبر عنه بمفهوم (العيب).

هذه المرجعية الاجتماعية ايضا تقيد خيارات الإنسان. ونرى تأثير هذه المرجعية أيضا بصراع الأجيال بين الآباء والأبناء. وللأسف فإن هذه الدكتاتورية الاجتماعية كبيرة جدا في عالمنا العربي. أحيانا كثيرة نعيش من أجل أن لا نغضب الآخر حتى لا ينتقدنا.

• المرجعية الجمالية

رجل عمره ٧٠ سنة مثلا، لا يستطيع أن يخرج للشارع وهو يرتدي بنطلون أحمر وقميص أصفر، هذه ملابس لا تليق بالكبار. هذا الأمر حتى ولو كان منطقيا فإنه يقيد حرية الإنسان.

• الإكراه المُباشِرُ

السلطة العليا.

هذه السلطة العليا لها طيف واسع جدا بدءا من سلطة الضبط إلى سلطة القمع – وما بينهما. السلطات في أماكن معينة تقوم بدور المراقب على تطبيق القوانين وكلما زاد استعمال السلطة اتجهت السلطة من الضبط إلى القمع، إلى أن تصل إلى أشد أنواع الدكتاتورية.

مهما كان نوع السلطة فإن الشعائر ليس من اختصاصها. الرسول الأعظم لم يرسل شخصا واحدا ليراقب الناس ويرى من لا يصلي أو من لا يصوم ليعاقبه أو يعتقله. استعمل الترغيب والترهيب فقط. الرسول الأعظم لم يستعمل السلطة التي أسسها في المدينة في الشعائر. لم يعاقب تارك الصلاة، أو فاطر رمضان أو من لم يحج. لكنه استعمل السلطة في ضبط المجتمع – في السرقة، في الزنا، في جرائم القتل وفي السكر. وهذا طبيعي، فنحن نرى أن كل دول العالم تستعمل سلطاتها في ضبط المجتمع.

السلطة التي تؤمن بالحريات بالنسبة لها المسجد والكنيسة والكنيس، وكل أنواع المعابد تكون جنبا إلى جنب. لا تتدخل فيها إطلاقا .. هذا ما اراده الله

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهْجَمَتِ صَوْمِعُ وَيَعٍ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ

كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الحج: ٤٠

لاحظ وضع كل المعابد في هذه الآية.

تصور دولة مثل الصين مثلا، ماذا كان ممكن أن تفعل البوذيين لو لم يكن هناك دول مثل أمريكا وروسيا والدول الأوروبية .. كانت الصين هلكت البوذيين، ولكن دفع الناس بعضهم ببعض منعها من ذلك.

تصور لو اتباع الرسالة المحمدية كانوا ٩٥٪ من سكان الأرض، حينها لن يكون هناك تدافع وحينها لن تر كنيسة واحدة. تدافع الناس هو الذي يمنع ذلك، ورب العالمين يريد هذا كذلك.

السلطات الثلاث

سلطة الضبط أو تلك التي تملك أداة الإكراه، من أجل أن تضبط المجتمع تحتاج إلى قانون. إذا لا بد من وجود هيئة تسن القوانين. البشرية توصلت إلى مفهوم السلطات الثلاث وفصل بعضها عن بعض. هذه السلطات هي:

- السلطة التشريعية
- السلطة القضائية
- السلطة التنفيذية

السلطة القضائية كان الرسول الأعظم يمارسها كمجتهد. قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥ وفي كتب الحديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ."

ولعل الحكمة الإلهية اقتضت أن الرسول الأعظم قد توفي بعد أقل من ستة أشهر من إنقطاع الوحي، ذلك أنه كان هناك مقامان للرسول، مقام النبوة ومقام الرسالة. عندما أغلق مقام الرسالة أصبح النبي صلى الله عليه وسلم كرئيس دولة ولا ينبغي له. وأنا أقرا في هذه الحكمة أن رئاسة الدولة هي من اختيار الناس ولا علاقة لها لا بنبوة ولا برسالة ولا بدين.

السلطة التشريعية هي التي تشرع القوانين لكنها لا تملك أداة الإكراه لتطبيقها. هذه السلطة هي التي تقيد الحلال أو تطلقه، ولا تتدخل في الحرام. برلمانات العالم كلها لم تخضع الإيمان بالله للتصويت. كذلك لا يوجد برلمان صوّت على وجود الخالق أو هل يجب أن يبر الإنسان والديه. العقائد والقيم لا يصوّت عليها. حتى البلدان التي يؤكل فيها لحم الخنزير لم تسن قانون ينص على أن الإنسان يجب أن يأكل لحم خنزير.

عمل البرلمانات هو تنظيم الحلال، تقييد أو إطلاق – وهنا تتغير الأحكام بتغير الأزمان.

الرّسول نظم المجتمع الذي كان يعيش فيه وهذا لا يلزمنا إذا كان لا يناسب حاضرا.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أؤكد مرة أخرى أنّ الدين لا يعطي شرعية السلطة لأحد. لا يحق لأي كان ان يأخذ السلطة من الدين. هناك طريقين للوصول إلى السلطة: إما عن طريق الناس (انتخابات) وإما بالقوة (انقلاب) وفي الحالتين ليست من الدين. من يدعي أنه أخذ شرعيته من الدين فهو طاغوت.

يقول البعض كيف تفهم قوله سبحانه وتعالى

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة: ٤٥

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة: ٤٧

وقد وصف الله سبحانه وتعالى من لم يحكم بما أنزل مرة ب **الْكَافِرُونَ** ، مرة ب **الظَّالِمُونَ**

مرة ب **الْفَاسِقُونَ** أقول معظم أهل الأرض لم تتجاوز حدود الله. والله حارس لحدوده. لكن ١٢٠٠٠٠٠ مسألة فقهية لا يمكن أن تكون شريعة إسلامية.

نعود لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأقول: أمر ونهي يعني أن لا وجود للسلطة. الطبيب يأمر بالحمية وينهى عن التدخين، أين السلطة؟

هناك أكثر من طرف في المجتمع يأمر وينهى ولا يملك سلطة:

- الصحافة،
- النقابات
- منظمات حقوق الإنسان
- أحزاب المعارضة
- مؤسسات المجتمع المدني

هؤلاء من يجب أن يُمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الصحافة مثلاً ليس لديها أداة إكراه لكنها تنتقد من يخالف القوانين وتفضح من يمارس الفساد. الصحافة عملها أن تفضح الخطأ دون أن تملك أداة الإكراه. كذلك بقية الأطراف التي أشرنا إليها.

كل من يملك أداة إكراه لا يحق له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

من سلطة الضبط إلى سلطة القمع، نقول كلما ابتعدت السلطة عن استعمال أداة الإكراه كلما اقتربت من الدين.

يسأل البعض متى تندمج السلطة بالدين؟

الجواب إذا انحلت السلطة، وهذا مستحيل في الحياة الدنيا.

هنا كان خطأ كارل ماركس. لقد اراد الوصول إلى مجتمع شيوعي حيث لا يوجد سلطة أي ان يصل الناس إلى إدراك أنهم غير محتاجين للسلطة. أيضا القاعدة المادية التي نظر اليها ماركس لا تكون إلا في ألجنة حيث (لهم فيها ما يشاؤون) (ولهم ما يدعون).

كذلك مع السلطة أداة الإكراه لن تبطل.

قال تعالى

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿١٠٤﴾ آل عمران: ١٠٤

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿٧١﴾ التوبة: ٧١

أمه تعني أن هناك جماعة لها سلوك موحد. هذا السلوك كما تشير الآيات:

- يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
- يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
- يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

إذا هم أناس لا يملكون أداة الإكراه.

آيات في سورة التوبة لها علاقة بالقصص المحمدي وهي ليست من الرسالة

قلنا أن هناك في التنزيل الحكيم جزء يتناول القصص المحمدي، تماما كقصص بقية الرسل والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن. بالنسبة للذين عاصروا الرسول الخاتم لم تكن تلك قصص وإنما كانت واقعا يعيشوه. أما بالنسبة لنا اليوم، ونحن نقرا كتاب الله فإنها قصص تماما كقصّة موسى لمن عاصر النبي الخاتم، نتعاما معها كما تعامل صحابة رسول الله مع قصة يوسف وقصة موسى وقصة بقية الرسل عليهم جميعا السلام. أي نأخذ منها العبر ولا نأخذ منها أحكام شرعية.

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ

﴿٢٨﴾ التوبة: ٢٨

لقد استمدوا من هذه الآية حكما شرعيا لا يستطيع أحد تجاوزه. لكن الآية تقول أن المشركين لا يقربوا المسجد الحرام **بَعْدَ** عامهم. أي إن تشير إلى أن الأمدة مفتوحة منذ أن نزلت الآية وحتى يرث الله الأرض وما عليها.

فعلاً بعد هذا اليوم حدث ذلك. لكن

قبل فتح مكة كانت العرب تحج، وكانوا يطوفون عراة في البيت الحرام ويقولون: **(لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك)** .. أشرك في الآية ٢٨ من سورة التوبة هو في الكلمة. المسيح عليه السلام قال: **(الْجَسَنُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ لَا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْجَوْفِ)** الكلمة تلك التي كانوا يرددوها وهم يطوفوا في البيت الحرام هي النجس، وهذه فعلاً إنتهت. بعد عامهم هذا ليس لها أي علاقة باليهود أو النصارى أو أي شخص آخر، لأنه في آية أخرى يقول تعالى

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ

وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ التوبة: ١٢٦

منذ العام ٦٣٠ م إلى اليوم أين الفتن؟ في كل عام مرة أم مرتين، فكم فتنة نُعَذُّ. إذا كانت الآية (التوبة: ٢٨) كما فهمت، فإن هناك تناقض واضح مع الآية (التوبة: ١٢٦).

أيضا آية الجزية

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا

الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ التوبة: ٢٩

نفرض أن رئيس أقوى دولة في العالم مسلم ويريد أن يطبق هذه الآية اليوم، فعلى من يطبقها:

- لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

- وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

- وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

إستحالة أن تتحقق كل هذه الشروط على احد في العالم اليوم.

هذه الآيات من القصص النبوي التي يؤخذ منها عبر ولا يؤخذ منها أحكام.

الدين والسلطة

الحاكمية – ١

الدكتور محمد شحرور يتناول الحاكمية بمفهوم جديد، ويرى أن للحاكمية مستويات ثلاث:

- حاكمية الله
- حاكمية الله والمجتمع
- حاكمية للإنسان

ولكل واحد من هذه المستويات الثلاث مجاله.

لكن أليس الإسلام دين ودنيا كما يقولون؟ أليس الإسلام قادرا على أن ينظم المجتمعات ويضبطها وينظم شؤون الناس فيها، أم أن هذا الأمر متروك بعضه للسلطات وقيم المجتمع والعادات والتقاليد التي تختلف من مكان إلى مكان آخر.

يقول الدكتور شحرور أن مفهوم الحاكمية متشعب وقد طرح خلال التاريخ ضمن سياقات مختلفة، وليس ضمن سياق واحد. فطرح الحاكمية لدى الخوارج يختلف جذريا عن طرح الحاكمية لدى أبو الأعلى المودودي أو لدى سيد قطب أو حتى لدى الحركات الإسلامية المعاصرة، أو ما يسمى بالحركات الجهادية – مع الأخذ بالإعتبار التباعد الزمني بين الطروحات المختلفة.

الذين اعتمدوا الحاكمية في القرن العشرين اعتمدوا على الآيات الواردة في سورة المائدة:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ

هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَسْتَرُوا بِتَائِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ

بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ

وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَفَقِينَا عَلَىٰ عَثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

وَهْدَى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ المائدة: ٤٤ - ٤٧

هم عندما يذكروا هذه الآيات ويريدوا أن يستشهدوا بها يذكروا نهاية الآيات: ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ وبالتالى فإن من لم يحكم بما أنزل الله هم **الْكُفْرُونَ** ، **الظَّالِمُونَ** ، **الْفَاسِقُونَ** علما أن الله سبحانه وتعالى عندما قال

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ فقد كان يذكر أهل الإنجيل. وعندما قال

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكُفْرُونَ

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

فإن الحديث كان عن أهل التوراة أي بني إسرائيل.

ولذا فإننا نسأل: هل المقصود في الآيات أن يحكم أهل التوراة وأهل الإنجيل بما أنزل الله إليهم، وفي هذه الحال فإنه لا علاقة لنا بالآيات، أم إن الله سبحانه وتعالى يُطالبهم بأن يحكموا بما أنزل الله على الرسول الأعظم؟ وهل المقصود أهل التوراة والإنجيل أم المقصود نحن في تلك الآيات؟ أنا موافق أنّ المقصود في آيات المائدة: ٤٤ - ٤٧ هم نحن أتباع الرسول الخاتم وأن علينا أن نحكم بما أنزل الله وأننا إن لم نفعل ذلك نكون كافرين، ظالمون وفاسقون.

لكن ما هي الأحكامية؟ وكيف نحكم بما أنزل الله؟

قبل الإجابة نقول أنّ الظلم هو وضع الشيء في غير محله. هنا وردت في الأحكام. يعني إذا سرق إنسان وحكمنا عليه بالقتل نكون ظالمين، لأن حد السرقة في القرآن الكريم هو قطع اليد وليس القتل. وحين تطبق حكما في غير محله فأنت ظالم.

أما الحكم بما أنزل الله فقد ورد إشارة إليه في سورة يوسف

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِي إِلَّا أَسمَاءٌ سَمِيْتُمْوهَا أَنتُمْ وءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يوسف: ٤٠

كيف نعبد؟ سنرى.

كيف استعمل الحكم في التنزيل الحكيم؟

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ٢١٣

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ آل عمران: ٢٣

﴿مَا كَانَ لِلشَّرِّ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩

يجب أن نفرق بين الكتاب والحكم. عن يحيى عليه السلام، قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ رَبِّكُمْ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ مريم: ١٢

أي أن يحيى عليه السلام أصبح يحكم بالكتاب، لأنه بعد موسى وحتى الرسول الخاتم لا يوجد سوى الكتاب الذي أوجي إلى موسى عليه السلام.

عن لوط عليه السلام قال تعالى ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ الأنبياء: ٧٤

الكتاب هو كود كامل من التشريع، مجموعة تشريعات.

الحكم يعني التشريع (الأحكام)، والعلم يعني النبوة.

شعيب عليه السلام أتاه حكما واحدا

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَتَوْا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ هود: ٨٤ - ٨٥

طبعاً بالإضافة إلى عبادة الله الواحد الأحد - عدم الشرك وهو ما اشترك به جميع الأنبياء والرسل. هناك رسل جاءهم كود كامل من التشريعات (مجموعة تشريعات)، أي منظومة كاملة من التشريع. موسى عليه السلام جاءه ٦١٣ بند تشريعي، الرسول الأعظم لم يأت به أكثر من ١٦٠ بند تشريعي، بينما شعيب جاءه بند واحد إضافة إلى عدم الشرك بالله.

نتابع سرد الآيات

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ النساء: ٦٥

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٥٨﴾ النساء: ٥٨

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانِيتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ۚ ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾ الممتحنة: ١٠

واضح هنا الحكم هو بند تشريعي.

﴿ ... وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ... ﴾ البقرة: ٢١٣

عن الشريعة يقول تعالى الكتاب ولا يقول القرآن أبداً.

نعيد: الكتاب كما ورد في التنازل الحكيم عبارة عن كود من التشريعات .. قد تكون مجموعة صغيرة أو مجموعة كبيرة، ولكن نحن نعلم أن التشريعات خضعت للتطور. والإنسان منذ آدم، حين فُصِّلَ الإنسان عن المملكة الحيوانية حتى ترقى ووصل إلى زمن الرسول الخاتم، ولم يعد هناك رسل، كانت التشريعات توازي تطور البشرية، كلما استجد أمر بعث الله نبي أو رسول بتشريع سماوي. هكذا استمر الأمر. ونحن اليوم نعيش زمن ما بعد الرسالات. وعلينا أن نفهم أننا لسنا كقوم نوح ، ولنا كقوم إبراهيم عليهما السلام.

التراكم المعرفي بالضرورة يؤدي إلى قفزات تشريعية.

التشريع الذري ظهر بعد تقجير أول قنبلة ذرية بسنوات، هذا التشريع ظهر نتيجة لتراكم المعرفة بالذرة، حين أصبح ذلك ضرورة. كذلك فإن قانون السير لم يظهر بعد اختراع أول سيارة، لكن ضرورة تنظيم السير في الشوارع أدّى إلى ظهوره.

قد يتساءل البعض أنا نقول أن الشرائع الإنسانية تتبع تطور الإنسان وأن الشرائع السماوية ختمت مع الرسول الخاتم، والإنسان يتطور فكيف نحل هذه المشكلة.

نقول قبل الإجابة على هذا السؤال الأهم جدا علينا أولا أن نوضح مفهوم الحاكمية، متى ظهر وكيف تطور عبر الأزمنة، بدءاً من طرح الخوارج بعد قضية التحكيم إلى طرح أبو الأعلى المودودي في الهند مروراً بسيد قطب في مصر وحتى أيمن الظواهري في عصرنا الحالي، ونرى ما هي الظروف التي أنتجت الحاكمية عند كل منهم؟

الخوارج

لم يكن في تلك الفترة التي ظهر فيها الخوارج فقه، ولا علم توحيد، ولا فقهاء أربع ولا إمام غزالي. لم تكن أيضاً قد ظهرت المذاهب (السني والشيعة). كان موجود كلمة تحكيم .. الخوارج ظهروا من قضية التحكيم والذي كان بسبب السلطة وليس لسبب ديني .. التحكيم كان بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان .. الخوارج لم يرتاحوا للقضية وقالوا قولتهم المشهورة ((لا حكم إلا لله))، فكان رد الإمام علي رضي الله عنه ((إنها كلمة حق أريد بها باطل، إنهم يعنون الأمر والملك))، أي صحّح لهم.

القرآن الكريم عندما يذكر السلطة يرد لفظ الملك أو الأمر.

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجًّا يُرِيهِمْ فِي رَبِّهِمْ أَنَّهُ اللَّهُ الْمَلِكُ ..﴾ البقرة: ٢٥٨

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣)

النمل: ٢٣

﴿... مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ..﴾ يوسف: ٧٦

﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٧٢)

يوسف: ٧٢

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ ... ﴾ يوسف: ٤٣

هنا **الْمَلِكُ** هو مفهوم السلطة.

لكن حين يقول تعالى ﴿ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴾ فإن الأمر يكون للناس ليس لله.

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾، ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ فالأمر هنا هو أمر دنيوي.

ونحن حين نقول أن فلان هو أمير دولة كذا، فإن هذا ال فلان لم يُعَيَّن من قبل الله، وإنما عينه البشر. إن حكم الله له علاقة بالتشريع وليس له علاقة بالسلطة. الأمر له علاقة بمن هو الأمير، هذا الأمر تابع للناس – من يكون أميرهم – بار أو فاجر .. الإنسان ممكن أن يكون فاجرا ويكون أميراً.

يقول البعض أن هناك آيات كثيرة تُسند الأمر لله، كقوله تعالى:

﴿ إِنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) النحل: ١

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٠) يوسف: ٤٠

نأخذ فعل "أمر". أمر لها معاني خمس أحدها الأمر ضد النهي.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥٤) الأعراف: ٥٤، هنا الأمر يعني الشأن.

ولكن حين قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ،

كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ مريم: ٣٥

هنا الأمر ليس ضد النهي.

نعود إلى الآية ٤٠ في سورة يوسف، الله أمر الناس ألا يعبدوا إلا إياه، ولقد شرحنا مفهوم العبادة وكيف نعبد الله، لكن الله لم يأمر الناس أن يعينوا فلان ملكا أو أميراً.

الخوارج طرحوا فكرة صائبة وسبقوا الناس بها. كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان كلاهما من قريش، وكان العُرف أن يكون الأمير قريشياً. جاء الخوارج بطرحهم أن أي إنسان ذو قدرة على الإمارة ممكن أن يكون أميراً وليس بالضرورة أن يكون قريشياً. هذا الطرح متقدم جداً ولكن ليس وقته. أُلطرح كان سابقاً لأوانه وغير مقبول، اليوم لم يعد هذا الطرح غريباً، اليوم أي إنسان ممكن أن يكون رئيساً وليس بالضرورة أن يكون قريشياً أو منتسباً لأي قبيلة أو مدينة. لكن طرح الخوارج جاء في وقت كانت فيه الدولة في طريقها لتصبح إمبراطورية والمشكلة الأخرى أن الأسلوب الذي اتبعه الخوارج للوصول إلى هدفهم كان غير مقبول .. أعني الإغتيال. إذ قرر الخوارج اغتيال كل من الإمام علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، ولقد نجحوا في اغتيال علي وفشلوا في اغتيال معاوية. أيضاً عمد الخوارج إلى تكفير الناس الذين يؤيدوا الخليفة، فكانوا إذا أوقفوا شخصاً ما وسألوه عن موقفه فإن قال لهم أنه مسلم يرى الحق إلى جانب الخليفة يُقتل. أما إذا قال: أنه مُشرك، وطلب منهم توصيله إلى بيته فإنهم يقوموا بذلك

وتبريرهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَّرْهُ حَتَّىٰ

يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ التوبة: ٦.

الخوارج كانوا تعساء بالوسيلة ولذا لم ينجحوا، رغم شجاعتهم في القتال. آليتهم ألفاشلة لطحهم السليم أدت إلى ما أدت إليه .. والسبب الرئيس أن الخوارج فهموا الحاكمية على أنها سلطة.

الحاكمية في القرن العشرين

أول ظهور لمفهوم الحاكمية بعد مفهوم الخوارج كان في أربعينيات القرن الماضي، عند استقلال شبه القارة الهندية. ألهند استقلت سنة ١٩٤٧ م. قبل الاستقلال تشكلت الرابطة الإسلامية مع أبو الأعلى المودودي الذي طرح الحاكمية كتشريع لأن الإشكالية بالنسبة إليه كانت أن أكثرية السكان في شبه القارة الهندية كانوا من الهندوس وأن المسلمين كانوا أقلية بالنسبة لعدد السكان، وبالتالي فإنه في حال استقلال الهند فإن الدولة المستقلة ستكون ذو أكثرية هندوسية وأن حقوق مسلمي تلك الدولة ستكون في خطر، فدولة ديمقراطية ذات نظام برلماني علماني – دولة مواطنة ستكون بلا شك خطراً على الأقلية المسلمة، ولذا طرح أبو الأعلى المودودي الحاكمية على أساس أن الحكم لله حصراً. هذا الطرح هو ما أدى إلى انفصال الولايات ذات الأغلبية الإسلامية وبالتالي قيام دولة باكستان.

إذا فإن أبو الأعلى المودودي ناضل ضد دعاة "القومية الهندية الواحدة" وضد مبادئ "الدولة الديمقراطية" التي تحكمها الأغلبية وتضطّر فيها الأقلية للخضوع، وضد العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة وتقوي الروح المادية للحضارة الغربية. وفي الحقيقة فإن هذا النضال

"الإنفصالي" الإسلامي الذي خاضه المودودي يخالف في جوهره طبيعة الإسلام التوحيدية أشمولية، لكنه كان يهدف إلى حماية الذات والهوية حسب رأيه وقهر الأغلبية الهندوسية التي رفعت شعار "السيادة للأمة" و "الدولة الديمقراطية" وغيرها من الشعارات العلمانية. لقد كان أسلوبه في التصدي لذلك ببدا استخدام مفهومي "الجاهلية الجديدة" و "الحاكمية الإلهية" ولقد أسس أبو الأعلى المودودي عام ١٩٤٣م "الجماعة الإسلامية".

إن فهم المودودي للحاكمية يعتبر الخلية الأولى التي انقسم منها الفكر الإسلامي المتطرف في العالم العربي والإسلامي، ذلك أن المودودي جاء بنظرة متشددة ومشحونة بمشاعر القهر والانتقام من الغرب نتيجة ما عايشه من الإستعمار الغربي في القارة الهندية، فدفعه شعوره بالظلم الذي عاشه تحت حكم غربي جائر إلى التمرد عليه والبحث عن حاكم غيره، فراح يبحث عن مفهوم الحاكمية بناء على منطلقاته الإسلامية حتى توصل إلى أن الحاكمية لا تكون إلا لله في قوله: ((الحاكم الحقيقي في الإسلام إنما هو الله وحده...)) ولذلك كان من الضروري بالنسبة له أن توجد هناك حكومة إسلامية بمقابل الحكومة البريطانية التي كانت تحكم شبه القارة الهندية، هذه الحكومة تحكم بما جاء به التشريع الإسلامي، ولا تلتفت للتشريعات الوضعية. وذكر في كتابه **الحكومة الإسلامية** أن الإسلام: "ينص على أن الله وحده خالق الكون وحاكمه الأعلى، وأن السلطة العليا المطلقة له وحده، أما الإنسان فهو خليفة هذا الحاكم الأعلى ونائبه، والنظام السياسي لا بد أن يكون تابعا للحاكم الأعلى في كل شيء، وإدارة النظام السياسي طبقا لأحكامه".

هذه الحاكمية المودودية تتأكد كما أوضحها الدكتور حسن حنفي، من خلال ثلاث حقائق:

- الأولي أن السلطة العليا التي يجب أن يخضع لها الإنسان ويقر بعبوديته لها والتي بناء عليها يتأسس النظام الأخلاقي للمجتمع والحضارة تتمثل في سلطة الله وحده ويجب التسليم بها والإنقياد لها على هذا الأساس.
- والثانية تابعة للأولى ومكملة لها وهي طاعة النبي بوصفه ممثلا ونائبا عن السلطان الأول (الله) والحاكم المطلق للكون.
- والثالثة أن القانون الذي له صلاحية إقرار الحلال والحرام في جميع ميادين الحياة هو القانون الإلهي وحده الناسخ لكل القوانين البشرية دون أن يكون للعباد حق نقاش هذا القانون أو رفضه، فما حرمه الله يكون حراما وما حله يكون حلالا لأنه مالك هذا الكون وسيد، وهذا القانون مبين في القرآن وفيه يوضح الله وجوب طاعة الإنسان لله والرسول وأولي الأمر من جهة. ومن جهة ثانية نص كتابه على وجوب اتباع حاكمية الله وذم من يعصي هذا الأمر الإلهي ويحكم بهواه في قوله تعالى وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ، ثم نجده يصفهم مرة أخرى في كتابه بالظالمين، ومرة ثالثة

بالمفسقين. فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صرامة حاكم الكون في الأمر بإتباع قانونه الإلهي والعمل به معبرا بذلك عن سلطته المطلقة على الكون.

المتأمل في أفكار أبو الأعلى المودودي يرى أن الروح الانتقامية المشحونة بكل أنواع الكره للأنظمة الغربية التي يجب القضاء عليها بواسطة الانقلاب لإرساء نظام جديد يقوم على أساس الحاكمية لله في الأرض. ويمكن ان يخلص المتأمل إلى الأمور النتائج المهمة التالية:

- تمكن المودودي من توظيف مفهوم "الجاهلية" للتعبير عن إدانته لأنماط العيش في المجتمعات الغربية التي لا يرى أنها تتطابق مع النظام الإسلامي، ففي حين استعمل

العرب هذا الإصطلاح للإشارة إلى حياة العرب قبل الإسلام، استخدمه المودودي ليعبر به عن المجتمعات الغربية المبتعدة عن المنهج الرباني والغارقة في الرغبات والهوى.

- استخدم المودودي مفهوم "الجاهلية" كسلاح فكري لرفض الفكر الغربي وفلسفته، كما استخدمه كأداة سياسية وإجتماعية لرفض أنماط العيش والإجتماع والنظم السائدة في الهند وفي العالم الغربي على حد سواء.

- عبر المودودي عن مفهومه للإسلام والحاكمية الإلهية تحت ضغط "الخصوصية الهندية" التي دخل الإسلام إليها ثم دخلها المستعمر البريطاني وعكر صفو دينها الإسلامي الصافي وشوه أفكارها ومعتقداتها. لكنه عمم هذا الحكم على كل الأنظمة الغربية بناء على ما شاهده وعاناه من ويلات الإستعمار البريطاني.

- قدم المودودي تفسيرات بالغة "التعميم"، وحول مصطلحات خاصة إلى مفاهيم شحنها بمدلولات كان هدفها الحقيقي أن تستخدم في إطار الصراع السياسي الخاص، أي إنه سخر العام للخاص، وأعطى هذه التفسيرات بعدا إسلاميا شموليا جعل الخروج عنها "كفرا" و"جاهلية".
- نصوص المودودي هي في المقام الأول والأخير تنطلق من الواقع الهندي الخاص، ولا يمكن قراءة المودودي بمعزل عن البيئة السياسية والثقافية والإجتماعية الهندية التي نشأ فيها.

- انفرد المودودي بفتح الباب أمام استعمال مصطلح "التكفير" في عملية تقييمه وحكمه على المجتمعات الغربية لتبنيها أنظمة وضعية، مع أن المودودي لم يكن خارجي المذهب، وبناء على ذلك فكل المجتمعات التي لا تطبق "الحاكمية الإلهية" والشرعية الإسلامية هي مجتمعات جاهلية. وحول جدلية الصراع بين محتل وصاحب حق إلى جدلية صراع بين الإسلام والغرب، وحول حياة المسلم إلى صراع دائم، فصور المودودي حياة المسلم جحيم لا يطاق.

نقول أخيرا أن مصطلح "الحاكمية" حديث العهد في الثقافة الإسلامية، باعتبار أن صيغة "الحكم لله" التي نادى بها الخوارج مختلفة في المضمون والمعنى والهدف عن الحاكمية المعاصرة التي طرحها أبو الأعلى المودودي في أربعينيات القرن العشرين. ثم مع سيد قطب في مصر في ستينيات القرن العشرين الذي أخذ أبعادا أخرى متداخلة عقائديا وسياسيا، لأنه تجاوز طرح المودودي الذي قام بتكفير الدول الوضعية الغربية ووصف مجتمعاتها بالجاهلية، وتعداه سيد قطب إلى أخطر من ذلك بتعميمه حكم التكفير على كل الأمة الإسلامية بما فيها أنظمتها ومجتمعاتها.

الحاكمية كأيدولوجيا في فكر سيد قطب

إذا اعتبرنا أن ألقارة القارة الهندية هي الرحم الذي ولد منه مفهوم الحاكمية في الفكر الإسلامي، فإن مصر تعتبر الحاضنة التي احتضنته وحولته إلى أيدولوجيا فرخت أفكارا سلبية متطرفة فانتشرت في العالم العربي كله بعد ذلك، بل وانتقلت حتى بين أوساط الجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا.

لكن قبل التطرق إلى الحاكمية التي طرحها سيد قطب في مصر نريد أن نشير إلى أن أبو الأعلى المودودي لم يكن عربيا وأن ضعفه في اللغة العربية أثر على مفهومه للمصطلحات القرآنية.

لكن أيضا نشير إلى أن الظروف التي وجد فيها سيد قطب تختلف عن تلك الظروف التي وجد فيها أبو الأعلى المودودي. فبالنسبة لأبو الأعلى المودودي كان هناك إستقلال لشبه القارة الهندية، وكان هناك برلمان ومشروع دولة ديمقراطية علمانية غالبية سكانها من الهندوس. بينما ظروف سيد قطب كانت مختلفة، فقد وضع سيد قطب في السجن وألف كتابه **معالم في الطريق** والذي دفع حياته ثمنا له.

تدور فكرة كتاب **معالم في الطريق** على فكرة الحاكمية وما يتبعها من الجاهلية، وصراع الثنائية التي وضعها المودودي من قبل، وهو الصراع بين الإسلام والغرب.

الإسلام عند سيد قطب محصور فيما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم من نصوص، لأنه كان هناك نص فالنص عنده هو الحكم لا غيره ولا يحق معه اجتهاد، أما إن لم يكن هناك نص فهنا يأتي دور الاجتهاد من أصوله المقرره في منهج الله كما رسمه الأصوليون والفقهاء، لا وفق

الأهواء والرغبة لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩ والأصول المقررة للاجتهاد والاستنباط معروفة وليست

غامضة ولا مائعة، فليس لأحد أن يقول لشرع يشرعه لنفسه هذا شرع الله، لأنَّ الحاكمية العليا لله، ومصدر السلطات هو الله سبحانه لا "الشعب" ولا "الحزب" ولا أي من البشر مهما كان.

لقد اعتبر سيد قطب أن المجتمع الحالي هو مجتمع جاهلي ويجب أن يبدأ بالإسلام من الصفر، وكفر الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله واعتبر أن من يرضى بحكم أولئك الحكام هو كافر أيضا وبالتالي فقد كفر المجتمع كله، ومن ثم كفر الأمة كلها، واعتبر أن الجميع مرتدين حكام وشعوب، وبالتالي شرع محاربتهم وشرع العنف لذلك.

نقول هنا بالمناسبة أن مفهوم الردة في الفقه السني هو مفهوم سياسي بحت، وكل من يتهم السلطة كان يتهم بالحراية والردة، ويقتل على هذا الأساس. حتى حروب الردة التي حدثت أيام الخليفة أبو بكر الصديق كانت بسبب أن مجموعة قررت أن لا تدفع أموال الزكاة إلى الدولة المركزية في الوقت الذي كانت الزكاة هي المصدر الرئيسي للدولة الإسلامية .. الوضع شبيه تماما بأن تقرر إحدى الولايات الأميركية بأنها ستمتنع عن دفع الضرائب للحكومة المركزية الأميركية، عندئذ لن يكون بد بأن تجبر تلك الولاية على دفع الضريبة ولو بالقوة وهذا ما فعله الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين حارب المرتدين وقال: ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه)). وكل كتب التراث ذكرت أن الردة كانت ردة جماعية ولم يرد أن شخصا ما قد قتل لأنه ارتد عن الإسلام. حروب الردة سياسية مئة بالمئة.

أيمن الظواهري أيضا اعتبر أن الحكام العرب مرتدين ويجب أن يُحاربوا وقال أيضا أن توبتهم لا تُقبل.

بالنسبة لتنظيم القاعدة فإن كل الأسس التي بنوا عليها نظريتهم صيغت في القرنين الثاني والثالث الهجري، عندما كانت الدولة الإسلامية أقوى دولة في ذلك العصر، حيث كان هناك مفهوم دار الكفر ودار الإسلام، وايضا مفهوم الجهاد وأنواع الجهاد. ولقد وضع الفقه المناسب لتلك الدولة. ألمشكلة أن ذلك الفقه هو ما يستعمل اليوم علما أن الظروف اليوم مختلفة تماما عما كانت عليه في تلك المرحلة.

ألحال تماماً، لو أردنا أن نقيسه على واقعنا اليوم نقول أن الولايات المتحدة الأميركية هي اليوم أقوى دولة في العالم، وبالتالي فإنها قادرة على أن تضع القوانين التي تناسبها وقادرة على أن تجبر بقية الدول على قبول تلك القوانين. لكن تصور أن الولايات الخمسين استقلت كل واحدة عن الأخرى، ثم قررت واحدة من تلك الولايات أن تفرض على العالم تلك القوانين التي كانت تفرضها الولايات المتحدة الأميركية .. هذا مستحيل.

للأسف هذا هو واقع أمتنا اليوم، وبغض النظر عن مفهوم الجهاد الفقهي فإن من يحاول تطبيقه اليوم فلا بد أن يفشل وسيفشل.

أحكامية عند أبو القاسم حاج حمد

أبو القاسم حاج حمد يعتبر من أواخر من حاول طرح مفهوم الأحكامية فلقد ولد العام ١٩٤٠ م وتوفي العام ٢٠٠٤ م. ولقد استطاع أبو القاسم حاج حمد بالطريقة التي طرح بها الأحكامية أن يبرر معجزات موسى عليه السلام.

قسم أبو القاسم حاج حمد الأحكامية إلى ثلاث درجات:

■ المرحلة الأولى: الأحكامية الإلهية المباشرة

في هذه المرحلة سيطر الله على الإنسان والطبيعة ولم يدع الله أي مجال للإنسان لإن يقوم بأي شيء. حصل هذا مع موسى عليه السلام (فلق الصخر، شق البحر، إنزال المن والسلوى ..) لم يقم بنوا إسرائيل بشيء، حتى القتال ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَ

نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

فَتَعْدُونَ ﴿٢٤﴾ المائدة: ٢٤ .. ألتدخل إلهي. كان الإنسان عاجزاً على أن يتصور

الغيب .. أإله المحتجب .. أإله الذي ليس كمثله شيء. الإنسان غير مؤهل لإدراك الإله الذي لا يرى لأن الآلهة في عصرهم كانت كثيرة. ولذا نرى في قصة موسى أن الدور

كله كان لله ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٦٢﴾ الشعراء: ٦٢ في هذه بالذات قال

تعالى ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ

﴿٤٧﴾ البقرة: ٤٧ فالترفضيل لم يكن بالجنس، ولا بالعرق ولا بالمال ولا بما شابه،

ولكن التفضيل كان بأن ما حصل مع موسى عليه السلام وقومه لم يحصل مع أي نبي آخر أو قوم آخرين – ونحن المؤمنون نقر بذلك. لكن هذا التفضيل لا يحمل الصفة العالمية بل كان لقوم بعينه ولعصر معين.

فالتفضيل لتلك الفترة حصل حتى في رغد العيش

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ البقرة: ٥٧

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ^ط قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَا^طلَتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ط ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١

مقابل ذلك أعطاهم شريعة الإصر والأغلال، أي شدد عليهم. مقابل ذلك الدلال وتعنتهم ومكابرتهم شدد الله عليهم. فرغم ما أوتوه إلا أنهم طلبوا من موسى رؤية الله

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ البقرة: ٥٥

وايضا طلبوا أن يصنع لهم إلها مشخصا ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ

أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ البقرة: ٥١

حتى أن موسى عليه السلام طلب رؤية الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا

وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ^ط قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ

فَإِنْ أَسْقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي ^ط فَلَمَّا بَلَغَ لِرَبِّهِ لَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا

وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ الأعراف: ١٤٣

■ المرحلة الثانية: الخلافة

قلنا أن تدخل الله سبحانه وتعالى مع موسى عليه السلام كان تدخلا مباشرا. أما مع داود وسليمان فقد استخلفهما الله وسخر لهما قوانين الطبيعة لأن تعمل من أجلهما، كذلك جعل لهما جنودا من الجن. قال تعال

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ

فِيضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا

يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ ﴿ص: ٢٦﴾

﴿ فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّ ءَانَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ

يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴿الأنبياء: ٧٩﴾

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰئَهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَطِيقَ الطَّيْرِ وَأُوتَيْنَا مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴿النمل: ١٦﴾

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ

﴿ ١٠ ﴾ ﴿سبأ: ١٠﴾

إذن هذه خلافة الله، فلقد أعطى الإمكانات لداود وسليمان وسخر لهم ما لم يسخره لغيرهم من الأنبياء والرسل.

■ المرحلة الثالثة: الحاكمية البشرية مع الرسول الأعظم

مع الرسول الخاتم كان التدخل الإلهي تدخلا غير مباشر، حتى أن الله سبحانه وتعالى حين أرسل الملائكة لنصرة رسوله والمسلمين فإن أحدا من المسلمين لم ير أي من الملائكة.

أي إن الله سبحانه وتعالى ترك شؤون البشر للبشر.

نقول:

إن خطأ الحاج حمد يكمن في حصره الخلافة والاستخلاف في داود وسليمان فقط، بالإضافة للخطأ الثاني الذي وقع فيه في صورة للحاكمية الإنسانية، ويكمن في التناقض الذي يظهر في طرحة حين يقدم الرسول صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين على أنه أقوى الأنبياء من ناحية تسخير الطبيعة له وأقدرهم على الخوارق والمعجزات لأنه إمامهم، ففي هذا الطرح يظهر ابوالقاسم حاج حمد متأثرا جدا بالطرح التراثي الذي تُسبب للرسول صلى الله عليه وسلم خوارق المعجزات، فقط بفارق بينهما يكمن في أنه صلى الله عليه وسلم ظهر في الطرح التراثي بصورة الممارس لهذه الخوارق بينما قدمه طرح الحاج حمد على أنه له القدرة على ممارسة تلك الخوارق لكنه لم يمارسها.

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ

فَتَأْتِيهِمْ بَيَاتٍ وَكَوْشَاءُ اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿الأنعام: ٣٥﴾

الدين والسلطة

الحاكمية - ٢

رأينا كيف أن أبو القاسم حاج حمد قدم مفهومًا للحاكمية إعتقادًا على القصص القرآني، فلقد شرح الحاكمية إعتقادًا على المعجزات، لكن شرحه هذا جاء من مقام الربوبية.

قبل أن نشرح مفهومنا للحاكمية نريد أولاً أن نوضح بعض الأمور الأساسية:

- إن الإسلام دين واحد من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الدين خضع للتراكم في القيم، والتطور في التشريع والاختلاف في الشعائر.
- إن الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية
- إن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة
- إن الرسالة المحمدية تحمل الصيغة العالمية
- إن الرسالة المحمدية جاءت رحمة للعالمين.

الخصائص الثلاث للرسالة المحمدية

الرحمة

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧ لأن الله

عز وجل أراد أن يشفق على عباده من هول التشريعات الحدية العينية التي كانت موجودة قبل البعثة المحمدية.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا

عندهم في التوراة والإنجيل يأمُرهم بالمعروف وينههم عن

المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم

إصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧)

الأعراف: ١٥٧

وهذا ما سنوضحه حين نقارن الرسالة الخاتمة مع ما سبقها من تشريعات، سواء أكانت تشريعات وضعية بشرية أو تشريعات سماوية إلهية.

الخاتمية

قال تعالى في محكم تنزيله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ

اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠) الأحزاب: ٤٠ الرسول

محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، وأهم بند ختمت به الرسالة الإلهية هو المحرّمات التي تم ختمها بشكل نهائي في الرسالة المحمدية، حيث تم إغلاق باب التحريم بصورة نهائية، وفيها تتجلى خاتمية الرسالة بمعناها المباشر بحيث أصبحت بها الرسالة المحمدية تستحق أن تكون هادية للإنسانية وأن توصف بالعالمية.

العالمية

تتجلى عالمية الرسالة المحمدية في شموليتها كما جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ يَأَيُّهَا

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿الأعراف: ١٥٨﴾

فعالمية الرسالة المحمدية تتمثل في شمولها كل جوانب التشريع الإنساني من خلال نظرية الحدود الخاصة بالتشريع التي سمحت لها بأن تكون شاملة، واستحقت بها أن تكون خاتمة الرسالات الإلهية كلها، لأنّ الحدود الواردة في الرسالة تجعل منها رسالة قابلة للتطبيق في كل التشريعات الإنسانية عبر العصور والأزمنة، لاستعابها كل التشريعات الإنسانية مهما تعددت واختلفت.

نسأل كل غيور على هذا الدين، وعلى هذه الرسالة، أين هي الرحمة؟ أين هي العالمية؟ ونحن حين نقول عالمية الرسالة فإننا نعني تماما أنا نريد أن نرى مصداقية الرسالة في اليابان ولوس أنجلوس وموسكو وبكين تماما كما نراها في مكة والقدس والقاهرة ودمشق.

لقد بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٠م، ونحن نعيش اليوم في العالم ٢٠١٤م، أي أن ١٤٠٤ عاما قد مضت منذ البعثة وحتى اليوم.

قبل أن يبعث الرسول الخاتم كان هناك العديد من الحضارات الإنسانية، وكان هناك تشريعات إنسانية كشرعية حمورابي، أشهر الشرائع الإنسانية والتي ظهرت العام ١٨٠٠ ق.م. تقريبا، أي أن هناك ما يقارب الـ ٢٤٠٠ سنة بين حمورابي والرسول الخاتم (١٨٠٠ + ٦١٠). بين الرسول الأعظم وبيننا ١٤٠٤ عاما، وبين الرسول الأعظم وموسى عليه السلام أكثر مما بيننا وبين الرسول الخاتم.

نحن لا نستطيع أن نرى الرحمة إلا إذا قارنا الشريعة الخاتمة مع الشرائع السابقة.

شريعة حمورابي

تعتبر شريعة حمورابي أقدم وأشهر الشرائع الإنسانية المتكاملة التي وصلت إلينا. تحتوي شريعة حمورابي على ٢٨٢ بند تشريعي، من هذه البنود هناك ١٧ عقوبة جسدية (قلع عين، قطع يد، جذع أنف ...) وهناك ٣٣ عقوبة إعدام.

العقوبات الجسدية في شريعة حمورابي

- إذا أراهبة / ألكاهنة ألتى هي ليست مقيمة في ألدبر فتحت خماراً، أو دخلت خماراً من أجل أألجة (البيرة)، تلك السيدة يكونها.
- إذا سيد رفع إصبعاً (بالتشهير) على كاهنة أو زوجة سيد ولم يثبت التهمة، هذا السيد يجلدونه أمام ألقضاة ويحلقوا له (نصف شعر رأسه).
- إذا زوجة سيد بسبب ذكر ثانٍ رفع إصبع عليها بالإتهام لكن لم تضبط في اضطجاع مع ذكر ثانٍ، من أجل زوجها تخوض النهر (في الإختبار).
- ظلت هذه العقوبة في إنجلترا حتى العصور الوسطى، كانوا يرمون الساحرة في النهر، إذا نجت فهذا يعني أنها حقا ساحرة فيحكم عليها بالموت، وإذا ماتت تكون قد ماتت.
- إذا سيد هنك ستر إبنته، ذلك السيد ينفونه من المدينة.
- إذا ابن عضو الحاشية (المتبني) أو ابن الراهبة (المتبني) قال للأب مربيه والأم مربيته "لست أبي أنت، لست أمي أنت" يقطعون لسانه.
- إذا ابن عضو الحاشية (المتبني) أو ابن الراهبة (المتبني) عرف بيت أبيه وازدرى الأب مربيه، والأم مربيته، وذهب إلى بيت أبيه، ينسخون عينه. (قلع عين)
- إذا أعطى سيد ابنه لمرضعة، وذلك الإبن مات في يد المرضعة. إذا كانت المرضعة قد تعاقدت، بلا موافقة أبيه وأمه، على إرضاع ابن ثانٍ، يدينونها، وبسبب أنها تعاقدت، بلا موافقة أبيه وأمه، على إرضاع ابن ثانٍ، يقطعون ثدييها.
- إذا ضرب ابن أباه يقطعون ذراعه.
- إذا اختبط سيد عين ابن سيد يخبطون عينه.
- إذا كسر سيد عظمة سيد يكسرون عظمتة.
- إذا أوقع سيد سن سيد، كفته، يوقعون سنه.
- إذا ضرب سيد وجنة السيد الذي هو أكبر منه، يضرب في المجمع ستين جلدة بسوط ثور.
- إذا ضرب عبد سيد وجنة ابن سيد، يقطعون أذنه.
- إذا أجرى آسي جراحة كبرى بمبضع البرونز على سيد وأمات السيد، أو فتح بمبضع البرونز صدغ سيد واختبط عين السيد، يقطعون ذراعه.
- إذا حلق حلاق خصلة عبد ليس له بلا موافقة صاحب العبد، يقطعون ذراع ذلك الحلاق.
- إذا قال عبد لسيد: "لست سيدي أنت"، سيده يثبته باعتباره عبده ويقطع أذنه.

عقوبات الإعدام عند حمورابي

- إذا اتهم سيد سيدياً، وأقام عليه دعوى قتل، ولم يدينه، مُتهمه يندم.
- إذا أقام سيد دعوى سحر على سيد، ولم يدينه، الذي عليه دعوى السحر مقامه يذهب إلى النهر. النهر يغمر المتهم بالفعل، فإذا النهر غلبه متهمه يستولي بيته. إذا ذلك السيد برأه النهر حقاً وسلم بالفعل، يندم الذي أقام عليه دعوى السحر. الذي غمر النهر جسمه يستولي على بيت متهمه.
- إذا أدلى سيد في قضية شهادة زور، ولم يثبت الكلمة التي نطق في قضية، بشهادة زور، ولم يثبت الكلمة التي نطق إذا تلك القضية قضية حياة، ذلك السيد يندم.
- إذا سرق سيد ثروة الإله أو القصر، هذا السيد يندم. والذي تسلم السرقة من قبضته يندم.

- إذا اشترى سيد إما فضة أو ذهباً أو عبداً أو أمه أو ثوراً أو خروفاً أو حماراً، أو أي ما كان له إسم، من يد ابن سيد أو عبد سيد بلا شهود أو عقود، أو تسلم على سبيل الأمانات، هذا السيد سراق ينعدم.
- إذا سرق سيد إما ثوراً أو خروفاً أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً، إذا كان المسروق للإله أو إذا كان للقصر يدفع السارق لغاية ثلاثين ضعفاً له. إذا كان المسروق لمسكين (من عامة الناس) يعوض السارق لغاية عشرة أمثاله. إذا اللص لا يملك ما يكفي الدفع ينعدم.
- إذا السيد الذي اشياء له مفقودة ضبط أشياءه المفقودة في قبضة سيد. السيد الذي المفقود مُنضبط في قبضته قال: "بائع باع لي، وأنا أمام الشهود اشتريت". وصاحب المفقود قال: "لأجلبن الشهود العارفين لمفقوداتي". ثم إن المشتري جلب البائع الذي باع له والشهود الذين اشترى أمامهم. وصاحب المفقود جلب الشهود العارفين مفقوده، القضاة ينظرون كلماتهم. ويقول الشهود الذين بحضورهم اشترى المشتري والشهود العارفين المفقود معلوماتهم أمام الإله. (يكون) البائع سراق وينعدم. صاحب المفقود يتلقى مفقوده. المشتري يتلقى من البائع الفضة التي وزن.
- إذا المشتري لم يجلب البائع الذي باع له والشهود الذين اشترى في حضورهم، صاحب المفقود نفسه جلب الشهود العارفين مفقوده. المشتري سراق ينعدم. صاحب المفقود يتلقى مفقوده.
- إذا صاحب المفقود لم يجلب الشهود العارفين مفقوده، فإنه كذاب ادعى كيداً ينعدم.
- إذا خطف سيد ابن سيد صغيراً، ينعدم.
- إذا أخرج سيد من البوابة أما عبد القصر أو أمه القصر أو عبد مسكين أو أمه مسكين، ينعدم.
- إذا أوى سيداً في بيته إما عبداً أو أمه، هارباً يخص القصر أو مسكين، ولم يخرج إياه لصيحة المنادي، صاحب ذلك البيت ينعدم.
- إذا ذلك العبد احتجزه السيد الذي ضبطه في بيته. فيما بعد ضبط العبد في قبضته، ذلك السيد ينعدم.
- إذا ثقب سيد بيتاً يعدمونه أمام ذلك الثقب ويولجونه فيه.
- إذا سيد سلب سلبه وضبط، ذلك السيد ينعدم.
- إذا اندلعت النار في بيت سيد، والسيد الذي ذهب للإطفاء وضع عينه على متاع صاحب البيت والتقط متاع صاحب البيت، هذا السيد يقذف إلى تلك النار.
- إذا إما الجندي النظامي أو المتطوع، الذي يعلن ذهابه إلى حملة الملك، لم يذهب أو أجز أجيراً أو بعث بديلاً، سواء هذا الجندي النظامي أو المتطوع ينعدم. فاضحه يستولي على بيته.
- إذا ما ضابط أو ضابط صف ضم في صفوفه عسكرياً هارباً أو تسلم وقاد أجيراً بديلاً على حملة الملك، هذا الضابط أو ضابط الصف ينعدم.
- إذا ما ضابط أو ضابط صف استولى على متاع جندي نظامي، اختبل جندياً نظامياً، أعطى جندياً نظامياً للأجبار، أشرك جندياً نظامياً في قضية لمتنفذ، استولى على هدية كان الملك قد أعطى لجندي نظامي، هذا الضابط أو ضابط الصف ينعدم.
- إذا لك تتسلم صانعة الجعة حبواً عن ثمن الجعة، ولكن تسلمت فضة بموجب حجر وزن كبير، وقللت قيمة الجعة بالنسبة إلى قيمة الحبوب، صانعة الجعة هذه يدينونها وإلى الماء يرمونها.
- إذا صانعة جعة تجمع مجرمين في بيتها ولم تضبط ولم تقد أولئك المجرمين إلى القصر، صانعة الجعة هذه تتعدم.

- إذا الرهينة ماتت في بيت مرتهنها بالضرب أو بالتعذيب، صاحب الرهينة يدين تاجره، وإذا الرهينة كان ابن السيد، يعدمون ابنه. إذا الرهينة كان عبد السيد، على التاجر أن يزن ثلث من فضة، ويخسر أي شيء من كل ما أعطى.
- إذا زوجة سيد انضبطت في اضطجاع مع ذكر ثانٍ، يقيدونها ويرمونهما في الماء. إذا صاحب الزوجة قرر أن يحفظ حياة زوجته، أملك أيضا يحفظ حياة عبده.
- إذا سيدٌ، زوجة سيد آخر التي هي ما عرفت ذكرا ولم تزل مقيمة في بيت ابنيها، كبلها واضطجع في حضنها وضبطوه، ذلك السيد يعدم، ويطلق سراح تلك المرأة.
- إذا احتجز سيد وفي بيته يوجد ما يكفي للأكل، على زوجته، طوال ما زوجها محجوز، أن تصون جسدها، ولا تدخل إلى بيت شخص ثانٍ. إذا تلك المرأة لم تصن جسدها، ودخلت إلى بيت شخص ثانٍ، تلك المرأة يدينونها ويرمونها إلى الماء.
- إذا هي غير مصون ومتغيبية، تشتت بيتها، تستصغر زوجها، تلك المرأة يرمونها في الماء.
- إذا تسببت زوجة سيد، بسبب ذكر ثانٍ، بقتل زوجها، تلك المرأة يضعونها على الخازوق.
- إذا اختار سيد كنة إلى ابنه، وابنه خبرها. بعدئذ هو اضطجع في حضنها وضبطوه، ذلك السيد يقيدونه ويرمونه إلى الماء.
- إذا سيد، بعد وفاة أبيه، اضطجع في حضن أمه يحرقونها كليهما.
- إذا ضرب سيد ابنة سيد وأسقط جنينها، يجب أن يوزن عشرة شقيقات فضة تعويضا عن جنينها، إذا تلك المرأة ماتت يقتلون ابنته.
- إذا سيد دحض حلاقا فخلق خصلة عبد ليس له، ذلك السيد يعدمونه ويضعونه في بابه، الحلاق يجب أن يقسم: "لم أخلق عن علم" ويطلق سراحه.
- إذا شيد بناء بيتا لسيد لكن لم يقو عمله فانهار البيت الذي شيد وتسبب في موت صاحب البيت، ذلك البناء يعدم.
- إذا تسبب في موت ابن صاحب البيت، يعدمون ابن ذلك البناء.

نلاحظ من خلال هذه البنود، اشتغال شريعة حمورابي على ١٦ عقوبة جسدية و ٣٣ عقوبة إعدام. ونلاحظ أيضا قسوتها وشدتها مما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: بما أن هذه العقوبات كانت في فترة حمورابي، أي وضعت حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد، فهل ظلت سارية المفعول حتى عهد عيسى عليه السلام أم تم تخفيفها إلى أقل من ذلك؟

العقوبات في شريعة موسى حسب ما ورد في التوراة

تضمنت شريعة موسى عليه السلام ٤ عقوبات جسدية و ١٦ عقوبة إعدام. ورغم أنه قد تم تقليص العقوبات من شريعة حمورابي إلى شريعة موسى، إلا إننا نجد أن العقوبات الجسدية وعقوبات الإعدام ظلت قائمة، ولم تمسح إلا بمجيء الرسالة المحمدية، فهي الرسالة التي نسخت شريعة موسى بما طرأ عليها من تعديلات جاء بها المسيح عيسى فيما بعد.

● عقوبة قذف المحصنات

- ١٣ «إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا أَبْغَضَهَا،
- ١٤ وَتَسَبَّ إِلَيْهَا أَسْبَابُ كَلَامٍ، وَأَشَاعَ عَنْهَا اسْمًا رَدِيًّا، وَقَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ اتَّخَذْتُهَا وَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا لَمْ أَجِدْ لَهَا عُدْرَةً.
- ١٥ يَأْخُذُ الْقَتَاةُ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلَامَةً عُدْرَتِهَا إِلَى شُيُوخِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَابِ،

- ١٦ وَيَقُولُ أَبُو الْفَتَاةِ لِلشُّيُوخِ: أَعْطَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ ابْنَتِي زَوْجَةً فَأَبْغَضَهَا.
- ١٧ وَهَذَا هُوَ قَدْ جَعَلَ أَسْبَابَ كَلَامٍ قَائِلًا: لَمْ أَجِدْ لِبِنْتِكَ عُذْرَةً. وَهَذِهِ عَلَامَةُ عُذْرَةِ ابْنَتِي.
- وَيَبْسُطَانِ التُّوبِ أَمَامَ شُيُوخِ الْمَدِينَةِ.
- ١٨ فَيَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الرَّجُلَ وَيُؤَدِّبُونَهُ
- ١٩ وَيُغْرِمُونَهُ بِمِئَةِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَيُعْطُونَهَا لِأَبِي الْفَتَاةِ، لِأَنَّهُ أَشَاعَ اسْمًا رَدِيًّا عَنْ عُذْرَاءٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَتَكُونُ لَهُ زَوْجَةً. لَا يَقْدِرُ أَنْ يُطْلَقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ. ((سفر التثنية: ٢٢))

تعليق

((نحن تأثرنا بهذه العقوبة وما زالت بعض المجتمعات حتى اليوم تفاخر بإثبات عذرية الفتاة إذا تقف النساء تنتظر الزوج حين يدخل على زوجه ويخرج بعدها برقعة قماش عليها دم العذرية – أي العلامة كما يسمونها))

• عقوبة أذاء الآخرين

- ٢١ لَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسُ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌ بِسِنٍ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْلٍ.
- ((التثنية: ١٩))
- ٢٠ كَسَّرَ بِكَسْرِ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌ بِسِنٍ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْنًا فِي الْإِنْسَانِ كَذَلِكَ يُحْدِثُ فِيهِ.
- ((اللاويين: ٢٤))

- ١ «إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أَنْاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْقَضَاءِ لِيُقْضِيَ الْقَضَاءُ بَيْنَهُمْ، فَلْيُبْرِرُوا الْبَارَّ وَيَحْكُمُوا عَلَى الْمُدْنِبِ.
- ٢ فَإِنْ كَانَ الْمُدْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ، يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ.
- ٣ أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لَا يَزِدُّ، لِئَلَّا إِذَا زَادَ فِي جَلْدِهِ عَلَى هَذِهِ ضَرْبَاتٍ كَثِيرَةً، يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ ((سفر التثنية: ٢٥))

تعليق

((جاء حد السكر في الفقه الإسلامي بأربعين جلدة تأثرا بنفس العدد الذي كان موجودا في شريعة اليهودي، بحيث أن حد الخمر أربعين جلدة، وللإمام أن يبلغ به الثمانين تعزيرا إذا رأى انهماك الناس في الشراب، لما جاء في الحديثين التاليين:

١ – عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين ((أخرجه مسلم))

٢ – وعن أنس رضي الله عنه (جلد النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الریف، قال: ما نرؤن في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود، قال: فجلد عمر ثمانين)) (متفق عليه)

- ١١ «إِذَا تَخَاصَمَ رَجُلَانِ، رَجُلٌ وَأَخُوهُ، وَتَقَدَّمتِ امْرَأَةٌ أَحَدَهُمَا لِكَيْ تُخْلَصَ رَجُلُهَا مِنْ يَدِ ضَارِبِهِ، وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِعَوْرَتِهِ،
- ١٢ فَأَقْطَعَ يَدَهَا، وَلَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ. ((سفر التثنية: ٢٥))

• عقوبات السحر وشهادة الزور

١ - تهمة السحر:

٢٧ «وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحَجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. ذَمُّهُ عَلَيْهِ». ((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

ظل هذا الحكم ساريا في الفقه الإسلامي استنادا إلى المرويات التي يستشهد بها الفقهاء فيه، كما ورد في صحيح البخاري عن بجاللة بن عبدة، قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة"، قال: فقتلنا ثلاث سواحر. وصحَّ عن حفصه رضي الله عنها: "أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت". وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: "صحَّ عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم".

ج ١/ص ٣٥٣ - ٣٥٤

٢ - شهادة الزور

١٦ إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ،

١٧ يَقِفُ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.

١٨ فَإِنْ فَحَصَ الْقُضَاةُ جَبِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَهِدَ كَاذِبًا، قَدْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ عَلَى أَخِيهِ،

١٩ فَأَفْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنَزَّعَ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكُمْ. ((سفر التثنية: ١٩))

• عقوبات الزنا وسفاح المحارم

٢٠ «وَلَكِنْ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ.

٢١ يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رَجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحَجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لِأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزَنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنَزَّعَ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ. ((سفر التثنية: ٢٢))

تعليق

لا يوجد في الفقه الإسلامي مرويات تقر بقتل الزانية ألبكر بل الفقه يحكم بجلدها مائة جلدة والتغريب استنادا للعديد من الأحاديث. غير أنَّ هذه الظاهرة منتشرة بكثرة في البلدان الإسلامية تحت عنوان "جريمة الشرف"، بحيث يقوم ذكر أو أكثر من الأسرة بقتل الفتاة التي يشتبه في أو يتأكد في أن لها علاقة مع أحد الشباب أو مارست معه الجنس خارج إطار الزواج. وتكثر جرائم الشرف خاصة في الدول التالية: مصر، باكستان، لبنان، الأردن، سوريا، تركيا، اليمن، تحت وطأة اعتقاد شعبي بأن الأديان السماوية تدعم هذا القتل، وبسبب من الحماية القانونية التي توفرها بعض هذه البلدان للقتلة إذا أثبتوا أن دافعهم كان "شريفاً".

وعادة لا تأخذ هذه الجرائم هذا الإسم إلا في البلدان التي لديها نوع من الحماية القانونية تعفي القتلة من العقاب، مثلما هو الحال في بلدان مثل سورية، الأردن. حيث توجد في سورية مادتين تحميان القتلة بهذا العذر: المادة ٥٤٨ والمادة ١٩٢ من قانون العقوبات السوري. وقد أطلقت حملات كثيرة مناهضة لجرائم الشرف في العالم، بعضها محلي وبعضها عالمي، مثل حملة في الأردن توصلت إلى تعديل المادة ٣٤٠ التي تحمي القتلة بهذا العذر، وتم تعديل المادة التي كانت تمكن القتلة من الخلاص من العقوبة بشكل كامل، وتمنح أحكاما مخففة في بندها الثاني، ولا يستفيد من البندين سوى الذكور، بحيث ألغي احتمال أن يحصل القاتل على إعفاء كامل من العقوبة، ومنح الحق بالتخفيف من العقوبة للنساء أيضا في حال ارتكبن الجريمة نفسها للأسباب نفسها. كذلك حملة في سوريا أطلقها "مرصد نساء سوريا" بعنوان "الحملة الوطنية المناهضة لجرائم الشرف في

سوريا" منذ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥ (وما تزال قائمة حتى الآن) بهدف إلغاء المادة ٥٤٨ من قانون العقوبات السوري وتعديل المادة ١٩٢ من القانون نفسه، بحيث يجري اعتبار القتل بهذا العذر كالقتل بأي عذر آخر، دون إمكانية الاستفادة المسبقة من القانون. وأثمر عمل "مرصد نساء سورية" إخراج هذه الجرائم من مجال الصمت إلى مستوى "الرأي العام" كما جرى في العديد من البلدان عمل مهم أيضا في مناهضة هذه الجرائم. فقد قامت تركيا منذ قيام الدولة الحديثة فيها بإلغاء أية أضرار قانونية للقتل بهذه الذريعة. كما قامت باكستان بذلك، وتونس أيضا. بينما لا يزال القتل يستفيدون من دعم القانون لهم سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في بلدان كثيرة مثل أفغانستان، إيران، اليمن، الصومال، السودان، مصر، الأردن، سوريا، لبنان ... وغيرها. لمزيد من التفاصيل يمكن الإطلاع على الموقع الرسمي لمرصد نساء سوريا على الرابط التالي:

<http://nesasy.org>

٢٢ «إِذَا وَجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةٍ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الاثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ((سفر التثنية: ٢٢))

١٠ وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ. ((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

يقي حكم القتل في الزنا الذي كان سائداً على عهد اليهود ساري المفعول في الفقه الإسلامي إستناداً إلى أحاديث عديدة نشك في صحتها، لكن الفقه يعتمد عليها لتثبيت حكم الرجم في الزنا رغم إن ذلك غير وارد إطلاقاً في التنزيل الحكيم، ومن جملة الأحاديث الواردة في حكم الرجم نذكر الأمثلة التالية:

- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرَأٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَخْدَى ثَلَاثٍ: النَّيْبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِذِيْنِهِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ) (رواه البخاري ومسلم)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ (أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ - فَنَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَتَنَحَّى تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، حَتَّى ثَلَاثَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ: دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَبُكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ أُخْصِنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ) (رواه البخاري)

- سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيُضِلُّوا بِتَرْكِ قَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْإِعْتِرَافُ وَقَدْ قَرَأَ بِهَا "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَنَتْهُ نِكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ")

(أنظر: ابن قدامة، المغنى، ٩ / ٤)

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا أَتَى مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفاً بِالزَّانَا قَالَ لَهُ لَعَلَّكَ قَبِلْتَ، لَعَلَّكَ غَمَزْتَ، لَعَلَّكَ نَظَرْتَ، لَعَلَّكَ لَامَسْتَ، قَالَ لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ زَنَيْتُ قَالَ (أَنْكُتَهَا) لَا يَكْنِي قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ. (صحيح البخاري)

(فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشدد فلقبه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه) (سنن أبي داود)

- عن أنس رضي الله عنه (أن امرأة أنت النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بالزنى وكانت حاملا فأخراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعت ثم أمرها فشددت عليها ثيابها ثم أمر برجمها ثم صلى عليها فقال رجل: أتصلي عليها وقد زنت ورجمتها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد تابت توبة لو تاب بها سبعون من أهل المدينة لقبل منهم هل وجدت أفضل أن جادت بنفسها) (أخرجه الطبراني في معجمه الصغير)

٢٣ «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا،
٢٤ فَأَخْرَجُوهَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةً صَاحِبِهِ. فَتَنَزَّعَ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ.
٢٥ وَلَكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوبَةَ فِي الْحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، يَمُوتُ الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ.
٢٦ وَأَمَّا الْفَتَاةُ فَلَا تَفْعَلْ بِهَا شَيْئًا. لَيْسَ عَلَى الْفَتَاةِ خَطِيئَةٌ لِلْمَوْتِ، بَلْ كَمَا يَقُومُ رَجُلٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَقْتُلُهُ قَتْلًا. هَكَذَا هَذَا الْأَمْرُ.
٢٧ إِنَّهُ فِي الْحَقْلِ وَجَدَهَا، فَصَرَخَتْ الْفَتَاةُ الْمَخْطُوبَةُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ يَخْلُصُهَا.

((سفر التنبيه: 22))

١١ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ أَبِيهَ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٢ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنْتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ فَعَلَا فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٣ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رَجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٤ وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَهَا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرَقُونَهُ وَإِيَاهُمَا، لَكِي لَا يَكُونَ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ.
١٥ وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمَيَّنُونَهَا.
١٦ وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَائِيهَا، تُمَيَّتُ الْمَرْأَةُ وَالْبَهِيمَةُ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا

((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

- حكم فعل اللواط، وهو الفاحشة بين ذكرين، الوارد في الفقه الإسلامي مستمد من شريعة اليهود، ورد في حديث ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ لُوطٍ فَاقْتُلُوهُ) (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في مسنده)
- حكم إتيان البهيمة الوارد في الفقه الإسلامي مستمد من شريعة اليهود وبقي ساري المفعول فيه وفق الواردة في الحديثين ألتالبيين:
- عن ابن عباس عن رسول الله قال: (مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ) (رواه أحمد وأبو داود والترمذي)

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ وَقَعَ عَلَى ذَاتِ مَحْرَمٍ فَاقْتُلُوهُ، وَمَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ) (رواه ابن ماجه)

• عقوبة القتل

- ١٧ وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدُ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ.
 ١٨ وَمَنْ أَمَاتَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا نَفْسًا بِنَفْسٍ.
 ١٩ وَإِذَا أُحْدِثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا، فَكَمَا فَعَلَ كَذَلِكَ يُفْعَلُ بِهِ.
 ٢١ مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا، وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ.
 ٢٢ حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ».

((سفر اللاويين: 24))

- ١٦ «إِنْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةٍ حَدِيدٍ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنْ الْقَاتِلُ يُقْتَلُ.
 ١٧ وَإِنْ ضَرَبَهُ بِحَجَرٍ يَدٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنْ الْقَاتِلُ يُقْتَلُ.
 ١٨ أَوْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةٍ يَدٍ مِنْ خَشَبٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنْ الْقَاتِلُ يُقْتَلُ.
 ١٩ وَلِيَّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ. حِينَ يُصَادِفُهُ يَقْتُلُهُ.
 ٢٠ وَإِنْ دَفَعَهُ بِبُغْضَةٍ أَوْ أَلْفَى عَلَيْهِ شَيْئًا يَتَعَمَّدُ فَمَاتَ،
 ٢١ أَوْ ضَرَبَهُ بِيَدِهِ بَعْدَاوَةً فَمَاتَ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الصَّارِبُ لِأَنَّهُ قَاتِلٌ. وَلِيَّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ حِينَ يُصَادِفُهُ.

- ٣٠ كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا فَعَلَى فَمِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الْقَاتِلُ. وَشَاهِدٌ وَاحِدٌ لَا يَشْهَدُ عَلَى نَفْسٍ لِلْمَوْتِ.
 ٣١ وَلَا تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ.
 ٣٢ وَلَا تَأْخُذُوا فِدْيَةً لِيَهْرُبَ إِلَى مَدِينَةٍ مُلْجِئِهِ، فَيَرْجِعَ وَيَسْكُنَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِ الْكَاهِنِ

((سفر العدد: ٣٥))

- ١١ «وَلَكِنْ إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ مُبْغِضًا لِصَاحِبِهِ، فَكَمَنْ لَهُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ ضَرْبَةً قَاتِلَةً فَمَاتَ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الْمُدُنِ،
 ١٢ يُرْسِلُ شُبُوحَ مَدِينَتِهِ وَيَأْخُذُونَهُ مِنْ هُنَاكَ وَيَدْفَعُونَهُ إِلَى يَدِ وَلِيِّ الدَّمِ فَيَمُوتُ.

((سفر التثنية: ١٩))

• عقوبة عقوق الوالدين

- ١٨ «إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لَا يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلَا لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلَا يَسْمَعُ لِهُمَا.
 ١٩ يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُبُوحِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ،

٢٠ وَيَقُولَانِ لَشَيْبُوخَ مَدِينَتِهِ: ابْنُنَا هَذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لَا يَسْمَعُ لِقَوْلَانَا، وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسَكِيرٌ.
٢١ فَبَرَّجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ.
(سفر التثنية: ٢١)

٩ «كُلُّ إِنْسَانٍ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. قَدْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ دَمُهُ عَلَيْهِ.
(سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

إن السلطة الأبوية المستمدة من شريعة اليهود ظلت قائمة في الفقه الإسلامي وامتد أثرها إلى حد أن تجاوزت حد السلطة وصارت ملكية خاصة فصار الابن وماله لأبيه كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي مَالًا وَوَلَدًا وَإِنْ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي)، فقال: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ) (رواه ابن ماجه). وطالما أن الأبوة والبنوة تحولت إلى ملكية في الفقه فقد أبقى هذا الأخير الأب من العقاب في حال قتله لابنه لما ورد في حديث عمر بن الخطاب وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يُقْتَلُ وَالِدٌ بَوْلَدِهِ) أخرج النسائي حديث عمر، ورواهما ابن ماجه وذكرهما ابن عبد البر، وقال: هو حديث مشهور عند أهل العلم بالحجاز والعراق، مستفيض عندهم يستغني بشهرته وقبوله والعمل به عن الإسناد في مثله مع شهرته تكلفاً.

• عقوبة التعدي على حرمة الإله

٢ «إِذَا وَجَدَ فِي وَسْطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهَكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ،
٣ وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلِّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ،
٤ وَأُخْبِرْتُ وَسَمِعْتُ وَفَحَصْتُ حَيِّدًا وَإِذَا الْأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدُ. قَدْ عَمِلَ ذَلِكَ الرَّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ،
٥ فَأَخْرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ، الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الشَّرِيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلُ أَوْ الْمَرْأَةُ، وَارْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ.
٦ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءٍ يُقْتَلُ الَّذِي يُقْتَلُ لَا يُقْتَلُ عَلَى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ.
٧ أَيْدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلًا لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ آخِرًا، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

١٢ وَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ بِطُغْيَانٍ، فَلَا يَسْمَعُ لِلْكَاهِنِ الْوَاقِفِ هُنَاكَ لِيَخْدِمَ الرَّبَّ إِلَهَكَ، أَوْ لِقَاضِي، يُقْتَلُ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ.
١٣ فَيَسْمَعُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَيَخَافُونَ وَلَا يَطْعَوْنَ بَعْدُ.
(سفر التثنية: ١٧))

٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. (سفر التثنية: ١٨))

- ١٣ فَلَکَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ١٤ «أَخْرِجَ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعُ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ. ١٥ وَكَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلَهَهُ يَحْمِلُ حَطِيبَتَهُ، ١٦ وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدَّفُ عَلَى الْاسْمِ يُقْتَلُ.

تعليق

أخذ الفقه الإسلامي عن شريعة اليهود هذا الحكم، وهو ما يسمى حكم الردة الذي نجده مذكوراً فيه صراحة حسب الروايات التالية:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخاري ومسلم .

٢ - عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)) (رواه البخاري)

٣ - روي الدارقطني بإسناده (أن امرأة يقال لها أم مروان ارتدت عن الإسلام، فبلغ أمرها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأمر أن تُسْتَتَابَ، فإن تابَتْ، وإلا قُتِلَتْ). علماً أن الردة التي يتناقلها التاريخ الإسلامي جاءت جماعية ولأسباب سياسية بحتة ولم تأت فردية.

• عقوبة استرقاق شخص إسرائيلي

٧ «إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرْقَاهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذَلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزَعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

القوانين الآشورية

(يحق للزوج أن يجلد زوجته، أو أن ينتزع شعرها ويشق أذنيها ويؤذيها دون أن يترتب على ذلك أي أثر قانوني)

هذا هو الحال قبل الرسالة المحمدية. فلنر الآن كيف أصبح الحال مع بعثة الرسول الخاتم.

الدِّين والسلطة

الحاكمية - ٣

العقوبات في الرسالة المحمدية

كل القوانين التي جاءت في الشرائع السابقة للرسالة الخاتمة سواء أكانت شرائع إنسانية أو شرائع سماوية، كانت جائزة وقاسية، ولذلك حين تم إرسال الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل في محكم التنزيل ﴿... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾.

الأعراف: ١٥٧ .. إذا بعث الرسول لفك تلك القيود التي كانت تقيد أهل التوراة والإنجيل، ولهذا قال تعالى ﴿... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) والأنبياء: ١٠٧ ولقد تحدثنا سابقا عن خصائص الرسالة المحمدية الثلاث: الرحمة - العالمية - الخاتمة، وسنتناول الآن ببعض الأمثلة هذه الخصائص الثلاث.

الشرائع السابقة - كشرعية حمورابي، أقدم شريعة إنسانية هناك ٣٦ بند إعدام، ولقد استعرضنا تلك البنود في فصل سابق ورأينا مدى الظلم فيها. أما الشريعة السماوية الأقرب إلى شريعة حمورابي وهي شريعة موسى عليه السلام فقد احتوت على ١٦ عقوبة إعدام. وكنا قد رأينا مدى الإصرار في شريعة موسى ورأينا أن باب التوبة غير موجود في العقوبات.

هذه الشرائع التي سبقت الرسالة المحمدية ظهرت في نفس المنطقة التي بعث فيها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن بقايا تلك التشريعات ظلت عالقة في المنطقة وبالتالي ليس غريبا أن يفهم قوله تعالى ﴿... وَالَّذِينَ يَخَافُونَ ذُنُوبَهُمْ فَعِظُوهُمْ بِوَاسِعَةٍ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي

الْمُضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنِ اطَّعَنَكُمْ فَلَا نَبْعُثْ عَلَيْهِمْ سَكِينًا...﴾ النساء: ٣٤ عند نزوله بأن المقصود به هو الضرب الجسدي، وأن لا يفهم الضرب على المعنى المحمول للكلمة كما شرحنا في مكان سابق.

كذلك فإن قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن صح (مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ) إن يفهم على القتل الجسدي، علماً أن أحد معاني "القتل" كما جاء في لسان العرب هو "المقاطعة". بالتالي إن فهمنا نحن اليوم القتل على أنه مقاطعة فلا يلومنا أحد.

١ - عقوبة الإعدام "القتل"

أشير هنا أن الحديث وما سنتناوله يدور عن عقوبة وليس عن حرب، لأن الحروب سواء في شريعة موسى أو في الشريعة المحمدية لها وضع خاص. نحن نتكلم هنا عن عقوبة الإعدام كعقوبة مفروضة في التشريع المدني لتنظيم المجتمع.

لقد ورد في الرسالة المحمدية عقوبة إعدام واحدة وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي

الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ الإسراء: ٣٣ ولقد جاءت هذه العقوبة كحد أعلى ممثلة في

القتل دون إسراف، أي إنه لا يجوز القصاص إلا من القاتل نفسه، فلا يحق لأهل القتل أن يقتلوا

أي شخص من أهل القاتل، وإنما يقتصوا فقط ممن قتل. هذا هو المقصود بقوله ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾ .

ومفعول هذه الآية ساري منذ عهد الرسول الأعظم حتى يومنا هذا، فهناك بعض الدول التي تطبق عقوبة الإعدام كحد أعلى، وهناك دول أخرى تطبق عقوبة السجن المؤبد أو السجن بسنوات محددة وفي هذا المثال تتجسد الرحمة والعالمية في الرسالة المحمدية.

الناس اليوم تطبق تشريعات الرسالة المحمدية بالفطرة ودون أن تعلم، لأنَّ الإسلام كما أخبرنا سبحانه وتعالى هو دين الفطرة. وعند احتجاج الملائكة على خلق آدم وجعله خليفة قالوا:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا

لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة: ٣٠ .. الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون، فهذا

المخلوق الذي احتجت الملائكة على خلقه وخلافته في الأرض، وصل إلى القمر وغاص في أعماق المحيطات...، بحيث ساعده الله عز وجل بأن قام بتطوير فكره ودفعه إلى الوصول إلى أرقى مراتب التجريد، واكتساب المعارف أكثر وأكثر. ولما جاءت الرسالة المحمدية الخاتمة، ضمنها الله أحكاما تشريعية عالمية صالحة لكل زمان ومكان، لأن الله يعلم بعلمه المطلق الخط العام الذي تسير فيه الإنسانية.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ

النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ

قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس: ٢٤

٢ – عقوبات الزنا والقذف "الجلد"

تم في الرسالة المحمدية وضع عقوبة جسدية واحدة لا تنطبق إلا على حالتين اثنتين، الأولى هي

الجلد عقوبة الزنا والثانية مرتبطة بالأولى وهي حد القذف. ولقد ورد التشريع السماوي في الرسالة الخاتمة للحالتين في الآيتين حيث قال عز وجل بالنسبة لحد الزنا

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ النور: ٢

أما بالنسبة لقذف المحصنات فقد قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ النور: ٤

ألزنا فاحشة يزن الجنس فيها على الإنسان وبلح عليه حتى يصبح في وضع نفسي يلغي فيه كل اعتبار للمجتمع. وهي جريمة إرادية بحته تحصل بموافقة الطرفين، الذكر والأنثى، وهي ليست كالقتل أو كالسرقة التي يقوم بها طرف واحد. وعقوبة الزنا كما ورد في التنزيل الحكيم في سورة النور، الآية: ٢ هي ١٠٠ جلدة، لا أقل ولا أكثر وتتم بوجود شهود على تطبيق حد الله. لكن شرط تطبيق حد الزنا صعب جدا أن يتحقق إذا يصعب جدا أن تمارس هذه الفاحشة بحيث يشهدا أربع شهود، ولو شئنا أن نطبقها هذه الأيام فإنها لا تطبق إلا على ممثلي الأفلام الإباحية. ولقد تم تقديم ذكر الزانية على الزاني للإشارة إلى أن هذه الفاحشة تمت بالتراضي ولا يوجد هناك أي إغتصاب.

العقوبة الجسدية الثانية في الرسالة المحمدية هي ما نصت عليه الآية: ٤ من سورة النور، وهي ما يعرف بقذف المحصنات، بمعنى أنه إذا تم إتهام امرأة ما بالزنا ولم يكن هناك شهود أربع فإن هذا الإتهام يعد قذف للمحصنات – حتى ولو كان الإتهام صحيحاً. فلو شهد ثلاث أشخاص ولم يكن هناك شخص رابع فإن كل واحد من هؤلاء الثلاثة يتم جلده ٨٠ جلدة ولا يقبل له شهادة بعد ذلك.

كيف طبقت هذه الجريمة منذ الرسالة الخاتمة وحتى اليوم؟ لقد كان تطبيقها في التاريخ الإسلامي محدود جدا، بل وطلب ممن اعترف باقتراه هذه الفاحشة أمام الرسول بسحب اعترافه قبل تطبيق الحد عليه فيما نسبت للرسول من أحاديث.

٣ – عقوبة السرقة "القطع"

قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ المائدة: ٣٨، وضع الله "القطع" كحد للسرقة، أي قطع يدي من

يقترف هذه الجريمة.

لقد شرحنا وفصلنا سابقا ما هو المقصود بقطع اليد، وقلنا أن القطع هنا يعني كف اليد وليس البتر. فانه سبحانه وتعالى لم يحدد من أين تقطع اليد، كذلك جاء قوله أَيْدِيَهُمَا بالجمع ..

ما أريد أن أوضحه هنا، أن قطع اليد ليس عقوبة جسدية، وإنما هي عبارة عن **كف اليد** ويكون ذلك بالسجن أو بأي طريقة يراها المجتمع. وهذا ما نراه في كل دول العالم .. هذه هي الفطرة.

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الروم: ٣٠

فعلا الناس فطروا على تطبيق شرع الله دون أن يدروا.

هذه هي العقوبات الجسدية التي وردت في الرسالة الخاتمة. عقوبة إعدام واحدة "القتل دون إسراف" **والجلد ١٠٠** جلدة لمن ارتكب فاحشة الزنا أو ٨٠ جلدة لمن اتهم امرأة بالزنى ولم يأت بشهود أربع.

من هنا نرى أن الرسالة المحمدية جاءت تصديقا لقوله تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))، هذه الرحمة نراها ونحن نقارن بين ما جاء من تشريع في الرسالة الخاتمة مع التشريعات التي جاءت في الرسائل السابقة. وبالتالي هذا الدين وهذه الرحمة تتنافى مع القاعدة الشرعية التي تقول ((**الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ**)) .. أين المشقة في الرسالة المحمدية والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

﴿ . وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . ﴾ الأعراف: ١٥٧

ما حصل أنَّ الفقهاء أدخلوا الإصر والأغلال بإعتمادهم مقولة ((**شريعة من قبلنا شريعتنا**)) ولقد رأينا كيف هي شريعة من قبلنا، بالتالي أدخلوا القاعدة الشرعية ((**الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ**)) .. إذا كانت المشقة حالة خاصة لوضع شخص ما، فهي ليست من الرسالة، وبالتالي لا يمكن أن توضع كقاعدة تعمم على كل الناس.

لقد كان الإعتماد على مقولة "**شرع من قبلنا شرع لنا**" السبب الرئيس للإصر الذي نراه في شريعتنا، وأمثلة ذلك كثيرة في الأحاديث التي نسبت للرسول صلى الله عليه وسلم، كالحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس ((**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**))، فقد تم فهم هذا الحديث من بقايا موروث شريعة موسى.

إنَّ الرسالة الخاتمة جاءت رحمة للعالمين، ولقد رأينا الرحمة في التخفيف في الأحكام بين شريعة موسى وما جاء به الرسول الأعظم. لكن ما نعني حين نقول أن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

أخاتمية تعني أن الرسالة المحمدية قد أقفلت باب المحرمات تماما. فالحرام كونه من عند الله فهو شمولي وأبدي – ولقد ختمت المحرمات مع الرسول الأعظم وهنا تظهر حاكمية الله، وهذا ما سنفضله في الصفحات التالية.

أقول حاكمية الله هي حصرا في المحرمات والتي جاءت مفصلة في التنزيل الحكيم. الله سبحانه وتعالى لم يعطِ الحق لأحد أن يضيف محرما واحدا على تلك المحرمات التي حددت في الرسالة الخاتمة وأي تحرير جديد يحتاج لرسول جديد. المحرمات إذا لا تزيد ولا تنقص.

كل مجامع الفقه، كل البرلمانات، كل الفقهاء وكل الإستفتاءات لا تستطيع أن تحلل ما حرم في كتاب الله أو أن تضيف حراما جديدا لم يرد ذكره في التنزيل الحكيم. إن من يقول أن الدخان حرام يكون قد وضع نفسه مكان الله – الإنسان ممكن أن يمنع التدخين لكن لا يحق له أن يحرمه.

يقول البعض لكن الله عز وجل يقول ﴿... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ...﴾ الأعراف: ١٥٧ ألا يمكن أن نعتبر

الدخان من الخبائث وأن نعتبره من المحرمات. أقول لا .. لأن الآية تقول أن الله أحل الطيبات وحرم الخبائث. إذن الخبائث هي ما حرمها الله والطيبات هي ما أحلها الله، أي إن لحم الخنزير والميتة والدم ... من الخبائث. هكذا نفهم الآية الكريمة.

كذلك حين يقول عز وجل ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ

لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ النور: ٢٦ فإن هذه الآية ليس لها علاقة بالزواج كما هو المفهوم السائد عند

أكثر المسلمين. ما هو المقصود بهذه الآية إذا؟

نقول أن لحم الخنزير من الخبائث، وبالتالي فإن من يأكل لحم الخنزير يكون من الخبيثين والخبائث. أيضا لحم البقر من الطيبات (حلال) وبالتالي من يأكل لحم البقر يكون من الطيبين والطيبات. إذا فهما أن للآية علاقة بالزواج، فإن الآية وحاشى الله تفقد مصداقيتها، فكم من خبيث حسب مفهومهم تزوج من طيبة، وكم من طيب تزوج من خبيثة.

إذا حين وصل الإنسان إلى مرحلة صار فيها قادرا على أن يشرع لنفسه إنقطع إتصال السماء بالأرض، فلا نبي ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم. مع الرسول الخاتم صارت المعرفة الإنسانية قادرة على التراكم والنشريع وصار للضمير الإنساني دور أساسي، وهذا نراه في أحكام الرسالة الخاتمة. في شريعة موسى كان حكم عاق والديه أو من يشهد زورا الإعدام، لكن مع الرسول الأعظم أمرنا الله أن نبر والدينا وأن لا نشهد زورا دون أن يترتب أي عقاب على من يخالف تلك الأوامر، وإنما ترك العقاب لله، ليوم الحساب.

يقول أحد المفكرين:

((لقد انغلق العقل المسلم على نفسه فأسمى الطرح العقلاني كفرا، والإفتراض تناقضا مع الأيمان، والبحث العلمي خرقا لدائرة المقدسات والمُسلّمات، حتّى بلغ الحد ظهور تيارات فكرية تكفيرية تطلق الأحكام على كل من لا يسير على دربها أو يأتي بما يخالف نصوصها)).

لذلك هناك نزعة مادية تريد أن تضع العقل الإنساني أو الضمير الإنساني مكان الشرع. فكيف ترد على من يقول ذلك؟

يرد الدكتور محمد شحرور: " أنا لن أخرجَ عَمَّا شُرِّعَ في كتاب الله بنداً واحداً".

والآن بعد أن رأينا الرحمة وأدركنا قيمتها حين قارنا الشرائع السابقة بالشرعية المحمدية، وفهمنا الخاتمية على أنها إقفال المحرمات نسأل: أين تكمن ملامح العالمية في الرسالة الخاتمة؟

قال تعالى ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

الأعراف: ١٥٨

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وردت كلمة إليكم لأنَّ هناك جميعا وهناك أجمعون، وجميعا غير أجمعون.

ولكن لماذا قال النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ هنا، الجواب ليقول لنا أنَّ هذا النبي لا يحمل أي من الشرائع السابقة

أعني شريعة موسى أو عيسى عليهما السلام. فلفظة الأمي كانت تطلق على من لم يكن يهوديا أو نصرانيا. وبالتالي ألغيت كل الإصر والأغلال التي كانت موجودة في الشرائع السابقة.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ يؤمن بالله وكلماته، وليس كلامه، والفرق كبير بين كلمات الله

وكلام الله. هذا الوجود هو كلمات الله وقوانينه، وهذا النبي الأمي جاءكم وعنده رسالة عالمية، وأنتم في المستقبل ستدرسون كلمات الله بشكل أفضل. إذن:

الله حق (خالق الوجود)، "لقد شرحنا سابقا ما معنى الحق"

كلمات الله (الوجود)، "قوله الحق"

إذا هناك إيمان بالله – ألحق، الذي له وجود موضوعي خارج أوعي الإنسان. وهناك إيمان أيضا بالوجود المادي والذي هو كلمات الله.

البشرية أخذت العالمية بالشرائع

الطلاق مثلا كان في بعض المجتمعات ممنوعاً، لكن تلك المجتمعات اضطرت للسماح به. نرى

كيف أن الله سبحانه وتعالى حين ذكر الطلاق قال عز وجل: ﴿يَتَّيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ...﴾ الطلاق: ١ لاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

ونحن نعرف أنَّ الفعل بعد إِذَا يكون حتمي الوقوع.

أيضا حين تم الحديث عن تعدد الزوجات قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَنِ

فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ النساء: ٣ لاحظ أنه استخدم **وَإِنْ** لأن الفعل بعد "إن"

إحتمالي الوقوع، وهذا دليل على أن ظاهرة تعدد الزوجات ممكن أن تلغى، وهذا ما نراه حيث أن التعددية في معظم المجتمعات آخذة في التناقص حتى أن بعض المجتمعات تنظر نظرة دونية لمن يتزوج بأكثر من واحدة.

أيضا نقل الأموال في كل الدول يتم بطريقتين إما بـ "الوصية" أو بـ "الإرث".

إذا نظرية الحدود التي جاءت بها تشريعات الرسالة الخاتمة تتبعها تشريعات كل أهل الأرض. هناك حدود للسرعة، حدود للضرائب (حد أدنى وحد أعلى) وكلما ارتقت البشرية أكثر كلما اعتمدت الحدود في تشريعاتها وكلما اقتربت أكثر من الإسلام. هنا نرى العالمية.

والعالمية أيضا هي الضمير الإنساني. لا يمكن أن يظهر ما يعرف بحقوق الإنسان أو "جمعيات حقوق الإنسان" لولا إرتقاء البشرية وصحوة الضمير.

البشرية آخذة في التطور، وكلما ارتقت كلما كانت أقرب إلى الإسلام، ولذا فإن الحديث الوارد في الصحيحين على لسان أبي هريره: **"خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"** – لا أعتقد أن الرسول قد قاله، لأن هذا الحديث يُقر أن البشرية تسير إلى الوراء، ولو كان الأمر كذلك فلا بد من رسول جديد.

للأسف في العقل المسلم اليوم التاريخ يسير إلى الوراء! بعد أن صيغ الفكر الإسلامي كفر فقهي، استقال العقل تماما.

ابن رشد، ابن سينا، ابن الهيثم، البيروني ... لم يساهموا في صياغة العقل العربي الجمعي. لا يوجد لهم وجود في العقل العربي الجمعي – لم يتأثر بهم. لكنه بالمقابل تأثر بالغزالي والشافعي وابن حنبل وابن عربي ... وهؤلاء هم من صاغوا هذا العقل الفقهي. هذا العقل لا يستطيع أن ينتج المعرفة، وللأسف هذا ما نراه في واقعنا اليوم.

العقل العربي يبحث عن الحلال والحرام ولا يبحث عن المعرفة.

الدين والسلطة

الحاكمية – ٤

بعد أن بينا الفرق بين الشرائع السابقة للرسالة الخاتمة – سواء كانت شرائع وضعية كشرعية حمورابي أو شريعة سماوية كشرعية موسى عليه السلام، ورأينا كم كانت قسوة عقوبات الإعدام والعقوبات الجسدية مقارنة مع رسالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وكيف استحققت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أن تتصف بالرحمة والعالمية والخاتمة.

من هنا سننطلق لنتحدث عن الحاكمية كما فهمناها في الرسالة الخاتمة. وكيف نحكم بما أنزل الله؟ كيف يطبق حكم الله؟ ومن له الحق بالتشريع؟

يرى الدكتور شحرور أن للحاكمية مستويات ثلاث، ولكل من هذه المستويات مجاله الذي يعمل فيه. هناك حاكمية إلهية، وهناك حاكمية إلهية إنسانية مشتركة وهناك حاكمية إنسانية. حين يتحدث الدكتور شحرور عن الحاكمية فإن المقصود هو التشريع.

١ - حاكمية الله

قلنا أن الحاكمية عبارة عن تشريعات، أي إن الشرائع لا تدخل ضمن التشريعات. الشرائع لها وضع خاص وأي مخالفة لأي شريعة من الشرائع التي كلف الله الناس بها، فإن ذلك لا يستوجب أي عقاب دنيوي، ولا علاقة للسلطة بذلك.

كون الحاكمية عبارة عن تشريعات هناك جزء من هذه التشريعات مختص بالله وحده، ولا يوجد لأي شخص أو سلطة علاقة بها.

التنزيل الحكيم فصل بينها وبين المنهيات. في التنزيل الحكيم هناك ﴿... وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾

وهناك ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) الإسراء: ٣٣

هذه غير تلك (التجسس غير القتل – ولكل حكمه). المحرمات شمولية وأبدية، وهذا التشريع لا يملك الحق به سوى الله، وكون الرسالة المحمدية هي الخاتمة فقد أقفل باب المحرمات بها، أي أنه لا يحق لأحد بعد الرسالة الخاتمة أن يضيف محرماً واحداً لم يرد ذكره في التنزيل الحكيم، تماماً كما لا يحق لأحد أن يجلب محرماً واحداً ورد تحريمه في كتاب الله.

المحرمات الموجودة في التنزيل الحكيم هي فقط ما أراد الله تحريمه، والله سبحانه وتعالى لم يعط الحق لأحد من بعده بأن يحرم أو يحلل. الحرام شمولي وأبدي، وكل ما لم يرد تحريمه في كتاب الله فهو حلال، ولكن كيف يمارس الحلال هذا ما سنبينه حين نتحدث عن المستوى الثالث للحاكمية – أعني حاكمية الإنسان. إذن لا الرسول ولا مجامع الفقه ولا برلمانات العالم أجمعين لهم الحق بأن يضيفوا محرماً واحداً على ما حرّمه الله. أي تحريم جديد يحتاج لرسول جديد والرسول الجديد يحتاج لنبوّة ويحتاج إلى برهان أنه نبي.

المَحَرَّمَاتُ وعالمية الرِّسَالَةِ

أ. التَّوْحِيدُ

قال تعالى في سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ الأنعام: ١٥١ نحن نرى عالمية الرِّسَالَةِ المحمدية في قوله سبحانه

وتعالى، إذا لا يوجد برلمان واحد في العالم يخضع وحدانية الله للتصويت. بمعنى لا يوجد برلمان إنساني اقترح يوما من الأيام أن يستقني مواطنيه على أن الله موجود أو غير موجود، أو أن المجتمع سيبعد الله أو يعبد غيره.

ب. ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

أيضا نقول أن كل التشريعات الإنسانية، وفي دول العالم كلها لا يمكن أن تأمر بعقوق الوالدين. نحن لا نتكلم هنا عن أشخاص تبر الوالدين أم لا، نحن هنا نتكلم عن تشريع أي قوينة قانون يقول أن على الإنسان أن لا يبر والديه. هذا أيضا غير موجود لأن قانون كهذا يتناقض مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تقبل ذلك.

ت. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

هذا ما يقره العالم أيضا. لا توجد دولة واحدة في العالم تقول أن على الإنسان أن يقتل ابنه.

ث. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

قد يقول البعض أن هناك دول تسمح بالفاحشة .. أقول أن هذا ربما هو الحرام الوحيد الذي قد تم قوننته في بعض الدول، حين سمحت بعضها بما يعرف بالزواج المثلي. ربما هذا التجاوز الوحيد .. المشكلة ليست ممارسة اللواط أو السحاق أو الزنا، لأن هذه الممارسة كظاهرة موجودة في دول العالم كلها تقريبا .. ففي أي مجتمع تجد هناك من يمارس هذه الفواحش لكن المشكلة أن تتم قوننة هذا الفعل، أي أن ينص دستور البلد أنه يحق للفرد الذكر أن يتزوج من ذكر آخر أو أن يحق للأنثى أن تتزوج من أخرى.

هنا تم تجاوز حدود الله .. والله قادر على أن يدافع عن حدوده.

ج. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

لا يوجد مجتمع إنساني يسمح بقتل النفس الإنسانية، ولقد وضعت المجتمعات عقوبات لمن يفعل ذلك تتراوح بين الغرامة، والسجن لسنوات قد تصل حتى المؤبد وهناك من يقر بإعدام قاتل النفس. لكن ما نريد أن نقوله هنا أن الله سبحانه وتعالى قد شدد على أن الإصل في قتل النفس هو الحرام وأن القتل هو إستثناء وهذا ما بينه بأن ذكر تحريم قتل النفس مرتين. مره في بداية الآية حين قال

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .

قتل النفس أي نفس الأساس فيها الحرام والشواذ هو الحلال.

ج. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

المجتمعات الإنسانية قاطبة تهتم بالأيتام وترعاهم وتقيم المؤسسات لتعويضهم ما حرمتهم الحياة منه، وربما تجد الإهتمام باليتيم في البلدان (الكافرة) بدرجة أكبر بكثير منه في الدول الإسلامية. صحيح هم لا يفعلوا ذلك من منطلقات دينية، لكنهم يفعلوه من منطلق إنساني لأن فطرة الإنسان تدفعه لأن يعطف على اليتيم، وما الإسلام إلا دين الفطرة.

خ. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

هذه القيمة واضحة جدا في أيامنا هذه. فمنتجات الدول نرى عليها ملصقات تحدد ما هي المواد التي أدخلت في صناعة هذا المنتج، وما هو وزن ذلك المنتج وما هي مدية صلاحيته ومن يغش في هذه المعلومات يتعرض لعقوبات قانونية شديدة تبدأ بالغرامة المالية إلى السجن وقد تصل إلى إغلاق المصنع الذي ثبت تلاعبه بتلك المعايير. هذه القوانين الخاصة بالبيع والشراء والإيفاء بالكيل وعدم الغش في الإنتاج قوانين إنسانية موجودة في كل دول العالم. وكل الدول تحاسب من يخالف الالتزام بها.

د. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

لا يوجد برلمان واحد في العالم كله شرع أحقية شهادة الزور. كل دول العالم تقر أن من يثبت أنه قد شهد زورا فإنه يلاحق قانونيا ويعاقب بعقوبات تقرها تلك البرلمانات.

ذ. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾

أليمين ألقانوني .. هذا هو ما نجده في الدول كلها. إن الطبيب الذي يقسم يمين أبقراط عند تخرجه هو عهد عاهد به الطبيب الله على أن يحافظ على اسرار مرضاه وأن يساعدهم قدر استطاعته. كذلك اليمين الذي نقسم به أمام القضاة على قول الحق هو عهد بيننا وبين الله. إذا ثبت أن أي منا أخل بما عاهد الله عليه فإنه يتعرض للعقوبة.

هذه المحرمات التي ذكرها الله في سورة الأنعام: (١٥١ - ١٥٢) ونحن نرى أن القوانين الوضعية تقرها جميعا (باستثناء التسامح في بعض الدول بقوننة زواج المثليين).

ر. محارم النكاح

نتابع ما حرم الله في كتابه، ونذكر محرمات النكاح أي ما يعرف ب "نكاح المحارم"

لقد عدد الله محرمات النكاح في سورة النساء

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ

كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٦٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ

وَأَمَّهُتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأَمَّهُتُ
 نِسَائِكُمْ وَرَبِّبِيَّكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ
 بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
 أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
 سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ
 مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿٢٤﴾ النساء: ٢٢ - ٢٤

لا يوجد برلمان واحد في العالم شرع قانون يسمح به للرجل بأن يتزوج من واحدة ورد ذكرها
 ضمن أولئك اللواتي حرم الله الزواج منهن.
 حين نقول ذلك فإن ما نريد أن نوضحه أن المحرمات في كتاب الله تأخذ الطابع العالمي الأبدي.
 وهذا ما أقرته الشرائع الإنسانية.

محارم الأطعمة

قال تعالى

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ
 وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ
 وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
 تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
 الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٢٥﴾ المائدة: ٣

قد يقول البعض أنّ كثيرا من المجتمعات تأكل لحم الخنزير، أعود وأقول أنا هنا أتحدث عن قوننة أكل لحم الخنزير بمعنى: هل يوجد دولة في العالم تنص قوانينها أن على الإنسان أن يأكل لحم خنزير؟ أن تأكل لحم خنزير أو لا تأكل هذا أمر لا يخضع للتصويت.

البرلمانات الوضعية لا تتدخل في المحرمات إطلاقا، هنا العالمية .. عرفت ذلك أم لم تعرف!

أعود وأقول: لا يوجد تشريع في دولة واحد يقول إنّ من لم يأكل لحم خنزير يعاقب أو إن لم يمارس الفاحشة يسجن ..

ألربا

كنا قد فصلنا ما هو الربا، هنا نكتفي بأن نقول أن الحرام هو ربا الصدقات ومن يمارسه يعتقل.

السرقه

لا يوجد بلد واحد في العالم لا يعاقب السارق والسرقه هي ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

الآن وبعض أن استعرضنا المحرمات في كتاب الله، نرى أن بعض برلمانات العالم قد قوننت محرم واحد وهو "الزواج المثلي"، هنا تعدوا على حاكمية الله. إنّ ممارسة الحرام يختلف عن قوننته، فاللواط كظاهرة موجودة في أغلب المجتمعات، لكن أن يقونن اللواط فذلك هو التعدي على حاكمية الله.

قال تعالى

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ النحل: ١١٦

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الأعراف: ٣٣

إنّ تحليل الحرام لا يقل عند رب العالمين من تحريم الحلال.

ما هو عدد المحرمات في الفقه الإسلامي؟

إذا كان مجلس العموم البريطاني قد قونن الزّواج المثلي، ولعنة الله عليه على ذلك .. لكن بالمقابل كم أضاف الفقهاء من محرمات لم يرد ذكرها في التّنزيل الحكيم ولم يُحرّمها الله؟ أنا هنا أتحدث عما أجمع عليه الفقهاء على أنّه حرام. كيف يستوي ما ورد في كتاب "الكبائر" للذهبي، مع ما قاله سبحانه وتعالى في سورة النحل، الآية: ١١٦.

يقولوا أنّ بابا روما قائم مقام عن المسيح. وعندنا "المفتي قائم مقام عن الرّسول" كما يقول الشاطبي أو "موقع عن الله" كما يقول ابن القيم.

مهما بلغ الإنسان فإنه لا يحق له أن يحرم ما لم يُحرّمه الله. قالوا مثلاً: (لقد أجمع مجمع الفقه الإسلامي أن التدخين حرام) هذا غير صحيح. غير صحيح أيضاً أن الموسيقى حرام ولا الرسم والنحت .. هذه الفنون كلها ليست حراماً.

أن نقول أن الموسيقى الصاخبة ضارة على النفس ويجب وقفها – ونقدم الدليل على مضارها، فهذا ممكن وجائز. هنا نفهم الفرق بين التحريم والمنع.

من يتجاهل محرماً (ينتهك محرماً)، أو من يضيف محرماً .. سواء بسواء. كلاهما نصّب نفسه مكان الله. كلما كثرت المحرمات كلما كثّر الإصر والأغلال. التشديد على الناس عقوبة كما أخبرنا

سبحانه وتعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ

وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا

أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَنِيمٍ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٤٦﴾ الأنعام: ١٤٦

لذلك جاءت الرحمة في الرسالة الخاتمة لتصبح المحرمات شمولية – إنسانية – عالمية – أبدية يتقيد كل أهل الأرض بها.

كيف يُعقل أن يأتي الذهبي في كتابه "الكبائر" ليجعل عدد الكبائر ٧٦، والمصيبة الكبرى أن يجعل "النرد" من الكبائر، هل يستوي عقلاً أن يتساوى نكاح المحارم مع لعب النرد. من يقول ذلك مُشرّع سيء يجب أن لا يُسمع له وأن لا يكون له رأي.

كل المحرمات التي خارج التنزيل الحكيم لا يمكن أن تكون حراماً.

رب العالمين حدد لنا، وفصل لنا ما هو الحرام، وربّ العالمين لا يتسامح في مُحرماته بعضها يلزمه حدود وبعضها يلزمه توبة.

أعود لأكرر أن برلمانات العالم لم تتعد على هذه المحرمات (باستثناء تقنين الزّواج المثلي).

٢ – الحاكمية الإلهية الإنسانية

هنا يوجد الجانب الإلهي والجانب الإنساني أيضاً. جانب إلهي كونه ورد في التنزيل الحكيم، لكنه ورد بشكل نهى ولم يرد بشك تحريم، كما هي الحال في الحاكمية الإلهية. هناك فرق بين "النواهي" و "المحرمات".

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ...﴾ الأنعام: ١٥١

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ...﴾ الأعراف: ٣٣

والمحرمات كونها إلهية – فهي شمولية أبدية وقد جاءت في كتاب الله مفصلة

قال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ

عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ الأنعام: ١١٩

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾

الأنعام: ١١٤

أحكامية المشتركة كتشريع كيف نفهمها؟

(١) التجسس والغيبة

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُم بعضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

بَعضُكُمْ بَعضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهُ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ الحجرات: ١٢

الله سبحانه وتعالى نهى عن التجسس وعن الغيبة. ألتجسس كظاهرة شمولي وأبدي – لا يبطل، دائما موجود .. صفة لاصقة بالإنسان وبالمجتمعات الإنسانية والنهي عنها جاء في التنزيل الحكيم. الناحية الإنسانية في التجسس قد تكون ضرورة ولذا لا يوجد برلمان في العالم يقول إن التجسس ممنوع على الإطلاق، في نفس الوقت فإن البرلمان لا يسمح بالتجسس على إطلاقه. كل برلمانات العالم تحدد الشروط التي يسمح بها التجسس، وما هي الحالات التي يجوز فيها ذلك، أيضا ما هي الحالات التي يمنع فيها ألتجسس.

ألتجسس على العدو مسموح بل وضروري كي تعرف الدولة ما يحضر لها العدو من مفاجئات. ألتجسس على عصابات المافيا، على تجار المخدرات، على المجموعات التي تعد لأعمال إرهابية أمر ضروري يجب القيام به، وهذا أمر مشروع. لكن حتى في هذه الحالات فإن الدولة تحتاج لإذن رسمي من السلطة القضائية لتقوم بذلك والأمر ليس مفتوحا. ألتجسس إذا مقونن.

التجسس منهى عنه في الكتاب وليس محرم، لكن ممارسته ظرفية، ولقد مارس الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام التجسس على العدو وحدد شروط التجسس بالنسبة لعصره. وقد ورد بعض الأمثلة على ذلك في كتب السيرة – كسيرة ابن هشام.

إذا الإنسان والبرلمان يقوموا بقوننة ألتجسس.

كذلك بالنسبة للغيبة فإنها بالأمور العادية فإن الله نهى عنها ولا تجوز، لكن إذا علمت أن هناك من يسعى لغش الناس وسلبهم أموالهم بطريقة ما فعليك أن تحذر الناس وتخبرهم بذلك.

(٢) أكل الأموال بالباطل

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨) البقرة: ١٨٨

الله سبحانه وتعالى نهى عن أكل الأموال بالباطل. قوانين دول العالم تفرق بين "الرشوة" و"العمولة". فالرشوة هي ما نهى عنه وهي أكل الأموال بالباطل ومرتكبها يغرم في معظم دول العالم إن لم يكن فيها كلها، أما العمولة فهي أمر مشروع لا يترتب أي أثر على من يتقاضاها.

(٣) قتل النفس

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

﴾ (٢٩) النساء: ٢٩

الله يُحرّم قتل النفس إلا بالحق. ولكن ماذا بالنسبة لمن يقتل نفسه؟

إذا كان الإنسان يقتل نفسه بهدف قتل الآخرين، فحكمه هو حكم قاتل النفس ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٣) النساء: ٩٣

لكن إلى الآن الإنسانية تعاني من مشكلة القتل الرحيم. هناك من يقول بجواز هذا النوع من القتل، وهناك من يحرم ذلك أي إن هناك من يقوّن إمكانية القتل الرحيم إذا كان الإنسان يعيش مرضاً قاتلاً لا أمل منه بالشفاء ويعاني نتيجة ذلك المرض آلام لا تُحتمل.

(٤) دخول البيوت بأذن أهلها

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) النور: ٢٧

الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نستأذن أصحاب البيوت قبل دخولها، لكن القانون قد يسمح في حالات ما بدخول البيوت دون استئذان – دون أن تستأنس أو تسلم على أهلها. هذا الأمر يحصل كثيراً عند

وجود مذكرة تفتيش. من يضع هذا القانون الذي يسمح بدخول البيوت دون إذن ومن يضع الشروط لذلك .. القوانين الوضعية (الإنسان).

(٥) دخول البيوت من أبوابها

﴿... وَلَيْسَ إِلَهِ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْإِلَهِ مِنَ الْأُفُقِ وَأَتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ البقرة: ١٨٩

لدفع ضرر أو جلب مصلحة فإن البيوت قد تُؤتى من أي مكان. ولكن من أجل ذلك لا بد لك من قانون يسمح لك بذلك، كأن يسمح في حال المداخلة لإعتقال قاتل أو مهرب أو عميل. من يضع هذا القانون؟ الإنسان.

(٦) الخمر والميسر

لو نظرنا إلى دولة مثل الولايات المتحدة مثلاً فإننا نرى أن القمار مسموح به فقط في لاس فيغاس، لكن اليانصيب (اللوتو) مسموح به في كل الولايات. فرقوا بين الإثنين .. اعتبروا أن اليانصيب

ليس من القمار. فهل بالإمكان أن يُقال ذلك. يقول تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ

بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ المائدة: ٩١ .. ألميسر المنهي عنه هو الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل يصد اللوتو عن ذكر الله وعن الصلاة؟ كذلك فإن اللوتو لا يوقع العداوة والبغضاء بين الناس.

الفكر الإنساني فرق إذن بين الميسر واللوتو، ما يصيغه الإنسان في رقيه وتقدمه يتمشى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها. الضمير الإنساني موجود وإن كان تأثيره ليس كما يجب.

(٧) التشهير

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا ضَآءٌ مِّنْ ضَآءٍ

عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ

الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ الحجرات: ١١

البشرية تفرق بين قول الحقيقة وبين التشهير. فنحن نرى الصحافة مثلاً كيف تنتشر أموراً تطال بعض الشخصيات العامة.. هذا الأمور إذا كانت حقيقة فإن السلطة قد تلاحق المعني بالأمر. أما إذا كانت تلك الأمور إقتراء فإنها تعتبر تشهير ويلاحق ناشرها قانونياً.

(٨) الأمانات والعدل

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨

هناك أمرين:

- أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
- أن تحكموا بالعدل بين الناس

هناك قانون يبين كيف تؤدى الأمانات. أيضا ألحكم بين الناس، فإن الإنسان نفسه هو من يقونن الشروط العدلية التي يتم الحكم بها.

رب العالمين يعطينا القاعدة في الأوامر والنواهي، للتطبيق الإنساني ظرفي ينطبق عليه (تغيير الأحكام بتغيير الأزمان) فلو أخذنا التجسس كمثال فإن هذه الظاهرة موجودة في كل العالم، والله سبحانه وتعالى نهانا عن التجسس. لكن ظروف السماح به تختلف من بلد إلى بلد آخر.

قد يتساءل البعض، طالما أن البشر قد تطورت بهذا الشكل. هل كان ممكن أن تصل إلى ما وصلت إليه بوجود الدين أو عدمه؟ لماذا نضع كل شيء على الفطرة والتطور؟ أين دور الدين؟ أليس الدين هو ما ارتقى بالبشرية لتصل إلى ما وصلت إليه؟

هذه الأسئلة سنحجب عليها بعد أن نتناول المستوى الثالث من الحاكمية، أعني الحاكمية الإنسانية.

٣ حاكمية الإنسان

مجالها تنظيم الحلال.

الحلال لا يمارس بشكل مطلق إلا إذا كان الإنسان يعيش وحيداً. غير ذلك فإن الحلال لا يمارس إلا مقيد. أبيع، ألسفر، أأشراء، ألتعليم كل حلال لا نمارسه إلا بشكل مقيد.

قيادة السيارة من العمل إلى البيت حلال! لكن حين نقود السيارة فإن هناك قانون للسير علينا أن لا نتعدها. هذا القانون يحدد لنا ما هي السرعة الممنوع تجاوزها، يلزمنا بالوقوف على الضوء الأحمر، يفرض علينا أن نضع حزام الأمان أثناء القيادة، كما أنه لا يسمح لنا إلا بعدد محدد من الركاب داخل السيارة، وفي حال وجود أطفال فإن إحتياطات معينة يجب ان نقوم بها. إن أي مخالفة أو تجاوز لهذه القوانين والتي يضعها البشر تفرض علينا غرامة نؤديها، لكن لا نقول بأن أي إنسان خالف أي من تلك القوانين أنه ارتكب حراماً.

أيضا بناء المنزل حلال، ولكن إن أردنا أن نبني بيتاً فإن قوانين البناء تلزمنا بشروط لا يمكن تجاوزها، كمكان البناء، إرتفاع البناء، المساحة المسموح بالبناء عليها، وأحياناً لون الدهان المسموح به. هذه القوانين لا علاقة لله بها ورغم أن الأصل في البناء الحلال إلا أننا لا نستطيع القيام به إلا ضمن تلك القوانين التي وضعها المجتمع. الحلال لا يمارس إلا مقيد.

الأمر نفسه، لمن أن يريد أن يشتري سيارة مثلاً. أأشراء بذاته حلال، لكن هل يستطيع الإنسان أن يشتري السيارة كيف يشاء. الدولة تحدد ما هي السيارات المسموح بإستيرادها، وما هي سنة إنتاج السيارة، وما هي الضريبة التي يجب أن يدفعها لمن يريد أن يشتري سيارة من الخارج. هناك

قانون التجارة الخارجية الذي يحدد الشروط التي يجب أن تتوفر لإسّيراد السيارة. هذه القوانين يحددها المجتمع، ولا علاقة للتشريع الإلهي بها.

إذا التشريع الإنساني مجاله الحلال، وهو غير أبدي تنطبق عليه قاعدة تغير الأحكام يتغير الزمان والمكان. فالله لن يرسل لنا رسولا ليعلمنا كيف يكون قانون السّير.

الرسول الأعظم مارس تقييد الحلال.

عندما يقول الفقهاء تقييد المطلق وإطلاق المقيد فإنّ الحديث يدور حول الحلال.

كل برلمانات الأرض تقيّد الحلال ولها قوانينها.

نقول أن دول العالم كلها، من أكبرها كالصين إلى أصغرها كموناكو نجد فيها هذه المستويات الثلاث للحاكمية وإن لم تكن تقوم بها من منطلق ديني. هنا نرى عالمية الرسالة المحمدية. تشريعات الله لا تخضع للتصويت. لا يوجد أحق في العالم يخصصها للتصويت.

الآن حين ينادي البعض بدولة إسلامية، ما هو شكل تلك الدولة؟

قلنا أنّ مستويات الحاكمية الثلاث موجودة في دول العالم كلها، ماذا سيميز هذه الدولة التي ينادوا بها عن بقية الدّول؟ لكن المشكلة أنهم حين يقولون دولة إسلامية فإنهم يعنون الشّعائر وليس التشريع.

نحن الآن نعيش عصر ما بعد الرسالات. الأمور التي تحدثنا عنه اليوم هي تحصيل حاصل، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لمن عاصر حمورابي مثلا.

الإنسان انفصل عن المملكة البهيمية، ولا يوجد شيء اسمه الضمير البهيمي. الإنسان ترقى وترقى حتى جاءت الرسالة المحمدية وأصبح الضمير الإنساني في وضع قادر على أن ينمو ويستوعب هذه الأمور. يجب أن نع تماما أننا اليوم لسنا كقوم لوط ولا كقوم صالح عليهما السلام. نحن نسمع اليوم بشيء اسمه حقوق الإنسان، أمنا بذلك أم لم نؤمن به، هل سمع أقوام لوط وصالح عليهما السلام بذلك. اليوم عندما جمعيات المحافظة على البيئة، هل كان هذا المفهوم سائدا في عصر لوط أو صالح أو حتى في عصر الرسول الأعظم؟

الحاكمية الإنسانية تخضع لقانون تغيير الأحكام بتغيير الأزمان حتى لو كانت تلك الأحكام صادرة من الرسول الأعظم. الرسول قيّد الحلال في عصره، لكن هذا التقييد ليس أبديا. الرسول الأعظم نفسه لم يكن يعتبر ذلك أبديا كما تخبرنا كتب الحديث عَنْ مَالِكٍ عَنْ رَبِيعَةَ بِنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ لَحْمًا فَقَالَ انْظُرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ لُحُومِ الْأَضْحَى فَقَالُوا هُوَ مِنْهَا فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا فَقَالُوا إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَكَ أَمْرٌ فَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَأُخْبِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضْحَى بَعْدَ ثَلَاثِ فُكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَانْجَرُوا وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْإِنْتِبَازِ فَانْتَبِذُوا وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا يَعْني لَا تَقُولُوا سُوءًا.

إذا هناك:

حاكمية الهية (حقها ما حرم الله)، حاكمية إلهية إنسانية (حقها النواهي) وحاكمية إنسانية (حقها الحلال – تقييد أو إطلاق).

الدين والسلطة

أحكامية – ٥ "أنواع السلطات"

قلنا أن هناك ثلاث مستويات للحاكمية:

- حاكمية إلهية (في الحرام)
- حاكمية إلهية إنسانية (النواهي)
- حاكمية إنسانية (في الحلال)

رب العالمين أعطى الإنسان هذه الصلاحية ليشرّع، ما هي حدود هذه الصلاحية التي أعطاها الله للإنسان؟

رب العالمين في موضوع المحرمات ركز على الضمير الإنساني، الإنسان نفسه يمارسها أو يمتنع عنها دون إكراه.

عندما أراد المجتمع الإنساني أن يمنع التدخين، تعلموا من الله دون أن يدروا كيف يقوموا بذلك. لقد استمرت حملات التوعية على مضار التدخين طوال سنوات حتى وصل الضمير الإنساني إلى مستوى يتقبل فيه ذلك المنع إرادياً. هذا مثال يوضح لنا تدرج الرسالات وتربية الضمير.

ألتشريع يوازي الوعي الإنساني، حتى إذا صدر القانون تجد الإنسان يلتزم به من تلقاء نفسه دون رقيب، كقانون السير، وزيارة المرضى في أوقات محددة...، كذلك فإن رب العالمين من خلال تدرج الرّسالات قد ربّى الضمير الإنساني ليصل إلى درجة الإمتناع عن المحرمات إرادياً.

رب العالمين حين رفع العقوبات عن المحرمات باستثناء قتل النفس التي جعل عقوبة الإعدام فيها عقوبة قصوى فقد أشار إلى أن الضمير الإنساني ينمو لوحده ليصبح قادراً على الخيار الصحيح. فاليوم نرى أن المجتمع الإنساني بشكل عام لا يقبل المحرمات وينظر نظرة دونية لمن يقوم بها ويمارسها.

إنّ فهمنا لتدرج الرّسالات السماوية يُظهر جلياً أنّ علم الناسخ والمنسوخ، كما ورد في التراث ليس أكثر من وهم.

السُّلطة

ألسلطة أنواع. هناك سلطة تمتلك أداة إكراه وهناك سلطة لا تمتلك أداة إكراه.

سلطة الأب والأم هي سلطة لا تمتلك أداة إكراه، أداة الإكراه هي الإحترام والطاعة، لكن من يخالف ذلك فليس هناك من وسيلة أو قانون يعاقبه. أما في شريعة موسى فقد رأينا أنّ عاق والديه يُقتل. هنا يوجد أداة إكراه حيث أنه لا خيار لكل ولد عاق سوى الموت. لكنّ الشريعة الخاتمة وإن أمرتنا ببر الوالدين فإنها لم تضع أي عقوبة لمن لا يبر والديه.

هناك سلطات أخرى بلا إكراه، كسلطة المجتمع التي تفرض على الإنسان ممارسة أمور معينة بطرق معينة صارت عرفاً بالنسبة للمجتمع (العادات والتقاليد)، كذلك سلطة العائلة وسلطة القبيلة والعشيرة – هذه كلها سلطات بلا إكراه.

نحن سنتحدث عن السلطة التي فيها إكراه وسنرى هل ممكن أن تحكم هكذا سلطة بإسم الدين؟

قال تعالى

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ

بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥٦﴾ البقرة: ٢٥٦

لا نافية. جنس الإكراه في الدين غير موجود. هناك أمر ونهي في الدين ولكن لا يوجد إكراه. لما

تكبر إبليس عن السجود قال تعالى ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ص: ٧٥ "منع" يعني أن هناك أداة إكراه.

الإكراه غير موجود في الدين، والسلطة التي لا تملك أداة إكراه فهي ليست بسلطة.

الشريعة الخاتمة نفت جنس الإكراه في الدين واعتمدت على ضمير الناس الذي لا يكره على الإيمان ولا يكره على الكفر.

المجتمعات سمّت السلطة التي تملك أداة إكراه "السلطة التنفيذية".

أي سلطة تملك أداة إكراه لا يحق لها أن تأخذ شرعيتها من الدين، لأن الإكراه غير موجود في الدين.. الدين لا يعطي شرعية إكراه. السلطة التي لديها جيش وشرطة وتمارس الإكراه على الناس هذه قطعا ليست سلطة دينية ولا يحق لها أن تدعي أنها استمدت شرعيتها من الدين. الشرعية في هذه الحال إما من الناس إذا كانت بالانتخاب أو بالإكراه إذا كانت بانقلاب عسكري، لكنها ليست من الله.

ولكن في نفس الوقت هناك حاكمية إلهية، والحاكمية تشريع كما بينا، وبالتالي فمن يشرع يجب أن لا يملك أداة الإكراه. المجتمعات الإنسانية فهمت هذا ولذا ظهر مفهوم فصل السلطات. وهنا نرى أيضا عالمية الرسالة.

لكن السلطة التشريعية هي ليست الفقهاء. السلطة التشريعية هي البرلمانات ومجالس الشعب التي تضع القوانين لضبط المجتمع، ولكن على هذه السلطة أن لا تتجاوز الحاكمية الإلهية بأن تبيح حراما أو أن تحرم حلالا. لكنها تستطيع أن تأمر وتنهي. مثلا الله أحل الزواج من أكثر من واحدة ولكن إذا رأى برلماننا أن هذا الأمر أصبح ضارا للمجتمع فإنه يستطيع أن يشرع قانونا ينص على عدم الزواج من أكثر من واحدة وفي حالة مخالفة أحد المواطنين هذا القانون فإنه لا يعاقبه بالزنا ولكن يعاقبه لأنه ارتكب مخالفة قانونية.

المجالس التشريعية لا يوجد في ذهنها الحرام والحلال ولكن يوجد السماح والمنع، وهناك تناقض رهيب بين ألفقه والتشريع. قد يتفق الإثنان على أمور عديدة ولكن المبدأ ليس هكذا.

إذا السلطة التشريعية تسن القوانين، لكنها لا تملك أداة إكراه لتعاقب من يخالفها. هنا يأتي دور السلطة التنفيذية (التي تمتلك الجيش وقوات الأمن)، هذه السلطة بما أنها تملك أداة الإكراه فإنه لا يحق لها أن تشرع.

من يفصل بين السلطتين؟ هنا ظهر مفهوم وضرورة وجود السلطة القضائية بدءاً من المحاكم وحتى المحكمة الدستورية العليا. هذه السلطة القضائية، تراقب عمل السلطات (التشريعية والتنفيذية) بحيث لا تتعدى إحداها على الأخرى وتفصل بينهما في حال حصول أي خلاف.

إذا هناك ثلاث سلطات:

- السلطة التشريعية (تسن القوانين ولا تحكم)
- السلطة التنفيذية (تعمل على تنفيذ القوانين ولا تُشرع)
- السلطة القضائية (تحكم بين المواطنين وبين السلطات في حال الخلاف)

لو أنّ الفقهاء أنفسهم اهتموا بالشعائر لسارت الأمور كما يجب لكنهم جعلوا المواطن ضائعاً بين القانون وبين الحلال والحرام.

كيف استنتجنا وجود هذه السلطات الثلاث؟

قال تعالى: "لا إكراه في الدين" وفي نفس الوقت هناك حاكمية إلهية، حاكمية إلهية وإنسانية وحاكمية إنسانية، والحاكمية تشريع، فكيف نوفق بين هذين الأمرين؟

الدين فيه تشريع ولا يوجد فيه إكراه، وبالتالي يجب فصل الإكراه عن الدين.

من يُشرّع لا يملك أداة الإكراه، ومن يملك أداة الإكراه لا يُشرّع، وهناك من يفصل بينهما، والإنسانية لم تخطئ بفصل السلطات. مرة أخرى نرى العالمية في الرسالة الخاتمة.

هناك سلطة رابعة لا تملك أداة الإكراه (أمر ونهي دون إكراه).

الصحافة، الإعلام، التلفزيون، مؤسسات المجتمع المدني، جمعيات حقوق الإنسان، النقابات ... هذه المؤسسات تراقب وتسلط الضوء على من يخالف القوانين من أجل رده عن ذلك، إلا إنها لا تملك القدرة على ممارسة السلطة من أجل منعه بالقوة. بالحقيقة هذا هو دور (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) – أو هكذا يجب أن يكون. هذه المؤسسات موجودة اليوم في معظم دول العالم. ومرة أخرى نرى عالمية الرسالة.

يتساءل البعض كيف ندافع عن الصحافة ونتغنى بحرية الصحافة في المجتمعات الأوروبية، ونحن نرى مدى الإساءة التي تعرض لها الرسول الأعظم من رسوم كاريكاتورية مسيئة ظهرت في الصحف الدانماركية أولاً، ثم في صحف أخرى في بلدان من المفترض أنها تُعد راقية ومتحضرة. أقول لا يمكن لأنسان قرأ القرآن وتدبره أن يسيء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولكن للأسف فإننا نحن كمسلمين قدمنا لهم المبرر وذلك من خلال الأحاديث المدسوسة في كتب التراث – سواء البخاري ومسلم والتي تعد أصدق الكتب عند الفقهاء بعد القرآن، حتى إن بعضهم يريد أن يقيم الحد على من ينكر حديثاً ورد في الصحيحين. قبل أن نلوم الآخرين لماذا لا نقوم نحن بإسقاط كل الأحاديث التي تسيء للرسول الأعظم من تلك الكتب.

تنظيم السلطات

- السلطة التشريعية (تُنتخب إنتخاب مباشر من الشعب)
- السلطة التنفيذية (تأخذ شرعيتها من السلطة التشريعية)

- السلطة القضائية (من أهم السلطات وأخطرها، ويجب أن تكون نزيهة لأنها نهاية السلطات) هذه السلطة لكي تكون صحيحة، يجب أن تؤسس السلطانان السابقتان على أسس سليمة. فساد السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية قد يؤدي إلى فساد في السلطة القضائية.

ما قلناه عن الحاكمية وعن السلطات الثلاث يلغي أسس الفقه التي حولت الإسلام من دين عالمي إلى دين محلي. "ألفياس" مثلاً على أي أساس اعتمد. كل ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم كان في تنظيم الحلال ولكن لم نفهم ذلك بل اعتمدناه أساساً نقيس عليه فسقطت عالمية الرسالة.

لا يوجد في الأسس التي وضعناها في قراءتنا للحاكمية أي قياس، ولا يوجد أساس للمندوب والمكروه.

أصول الفقه وضها الناس ولم يضعها الله. العلماء الذين وضعوا أصول الفقه كانوا علماء على مستوى القرن الثاني الهجري. لو أن الشافعي عاش في هذا العصر لخرج برأي جديد وفقه آخر. الأئمة عاشوا في ظل دولة كانت من أقوى دول العالم إن لم تكن أقوىها، ففهموا لتلك الدولة خاصة فقه الجهاد وفقه الدولة. فقه الدولة وفقه الجهاد التراثي لا يمكن أبداً أن يتناسب مع واقعنا الحالي. فقه الجهاد التراثي كان ممكن أن ينفذه المعتصم، ولكن لا تستطيع أن تنفذه القوى الجهادية المعاصرة، للأسف هذه المجموعات تعتمد على فقه القرن الثاني الهجري.

مفهوم دار الإسلام ودار الكفر في تلك الفترة كان واضحاً. فدار الإسلام كانت أقوى دولة، ودار الكفر هم الأعداء. وبالتالي لا يجوز أن يعيش مسلم في دار الكفر. المشكلة أنهم أسقطوا هذا المفهوم على زماننا فقالوا أنه لا يجوز على المسلم في هذا الزمان أن يعيش في أوروبا مثلاً.

أعود وأقول إن مفهوم الحاكمية والسلطات الذي طرحناه يلغي أصول الفقه التراثي.

يقول البعض أين نذهب بماضيها وتاريخنا وما شرع في مسألة الجهاد؟

عندما قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ البقرة: ٢٥٦

وفي آية أخرى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ...﴾ البقرة: ٢١٦

نسأل: هل القتال من الدين؟

هناك شيء في التنزيل الحكيم اسمه قوانين الحرب. في كل بلد أيضاً هناك قوانين اسمها قوانين الحرب. يجب أن نكون دقيقين جداً عندما نتحدث عن هذا الموضوع. الأمم المتحدة أيضاً عندها قوانين للحرب تحدد ما هو مسموح وما هو ممنوع. هل أشار التنزيل إلى قوانين خاصة بالحروب؟ الجواب: نعم.

لنر أولاً ماذا ورد في العهد القديم – سفر التثنية في هذا الموضوع

- ١٠ «جِئْ تَقْرُبْ مِنْ مَدِينَةٍ لَكَ تُحَارِبُهَا اسْتَنْذِعْهَا إِلَى الصَّلْحِ،
- ١١ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصَّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيَسْتَعْبُدُ لَكَ.
- ١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمِلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.
- ١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.
- ١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلْ

غَنِيمَةً أَعْدَانِكَ الَّتِي أَخْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ.
١٥ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَوْلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا.

سفر التثنية: الإصحاح ٢٠

يسأل الكثير لماذا قطع الرسول الأعظم رؤوس رجال بني قريظة؟ فقط بني قريظة!
الجواب واضح مما رد في سفر التثنية: الإصحاح ٢٠ (١٠ - ١٥) التي استعرضنا.

لقد عامل الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعد أن حكم فيهم سعد بن معاذ حسب شريعتهم فأمر بقطع رؤوس الرجال وسبي النساء والأطفال. هذا الحكم هو الحكم المنصوص عليه في العهد القديم. ما نفهمه من هذه الحادثة أنه في القتال فإنه يحق لك أن تطبق شريعة عدوك إن كانت شريعته أقسى من شريعتك.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢) ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤) ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥) ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢٦) ﴿وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٧) ﴿الأحزاب: ٢٢ - ٢٧﴾

في سورة المائدة قال تعالى

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢٨) ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٢٩) ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ المائدة: ٣٢ - ٣٤

أرى أن الآية ٣٤ من سورة المائدة قد نزلت في بني إسرائيل فهي جاءت في نفس السياق الذي يتحدث عن بني إسرائيل.

للأسف أطلقوا هذه الآية فقتلوا الألاف تحت باب الحراية.

بالمقابل نرى أن الرسول الأعظم قد عامل قريش بعد فتح مكة، حسب شريعته السمحة، فقال لأهل قريش بعد أن تمكن منهم "إذهبوا فأنتم الطلقاء". ألقصص القرآني يؤخذ منه العبر.

قوانين الحرب في الإسلام

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ البقرة: ١٩٤

هنا تشير **وَاتَّقُوا اللَّهَ** تشير إلى حالة المسلمون فيها أقوى من اعدائهم وانتصروا عليهم في هذه الحالة أن لا ينكلوا وينتقموا. أما الآية التالية فتشير إلى الحالة التي فيها المسلمين أضعف.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ البقرة: ١٩٥

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥

﴿وَإِن عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦

الرسول الأعظم استعملها مع مشركي العرب فقد صبر عليهم

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَاغٍ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ۖ

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ محمد: ٤

هنا الحرب ابتدأت، إذا كان عندك إمكانية الأسر فتأخذ أسرى.

العقيدة القتالية الأساسية عندنا في الإسلام تحددها الآية الكريمة

﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعَدُّوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ البقرة: ١٩٠

العقيدة القتالية في الإسلام

يقول أحد المفكرين إن من يسيطر على المجتمعات اليوم ليس السلطة الدينية فحسب، ولذلك فإن من يتحمل مسؤولية ما حل بالأمة من ملومات ليس التيارات الدينية فقط، بل إن كافة شرائح المجتمع تشاركها المسؤولية.

أقول هذا السبب تاريخي بحت. هذه الأمة وقعت في الأمية السياسية بعد معركة صفين، وحسم الأمر لصالح الإمبراطورية والوراثة، حتى من بقي حيا من الصحابة اعتزل السياسة وجلس في بيته. ثم ابتليت هذه الأمة بالأمية الدينية بعد المتوكل عندما قام المتوكل وحاسب المعتزلة وقال لهم: "ألا يسعكم ما وسع الصحابة" وأرجع الأمر إلى أن كل ما لم يقله الصحابة فهو مرفوض، ورسخ مفهوم ما يسمى "أهل الحديث"، وأهل الحديث يقولون أكتاب والسنة، لكنهم حقيقة أعطوا الأولوية للسنة وليس للكتاب.

يقولون وهل قول المتوكل يجهل أمة؟

واقول: نعم. فإذا كان الصحابة قليلي السؤال، وكانت تعليقاتهم بسيطة وبالتالي فكل شيء لم يقله الصحابة أو أي موضوع لم يقل به الصحابة يجب أن لا نتكلم فيه. لقد أغلق المتوكل كل شيء، وإلى الآن فإن السلفية يحملون نفس هذا المفهوم. مفهوم الحركات الإسلامية السياسية السلفية هو إرجاع الناس إلى عهد الصحابة، وهذا ضرب من ضروب العبث والمستحيل. ولكن بنفس الوقت هم من سلطوا الاستبداد على الناس. لو اتخذنا حديث حذيفة بن اليمان كمثال:

(حديث مرفوع) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَسْكَرِ التَّمِيمِيِّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ . ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، قَالَ: قَالَ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرِّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَتَحَنَّنَ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ؟، قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنْوُونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رَجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ

الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ ، قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ ، وَأُخِذَ مَا لَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع "

أو الحديث ((أَطِيعُوا أَمْرَانِكُمْ مَهْمَا كَانُوا فَإِنْ أَمَرُوكُمْ بِشَيْءٍ بِمَا لَا آتِيَكُمْ، فَهُوَ عَلَيْهِمْ))

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِ أَيْمَتِكُمْ مِنْ شِرَارِهِمْ ؟ خِيَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَتَدْعُونَ لَهُمْ وَيَدْعُونَ لَكُمْ ، وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ " .

(حديث مرفوع) حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ يَتَسَمَّوْنَ وَيُجَبُّوْنَ السَّمْنَ يُعْطَوْنَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوا " .

هذه الروايات هي التي انتصرت .. خلال الثقافة التاريخية للعقل العربي الجمعي فإنَّ الحُرِّيَّةَ لَيْسَتْ قِيَمَةً. ألعقل العربي الإسلامي لم يتمثل الحرية كقيمة كالعرض أو كالشرف، بينما لبعض الشعوب فإن الحرية تعتبر قيمة كالعرض وربما أكثر.

ألرسول الأعظم آسى الكثير، عانى واضطهد وهاجر ومع هذا فإنَّ مهمته كانت لدرجة ما سهلة، وذلك لسبب واحد وهو أنه عليه الصلاة والسلام بُعِثَ في مكان ليس فيه مؤسسات. بعث في شبه جزيرة العرب حيث لا يوجد جيش ولا قوات أمن ولا سجون. لا يوجد دولة مؤسسات كما هو الحال عند الفرس أو الروم. لهذا لم يتم اعتقال الرسول أو سجنه – الله أعلم حيث يجعل رسالته. ألرسول صلى الله عليه وسلم بدأ من الصفر، لكنَّه لم يبدأ من تحت الصفر. تصور لو كان هناك دولة.

ألمؤسف إنَّ أي ثورة سياسية في القرن العشرين إلى الآن نتيجتها دكتاتورية. حتى المعارضة في الوطن العربي هي معارضة من جنس السلطة. المعارضة ببساطة: لماذا هو وليس أنا؟ لا يمكن أن يكون هناك تقدم إلى الأمام إلا إذا حدث تقدم ثقافي وثورة ثقافية. ألعربي يحتاج إلى قفزة وهذا دور المثقفين. للأسف المثقفين الإسلاميين لم يقدموا نظرية معاصرة في الدولة – كيف تُبنى الدولة الجديدة على أساس إسلامي؟

نعود إلى العقيدة القتالية في الإسلام

العقيدة القتالية لأتباع الرسالة المحمدية تقوم على أساسين:

١ – العقيدة القتالية أجماعية

٢ – العقيدة القتالية أفرديّة

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ الممتحنة: ٨

لاحظ هناك: ١. يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ و يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ (الوطن، الديار تعني أن هناك بيوت)

قال الشاعر قيس بن الملوح

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغف قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

من يدافع عن الوطن سوى أصحابه (المواطنون). أصحاب الوطن قد يكونوا من أتباع الرسول الخاتم أو أي رسول آخر – صلوات الله على رسله أجمعين. الحرب هنا وطنية، ولا يوجد أي مواطن مميز عن الآخر لأن الكل اصحاب الديار.

هنا نتحدث عن العقيدة الجماعية.

أما العقيدة القتالية الفردية فتكون ضد الإكراه. والإكراه أنواع وأعلى أنواع الإكراه عندما يُمارس بإسم الدين، لأن هذه السلطة ستكون سلطة مستبدة، قابعة بإمتياز. هذا لا يعني أن السلطات الأخرى ليست دكتاتورية.

الدين لا يعطي سلطة لأحد.

قناعتي الشخصية أن العقيدة القتالية الفردية هي من أجل أن تكون العبادة لله وحده، وأن لا يكره أحد أي شخص آخر على أن يتبنى أي عقيدة أي أن تكون أماكن العبادة كلها بجانب بعضها

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهْجَمَتِ صَوْمِعُ وَيَعُوجُ صَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ

كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الحج: ٤٠

إذا العقيدة القتالية الفردية هي رفع الإكراه عن الناس. وهناك العقيدة القتالية الجماعية حيث يقاتل المواطنون جميعا من أجل الدفاع عن الديار. ويجب أن نميز بين العقيدتين.

خلاصة القول: أي سلطة تستمد شرعيتها من الدين، أي دولة دينية بالمفهوم المعاصر – بالضرورة ستكون دكتاتورية، قمعية وفاسدة لأنه لا يوجد هناك من يحاسبها، ومن يحاول سيئهم بالردة. أفساد يكون في الدولة الدينية تماما كما يكون في الدولة الدكتاتورية.

يسأل البعض: كيف نفهم قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ آل عمران: ١٠٤

أقول هذا الدور مناط بالصحافة الحرة، المجتمع المدني، جمعيات حقوق الإنسان، النقابات ... ولقد فصلنا ذلك سابقا.

القصص القرآني

نوح عليه السلام

بين آدم ونوح

بين آدم ونوح حصل أمران هامان

- الأمر الأول اكتشاف النار. وهنا نقصد استعمال النار في أمور الحياة العامة وليس مجرد رؤية النار. فيبدو أنه كان لحرائق الغابات العامل الأساسي لهذا الاكتشاف.

قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ

تُوقِدُونَ﴾ (٨٠) يس: ٨٠ إذا تفيد التراخي في الزمن

- لقد كان لهذا الاكتشاف أمر هام إذ بسببه حول الإنسان الغرائز إلى شهوات، فقد أصبح يستعمل النار من أجل أكل اللحم مشويا بعد أم كان يأكلها نيئا. كما إنه أصبح يستخدم النار في التدفئة والإنارة.
- الأمر الثاني الذي حصل هو دفن الموتى. وقد حصل هذا حين قتل قابيل هابيل، وكيف بعث الله غرابا ليؤري غرابا ميتا، فتعلم الإنسان طريقة دفن الموتى. ولقد ورد في سورة

المائدة الإشارة لهذه الحادثة ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ

يُؤَرِّي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُتَوَلَّىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ

فَأُؤَرِّي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٣١) المائدة: ٣١ نلاحظ هنا

أن التعليم كان مُشخص، أي إن الإنسان كان يرى ما يحصل أمامه بعينه.

أمر ثالث مُشخص كان الطريقة التي اتصل بها رب العالمين بالناس. فمن آدم إلى نوح كان اتصال رب العالمين بالناس عن طريق النذر، ولقد كان الناس يروا أولئك النذر وكانوا يعلموا أنهم ملائكة مُرسَلون. والله سبحانه وتعالى يخبرنا أن ما من قرية إلا وارسل إليهم رسول وإلا كيف يحاسبهم رب العالمين ، قال تعالى

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤) فاطر: ٢٤

النذر جاءت لكل الشعوب القديمة، ولذلك نجد أن هناك أشياء سماوية عند كل الشعوب القديمة. صحيح أن هذه الأشياء تشوّهت مع الزمن وأصبحت نوعا من الأسطورة.

من هنا جاء مفهوم السلطة وأن الملوك أصلهم من السماء. إذا كانت الرسل تأتي إلى الأمم منذ عهد

آدم، وحتى مع نوح ظل استمرار نزول النذر وهذا ما نفهمه من قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْنِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) نوح: ١ وفي سورة

الشعراء قال تعالى

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥) الشعراء: ١٠٥، فنوح عليه السلام، كان شخص واحد، لكن الله سبحانه وتعالى يقول أن قوم نوح كذبوا المرسلين، لأنه كان هناك ملائكة مرسلين مع نوح عليه السلام.

ولقد استمر إرسال النذر حتى بعد نوح. قال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ،

بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) الأحقاف: ٢١ .. أناس كانوا يروا النذر وكانوا يعرفوا أنهم مرسلون.

أيضا جاءت النذر إلى إبراهيم عليه السلام. ثم تحولت النذر إلى بشر ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا

مَسْنِيَ الشُّوْءَ إِنَّا إِنَّا لَا نَذِيرُ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨) الأعراف: ١٨٨.

إذا نوح عليه السلام هو أول رسول من البشر ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ

وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...﴾ النساء: ١٦٣. ولقد بدأ الوحي الإنساني عندما تشكلت لغة بدائية

مجردة مكونة من مقطعين صوتيين، ومن مقاطع صوتية ثلاثة ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) الشورى: ١ - ٣

حَمَّ مقطعين صوتيين، عَسَقَ ثلاث مقاطع صوتية كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ .

إذا عندما أرسل نوح إلى قومه كان هناك لغة بسيطة فيها تجريد، مفرداتها ليست كثيرة. المفردات حسب الإستعمال "مؤلفة من مقطعين صوتيين ومن ثلاث مقاطع صوتية".

قوم نوح استغربوا أن يروا بشرا يُوحى إليه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُمُونَ

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُمُونَ﴾ (٢٣) فقال ألملأ الذين كفروا من قومه ما هنأ

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي

ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ المؤمنون: ٢٣ - ٢٤

إذا استغرب قوم نوح أن يروا بشرا يوحى إليه لأن الله كان يرسل نذرا إلى الأمم السابقة، ولذلك احتج الملأ من قوم نوح، وهنا إشارة إلى أنه زمن نوح كان المجتمع يتألف من طبقات.

عمر نوح

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ العنكبوت: ١٤

الاعتقاد السائد أن نوح عليه السلام لبث في قومه ٩٥٠ سنة (١٠٠٠ - ٥٠) وهو يدعوهم للإيمان وأن الإنسان زمن نوح كان يعيش كثيرا وأن طوله كان يصل إلى ٦٠ ذراعا. هذا الاعتقاد برأينا غير دقيق. الواقع لا يؤكد ذلك والإكتشافات الأثرية أيضا تنفي هذا المفهوم.

الديناصور انقرض منذ ٦٥ مليون سنة، وقد وجدت آثاره في أكثر من مكان. يقول البعض أننا

نحتج بالإكتشافات للدفاع عما نعتقد، نقول ولم لا والله أمرنا بذلك ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ العنكبوت: ٢٠ الذين قالوا عكس ما نقول هل ساروا في الأرض كيلومتر واحد.

نقول لم يتم إكتشاف أي آثار تثبت أن الإنسان كان يبلغ ذلك الطول .. اللهم حتى الآن.

أما بالنسبة لعمر نوح عليه السلام فنقول أن الله سبحانه وتعالى حين ذكر المدة التي لبثها نوح في قومه استخدم وحدتين للزمن: الوحدة الأولى السنة والوحدة الثانية العام.

نسأل هنا: عندما نقول أن الساعة الآن العاشرة إلا خمس، فهل هذا يعني أن الساعة هي الخامسة؟ وبالتالي ليس بالضرورة أن تكون (١٠٠٠ سنة) إلا (٥٠ عاما) = ٩٥٠ سنة.

السنة الشمسية وردت في التنزيل الحكيم بلفظ (حول)

﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ ...﴾

البقرة: ٢٣٣

والسنة هي الفترة التي تدور الأرض فيها حول الشمس دورة كاملة.

الوحدات خلال التاريخ مختلفة ومتعددة وكذلك نظم العد وقد أشرنا في موقع سابق إلى قوله تعالى ﴿فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة: ١٩٦ وشرحنا لماذا قال عن العشرة كاملة.

هناك كتاب هام جدا اسمه "الطوفان العظيم بين الواقع والأساطير" تأليف كوندراتوف، يحتوى هذا الكتاب على وثيقة تعود لنهاية الألف الثالث قبل الميلاد وضع فيها الكهنة قائمة للملوك السومريين الذين حكموا مدن الرافدين قبل الطوفان وبعده.

يقدم هذا النص عن وجود خمس مدن في عصر ما قبل الطوفان حيث نزلت الملوكية من السماء "وهذا تعبير أن النذر كانت من الملائكة فقط قبل الرسل من البشر وكان أولهم نوح) وأسست تلك المدن وهي:

- أريـدو حيث حكمها ملكان واستمر حكمها لمدة ٦٤٠٠٠ سنة.
- باد – تـبـيرا حيث حكمها ثلاث ملوك لمدة ١٨٠٠٠٠ سنة.
- لـرك حيث حكمها ملك واحد لمدة ٢٨٠٠٠ سنة.
- سبار حيث حكمها ملك واحد لمدة ٢١٠٠٠ سنة.
- شوروباك التي حكمها ملك واحد لمدة ١٨٠٠٠ سنة.

ما نلاحظه هنا هو فترات حكم الملوك الخيالية والمبالغ فيها، أو ربما لا يمكن فهمها إلا ضمن مساقها السومري آنذاك.

ويبدو أن هذه الفترات الخيالية انسحبت بدورها على ما جاء في التوراة من أعمار خيالية للأنبياء.

إذن في فترة ما قبل الطوفان كان هناك خمس مدن حكمها ثمانية ملوك لمدة ٢٤٠٠٠٠ سنة.

ثم حل الطوفان كما ورد في الوثائق السومرية – البابلية / "وجرف البلاد"، لتعود الملوكية مرة ثانية وتنزل في مدينة

- كيش الرافدية حيث حكمها ٢٣ ملكا لمدة ٢٤١٥٠ سنة و٣ أشهر و٣ أيام ونصف اليوم.
- ثم دمرت كيش (في حرب) وانتقلت الملوكية إلى مدينة اي – أنا حيث حكمها ١٢ ملكا لمدة ٢٣١٠ سنوات.
- ثم دمرت أوروك وانتقلت الملوكية إلى أور حيث حكمها ٤ ملوك لمدة ١٧٧ عاما.
- وبعد دمار أور انتقلت الملوكية إلى أوان وحكمها ٣ ملوك لمدة ٣٥٦ عاما.
- ودمرت أوان وانتقلت الملوكية إلى مدينة خمازي وحكم ملك واحد لمدة ٣٦ عاما.
- ودمرت خمازي وانتقلت الملوكية إلى أوروك وحكم ٣ ملوك لمدة ١٨٧ عاما.
- وبعد دمار أوروك انتقلت الملوكية إلى أور حيث حكمها ٣ ملوك لمدة ١١٦ عاما.
- ومن أوروك إلى أدب حيث حكمها ملك واحد لمدة ٩٠ عاما.
- ومن أدب إلى ماري حيث حكم فيها ٦ ملوك لمدة ١٣٦ عاما.
- ومن ماري إلى كيش حيث حكمتها ملكة واحدة لمدة ١٠٠ سنة.
- ومن كيش انتقلت الملوكية إلى مدينة أكشك حيث حكمها ٦ ملوك لمدة ٩٩ سنة.
- وبعد أكشك انتقلت إلى كيش حيث حكمها ٧ ملوك لمدة ٤٩١ سنة.
- ثم من كيش إلى أوروك حيث حكمها لوجال زاجيزي لمدة ٢٥ عاما.
- ومن أوروك إلى أكد وحكم فيها ١١ ملكا لمدة ١٩٧ سنة.

- ومن أكد إلى أوروك حيث حكمها ٥ ملوك لمدة ٣٠ سنة.
- وبعد دمار أوروك انتقلت الملوكية إلى الكوتيين حيث حكم ١٢ ملكاً لمدة ٩١ سنة.
- دمر الكوتيين وانتقلت الملوكية إلى أوروك وحكم ملك واحد ٧ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً.
- ثم دمرت أوروك وانتقلت الملوكية إلى أور.

وينتهي إثبات الملوك السومريين عبر سلالاتي أور الثالثة وسلالة مجينة أيسن في ٢٠١٧ - ١٧٩٤ قبل الميلاد.

ويبدو أن الفترات المحددة فيما بعد الطوفان ولا سيما في وسط ونهاية القائمة كانت واقعية إلى حد ما.

جاء في كتاب "الممالك السبعة العظمى في العالم الشرقي القديم" للكاتب جورج راولنسون المؤرخ وأستاذ التاريخ القديم بجامعة أكسفورد البريطانية أنه جاء في وثيقة إثبات الملوك السومريين ثلاثة وحدات لقيس الزمن وهي كالآتي: سار (1 سار=3600 سنة)، نار (1 نار=600 سنة) و سوس (1 سوس=60 سنة). فهذه الفترات الخيالية التي أرخصها الكهنة لم تكن من عدم وإنما كانت خاضعة لوحدات زمنية لا نعلمها وكما رتبناها. فإذا أوضح رب العالمين هذا بقوله "قُلِّبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خُمُسِينَ عَامًا" فإنه أشار إلى وحدتهم الزمنية في عبارة سنة وإلى ما نعدّه نحن الآن في عبارة "عاماً".

السؤال الآن: ماذا كان في قوم نوح ذلك الوقت؟ وما هي نبوته؟ وما هي رسالته؟

قوم نوح كانوا بدائيين وكانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

طَبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۖ﴾ نوح: ١٥ - ١٦ وكان قوم نوح منقسمين بين العامة (الأرذال) والملا (الأشراف من الناس). أي بدأ منذ عهد نوح التمايز الاجتماعي.

يقال أن الملا هم الأشراف من الناس الذين ملئوا كرماً وحسن الخلق (ابن فارس، ج ٥، ص ٣٤٦) ونحن نرى أن كل من امتلأ بصفة ما، كريمة أو خسيصة واشتهر بها فهو من الملا. وعلى هذا، فالملا عندنا ثلاثة أصناف:

- الملا السياسي، وهم كل من امتلأ بالقوة والسلطة،
- الملا المالي الإقتصادي، وهم كل من امتلأ بالثروة
- الملا الديني، وهم كل من امتلأ من العلوم الدينية كرجال الدين والهامانات.

هذه الفئات الثلاث عندما يشعرون أن هناك تغير في المجتمع الذي يعيشون فيه يكونوا أول من يرفض هذا التغير، ولذلك حين بعث نوح عليه السلام، كان الملا هم من وقفوا بوجه الدعوة. قال

تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صُلَيْبٍ مُّبِينٍ﴾ الأعراف: ٦٠. كان الملا

دائماً هم من يقفوا بوجه أي دعوة جديدة كما تشير سورة الأعراف، الآيات: ٦٠، ٦٦، ٧٥، ٨٨، ١٠٩. مع كل من نوح، هود، صالح، شعيب، موسى عليهم السلام.

بالمقابل قد يكون الملا إيجابياً كملاً بلقيس ملكة سبأ، وهم ما نسميهم الآن "البطانة الصالحة".

أما الأرذال فهم الدون من كل شيء (ابن فارس - ج ٢، ص ٢٠٩) والأرذال بالنسبة للهامانات هم العوام، وبالنسبة للقوارين هم الفقراء، وبالنسبة للعلماء من غير رجال الدين هم الجهلة.

فلما بعث نوح عليه السلام جاء بأمرين إلهيين:

١ - عبادة الله وحده (عدم الشرك). ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٢﴾ نوح: ٣

هذا الأمر مشترك بين الرسل جميعا.

٢ - بر الوالدين ﴿رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾ نوح: ٢٨

لا يوجد في رسالة نوح إلى قومه أي حرام، كما لا يوجد أي من الشعائر "صلاة/ صوم/ زكاة/ حج.

أما نبوة نوح فكانت تعليم الناس ركوب البحر وإنشاء قومه بالبنيان والتمويل ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَيْنَ وَبَيْنَ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾ ﴿١٢﴾ نوح: ١٢

قلنا إن قوم نوح كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، أما من كان يُشجعهم على ذلك فهم من ذكروا في

الآية الكريمة ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ﴿٢٤﴾ نوح: ٢٣ - ٢٤، قال البعض أن

ودًا وسواعة ويعوق ونسرا هي أسماء لآلهة، وقال آخرون أن هؤلاء أسماء لبعض الصالحين، لكن الشيطان أغرى الأمم اللاحقة على عبادتهم. نحن نقول أن هؤلاء لم يكونوا آلهة وإنما هذه أسماء للسدنة الذين كانوا يدعوا الناس لعبادة الأصنام. دليلنا على ذلك الآية التالية التي تشير إلى أنهم كانوا يضلوا الناس ومن المعروف أن الأصنام لا تُضِلُّ، وإنما هناك من يدعوا لها ليضل بها. أيضا تلك الأيام لم يكن هناك وسائل إنتاج لصناعة الأصنام، والبيوت كانت من القصب.

طوفان نوح

لقد عاش نوح وقومه في منطقة غنية بالينابيع تحيط بها جبال غزيرة الأمطار بدليل قوله تعالى

على لسان ابن نوح ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾ ﴿٤٣﴾ هود: ٤٣.

والمعروف أن العواصف المطرية في الجبال تسبب سيولا مدمرة تحتاج المناطق المنخفضة والسهول والوديان.

لكن الله تعالى إذا أراد إغراق قوم يعيشون في الأناضول مثلا، لا يحتاج لإغراق من في الهند والصين واليابان، خصوصا أنه يقول ﴿... وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى...﴾ الأنعام: ١٦٤، ومن هنا نقول أن الطوفان كان محليا وليس عالميا.

أما السفينة التي بناها نوح عليه السلام فقد كانت سفينة بدائية مصنوعة من ألواح مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ومربوطة بحبال طبيعية وليس فيها أي شيء صناعي، وهي ليست كما يصورها في كتب التفاسير، بحيث يشعر القارئ أن الحديث يدور حول سفينة عملاقة تتفوق على

تيتانيك. سفينة نوح كانت بداية تسير برعاية الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ جَعَلَهَا مُمْرَسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ اذْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ هود: ٤١ - ٤٢.

لقد حمل نوح معه في السفينة مجموعة من المؤمنين وأهله إلا من سبق عليه القول، أي إن ابن نوح ليس من أهله والإحتمال وارد بأن نوح كان أبوه ولكن لم يكن والده، لأن امرأة نوح كانت من

الكافرين ولم تقم لنوح أي عهد، وكذلك امرأة لوط حيث قال تعالى عنها ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا

رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ

إِلَّا أَمَرَ أَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١)

هود: ٨١، أما عن امرأة نوح فلم يذكر أنها هلكت مع قومها لأنها من أهله ووعد الله بأن ينجي أهله.

لقد حمل نوح معه في السفينة زوجين من الحيوانات والطيور التي كانت موجودة في المنطقة التي كان يعيش فيها، كذلك حمل معه بعض البشر ممن آمنوا برسالته.

دعاء نوح على قومه

حصل الطوفان، ورأى نوح ما رآه من أهواله، فخشي نوح من الانتقام إذا نجا أحدا من قومه، فدعا

عليهم - كانت دعوة نوح على قومه بعد الطوفان ولم تكن قبله. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي

الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦١) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

كَفَّارًا ﴿٦٢﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧، قلنا سابق أن ولد تعني أيضا ربّي.

هود عليه السلام

قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَنْتَظِرُونَ أَغْوَاً لَّكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ ﴾

نَتَقُونَ ﴿٦٥﴾ الأعراف: ٦٥

التوحيد هو القاسم المشترك بين من سبق هود من الرسل ومن جاء بعده أيضا.

لكن أهم ما حصل بين نوح وهود عليهما السلام أنه تم تدجين الأنعام.
نوح عليه السلام أنبأ قومه بذلك

﴿ وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَغِلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ ﴿١٢﴾ نوح: ١٢

ألبناء زمن نوح كان من القصب، وفي عهد نوح لم تكن الأنعام قد دُجِّنت بعد ولذلك فإن نوح لم يحمل معه أي من الأنعام. أما بالنسبة لـ هود عليه السلام فقد قال:

﴿ أَمَّا لَكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الشعراء: ١٣٣ و **أَمَّا لَكُمْ** تعني أن الأمر قد حصل. وكنا قد

أشرنا سابقا أن البَنِينَ تعني ألبناء. أي إن هناك ربط بين تدجين الأنعام وبين ألبناء، فبعد أن دَجَّن الإنسان الأنعام، استعملها للنقل واستخدم جلودها ووبرها للباس. وهذا ما أثبتته التاريخ. فلقد استقر الإنسان وبنى عندما ذلل الأنعام.

تصور لو أننا سنفهم البنين على أنها أَلَصْبِيَّانَ فيعني أن الله سبحانه وتعالى أَمَدَّنَا ب (البقر، الغنم، الجمال ... والصبَّيان) أي مقارنه؟!

كان في ذهن قوم هود ما حصل لقوم نوح وما أصابهم من جراء الطوفان، ولذا حاول قوم هود أن يبنوا بيوتا عليها تقيهم أي طوفان جديد

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا

بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٣٠

قوم نوح كانوا يعيشوا في منطقة منخفضة، ولذا فإن قوم هود بنوا مساكنهم في أماكن مرتفعة، هذا ما أشارت إليه الآية ١٢٨ من سورة الشعراء (تَصَوَّرُوا أن هذه البيوت المرتفعة لا تتأثر بالطوفان). كانوا يحفرون في الأرض مصانع (خزانات) لتجميع المياه حتى لا يضطروا لأن يسحبوها من الأسفل. ولكن ما حصل أن الله جاءهم بالعذاب النُكَر (الذي لا دراية لهم به)

جاء إهلاك قوم هود بظاهرة طبيعية هي الريح التي يكون تأثيرها في المناطق المرتفعة أكثر بكثير منه في المناطق المنخفضة، بعكس الطوفان الذي يكون تأثيره في المناطق المنخفضة أكبر. بدلالة

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ ﴿١٩﴾ القمر: ١٩ والريح

الصرصر هي العاتية الشديدة البرد والصوت التي لا ينقطع هبوبها ولا تترأخى شدتها. أما قوله

﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسِ ﴾ فالיום هنا لا يعني الوقت والزمان الذي مقداره ٢٤ ساعة، بل يعني الحين

والمناسبة كقولنا: عام الفيل وشهر الحج، وإلا فكيف يقول تعالى في موضع آخر ﴿ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ... ﴾ فصلت: ١٦؟ أضف إلى ذلك أَنَّ الزمان وعاء

يتضمن الأحداث وَأَنَّ المكان وعاء يتضمن الأشياء والأشخاص، وَأَنَّ النّحس والسعد لا يطالهما بالذات بل يطال الأحداث في الزمان والأشياء في المكان.

أيضا الريح استمرت دون تقطع بدليل قوله ريح ولم يقل رياح.

كان هود وقومه من قبيلة عاد، بدليله قوله تعالى ﴿ ... أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ هود: ٦٠

وهي قبيلة عربية بائدة من العمالة سكنت في أرض الأحقاف من جهة اليمن جنوب شبه الجزيرة

العربية شمال حضرموت، بدليل قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ،

بِالْأَحْقَافِ ... ﴾ الأحقاف: ٢١ وهذه عاد الأولى التي أشار إليها تعالى بقوله ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ

عَادًا الْأُولَى ٥٠ ﴾ النجم: ٥٠ وهي عاد إرم التي ذكرها تعالى بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بِعَادٍ ٦ ﴾ إرم ذات العماد ٧ ﴾ أَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ٨ ﴾ الفجر: ٦ - ٨ .

يقول المؤرخون أن قوم عاد هم أول من اتخذ الأصنام وكان لهم آلهة يعبدونها أكبرها صدا وصمودا وهرا. (انظر البداية والنهاية ج ١ ص ١٢١). ومن هنا نستنتج أن هناك أكثر من عاد واحدة.

صار هناك اختصاص الآلهة ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ... ﴾ النجم: ٢٣

يعني كان هناك إله الطوفان، إله المطر ...، أي كان اختصاص لكل صنم.

لم يأت هود وقومه بأية معجزة تدل علة نبوته، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا

بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَٰئِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣ ﴾ هود: ٥٣

فإن قال قائل: إن حجة قوم هود قوية، والناس عادة لا تترك معتقداتها لمجرد قول أو

زعم لا دليل على صحته، خصوصا وإن الله تعالى يقول ﴿ ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَقَّ نَبَعْتَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥.

نقول: لا شك أبداً أن الله سبحانه وتعالى لا يغير قوانينه ولا يبدل كلامه بين مناسبة وأخرى. صحيح أننا لا نجد في التنزيل الحكيم ما يشير إلى معجزة تدل على صدق نبوة هود، لكننا نجد في أكثر من آية منه ذكراً لرسول سبقوا هوداً لقوم عاد وهم النذر ويحتمل أنهم كانوا معه أيضاً وهم دليل الإنذار. وإليك هذه الآيات:

- ١ - ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الشعراء: ١٢٣
- ٢ - ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ...﴾ هود: ٥٩
- ٣ - ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾﴾ القمر: ١٨
- ٤ - ﴿وَإِذْ كَرَّ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ الأحقاف: ٢١

وأخيراً نقول أن الكشوف الأثرية الحديثة أثبتت ما ورد عن قصة عاد (إرم ذات العماد) في القرآن الكريم. ولقد نشر عدة مقالات في صحف عالمية تتحدث عن تلك الاكتشافات. عام ١٩٩٠ أعلن اكتشاف مدينة / وبار - عبار. (عبار هو اسم يحاول اليهود أن يطلقوه على مدينة أرم وذلك لسرقة أي دلائل ونسبتها إليهم).

صالح - عليه السلام

هو نبيّ ثمود ورسول الله إليهم ليدعوهم إلى التوحيد.

آية صالح عليه السلام كانت "النافقة".

أمر أن ميّزا الفترة التي بعث فيها صالح عليه السلام.

- الأمر الأول: ظهور الملكية الخاصة للأرض

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَخَذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ

اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ الأعراف: ٧٤

هنا قصورا تشير إلى نفس المعنى الذي ورد في قوله تعالى ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي

الْحَيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ الرحمن: ٧٢، مقصورة أي محددة (محاطة بالجدران ومعزولة عن

الأخرى). القصر الذي في ذهن الناس هو "القصر المشيد" ﴿فَكَأَنَّ مِنْ قَرِيبَةٍ

أَهْلَكْنَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ

وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ الحج: ٤٥.

- والأمر الثاني أنه في عهد صالح عليه السلام كان هناك حياة في السهول وفي الجبال وقد بنيت البيوت في الجبال بطريقة رهيبة حيث كانت محفورة في الصخر.

إذا أُرسلت التي جاء بها صالح عليه السلام إلى قومه كانت التوحيد.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

هود: ١١٨ - ١١٩

لماذا قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ "..... إستثناء"

نقرأ قوله تعالى:

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِّن رَّبِّيَ وَأَنْتُنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

أَنْزَلْنَاهُمْ مِّنْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ هود: ٢٨

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧

(إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ) هم الأنبياء، لأنهم مُرْسَلُونَ من إله واحد، وبالتالي لا خلاف بينهم .. جميعهم جاؤوا برسالة التوحيد.

كيف أهلك قوم صالح عليه السلام؟

قلنا أن قوم صالح سكنوا السهول والجبال. لذا فقد عذبهم الله بطريقتين، كل حسب مكانه. فكيف كان هلاك قوم صالح عليه السلام؟ قال تعالى

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ هود: ٦٧

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ الأعراف: ٧٨

الذين كانوا في الجبال هلكوا بالصيحة والذين كانوا في السهول هلكوا بالرجفة.

كان هناك ناجون من الرجفة والصيحة، هم صالح عليه السلام والمؤمنون به، بدليل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنَا صَدْحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ

يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ هود: ٦٦

فما هي هذه الرحمة. ويأتينا الجواب في قوله تعالى على لسان صالح لقومه

﴿ ... تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ هود: ٦٥

ونفهم أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر نبيّة صالح عن توقّيت الرجفة والصيحة وأمره أن يمهل ثمود ثلاثة أيام قبل وقوعها. فكان في ذلك فسحة تمكن صالح بفضلها من أن ينجوا بمن معه، وهذا يبين لنا أنّ كارثة ثمود كانت محلية.

الجدير بالذكر أنّ سيرة النبي صالح لم ترد في أي كتب دينية أو وثائق عدا القرآن الكريم.

شُعَيْبٌ — عليه السلام

هو رسول الله إلى أهل مَدْيَنَ، الذين سمّاهم التنزيل الحكيم أصحاب الأيكة في قوله تعالى

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُنتَفُونَ ﴿١٧٧﴾ الشعراء: ١٧٦

— ١٧٧. وكان من الطبيعي أن يأتي التوحيد على رأس رسالته، وهو ما نجده في قوله تعالى

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهٍ

غَيْرُهُ... ﴿٨٥﴾ الأعراف: ٨٥

ومدين مدينة تاريخية يعود تاريخها إلى ٣٥٠٠ سنة تتبع أهميتها التاريخية والدينية من أنّ ثلاثة أنبياء ذُكروا في مناحيها (موسى، شعيب، يوسف). وقد جمعت بين الزراعة والتجارة، حيث كانت مركزا تجاريا ومحطة رئيسية على خط قوافل الحجّاج قديما. وهي كثيرة الأشجار وافرة الثمار واسعة الحدائق والبساتين، ومن هنا جاءت تسمية القرآن لأهلها بـ "أصحاب الأيكة".

ثمة نقطة تستحق التوضيح وهي أن أصحاب كتب قصص الأنبياء والمؤرخين يعتمدون في كتبهم على المراجع الإسرائيلية — أو على مراجع استقت معلوماتها من كتب اليهود — حين يذكرون الأنساب وأسماء الآباء الأجداد. ونلاحظ هنا أن معيار النسب في رسم التراتبية التاريخية لم يُسَعَفْ من وَهْمٍ أنّ شعيباً جاء بعد موسى بعدة قرون، أو أنّ شعيباً عاصر موسى ظنا منهم أنّ موسى

تزوَّج بنت شعيب لأنّه ورد ماء مَدْيَنَ، وفاته أن يقف بالتأمل عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ

بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ الأعراف: ١٠٣ ولو أنه فعل لرأى أن شعيبا ورد من بين الذين جاء موسى بعدهم. وقل مثل ذلك في لوط وشعيب، فنحن لا يهمننا كثيرا أن يكون شعيب زوج ابنة لوط أو لا يكون، أو أن يكون موسى زوج ابنة شعيب أو لا يكون، فما يهمننا أكثر هو قوله تعالى على لسان شعيب لقومه ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ٨٩ هود: ٨٩، بما فيه من دلالة واضحة على أن لوط جاء قبل شعيب في سلم النبوات.

أعبر والعظات كما رأيناها في قصة شعيب

١ - يقول تعالى شارحا تفصيل رسالة شعيب

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۚ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٨٥

أ - ونفهم من دعوته إلى التوحيد أن لقومه آلهة يعبدونها من دون الله

ب - ونفهم من دعوته إلى الوفاء بالكيل والميزان، أن العلاقة الاقتصادية قد تطورت في مجتمع مدين حتى وصلت إلى مرحلة تبادل السلع التي لا بد فيها من وجود موازين لضبط الوزن ومكاييل لضبط الحجم، لمنع التبادل والاحتيايل في عملية التبادل، الذي يؤدي إلى بخس الناس أشياءهم، وهذه القاعدة ما زالت سارية المفعول على المستوى الإنساني العالمي، فالثورات لم تقم، والنقابات

لم تنشأ، والقوانين لم توضع، إلا من أجل قاعدة ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

٢ - كان جواب قوم شعيب على دعوته لهم واضحا في قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمَّا الَّذِينَ

أَسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي

مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ﴾ الأعراف: ٨٨، وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا يَشُعَيْبُ مَا

نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا

بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ هود: ٩١

أ - نحن في آية الأعراف: ٨٨، أمام طبقة من وجوه القوم وأشرافهم، هي طبقة ألملا، بدأت بالظهور كما قلنا في عهد نوح، لكنها اكتسبت في هذه الآية صفة جديدة هي صفة (الذين استكبروا) التي تنفي عن الملا كل جانب أيجابي محتمل.

ب - في ضوء هذا الاستكبار نقرأ قولهم لشعيب في آية هود ٩١ ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ وفقه القول هو فهمه وإدراك مقاصده ومعانيه. إنهم لم يفهموا ولم يدركوا قول صاحبهم ليس لأنهم أغبياء، بل لأن استكبارهم يمنعهم من الفهم والإدراك من جانب، ولأنهم يعتبرون التجارة "شطارة"، تماما مثل العديد من تجار اليوم، من جانب آخر.

ج - أما قولهم ﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ فالضعف هنا ليس في القدرة العضلية أو

الفكرية بدليل إنهم يقولون في موضع آخر ﴿... إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧ وليس في المكانة الاجتماعية بدليل أن لشعيب عشيرة وهو قوي بها. الضعف المقصود هو الضعف المالي وقلة الثروة.

د - وأما قولهم ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ فنفهم منه أن العصبية العشائرية التي بدأت بالظهور في عهد صالح، قد رُسخت وأخذت شكلها في عهد شعيب، ومنعت الملا المستكبر من رجمه. ولكن ما هو الرجم المقصود في الآية؟ والجواب واضح في آية الأعراف: ٨٨، إنه الطرد القسري والإخراج عنوة من الديار.

ونورد هنا بعض الآيات في التنزيل الحكيم والتي ورد في الرجم بمعنى البعد القسري ولا علاقة له بالمفهوم السائد حول الرجم في الثقافة الموروثة.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ الحجر: ٣٤ القائل هو الله والمعني بالقول هو إبليس.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَابِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾

﴿٤٦﴾ مريم: ٤٦ واضح لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْنِي .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ...﴾ الملك: ٥، والمقصود

هنا طرد الشياطين الذين يسترقون السمع.

نشير أخيرا أن لا ذكر للنبي شعيب خارج التنزيل الحكيم.

إبراهيم – عليه السلام

يعد إبراهيم عليه السلام، أبرز نقطة علام في تاريخ النبوات والرسالات الذي تنقسم فيه النبوات إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل إبراهيم عليه السلام، ومرحلة ما بعد إبراهيم عليه السلام.

واللافت في التنزيل الحكيم ورود اسم إبراهيم برسمين مختلفين:

- فلقد ورد لفظ إبراهيم خمس عشرة مرة في سورة البقرة، وفي جميع المرات رسم

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، أي لا يوجد حرف ياء بين الهاء والميم.

- وفي بقية التنزيل الحكيم ورد بالرسم الذي نعرفه ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾

فهل لهذا الاختلاف في الرسم أي دلالة؟

الغريب أنه أيضا في العهد القديم فإنه يوجد لفظين مختلفين: الأول (أبرام) والثاني (إبراهيم)، وهناك تفسير للاختلاف في الرسم في العهد القديم – سفر التكوين/ الإصحاح ١٦ - ١٧:

الإصحاح ١٦:

١٥ فَوَلَدْتُ هَاجَرَ لِأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرَ «إِسْمَاعِيلَ».

١٦ كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ سِتٍّ وَتَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ.

الإصحاح ١٧:

١ وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا،

٢ فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأَكْثَرَكَ كَثِيرًا جَدًّا».

٣ فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَهُ قَائِلًا:

٤ «أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبَا جُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ،

٥ فَلَا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبَا جُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ.

٦ وَأَثْمَرُكَ كَثِيرًا جَدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ.

٧ وَأُقِيمَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لَأَكُونَ إِلَهًا لَكَ

وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.

٨ وَأَعْطَيْتُكَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلَهُهُمْ».

إذن إبراهيم قبل أن يرزق بإسماعيل كان اسمه أبرام، أما بعد أن رزق بإسماعيل فقد دعاه الرب إبراهيم.

ألعبر والعظات في قصة إبراهيم

١ – لقد تعددت الآلهة في زمن إبراهيم عليه السلام، وأصبح هناك تخصص لكل إله، هناك إله للمطر، وإله للجفاف، وإله للخصب وغيرها. تلك الظاهرة التي بدأت عند نوح وترسخت عند هود واكتملت عند إبراهيم.

٢ - إكمال فن النحت الذي بدأ - كما بينا - في عهد صالح، بدليل قوله تعالى على لسان إبراهيم

لقومه ﴿ قَالَ اتَّعَبُدُونْ مَا نَنْحِتُونَ ﴾ (٩٥) الصفات: ٩٥، وشيوع الأصنام والتماثيل، الذي

استدعى ظهور طبقة سدنة وكهان يخدمون هذه الأصنام والتماثيل.

٣ - إكمال تقديس مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب لكل منها إله ومعبد وسدنة في بابل، ونشير هنا إلى ما رواه أصحاب الأخبار في توارихهم وأصحاب التفسير في تقاسيرهم، من أن إبراهيم هاجر مع والده أزر ومع زوجته سارة من أرض الكلدانيين في العراق إلى أرض الكنعانيين وهي بلاد المقدس في بلدة قريبة من الشام اسمها حران، أهلها يعبدون الكواكب السبعة. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها تقام فيه الأعياد وتقدم القرابين.

٤ - كانت رحلة إبراهيم للبحث عن ربه وهو بين الشك واليقين، مذكورة بكل تفاصيلها في التنزيل الحكيم، بدأت مع تقليب أنظاره في ملكوت السماء والأرض:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَا أَبْصُرُ لَهُ أَفَلِينَ ۖ

﴿ ٧٦ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ تَمَّ يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ

مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِينَ ﴿ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿ ٧٨ ﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ خَافِئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ٧٩ ﴾ الأنعام: ٧٦ - ٧٩

كانت خطوة إبراهيم في بحثه عن ربه في النظر في ملكوت السماء، فرأى كوكبا لامعا منيرا لعله نجم القطب، قارنه مع مخزونات إدراكه حين كان يتردد على المعابد، فتوصل إلى أن قال: هذا ربي، لكن هذا الكوكب غاب وانطفأ بريقه مع هبوط الظلام، فقارن هذه الصورة الجديدة مع ما يؤمن به عقلا من أن الأرباب الحقيقية لا تأفل ولا تغيب، فتوصل إلى قرار يقول إنه لا يجب الأرباب المزيفة التي تأفل. ثم رأى القمر بازغا، فعرض الصورة على مخزون إدراكه وانتهى كما انتهى أول مرة إلى القول: هذا ربي، لكن القمر أفل كما أفل الكوكب قبله، وكانت المرتان كافيتان ليكتشف إبراهيم إنه لم يصل إلى ما يبحث عنه، فاتجه إلى الله طالبا الهدى، لكن رحلة البحث لم تكن قد انتهت بحث، وطلع الفجر وأشرق الشمس وظننها إبراهيم ربه الذي يبحث عنه باعتبارها أكبر من القمر ومن الكوكب، لولا أنها أفلت. هنا غابت شمس الكون عن الكون لتشرق شمس معرفة من نوع آخر في أعماق إبراهيم، ليدرك على نورها أن ثمة فاطرا للسموات والأرض وخالقا للشمس والقمر والكواكب لا يغيب إذا غابت ولا يأفل إذا أفلت. فما كان من إبراهيم إلا أن صاح في بني قومه: إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ، إِنِّي انحرفت عما تتوجهون أنتم إليه من نجوم وكواكب وشمس وقمر، واتجهت نحو من خلقها وفطر السموات والأرض، وها أنا أعلن إنني لست ممن يشرك بربه أحدا.

بهذا المنهج الإستقرائي الرشيد الذي أنعم الله به عليه، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ الأنبياء: ٥١، صار إبراهيم إماماً للناس

بعد امتحان اختبره الله به ونجح، بدلالة قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

فَاتَّمَنَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴿البقرة: ١٢٤﴾، وهذه الكلمات التي ابتلى الله بها

إبراهيم هي الكواكب الشمس والقمر حيث أن الوجود هو كلمات الله.

٥ – كان آزر، أبو إبراهيم لا والده، هامانا يشرف على سدانة المعابد وخدمة تماثيل آلهتها، ومن هنا كان بإمكان ربيبه إبراهيم أن يصل إلى الأصنام بسهولة، إذ كان ذلك ممنوعاً على العامة.

٦ – كان آزر المثل الأعلى لإبراهيم في الدين والعقيدة، ولا يبعد أنه كان ينوي إعداده ليتسلم مهمته من بعده. ومن هنا كان الجدل بينهما قاسياً على نفس آزر حين دار بينهما الحوار التالي:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي

قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ

الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ

الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم: ٤٢ - ٤٥

كان آزر أدرى الناس بما قاله إبراهيم عن معبوداته، وأكثر الناس إدراكاً لها أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تأكل ولا تشرب. وكان أعرف الناس بما يتمتع به إبراهيم من راحة عقل وشفافية روح، وأكثرهم إحساساً بمحبة إبراهيم له وخوفه عليه من أن يمسه عذاب الرحمن إن هو رضي بأن يبقى عبداً للشيطان. لكن المسألة أكبر من هذا، ولا بد لها من حسم يتناسب مع

حجمها. فغالب مرارة خيبة الأمل في ربيبه وسأله بهدوء ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئَةِ

يَا إِبْرَاهِيمُ﴾، وصمت إبراهيم مطرقاً وتابع آزر قائلاً ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ مريم: ٤٦.

ينتقل التنزيل الحكيم من سورة الأنعام إلى سورة الأنبياء ليضع أماناً القسم الثاني من الحوار الذي يدور بين آزر وقومه من جانب وإبراهيم من جانب آخر.

هذا الانتقال في القصة القرآنية الواحدة من سورة إلى أخرى ثم إلى ثالثة ورابعة، وهذا المزيج المدهش بين المحكم والمتشابه في الآيات في السورة الواحدة، أبرز سمة – عندنا من ميزات الإعجاز القرآني الذي تحدى به صاحبه الإنس والجن مجتمعين.

المنظر في القسم الثاني من الحوار منظر مجلس يضم إبراهيم عليه السلام وأباه وقومه

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

الأنبياء: ٥٢ - ٧٠

٨ - لقد قام الحوار بين إبراهيم من جانب وبين أبيه وقومه من جانب آخر - بقسميه الأول والثاني على المنطق الموضوعي من جهة وعلى الأدلة الحسية من جهة أخرى (عجز الأصنام عن النطق وعن دفع الضرر عن نفسها وعن غيرها وعن جلب النفع لنفسها أو لغيرها). أما الحوار مع السلطة الحاكمة السياسية فأمر آخر مخالف تماما، ينقل التنزيل مرة ثانية معه إلى سورة البقرة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿البقرة: ٢٥٨﴾

تلك أول المرة في تاريخ الأنبياء والرسل يأتي فيها التنزيل الحكيم على ذكر السلطة الحاكمة،
بعبارة ﴿أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في آية البقرة: ٢٥٨، لم نجد لها قصة أحد ممن سبق
إبراهيم. والملك هنا ليس ملكا عاديا، بل مستبد يدعي الربوبية ويأمر الناس بعبادته، وسوست له
شياطينه من الإنس والجن أن ملكه لا يبلى. فكان من الطبيعي أن يأتي الحوار معه مختلفا.

٩ - كان منهج إبراهيم منهجا إستقرائيا إستدلاليا ينطلق في طريق البحث عن الله من الحواس إلى
الفكر، ومن الشك إلى الإيمان، فاستحق بذلك أن يكون إماما للناس. ولعل أبرز مظاهر هذا المنهج

عند إبراهيم هو في قوله ﴿... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ...﴾ البقرة: ٢٦٠، الذي

يتجلى في المنهج الإبراهيمي بالإنطلاق من الشك إلى اليقين، وهذه الإنطلاقة يرضى الله عن

صاحبها بدلالة قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ النحل: ١٢٠ -

قوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) يعني أنه كان صاحب منهج سلوكي خاص به، أما قوله (حنيفاً) يعني
منحرفاً عن الذين إذا تليت عليهم آيات ربهم خروا عليها صما وعميانا والفترة الحنفية هي طبيعة
التغيير في الزمان والمكان ومنها جاء الدين الحنيف.

وبدلالة أن الله تعالى لم يكفره ولم يعنفه، ولم يوبخه ولم يعاقبه، بل سأله بكل هدوء ﴿... قَالَ

أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ...﴾ البقرة: ٢٦٠، وفي هذا درس تربوي بليغ جدا لو عمل به علماؤنا الأفاضل

ممن يتصدرون المدرجات في الجامعات ومجالس العلم في المساجد، فالإيمان الأعمى لا يكفي عند
الله إن لم يصحبه نظر وتفكر وبحث وسؤال يحمل صاحبه من حيرة الشك إلى اطمئنان اليقين.

ويأتي جواب إبراهيم عن سؤال ربه واضحا حاسما ﴿... بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّنَ قَلْبِي ...﴾

البقرة: ٢٦٠، أي ليسكن ترددده وشكه مطمئنا على أرضية يقينية راسخة، وهذا لا يكون إلا حسب
منهج استقرائي يرى فيه الباحث بعينه ويسمع بإذنه ويلمس بيده.

١٠ - يستوقفنا قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الأنعام: ٧٥، ونفهم أن إبراهيم بعد رؤيته رؤية فؤادية بملكوت

السموات، وبعد رؤيته رؤية عينية بصرية كيف يحيي الله الموتى صار من الموقنين. ونفهم أنه،
وهو ينظر بعين فؤاده في ملكوت السموات باحثا، كان يعرف أنه يبحث عن فاطر السموات

والأرض وخالق الشمس والقمر والكواكب الذي لا يغيب إن غابت ولا يأفل إن أفلت بدليل قوله

لقومه بعد أن نجا من النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهِدُكُمْ﴾ الصافات: ٩٩، الذي

نشم فيه رائحة مفهوم الهجرة إلى الله. هذا المفهوم الذي سيكتمل ظهوره على يد خاتم النبيين بعد قرون وقرون. لكن السؤال الكبير هو: هل كان إبراهيم وهو يجول في ملكوت الأرض في بلاد الكلدانيين إلى بلاد الكنعانيين إلى بلاد الشام – إن صحت – إلى أرض مصر، ليحط في وادٍ غير ذي زرع لم يكن عند وصوله إليه يدري إن كان آخر محطة في رحلته الطويلة أم لا، يعرف عما يبحث؟ الأرجح عندنا أنه لم يكن يعرف بالتحديد عما يبحث، حتى جاء الأمر الإلهي برفع القواعد من البيت العتيق وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود. لعل شيئاً ما كالحسد الغامض تحرك في داخله وهو عند بيت الله المحرم فدعا ربه – وما أكثر ما دعاه في رحلته الرضيّة تلك –

قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ

لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧. لكنه بقي مجرد إحساس غامض توهم إبراهيم معه أن

سكنه في هذا المكان إنما هو لإقامة الصلاة لا غير، حتى جاء الأمر الإلهي كما ذكرنا. ونرى هذا تكرر مع موسى حين أحيط به، البحر من جانب وفرعون من جانب آخر عندها قال أصحابه (إنا لمُذْرَكُونَ) فأجاب موسى (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) وحتى لحظة هذا القول لم يكن موسى يعلم كيف سيهديه ربه حتى جاءه الأمر (اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ).

١١ – الزّمان عندنا معياره القرون والعقود والسنين والشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني، إلا إن عند الله معايير أخرى. فالיום عنده كآلف سنة، والساعة عنده كلمح البصر، بينما هي بمعاييرنا دهور متطاولة، ونرى أن في قصة إبراهيم ما يشير إلى ذلك. القصة تنتقل بعفوية سلسلة ومدهشة من إبراهيم الفتى الرشيد في معابد الآلهة برعاية أزر، إلى إبراهيم الشاب وهو يبحث في ملكوت السموات، إلى إبراهيم الرجل وهو يعظ أباه وقومه ثم يلقى في النار ويخرج منها ثم يمضي في ملكوت الأرض مدفوعاً بما لا يدري وباحثاً عما لا يعرف، إلى إبراهيم الشيخ وزوجته العجوز العقيم، ثم لا يهتم التنزيل الحكيم كثيراً – أحياناً كثيرة – بتحديد مقدار

الزمن الفاصل بين حدث وآخر، فالفاصل الزمني بمعايرنا بين قوله ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ ...﴾

إبراهيم: ٣٧، وقوله بعد رفع القواعد من البيت وتطهيره ﴿... رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا ...﴾ البقرة: ١٢٧

لا يقل عن عشرين عاماً، كان إسماعيل في الأولى وليداً وصار في الثانية قادراً على مشاركة والده في عملية تطهير البيت. ولا يهتم – في العديد من الأحيان الأخرى – باستكمال توضيح جميع التفاصيل، فنحن لا نعرف أين بقيت سارة أم إسحق وإبنها، وهل كانا معه ومع هاجر أم إسماعيل عند بيت الله المحرم أم لا، ولا نعرف ما جرى لأزر بعد خروج إبراهيم من بابل، ولا نستطيع أن نتصور عدد ونوع المخاطر التي يتعرض لها رحالة كإبراهيم – رغم رجاحة عقله – وهو يضرب بعصاه بطون الأودية ورؤوس التلال، ولا نعرف إلى أين ذهب إبراهيم حين ترك زوجته هاجر، ورضيعها إسماعيل تسعى بين الصفا والمروة بانتظار عودته. لكن ذلك كله ليس عندنا محل استغراب، فالتنزيل الحكيم، رغم أنه لا يهمل مطلقاً الجانب الروائي، ليس كتاب حكايا، غايته التسلية وإلهاب الخيال، بل هو كتاب قصص هدفه العبر وقصده العظة وغايته التعليم.

١٢ - نعود إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة: ١٢٥، ثم إلى قوله تعالى بعدها مباشرة ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ

مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ البقرة: ١٢٧. فإذا

نحن وضعنا قبلهما قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ

بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ...﴾ إبراهيم: ٣٧، بأن معنا بما لا يقبل الشك أن البيت العتيق كان موجودا قبل

قدوم إبراهيم. ودليلنا الأول أن الأمر لإبراهيم وإسماعيل جاء بالتطهير لا بالبناء. والثاني قوله

﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ولو كانت القواعد هي الأساسات - كما توهم المفسرون - التي لا بد

من رفعها لبناء الكعبة عليها لقال ((قواعد البيت)). وهذا يضعنا - للإنصاف - أمام احتمال وجود

قواعد وأساسات سليمة ومثلها مخربة والمطلوب إعادة بناء المخرب، لولا أن العملية في هذه

الحال اسمها ترميم لا بناء. والترميم عادة لا يبطال الأساسات. الثالث أن رفع القواعد جاء تنفيذا

للأمر بالتطهير، وتطهير البيوت - سواء المساجد منها أو المساكن - لا يشمل عقلاً حفر

الأساسات وبناءها.

لقد فهم المفسرون القواعد بأنها الأساسات، ونحن نرى أن الأمر غير ذلك. القواعد في التنزيل

الحكيم جمع مؤنث مفردة قاعدة خلاف واقفة، وردت بمعنى لا معنى له بالأساسات لا من قريب

ولا من بعيد في قوله تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ

لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ النور: ٦٠. ولا ننسى أبداً أن المسيح عيسى بن مريم رفع

القواعد وأخلى بيت المقدس من الإشغالات حين طرد الصيارفة اليهود منه، وكانوا قد جعلوه

مركزاً مؤقتاً لهم، وأن النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم رفع القواعد من الكعبة يوم فتح مكة

وأخلاها من إشغالاتها حين أزال ما فيها من أصنام وتمائيل.

١٣ - لقد رأينا كيف شاع التشخيص قبل إبراهيم وانتشرت ظاهرة تعدد الآلهة من كواكب ونجوم

وأصنام وتمائيل، وكيف كان مفهوم الإله المجرد غامضاً لا إسم له لعدم إكتمال القدرة العقلية على

التجريد عند أهل تلك العصور، فقد كان إسمه عند الأسباط "إله إبراهيم" وذلك في قوله تعالى:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة: ١٣٣ وكان اسمه عند فرعون "إله موسى" كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧،

وكان اسمه عند سحرة فرعون "رب العالمين" و "رب موسى وهارون" كما في قوله تعالى:

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأعراف: ١٢١ - ١٢٢،

أو لم يكن له اسم على الإطلاق كما عند فرعون في قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ يونس: ٩٠.

ثم يأتي إبراهيم ليبدأ رحلته الطويلة في البحث عن الله من المشخص إلى المجرد، وليولد عنده مفهوم الإسلام والتسليم لهذا الإله المجرد لأول مرة في تاريخ الإنسان، بدلالة قوله تعالى:

﴿... مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۖ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ...﴾ الحج: ٧٨، وليترسخ

عنده مفهوم المشخص والمجرد منفصلين ومتصلين. فالمشخص منفصلاً تجسد له بالبيت الحرام "الكعبة"، والمجرد منفصلاً تجلى لديه بالركوع والسجود في الصلاة، واتصالها يظهر عند القيام والتوجه أثناء الصلاة نحو الكعبة.

١٤ - كان الناس قبل إبراهيم يقدمون القرابين البشرية لألهتهم، وكان ذلك طقساً شائعاً في تلك الأوقات في جميع المعابد الوثنية، ولكن ذلك انتهى في عهد إبراهيم كما سنرى.

لا أحد ممن قرأ تاريخ مصر يجهل أن المصريين كانوا يقدمون لنهر النيل في يوم معين يسمونه "وفاء النيل" من كل عام بنتاً من بناتهم كقربان يسترضونه به، واستمر ذلك حتى عهد عمر بن الخطاب الذي أمر بالكف عن هذا الطقس الوثني، في قصة طريفة رواها ابن عبد الحكم في تاريخ فتح مصر.

إن ذكر القرابين ينبهنا إلى العلاقة بين المشخص والمجرد، ويزكرنا بالأضحيات في شعيرة الحج، ويعيدنا إلى خبر رؤيا إبراهيم في قوله لإسماعيل ﴿...إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ...﴾ الصافات: ١٠٢. فلنبداً من البداية:

أ - كان إسماعيل لا يزال رضيعاً حين وصل إبراهيم إلى وادٍ أجرد بين أربعة جبال فيه بيت قائم لعبادة الله، وهذا معنى قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴿٣٧﴾ إبراهيم: ٣٧، ويستوقفنا في الآية أمران: الأول قوله

بَيْتِكَ فالبيت العتيق لم يكن فقط موجودا عند وصول إبراهيم إلى الوادي القاحل – كما شرحنا في

فقرة سابقة – بل كان معروفا عند إبراهيم على الأقل بأنه بيت الله. الثاني، قوله **الْمُحَرَّمِ** مُعرّفاً
بأل العهد، مما يدل على أن المعروف المعهود عن بيت الله هو التحريم. **ولكن محرم من ماذا؟**
وعلى ماذا؟ وماذا حرم فيه .. الشرك أم القرابين أم الإثنين معا؟

ب – ننتقل الآن إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَكَامُ الْبِرِّ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ... ﴿٩٧﴾

آل عمران: ٩٦ - ٩٧

حتى نفهم القصد في قوله تعالى **أَوَّلَ بَيْتٍ** نسأل: ما هو البيت المقصود الموجود في مكان بعينه
من مكة المكرمة؟ وهل هو مكان مبيت الله أو سكن الله أم ماذا؟ كيف نفهمها علما بأنه تعالى لا
يحدّه زمان ولا مكان؟ ومن هنا نفرق بين البيت والسكن.

♦ **البيت** هو المأوى والمآب ومجمع الشمل. يُقال بيتٌ، بيوتٌ وأبياتٌ. زمنه يقال لبيت الشعر بيتٌ
على التشبيه لأنه مجمع الألفاظ والحروف والمعاني، على شرطٍ مخصوصٍ هو الوزن. وإيّاهُ أراد
القائل:

بَيْتٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيِّ بَنِيَّتُهُ بِأَسْمَرَ مَشْفُوقِ الْخِيَاشِيمِ يَزُغُ

أراد بالأسمر القلم. والبيت عيال الرّجل والذين يبيت عندهم.

يُقال ما لفلان بيته ليلة، أي ما يبيت عليه من طعام وغيره. وبيّت الأمر إذا دبره ليلاً. قال تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى

مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ النساء: ١٠٨، أي حين يجتمعون في

بيوتهم. غير أنّ ذلك يُخصّ بالليل. النهار يطلّ كذا. والبيوت: الماء الذي يبيت ليلاً. والبيوت: الأمر
يبيت عليه صاحبه مهتماً به. قال أمية:

وَأَجْعَلْ فُقْرَتَهَا عُدَّةً إِذَا خِفْتُ بَيَّوتَ أَمْرِ لَا عُضَال

والبيات والتببيت: أن تأتي العدو ليلاً، كأنك اخذته في بيته.

نرى أنّ له عدة فروع معظمها وردت في المصحف في معانيها وأهم ما نرى فيها هو جمع الشمل
الذي ينطبق على مفهوم البيت الحرام أي إن كل من يريد أن يجمع شمله مع الله وإنشاء علاقة
روحية معه فليأت إلى البيت الحرام وهو مكان مشخص يمكن أن يرى بالعين لنزوع الإنسان إلى
المشخص، لذا فهو ليس مكان مبيت الله وإنما هو مكان إقامة علاقة روحية مع الله، ولذا طلب منا

أن نتجه في الصلاة إليه أينما كنا. وكما قلنا فقد ربط قمة المجرّد، وهو الصلاة، بقمة الشخص وهو البيت الحرام.

نرى أن وقوف المؤمنين في الصلاة متجهين للمسجد الحرام مهما بعدوا هو عملية لم شمل عالمية.

ولنفهم فهما أفضل ننظر إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ

أُولِيَاءَ كَمَا مَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ العنكبوت: ٤١. نرى هنا أن للعنكبوت بيتا لا

سكنا حيث أن بيت العنكبوت هو شبكة تنسجها العنكبوت حول محيطها وهي في مركزها، وعن طريقها تتصل بالعالم الخارجي، وهو ليس مكان المبيت بل العلاقات مع العالم الخارجي. وكذلك

نفهم قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ النور: ٣٦ ففي هذه البيوت تحدث العلاقة الروحية بين الله والإنسان. وكذلك

نفهم قوله تعالى ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴿٢٨﴾ نوح: ٢٨ أي من دخل في علاقة الإيمان معي

وليس بالضرورة سكني أو مكان مبيتي.

♦ **السكن:** (س ك ن) أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة. والسكن: الأهل الذين يسكنون الدار. وفي الحديث ((حَتَّىٰ إِنَّ الرِّمَانَةَ لَتُسَبِّحُ السَّكْنَ)) والسكن: النار، في قول القائل: قَدْ قُومْتُ بِسَكْنٍ وَأَدَهَانُ وَإِنَّمَا سَمِيتُ سَكْنًا لِلْمَعْنَى الْأُولَى، وهو أن الناظر يسكن إليها وإلى أهلها. ولذلك قالوا: ((أَنْسُ مِنْ نَارٍ)). ويقولون: ((هو أحسن من النار في عين المقرور)). والسكن: كل ما سكنت إليه من محبوب. والسكن معروف، قال بعض أهل اللغة: هو فعل لأنه يسكن حركة المذبوح به. ومن الباب السكينة، وهو الوفاء، وسكان السفينة سَمَيَ لأنه يُسَكَّنُها عن الاضطراب، وهو عربي.

هنا نرى أن السكن شيء والبيت شيء آخر حيث إن المسكين هو القليل الحركة، وهو الذي يقال عنه المعاق أو ذو الإحتياجات الخاصة كالأعمى والأصم والأبكم والمشلول، وكل اصحاب

الإعاقات هم مساكين. فالسكن هو مكان السكينة والهدوء، ولذا قال تعالى: ﴿... وَمَسْكَنٌ

تَرْضَوْنَهَا ...﴾ التوبة: ٢٤.

والغريب أن كل كتب الفقه إلى يومنا هذا ليس عندها وصف لذوي الإعاقات على أنهم هم المساكين، علما بأنهم ذكروا في التنزيل الحكيم أكثر من ذكر الفقراء.

يصف تعالى بيته المحرّم هذا بأنه أوّل بيت للعبادة (وإنما أضفنا كلمة للعبادة بدلالة قوله تعالى (هدى للعالمين) (بيت الله هو ليس مبيت الله ولا سكن الله) ثم يصفه بأنه وضع للناس ولم يقل وضع

للشعر، والناس جمع إنسان، ليدل على أنه وضع ليتعبد فيه العقلاء الذين ورثوا نفخة الروح عن أبيهم آدم. ثم يصفه بأنه مبارك ليدل على رسوخه وثباته من جانب وعلى نمو أثره وتنامي قيمته من جانب آخر وعلى رسوخ فكرة التوحيد فيه ثم انتشارها منه في نمو متزايد من جانب ثالث. ثم يحدد أن مكانه بكة. وبكة اسم قديم لمكة عرفت به منذ عصور وعصور يشير إلى قلة الكلام ومحدودية المفردات اللغوية آنذاك. ثم يقرر أن فيه آيات واضحة قابلة للمشاهدة بالعين وباللب يذكر واحدة من بينها هي مقام إبراهيم الذي ما زال حتى اليوم نراه أثناء الطواف، ويغفل ذكر الباقي. ولعل حجر إسماعيل من بين الآيات البينات التي جرى إغفالها. ثم يصفه بأنه هدى للعالمين، ولم يقل للمؤمنين ولا للمسلمين. والمقصود بهم الناس من أهل الأرض جميعا بدلالة أن

الحج تكليف ونداء للناس جميعا ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ ...﴾ آل عمران: ٩٧.

نصل أخيرا إلى صفة لهذا البيت بقرر فيها سبحانه أن من دخله كان آمنا. وكما وقفنا عند كلمة المحرم في الآية: إبراهيم ٣٧، كذلك نقف عند كلمة (آمناً) في هذه الآية لتتساءل: آمنا من ماذا؟ إن قلنا آمنا من الشرك أخطأنا، فالكعبة – قبل الفتح في العهد المحمدي – لم تخل يوما من أصنام الآلهة وأنصابها وتمثيلها. وإن قلنا من وسوسة الشيطان أخطأنا أيضا، لأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم. وإن قلنا آمنا من القتل أخطأنا أيضا وأيضاً، لأن الواقع لا يؤيد ذلك، فهناك العديد ممن قتل داخل المسجد الحرام ولم يكن آمنا.

١٥ – قلنا أن تقديم القرابين البشرية للآلهة قبل عهد إبراهيم كان ظاهرة شائعة في العديد من بقاع العالم، وفي أغلب الهياكل والمعابد، ونرى الآن أن هذه الظاهرة قد اختفت تماماً، علماً أن الحروب ما زالت موجودة والقتل ما زال موجوداً، هنا يأتي التنزيل الحكيم ليحكي لنا في قصة إبراهيم متى اختفت هذه الظاهرة وكيف.

١٦ – عندما اهتدى إبراهيم للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، واكتشف عبر رحلته الطويلة بين الشك واليقين أن الله هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل وأن الكون بكل ما فيه متحرك حنيف احتار ماذا يفعل ليقترّب من هذا الإله. فالناس يقدمون قرابين لآلهة مزيفة لا تمتلك ضراً ولا نفعاً لأحد، والمنتفع الوحيد من هذه القرابين على اختلاف أشكالها هم السدنة والكهنة والهامانات من أمثال آزر أبي إبراهيم الروحي ومربيه.

١٧ – ظلت فكرة تقديم القرابين لله تدور في رأس إبراهيم حتى سيطرت عليه، وبدأ يرى في المنام أنه يذبح ابنه. ثم تكررت الرؤيا حتى ترسّخت، فقرر إبراهيم أن يحولها إلى فعل على أرض الواقع بعد أن أيقن أنها ليست مجرد رؤيا، بل تكليف وأمر إلهي. وهذا ما نفهمه من قوله تعالى مصوراً

القسم الأول مما دار بين إبراهيم وابنه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي

الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّتِ أَعْمَلٌ مَا تُوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ

الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ الصافات: ١٠٢.

إننا لا يعنيها كثيراً – ونحن نرصد في التنزيل الحكيم كيف جرى وضع حد لتقديم القرابين البشرية للمعبودات – أن يكون الذبيح إسماعيل أم إسحق، خصوصاً ونحن نجد أن القائلين بإسحق هم: عمر وعلى والعباس وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل، وأن القائلين بإسماعيل هم: ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي. ولكل من هؤلاء وأولئك حجة ودليل.

ولا يعنينا كثيرا أن يكون المكان الذي جرت فيه هذه الأحداث هو بمنى أم بالشام أم بيت المقدس.

ولا يعنينا كثيرا إن كان التكليف المأمور به هو الذبح بقطع الحلقوم أم هو مقدمات الذبح من اضجاع، وربط بالحبال، وسنّ سكين، وما ينتج عن كل الأمرين في حال ترجيحه.

ما يعنينا ويهمنا من آية الصافات ١٠٢ هو التالي، مفترضين دون الدخول في التفاصيل، أن الذبيح

هو إسماعيل ودليلنا هو قوله تعالى عندما بشر إبراهيم بإسماعيل قال ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلَمٍ حَلِيمٍ﴾

﴿١٠١﴾ الصافات: ١٠١:

أ - قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ الذي نفهم منه أن إسماعيل بلغ سنا يستطيع فيها مع أبيه القيام بالمسعى النبوي الأول عند الأنبياء وهو الدعوة إلى التوحيد أي إن إسماعيل في لحظة أحداث الآية كان نبياً.

ب - قوله ﴿إِنِّي أَرَى﴾ ونفهم أن الرؤية ليست بالعين وأنها إدراك بالفؤاد لأنها في المنام، وأنها تكررت أكثر من مرة بدلالة استعمال الفعل المضارع "أرى" لا الفعل الماضي "رأيت"، كما في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف: ٤.

ج - قوله ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ونفهم أن فعل "ترى" فيه هو من الرأي لا من الرؤية.

د - قوله ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ الذي يمثل رأي إسماعيل النبي فيما رآه أبوه مناماً، والذي

يذكرنا بقول موسى للعبد الصالح بعد قتله الغلام ﴿فَانْظُرْ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَٰ غُلَامًا فَقَتْلَهُ، قَالَ

أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾ الكهف: ٧٤، وإذا كان قتل

النفس الزكية - أي كانت هذه النفس - أمراً نكراً حسب تعبير آية الكهف ٧٤، فما بالك بقتل الأنبياء والرسول؟ قد يقول قائل: تلك أحكام نزلت على موسى في ما بعد ضمن الوصايا العشر، لعلها لم

تكن في عهد إبراهيم وإسماعيل؟ لذا قال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ

أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعًا ...﴾ المائدة: ٣٢، إننا نفهم أن جواب إسماعيل لأبيه كان أن يفعل ما يؤمر لا ما يرى

في المنام لأن إسماعيل أيضا لا يقبل أن يقتله أحد بمجرد منام حتى لو كان أباه. فإن كانت المسألة أمرا بالقتل حسنا ، وإن كانت رؤيا فلا.

هـ - قوله ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الذي نرى فيه إشارته تدل على أن إسماعيل فهم من مقام النبوة القصد الإلهي من الرؤيا ومن التكليف بالذبح، وأن المسألة ابتلاء وامتحان، وهذا ما سيتضح جليا في القسم الثاني من القصة بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْبَلَتُ

الْمُيْنُ ١٠٦﴾ الصافات: ١٠٦، فإن قال مستنكرا: أليس في زعمك هذا انتقاص من إبراهيم باتهامه بأنه لم يفهم المقصود الإلهي، وإن ابنه فهمه؟ نقول: كلا، ليس فيه ما ذكرت بدليل أمرين:

الأول، قوله تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ...﴾ البقرة: ٢٥٣، والتفضيل شيء والإنقاص من المفضل شيء آخر. والثاني قوله تعالى

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ٧٨﴾ ففهمناها سُلَيْمَانَ وَكَلَّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ٨٠﴾ الأنبياء: ٧٨ - ٨٠

إن الإنتقاص الحقيقي كان بحق إسماعيل على أيدي المفسرين حين زعموا جميعا بدون استثناء أن الصبر المذكور في آية الصافات ١٠٢ هو الصبر على الذبح والامه، وكأن إسماعيل واحد من العوام الذين لا يعرفون شيئا عن المعاناة النفسية والروحية والفكرية، ومنتهى الصبر عندهم هو احتمال الألم المادي الجسدي الناتج عن لسع سوط أو حز سكين أو بتر ساطور.

١٨ - بالانتقال إلى القسم الثاني من مشهد الذبح تبدأ الأمور بالوضوح وتبدأ النقاط بالتوضع فوق حروفها:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرَهِيمُ ١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْبَلَتُ الْمَيْنُ ١٠٦﴾ وَفَدَيْتُهُ بِذَبِيجٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٠﴾

الصافات: ١٠٣ - ١١٠

أ - قوله ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ إشارة إلى أن معركة المعاناة قد حُسمت لمصلحة التسليم لله تعالى، وإلى أن نار تنازع الأفكار وتجاذب الوسوس في أعماقها قد انطفأ لمصلحة الإيمان والإنابة، وإلى إن الحيرة عندهما قد اطمأنت للطف الله ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ... ﴾ الشورى: ١٩. ولعلم الله بما هو خير للإنسان وإن كرهه وبما هو شر له وإن أحبه ﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١٦.

ب - قوله ﴿ وَتِلْكَ لِّلْجَنِّينَ ﴾ تجسيد عملي بالجوارح للتسليم النظري بالفكرة، سواء أكانت الواو استثنائية أم حالية، والأخيرة أقوى عندنا.

ج - قوله ﴿ وَتَلَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمُ ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا ... ﴿ وفيه يستوقف سبحانه وتعالى إبراهيم عن المضي في استكمال الذبح عمليا، إذ المراد ليس الذبح، بل امتحان إيمان إبراهيم وإسماعيل بربهما تسليما، وقد أثبتنا ذلك فعلا وعملا.

د - قوله ﴿ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْبَلَتُ الْمُيْنُ ﴾ الذي جاء متأخرا، وفيه دليل ما فهمه إسماعيل من أن المسألة ليست مسألة قتل وذبح بقدر ما هي مسألة ابتلاء واختبار.

هـ - قوله ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذي جاء متقدما، وفيه إشارة إلى الفداء الذي خص به تعالى إبراهيم وإسماعيل جزاء لهما على إحسانهما في الإسلام لله والتسليم لأمره.

و - قوله ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿ عبارتان، في الأولى يقر سبحانه وتعالى أولا القرابين من حيث المبدأ، لكنها تتحول عنده إلى صدقات عينية للفقراء والمساكين، وقروض حسنة للغارمين والمحتاجين، وأعمال صالحة يقصد بها وجه الله تعالى، فإذا كانت أضحيات نبهنا إلى أنه ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ

يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ ... ﴾ الحج: ٣٧. ويضع ثانيا نهاية لمسألة القرابين البشرية. أما في العبارة الثانية فهو يطمئننا بأن ما وضعه من منع للقرابين البشرية واستبدالها سبقي ساري المفعول إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وأنه ليس محصورا بعصر إبراهيم، بل سيشمل ما بعده من عصور متأخرة.

الآن فقط نستطيع أن نفهم معنى قوله تعالى حين قال ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ

دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ آل عمران: ٩٧. ونستطيع أن نفهم لماذا تكررت عبارة ﴿ كَذَلِكَ

يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ مرة في الآية ١٠٥ ومرة في الآية ١١٠ من سورة الصافات. فإبراهيم

أحسن بإسلامه لله وتسليمه لأمره، فجاءه الجزاء بأن فدى الله ابنه إسماعيل بقربان جليل الشأن

وأعلن سبحانه قانون جزاء الإحسان والمحسنين، وهذا معنى كلمة ﴿ إِنَّا ﴾ في الآية ١٠٥.

وإبراهيم أحسن في الإنابة إلى الله والإتكال عليه، فجاءه الجزاء مرة ثانية خاصا به وهذا معنى

قوله تعالى ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ بأن زاده مقاما على مقام، فبعد أن جعله إماما (البقرة:

١٢٤) وللمؤمنين والمسلمين أسوة حسنة (الممتحنة: ٤) ترك ما نزل عليه من منع القرابين البشرية واستبدلها بالحيوان سنة يعمل بها كل من يأتي بعده إلى بيت الله الحرام. وبهذا استقر مفهوم الأضحية في الحج والفداء في القرابين ليبين أن كل من دخل المسجد الحرام كان آمنا من تقديمه إلى الله كقربان بشري، وصدق الله العظيم. أما ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنه آمن من اغتيال الآخرين له أو إيذائهم له أو قتله فليس عندنا بشيء. والتاريخ يؤكد عدم صحة هذا المفهوم.

١٩ – كانت الفقرة الأولى من رسالة إبراهيم الدعوة إلى التوحيد، الذي يشكل محورا دارت حوله دعوات من سبق من أنبياء ورسل. وكانت الفقرة الثانية ترسيخا لمفهوم بر الوالدين الذي جاء به نوح، وتوسيعا لهذا المفهوم بحيث أصبح يشمل الأبوين، تماما كما اتسع مفهوم الدعوة إلى التوحيد ليشمل مع القوم السلطة الحاكمة. وكانت الفقرة الثالثة تضع الأسس الأولى لفكرة الهجرة إلى الله، التي جاءت لتتوج عمليا وماديا مرحلة البحث عنه بين المعبودات الزائفة الأخرى.. ثم الإهداء إليه، ثم التعرف حسيا على قدراته في إحياء الموتى استنباطا من قدرته على إحياء الشمس والقمر وباقي الكواكب والنجوم بعد أفولها. وكانت الفقرة الرابعة تتضمن الإجابة عن سؤال كبير: ماذا يفعل الباحث عن ربه الواحد الأحد بعد أن يهتدي إليه ويتعرف إلى قدراته؟ واين وكيف يتقرب إلى الله ليرضى؟

لقد جاءت هجرة إبراهيم إلى منطقة مكة المكرمة عند بيت الله المحرم، وتطهيره من كل ما يشغل قاصديه ويعوقهم عن الطواف والإعتكاف والركوع والسجود، لتجيب عن الشق الأول من السؤال. وجاءت قصة الرؤيا والذبح والفداء – التي فصلناها آنفا – لتجيب عن الشق الآخر منه، وليأخذ مفهوم القرابين شكله الصحيح على يدي إبراهيم وإسماعيل، وليتكرس استبعاد تقديم القرابين البشرية إلى يومنا هذا.

٢٠ – لكن ابرز وأهم ما أرساه إبراهيم كنبى ورسول – مع عدم التقليل أهمية ما أشرنا إليه في الفقرة السابقة – أمران:

الأول، ظهور مفهوم التجريد في التقرب إلى الله في الفكر الإنساني، إذ كان التشخيص هو السائد، وكان لا بد في عصر إبراهيم وما قبله من شكل بعينه وإسم بعينه لكل رب ومعبود، ولا بد من مكان بعينه يسكنه هذا الرب المعبود يُعبد فيه ويُقدم القرابين لنيل رضاه.

الثاني، اكتمال الانتقال من التشخيص إلى الرمز للوصول إلى التجريد. هذا الانتقال الذي بدأت بذوره مع أول مخلوق بشري نفخ الله فيه من روحه فتحول إلى إنسان عاقل، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى وهو يستهل فصلا من فصول قصة إبراهيم **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾** الأنبياء: ٥١.

٢١ - لعل أوضح شعيرتين من شعائر الأيمان عند الأمة المحمدية تعودان في العديد من تفاصيلهما إلى إبراهيم، وتتجلى فيهما تلك النقلة من المشخص إلى المجرد عن طريق الرمز، هما: التجريد في الصلاة، والمشخص في الحج، وارتباطهما مع بعضهما.

أخيرا لنأمل هاتين الآيتين:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ الحج: ٢٦

تطهير البيت يعني تطهيره من الأصنام.

الشعائر

الصلاة والصيام شعائر شخصية نتقرب بها إلى الله. الزكاة لها علاقة بالآخرين أيضا، وهي من أهم الشعائر في الإسلام.

أ - الصلاة

قال تعالى

﴿ وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢٤) **﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾** (١٢٥) **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**

مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ البقرة: ١٢٤ - ١٢٦

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج: ٢٦

هذه الآيات تروي فصولاً من قصة إبراهيم مع بيت الله المحرم في وادٍ غير ذي زرع، لكن الإحداث فيها ليست مرتبة حسب وقوعها، فمثلاً:

أ - جعل البيت مثابة للناس وأمناً حصل قبل جعل إبراهيم للناس إماماً، بدليل الفرق بين قوله **وَإِذْ**

جَعَلْنَا الْبَيْتَ وقوله **إِنِّي جَاعِلُكَ**.

ب - اهتداء إبراهيم لمكان البيت المحرم وتلقيه الأمر بتطهيره، حصل قبل صدور الأمر له ولإسماعيل مرة أخرى بتطهير البيت.

ج - صدر الأمر للناس بقوله تعالى **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**، لا بد أن يأتي بعد تطهير البيت لا قبله.

ما يهمننا في هذه الفقرة أن نميز بين أمرين في الآيات الأربع السابقة:

الأول إن إمامة إبراهيم للناس أصبحت تشمل إمامتهم في الصلاة إلى جانب كونه إماماً لهم في منهجه الإستقرائي الذي قاده إلى التوحيد وفي الشك الذي قاده إلى اليقين.

الثاني إن تطهير البيت في المرتين المذكورتين إنما هو تطهير من أجل "الطائفين" ليتمكنوا من الطواف، ومن أجل "العاكفين" ليتمكنوا من الإعتكاف، ومن أجل "الركع السجود" ليتمكنوا من إداء صلواتهم. ولا يفوتنا أن نفهم أنَّ الطائفين هم الوافدون، وأنَّ العاكفين هم المقيمون، الذين سنتحدث عنهم تفصيلاً في الفقرة التالية.

إننا نرى في ضوء تكليف الناس (جمع إنسان وهو مخلوق عاقل) بإتخاذ مقام إبراهيم مصلي^(*)، وفي ضوء إشارة آيتي (البقرة ١٢٥ والحج ٢٦) إلى وجود طائفين وعاكفين وركع سجود في العصر الإبراهيمي، أن إقامة الصلاة بركوعها وسجودها جاءت لإبراهيم أول مرة مقترنة بالبيت

(*) ثمة قراءتان لآية البقرة ١٢٥، الأولى تلفظ الخاء من كلمة (واتخذوا) مكسورة بصيغة الأمر، وهذه قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحزمة وعاصم والكسائي وهي الأرجح عندنا. وفي الثانية تلفظ مفتوحة بصيغة الخبر، وهي قراءة نافع وابن عامر وليست عندنا بشيء، إذ في الأولى تأكيد لإمامة إبراهيم من جانب، وتأكيد للقبلة الإبراهيمية من جانب آخر، دون أن يتعارض ذلك مع وجود طائفين وعاكفين وقائمين وركع سجود قبل إبراهيم ومعه.

المحرم أي الكعبة المشرفة، ثم اختلفت بعد إبراهيم على أيدي أهل الملل الأخرى من يهود ونصارى، وكذلك صلوات الملل الأخرى حيث لكل ملة صلاة خاصة بها وكلهم يشترك في ظاهرة التأمل والخشوع، ويقودنا التأمل في الآيات الأربع إلى عدة نتائج:

١ - الأمر بتطهير البيت نزل مرتين، مرة لإبراهيم منفردا عقب نزوله بجوار بيت الله المحرم، بدلالة آية الحج ٢٦، حين كان إسماعيل لا يزال طفلا رضيعا، ومرة لإبراهيم وإسماعيل معا بدلالة آية البقرة ١٢٥، بعد أن بلغ إسماعيل أشده وصار نبيا.

٢ - الأمر في التطهير في المرتين يقتضي أن الكعبة قائمة، وأنها مثابة للناس وأمن، وأنها عامرة بالطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود.

٣ - رفع القواعد بمعنى إزالة الإشغالات، سواء أكانت أنصابا أم أصناما أم منصات للنخاسين والصيارفة، داخل في أعمال التطهير ولا علاقة له بالبناء والأساسات من قريب ولا من بعيد.

٤ - حين نقول إن إقامة الصلاة بركوعها وسجودها نزلت لأول مرة على إبراهيم مقترنة بالكعبة لا نعني الصلاة كصلة بين العبد وربّه لم تكن معروفة عمليا قبل ذلك، وإلا فماذا كان يفعل الطائفون والعاكفون في البيت المحرم؟ فالصلاة في الأصل صلة بين العبد وربّه عمودها الدعاء تضرعا لدفع شر وحما لجر خير، وحين نقول إن الصلاة بركوعها وسجودها - كما أمر الناس أن يأتوا بإبراهيم في إداها هي التي بدأت بإبراهيم - قد اختلفت فيما بعد على يد أهل الملل الأخرى، فإننا نقول ذلك ناظرين إلى قوله تعالى يصف صلاة الكافرين في الكعبة لنبيه (ص)

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا

كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ الأنفال: ٣٥ (المكاء والتصدية: الصغير والتصفيق).

٥ - يؤكد ما ذهبنا إليه، دليل قرآني هو قوله تعالى ﴿يَمْرِمُ أَفْنَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي

مَعَ الرُّكْعَيْنِ ﴿٤٣﴾ آل عمران: ٤٣. هنا نجد أن ترتيب السجود والركوع عند مريم اختلف عما كان عليه عند إبراهيم، إلا أنهما لم يختلفا من حيث شكل الأداء تطبيقا. فالركوع - بالأصل - هو جلوس المتضرع المستعطف القانت جاثيا على ركبتيه، وهذا ما كان عليه ركوع إبراهيم ومريم، ثم صار الركوع عند الأمة المحمدية انحناء يعبر عن الإحترام والتعظيم بحيث تستقر راحتا الراعي المنحني على ركبتيه، تماما كما تحول الصوم من إمتناع عن الكلام إلى إمتناع عن الطعام والشراب في أوقات معلومة على مدى شهر معلوم. ونفهم من آية آل عمران ٤٣ أن الركوع والسجود كانا موجودين في عصر مريم وابنها المسيح، تماما كما كانا قبل ذلك في عصر إبراهيم، والسجود عند مريم والمسيحيين هو وضع الذقن على الصدر وذلك في قوله تعالى

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ الإسراء: ١٠٧، ونفهم أن الركوع الجثو على ركبتيين يليه السجود وهو وضع

الذقن على الصدر، ونرى هذا إلى اليوم في صلاة المسيحيين.

٦ - يؤكد ما ذهبنا إليه أيضا خبر تاريخي يرويه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (ج ٢ ص ٣١١) عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال: كنتُ امرأً تاجراً، قدمت أيام الحج فأتيت العباس، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل يصلي، ففأنا تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي معه، وخرج غلام فقام يصلي معهم، فقلت: يا عباس، ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو. قال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله به، وأن كنوز قيصر وكسرى ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتي كنت آمنت به يومئذ، وكنت رابعاً.

٧ - فإذا نحن وقفنا متأملين في قوله تعالى لنبيه الكريم في سورة هي من أوائل ما نزل عليه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۖ﴾ (العلق: ٩ - ١٠، فهمنا أن الصلاة هنا من صلة بين العبد وربّه وليست الصلاة الشعائرية وكانت معروفة قبل النبي وحتى قبل إبراهيم.

٨ - حين توجه النبي (ص) في صلاته إلى الكعبة المشرفة كان ذلك تأسيساً بقبلته إبراهيم قبله، لأن الأمر الإلهي في قوله تعالى ﴿... قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ...﴾ (البقرة: ١٤٤، نزل في المدينة المنورة بعد الهجرة.

٩ - كان النبي (ص) طوال فترة سبعة عشر شهراً في المدينة يتوجه في صلاته إلى المسجد الأقصى ويقلب وجهه في السماء، حسب تعبير آية البقرة ١٤٤، بانتظار نزول أمر إلهي يكرس اجتهاده أو يأمره باستبداله. وإذا كانت مسألة القبلة في التوجه نحو الكعبة لم تخلق مشكلة للنبي (ص) وأصحابه وهم في مكة، فإنها بدأت تتحول إلى مشكلة بعد هجرتهم إلى المدينة.

١٠ - كان لتأخير نزول الأمر بتحديد القبلة حكمة وسبب أوضحه تعالى بقوله ﴿... وَمَا جَعَلْنَا

الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ...﴾ (البقرة: ١٤٣). والجعل يعني في الآية تحويل الاجتهاد النبوي إلى أمر إلهي، و (الْقِبْلَةُ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) تعني الكعبة التي كنت وما زلت تتوجه إليها، تماماً كقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ آل عمران: ١١٠، أي صرتم وما زلتم.

١١ - كل ما قاله اهل الأخبار وأصحاب التفاسير، عن نزول أمر إلهي بالتوجه إلى بيت المقدس في الصلاة ثم نسخه بآية البقرة ١٤٤، ليس عندنا بشيء. وكل ما زعموه من أن النبي اتجه بأمر من ربه إلى بيت المقدس في صلاته استرضاء لليهود واستماله لهم (تفسير الرازي ج ٤ ص ٩٤) مرفوض عندنا جملة وتفصيلاً، القائل به من عبيد الإسرائيليات. وكل ما صاغه القائلون بالنسخ من أن آية البقرة ١٤٤ نزلت ناسخة لآية أخرى لا يدري أحد عنها شيئاً، جعلت من النبي (ص) وأصحابه محل سخرية لليهود على مدى سبعة عشر شهراً، أنما هو نسيج خيال ركيك وخطير في

آن معاً. فانه تعالى يقول ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ... ﴿البقرة: ١٥٠﴾

فهل يعقل بعد هذا القول أن يتخذ النبي (ص) قبلة جديدة غير التي اعتمدها على مدى أربعة عشر عاماً يُعطي فيها الحجة لليهود؟

١٢ - ثمة فيما نرى - أكثر من علاقة وثيقة تربط الصلاة بالحج من جانب، وهذا ما سنفصله في الفترة التالية، وبين التجريد والتشخيص من جانب، الذي يتجلى في عدد من الصور، منها:

أ - توجّه المصلي إلى الكعبة المشرفة حيث بيت الله الحرام، وهذا توجّه (حج) روعي معنوي مجرد.

ب - التسبيح باسم الله العظيم في الركوع وباسم الله الأعلى في السجود.

ج - التسليم بعد الإنتهاء من الصلاة، الذي يمثل صورة حسية لأيمان المصلي بوجود الملائكة.

ب - الحج إلى بيت الله الحرام

الحج مفردة قرآنية وردت في ثلاثة عشر موضعاً في التنزيل الحكيم، واللفظ ورد ليدل على أحد أربعة معانٍ:

الأول القدوم والقصد، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِمَّةِ الْمَلَأِئِمَّةُ أَتَاهُ حُنُودُ الْأَعْرَابِ﴾

أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ التوبة: ٣.

الثاني الدليل والبرهان، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

أَتُتْلَا عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ الجاثية: ٢٥

الثالث الجدل والإمعان في الحوار بين المتخاصمين كما في قوله تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ

أَتُحْجَّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ

شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ الأنعام: ٨٠

الرابع السنة والعام كما في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ

تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ القصص: ٢٧

وما يهمنا في هذه الفقرة هو المعنى الأول للحج: القصد إلى بيت الله الحرام والتوجه إليه في أشهر معلومات من العام لأداء مناسك معينة لقوله تعالى ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ آل عمران: ٩٧. أو القصد للعمرة أو ما يمكن أن نقول عليه (الحج الأصغر) في

الأشهر الحرم والمذكورين في قوله تعالى ﴿... إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ

حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ

شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ البقرة: ١٥٨.

من هنا، فنحن نرى أن فكرة الحج عند إبراهيم تتجلى في قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿وَقَالَ

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ الصافات: ٩٩. ثم تبدأ الفكرة بالنضوج وهو يدعو ربه قائلا

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا

الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ إبراهيم: ٣٧. ونرى أن مكان الحج قد تحدد منذ إبراهيم بالكعبة المشرفة، وفي

بلد صغير شحيح بالماء والثمر، لا يزيد عدد قاطنيه على المئات، ولا يتجاوز عدد قاصديه العشرات. والسؤال الآن: هل أضافت البعثة المحمدية جديدا إلى الحج من حيث المكان؟ والجواب: نعم بكل تأكيد. فقد استجاب الله لدعاء إبراهيم وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وأمر الناس باتخاذ مقام إبراهيم مصلًى، وصارت العشرات ألوفا، ولم يعد المكان على هيئته الأولى يتسع للوافدين المحرمين (قيل إن عدد من شارك في حجة الوداع بلغ مئة ألف حاج، وهذا الرقم على قلته بالمقارنة بعدد الحجاج اليوم البالغ حوالي ٢,٣ مليون حاج بين قادم ومقيم، يعد فريدا من نوعه في منتصف القرن السابع الميلادي في شبه جزيرة العرب) وكان لا بد لحدود الحرم الملكي أن تمتد لتستوعب هذه الخلائق المهاجرة إلى ربها، فكان أن رسم النبي (ص) مواقيت الحرم من جهاته الأربع، لا يتجاوزها الحاج والمعتمر إلا محرما، ولا نرى أن هذه المواقيت كانت في عهد إبراهيم، ويؤكد هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال: (نَحَرْتُ هَا هُنَا وَمَنْى كُلَّهَا مَنَحَرٌ، وَوَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفْتُ كُلَّهَا مَوْقِفٌ). ونفهم أن المواقف في الحديث الرسولي – إن صح – هي الأماكن التي يقف فيها الحاج لقضاء مناسكه، وهي الشعائر كما

في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ

فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ

وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ﴿١٩٨﴾

البقرة: ١٩٨

والجديد في الحج الذي جاءت به البعثة المحمدية لم يقتصر على المكان بل امتد حتى شمل الزمان أيضا، إذ لا بد لكل فعل من ظرف مكاني وظرف زمني يقع فيهما. وإذا كان الجديد في الحج بظرفه المكاني جاء توسيعا لحدود المكان – كما رأينا – فصار عرفة عرفات كما في آية البقرة ١٩٨، وصار المنحر مناخر كما في الحديث الرسولي، فإن الجديد في الحج بظرفه الزمني جاء تنظيما هدفه التقليل من الإزدحام في مواقف الحج حتى بعد توسيعها. ونبدأ بقوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا

الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ...﴾ البقرة: ١٩٦، الذي نجد أنفسنا معه أمام أمرين: الأول: قوله وَأَتِمُّوا، والثاني

تفريقة بالعطف بين الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ أما الأول ففيه أمر تكليفي بالإتمام، أي إداء الشعائر والمناسك

متتابعة دون فواصل زمنية بينها تماما كما في الصوم حين يقول تعالى ﴿... ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ

إِلَى الْيَلِّ ...﴾ البقرة: ١٨٧.

ننتقل الآن إلى قوله ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ...﴾ البقرة: ١٩٧، ولنقارنه بقوله تعالى

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ...﴾ البقرة: ٢٠٣، وبقوله تعالى

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ...﴾ الحج: ٢٨

الإشارة واضحة في الآية ١٩٧ من سورة البقرة في لفظ مَعْلُومَاتٌ إلى الأشهر الحرم، وهي:

رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، في قوله ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ

شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا **أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ...﴾

التوبة: ٣٦. والإشارة واضحة أيضا أن هذه الأشهر معروفة ومشهورة عند العرب قبل البعثة المحمدية. (هناك من يعتبر أن الأشهر الحرم هي أربعة أشهر متتالية لا انقطاع فيها). وهذا يقودنا

إلى آية الحج ٢٨ وقوله تعالى ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، فكما إن هناك أشهر معلومات هي

الأشهر الحرم، كذلك فإن هناك أيام معلومات ومعروفات ومشهورات هي الأيام التسعة الأولى من

شهر ذي الحجة وآخرها الوقوف بعرفة (هذه الأيام لا علاقة لها إطلاقا بقوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ١)

وَلَيْلِ عَشْرِ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ الفجر: ١ - ٣. ولا يطعن في معلوميتها وشهرتها أنها لم تذكر في

بالنص في التنزيل الحكيم، فهي الموسم السنوي الأبرز عند أهل شبه الجزيرة العربية، وفيها كانت قريش تمارس دور المضيف في رفاة الحجاج وسقايتهم منذ عهد إبراهيم، بدليل أن الإشارة إلى

هذه الأيام المعلومات وردت في سياق خطابه تعالى لإبراهيم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ ... ﴿٢٨﴾ الحج: ٢٧ - ٢٨ أي إن الأيام

المعلومات بدأت منذ إبراهيم.

ثمة أيام معدودات تأتي في الترتيب القرآني بعد الأيام المعلومات هي التي تبدأ بالوقوف بمزدلفة وتنتهي بطواف الإفاضة، وهي التي لا إثم على الحجاج إن تعجل بإداء ما بقي عليه من مناسك في يومين، ولا إثم عليه إن تأخر، حسب النص الحرفي لآية البقرة ٢٠٣، التي قد تكون في أي أيام من أيام الأشهر الحرم وليست حصرا في الأيام المعلومات كما سنبين ذلك لاحقا.

تلك هي المصطلحات الزمانية التي وردت في كتاب الله حول الحج، نراها أشبه ما تكون في مرسوم تنظيمي، جاءت السنة الرسولية لتوضح عمليا ترتيب ما يجب أن يقوم به الحاج:

١ - الإحرام في الميقات.

٢ - دخول المسجد الحرام لطواف القدوم.

٣ - الإنطلاق بعد صلاة الصبح من يوم التروية (الذي كان الثامن من ذي الحجة من حجة الرسول) إلى منى.

٤ - التوجه بعد صلاة الصبح من يوم عرفة (الذي كان التاسع من ذي الحجة في حجة الرسول) إلى جبل عرفة للصلاة والدعاء والوقوف على الصخرات حتى المغيب.

٥ - التوجه بعد غروب الشمس من عرفه إلى مزدلفة حتى فجر يوم النحر.

٦ - جمع الحصى للرمي بعد صلاة الصبح في مزدلفة.

٧ - رمي الجمرات، وذبح الهدي، والحلق والتقصير.

٨ - التوجه إلى مكة بعد الحلق للطواف والسعي.

إننا بالتأكيد لسنا بصدد ضبط أداء المناسك والشعائر في الحج، والرخص فيها، وأحكام مخالفة بعضها عمدا أو بغير عمد، وما يجب فيه التفكير بأضحية وما لا يجب فيه، لكننا نتساءل بحيرة: إن كانت هذه الأركان والأعمال لا تحتاج إلى أكثر من أيام معدودات، وإذا كان الحج عمليا عند الرسول (ص) كما ورد في حديث رواه الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي - إن صح - هو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، رغم أن هذا الحديث غير

موجود في الصحيحين، فما المقصود في قوله تعالى ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ...﴾ البقرة:

٩١٩٧

والجواب: أن الآية تتحدث عن الحج عموماً بنوعيه: ألحج، والحج الأصغر أي العمرة (٩) في الأشهر الحرم، أما تخصيص الحج بالوقوف في عرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة فهو من القصص المحمدي، فسنوضح ذلك بعد أن نبين أنواع القصد لبيت الله. حيث لدينا ثلاث حالات:

الحالة الأولى: الحج ويتم فيه إداء الشعائر في أي (أيام معدودات) من الأشهر الحرم، وفيه الوقوف

بعرفات في أي يوم من أيام الأشهر الحرم لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ...﴾

البقرة: ١٩٧، ومنه المفرد وهو الحج فقط، وفيه القارن وهو إحرام العمرة والحج معاً، وفيه التمتع حيث يمكن أن تكون العمرة (الحج الأصغر مع الحج).

الحالة الثانية: الحج الأصغر وهو ما نسميه العمرة مفردة في الأشهر الحرم.

الحالة الثالثة: العمرة فقط وهي القدوم إلى البيت العتيق والطواف والسعي فيه في باقي الأشهر، فهي لا حج ولا حج أصغر، وإنما هي عمرة، حتى ولو كانت في رمضان.

مَتَى نَحُجُّ

النبى (ص) حج في الأيام العشرة من ذي الحجة، وصار المؤمنون بعده من أمته يحجون في هذه الأيام حصراً، ما جعل الزحام شديداً في موسم الحج المتعارف عليه إلى يومنا هذا، حتى صار إداء المناسك عسيراً جداً على الحجاج، لتوافدهم جميعاً على نفس المكان لإداء نفس المناسك في نفس الوقت، ونحن نتساءل عما سيؤول إليه الوضع في العقود والقرون المقبلة رغم التوسيعات التي تقوم بها السلطات السعودية والإجراءات التي تتخذ سنوياً للحد من هذه المعاناة التي ستظل قائمة وستزداد مع الأعوام، إذا لم نتمكن من إيجاد حل عملي يتوافق مع المقصود الإلهي في التيسير على الناس؟

كتب الفقه والروايات تحرص وتؤكد على أن الحج في هذه الأيام المعلومات فقط.

يقول تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ

كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ

الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ الحج: ٢٧ - ٢٨

(٩) ما زال بيننا إلى اليوم من يخلط بين العمرة، أي الحج الأصغر، والزيارة وهي العمرة خارج الأشهر الحرم. وما زال البعض يزعم أن زيارة المسجد الحرام في رمضان هي عمرة تجزئ عن حجة، وهذا ليس عندنا بشيء.

ويقول تعالى في سورة البقرة: ١٩٧ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ...﴾

فهل الحج ايام معلومات أو هو اشهر معلومات؟ كيف نزيل هذا التناقض؟

- الأذان هو الإعلام والإبلاغ والدعوة، وكلمة (وَأَذِّنْ) هي أمر من الله لرسوله (ص) بإتباع سنة إبراهيم في الحج في أيام معلومات، أما الزعم أن نزول الآية هو ابتداء فرض الحج من الله تعالى للرسول (ص) فهو جهل أو إنكار وجود طائفين وعاكفين وركع سجود في البيت العتيق المحرم قبل العصر النبوي.
- الناس جمع إنسان وقد اختلف فيها على ثلاث آراء
- الأول اعتبروا أن الإنسان مشتق من النسيان وإنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عاهد نفسه، بدلالة قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه: ١١٥.

الثاني اعتبروا أن الإنسان مشتق من الأنس وهو نقيض الوحشة والنفور، ذكره تعالى بقوله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلَكُم تَذَكَّرُونَ﴾ النور: ٢٧

الثالث اعتبروا أن الإنسان مشتق من المؤانسة وهي الرؤية المقرونة بارتياح وطمأنينة، بدلالة قول موسى لقومه ﴿إِذْ رَأَيْنَا أَتَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَسَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ طه: ١٠ ومن هنا سمي الإنسان إنسانا لإمكان رؤيته وسمي الجن جناً لإخفائه.

أما نحن فلا تهمنا هذه التعاريف الثلاث رغم صحتها، ولا تساعدنا في فهم أية الحج ٢٧، وإن علوم الاجتماع والإحصاء هي التي تساعدنا على فهم الآية.

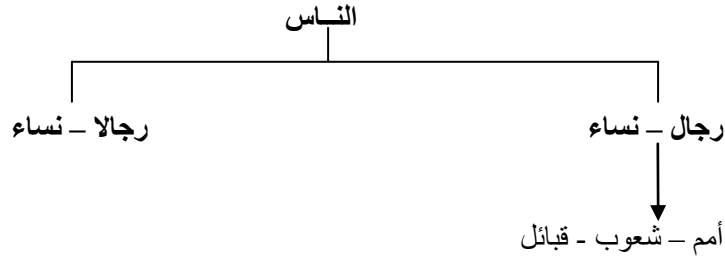
إننا نفهم لماذا لا نجد في كتاب الله عبارة مثل "يا أيها الخلق" أو مثل "يا أيها البشر"، والجواب: لأن الخطاب بالأصل لا يكون إلا للعاقل والخلق إسم عام لمجموعة كبرى تضم الحيوان والنبات والجماد وهذا لا يجوز عقلا توجيه الخطاب إليها^(٤). والبشر إسم عام لمجموعة أصغر تفرعت من مجموعة الخلق تضم بشرا يدبون على أربع ثم على إثنين لم تصلهم نفخة الروح الإلهية بعد، أي ليس لديهم عقل ولا لب، وهؤلاء أيضا لا يجوز عقلا توجيه الخطاب إليهم.

أما الناس فهم البشر العقلاء بعد نفخة الروح.

(٤) قد يصبح بنا مستنكر: فأين أنت من قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا

وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت: ١١؟ نقول: الخطاب هنا لسان

حال وليس لسان مقال، والقول هنا على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، وإلا لزم أن يكون للأرض إذن ولسان وفؤاد، وهذا لا يقوله عاقل.



إنَّ النظر للشكل يعيننا على فهم جملة من آيات التنزيل الحكيم، منها قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَفْضَلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات: ١٣. الذي يوضح كيف تتوالد المجموعات وتتفرع

من مجموعة كبرى هي الخلق وتتألف من عنصرين أساسيين هما الذكر والأنثى موجودين تكوينياً في كل أنواع الخلق من حيوان ونبات، الغاية منها التكاثر للحفاظ على النوع، ويبين أن الميل البشري للعيش في مجتمعات (أُمم وأقوام، قبائل وشعوب) هو أيضاً ميل فطري هدفه العيش والتعارف.

والتأمل في الشكل يساعد على فهم قوله تعالى ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴿٩٧﴾ آل عمران: ٩٧.

كما يساعد على فهم قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ

ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ الحج: ٢٧. فقوله (رجالاً) يشير إلى أمرين:

الأول: إنَّ الآتين هم من الذكور العاقلين البالغين الراشدين، والثاني: أنهم يأتوك راجلين. وقوله (يأتين) يشير أيضاً إلى أمرين: الأول: أنَّ الآتيات هنَّ من الإناث البالغات الراشدات بدلالة نون النسوة، والثاني: أنهنَّ يأتين راكبات على الدواب المخصصة للركوب من جمال وبغال وخيول وحمير أهزلها السفر بدلالة قوله (وعلى كلِّ ضامرٍ). علماً بأنَّ الرجال فيهم الذكور والإناث، والنساء فيهم الذكور والإناث حسب سياق الآية: إما رجال فيهم ذكور وإناث، أو رجال هم أزواج النساء. وكل من لا يستطيع أن يطوف ويسعى مترجلاً ذكراً كان أو أنثى فقد سقط عنه الحج لسبب صحي، أي فقد الإستطاعة الجسدية.

ونحن نقرأ كتاب الله تعالى ونقرأ قصة النبي إبراهيم عليه السلام وهو يبحث عن ربه بين الكواكب والنجوم، ويفتش عن بيت ربه المحرم بين الجبال والأودية ثم يجدهما بعد رحلتين طويلتين أُولاهما رحلة نظر والثانية رحلة سفر، ويقف بعدهما يدعوا إلى عبادة إله واحد أحد، إله مجرد لا يرى ولا يلمس ولا يُشم، ويدعو للتوجه إليه في بيتٍ محرم بوادٍ غير ذي زرع عند بلدة شحيحة بالثمر والشجر في بكة، ولا يخرج في هذا كله – من حيث الشكل العام – عما دعا إليه الأنبياء والرسل الذين سبقوه وأولهم نوح، والذين جاؤوا بعده وخاتمهم محمد (ص). المذهل أنَّ هؤلاء جميعاً جاؤوا

لأهلهم وعشيرتهم وقومهم إلا إبراهيم الذي استهدف في دعوته "الناس" لأول مرة في تاريخ

الرسول والأنبياء لقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ البقرة: ١٢٤. بعبارة

أخرى: المذهل عند إبراهيم هو تلك النكحة الأُممية الإنسانية السابقة لعصرها التي لا نجد لها مثيلاً

إلا عند حفيده محمد بن عبد الله (ص) في قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧. وفي قوله عن نفسه ﴿... يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ

اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...﴾ الأعراف: ١٥٨، وكذلك في الآيتين اللتين نحن بصددهما الحج:

٢٧ - ٢٨، والمتأمل للآيتين يدرك أنهما تتضمنان أمراً للرسول (ص) بالأذان للحج. لأنه طلب منه أن يدعو الناس إلى الحج في "أيام معلومات"، وهذه الأيام معلومات كما ورد ذكرها في الآية كانت معروفة قبل البعثة لهذا قال له (في أيام معلومات)، وهي التي كان يحج فيها الناس على عهد إبراهيم كما رأينا. وهذا يبين أن الأمر الوارد في الآيتين لم يكن من الممكن أبداً أن يكون المقصود به هو إبراهيم في أي حال من الأحوال، لأنه في هذه الحالة ستصبح معرفة (الأيام المعلومات) مُبهِمة، لأن الآية تدعو إلى الحج في أيام معلومات حيث كانت هذه الأيام معروفة قبل إبراهيم لو كان الأمر في آية الأذان موجهاً له؟

هذا يبين دون مجال للشك أن الأمر صدر للنبي (ص) لأنه هنا يتحدث عن الأيام المعلومات التي كانت معروفة قبله أي على عهد إبراهيم، ثم طلب الله منه اتباعه بالأذان في الناس بالحج في هذه الأيام، فعلى هذا النحو فقط يستقيم معنى الآيتين، ومما يؤكد أيضاً أن الأمر بالأذان في الناس موجه إلى الرسول (ص) ما جاء في قوله في سورة الحج نفسها في الآيتين ٢٩ و ٣٠ أي بعد

الآيتين ٢٧ و ٢٨ في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ

وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ،

عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَاعُ إِلَّا مَا يَتَلَنَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَنِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ الحج: ٢٩ - ٣٠.

إنَّ هاتين الآيتين جاءتا بعد أن طلب من الرسول الأذان في الناس بالحج، لبيان ما على الحاج من

الناس تقديمه لله من أضحيات، بقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَاعُ إِلَّا مَا يَتَلَنَ عَلَيْكُمْ

عَلَيْكُمْ﴾ ، هذا الجزء من الآية هو الشاهد الذي نستدل به لبيان أن الأمر بالأذان جاء

لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ (ص) لا لإبراهيم، لأن يبين لهم ما أحل لهم من الأنعام لتقديمه كأضحية بأنها كلها

حلال إلا ما حرم بالنص في التنزيل الحكيم لهذا قال لهم: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ^ط وكما

هو معروف فإنه على عهد إبراهيم لم يكن قد ورد بعد التحليل والتحريم في الأطعمة، بل جاء ذلك في ما بعد على عهد بني إسرائيل مع موسى وعيسى ثم على عهد الرسول (ص) بعد ذلك، وهذا يبين أن الخطاب وجه له لا لغيره بالأذان للناس بالحج الوارد في الآية ٢٧ من سورة الحج.

ولكن هنا يجب الوقوف وقفة تأمل في الآيتين ٢٧ و ٢٨ من سورة الحج، ومعرفة ما إذا كان المقصود فيهما ب "الناس" كل الناس إلى يوم الدين، أم فقط من كان في عهد الرسول (ص)؟ لمعرفة ذلك يجب علينا التنقيب أكثر في الآية ٢٧ لنذكر أن الخطاب في هذه الآية يخص فقط الناس على عهد الرسول (ص) أي ممن عاصره، لأن فعل (يأتوك) دليل ظرفية زمانية ومكانية، فهو فعل يستدعي وجود طرفين: الأول مُسْتَقْبِلٌ والثاني قَادِمٌ، ولو تأملنا كل آيات التنزيل الحكيم التي ورد فيها هذا الفعل على كثرتها لوجدناها تدخل في هذا المضمار، ونعرض بعضها هنا للتدليل فقط:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ^{٢١٠} البقرة: ٢١٠

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ

سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا

الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ^{٢٤٨} البقرة: ٢٤٨

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي

لَئِطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^{٢٦٠} البقرة: ٢٦٠

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ

يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا

حَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ^{١٥٨} الأنعام: ١٥٨

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ الأعراف: ٣٥

﴿مَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَانَتْكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَكُمُّ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر: ٧

عند تأمل هذه الآيات وغيرها كثير في التنزيل الحكيم، ندرك أنه عندما يرد فعل ((يأتي)) يستدعي ذلك وجود طرفين اثنين في الأمر، طرف قادم وطرف مستقبل له، وآية الحج ٢٧ التي طلب فيها الله من النبي (ص) أن يؤذن في الناس بالحج ليأتوه، إنما كانت نداء لمن عاصروه، ولم تكن أمرا مطلقا للناس إلى يوم الدين، فذلك غير معقول، إذ كيف يمكنهم أن يأتوه بعد وفاته؟ ولكن مع الأسف هذا هو الفهم الخاطي لدى أغلب الناس بتوجههم في الحج أو العمرة لزيارة قبر النبي (ص)، علما بأن هذه الزيارة لا تدخل ضمن مناسك الحج أو العمرة، ولو كان الأمر من الله للناس بالقدوم للرسول في حياته معقولا فإن الأمر للقدوم إليه بعد مماته غير معقول ويتعارض مع التنزيل الحكيم

في عدة مواضع كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠ إذ كيف يطلب الله

من الناس القدوم على ميت؟

لذلك نرى أن هذه الآية من القصص المحمدي، ونزلت على النبي (ص) بأمر إلزامي ظرفي (زمانى - مكانى) بالأذان في الناس للقدوم إليه، في الأيام المعلومات التي كان يحج فيها الناس على عهد إبراهيم عليه السلام.

ونرى أن الله طلب منه (ص) دعوة جميع الناس للحج في هذه الأيام المعلومات، دون أن يجعل الحج في هذه الأيام إلزاما، ليبين أن الحج شعيرة إنسانية، وليس شعيرة خاصة بالأمة المحمدية فقط، حيث تم الأذان للناس جميعا في الأيام التي كان يحج فيها الناس جميعا على عهد إبراهيم. ولو كانت الدعوة خاصة باتباع الرسالة الخاتمة لقال (وأذن في المؤمنين يأتوك)، ولأصبحت رسالته محلية لقومه فقط.

لقد تم الأذان للناس جميعا على عهد النبي (ص) في الحجة الوحيدة التي حجها فكانت بمثابة موعد لتجمهر إنساني حافل، وحدث إنساني هز المنطقة يومها في الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وكان اجتماع ذا طابع سياسي لبيان شوكة الدولة الحديثة النشأة وقوتها لفرض هيبتها على المستوى الخارجي، بالإضافة إلى كونه إجتماعا دينيا شعائريا.

لقد تم جمع الناس من الرسول (ص) يومها لإقامة الحجة عليهم في ختم الرسالة المحمدية، خاصة وأن حجة الوداع تلك تمت قبل ثلاثة أشهر من وفاة الرسول (ص)، وكانت في شهر ذي الحجة سنة ١٠ هـ ووفاته (ص) حسبما قدرها المؤرخون كانت في ربيع الأول من سنة ١١ هـ.

إننا نرى أن الحج ليس شرطاً أن يكون في العشرة أيام الأولى من ذي الحجة – أي تلك الأيام التي حج فيها الرسول (ص) حجة الوداع، ولا نرى أن هناك أي إلزام تشريعي أو شعائري يحصر مناسك الحج في الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة، ولا يمكن أن يكون ذلك لأن نفس الأمر بالأذان في الناس للحج في هذه الأيام وهو الله تعالى، هو نفسه الذي جعل مجاله مفتوحاً وممتداً

لأربعة أشهر هي الأشهر الحرم لقوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ

وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ البقرة: ١٩٧
ولا يمكن أن يكون هناك تناقض في كتاب الله، تعالى الله وتنزهه عن ذلك.

لهذا فالحج كشعيرة ممكن أن يكون في أي أيام معدودات من الأشهر الأربعة الحرم، أي إن أي يوم من الأشهر الأربعة الحرم يمكن أن يكون يوم عرفة، وأي يوم من الأشهر الحرم يمكن أن يكون يوم النحر، كذلك أيام التشريق. طبقاً للتاريخ الهجري فإن الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم تأتي متتالية، وشهر منفرد وحده هو الشهر السابع رجب.

قلنا إن الدعوة للناس جميعاً، فكيف نفهم إذن قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ التوبة: ٢٨ .

لقد اعتمد على هذه الآية كمرجع لمنع كل أهل الأرض، ما عدا أتباع الرسالة المحمدية، من دخول مكة ومنطقة الحرم على أساس أنهم نجس، فهل هذا منطق مقبول؟ هل يفعل أن يكون ٨٠٪ من سكان الأرض نجساً والباقي ناساً وهم أتباع الرسالة المحمدية ويمثلون نسبة ٢٠٪ من سكان الأرض؟؟؟

لنفهم آية التوبة: ٢٨، نقول الشريك ليس صفة لصيقة بصاحبها على الدوام بل هي حالة اعتقادية فقط بالنسبة للمشارك وقد تتحول إلى حالة سلوكية تسمى الكفر في حال التعبير عنها بالمقال أو الفعل، وبالتالي فإنَّ كلتا هاتين الصفتين متغيرة إذا تغير الموقف الإعتقادي للإنسان، فقد يكون الإنسان مشركاً أو كافراً ثم يتحول إلى التوحيد فتنتفي عنه صفة الشرك.

أيضاً مفهوم الشرك ليس ثابتاً، ففي عهد الرسول (ص) كان المشركون عبدة أصنام، أما في عصرنا فإن هذه الظاهرة ليست منتشرة، وهذه الصفة سارت إلى طريق الإنقراض نتيجة الوعي الإنساني وتوحيد الله الذي ليس كمثله شيء. وهذا يستوجب علينا نحن كأمة محمد عدم إصااق تهمة الشرك والكفر بالغير من أهل الملل الأخرى جزافاً لأن الله وحده العالم بالسرائر.

وإذا كان الفقهاء بناء على الآية ٢٨ من سورة التوبة قد ألصقوا صفة الشرك بكل من هم ليسوا أتباعاً للرسالة المحمدية بمن فيهم أهل الكتاب، والحكم عليهم بناء على ذلك بالنجاسة، وتحريم دخول منطقة المسجد الحرام عليهم، وفي ذلك تقوّل على الله بغير علم، ذلك أنّ التنزيل الحكيم قد

فرق بين أهل الكتاب والمشركون في قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ البينة: ١، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦﴾

البينة: ٦. وهنا ((الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)) هم الذين اتخذوا موقفا عدائيا علنيا ضد الدعوة المحمدية وهم في هذه الحالة اليهود ولذا قال ((مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)) وليس كل أهل الكتاب.

سورة التوبة هي من القصص المحدي ولا تحمل اي أحكام تشريعية.

الآية تقول ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهل المقصود بهم كل المؤمنين من أمة محمد

عبر كل العصور المتعاقبة كما يفهم الفقهاء؟ طبعاً لا، لأنه يقصد المؤمنون الذين عاصروا النبي

في الفترة التي نزلت فيها هذه السورة. وبالتالي فإن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾،

لا يقصد به مشركوا كل الأزمنة والعصور كما فهم الفقهاء، بل يقصد به الفئة الثانية المقابلة لفئة أتباع الرسول في تلك الفترة والتي أبدت عداً للرسول ومن معه. أما بخصوص قوله

﴿نَجَسٌ﴾ فإن هذه المفردة ذكرت مرة واحدة في التنزيل الحكيم وفي هذه الآية فقط، والنجس

في اللغة العربية هو عكس الطهارة، وقد اختلف المفسرون والفقهاء حول معنى صفة النجس التي ألصقت بهؤلاء المشركين فذهب البعض منهم إلى أن نجاستهم حسية وذهب البعض الآخر إلى أن نجاستهم معنوية. ونحن نرى أنها معنوية – ونرى أن هذه النجاسة هي التي تخرج من الفم (اي النطق) والتي تتمثل في جعل شريك لله عز وجل عن ذلك. وهذا النطق الذي كان سائداً عند المشركين هو تلبية الحج، والذي هو (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إلا شريك لك ملكته وما

ملك)، ولاحظ قوله تعالى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ

أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ الكهف: ٥.

ونجد أن التصحيح الذي قام به المسيح في مفهوم النجاسة كان واضحاً في نقاش دار بينه وبين تلامذته، لما جاءه الكتبة والفريسيون يحتجون على كون أتباعه لا يغسلون ايديهم حين يأكلون خبزا

١ حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من اورشليم قائلين:

٢ «لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟»

٣ فأجاب وقال لهم: «وأنتم أيضاً، لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟

٤ فإن الله أوصى قايلاً: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً.

٥ وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه: قربان هو الذي تنتفع به مني. فلا يكرم أباه أو أمه.

٦ فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم!

٧ يا مراؤون! حسناً تنبأ عنكم إشعياء قايلاً:

٨ يقترب إلي هذا الشعب بقمه، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً.

٩ وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس».

- ١٠ ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ وَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا وَأَفْهَمُوا.
 ١١ لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ».
 ١٢ حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِيْسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟»
 ١٣ فَأَجَابَ وَقَالَ: «كُلُّ غَرَسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيِّ يُقْلَعُ.
 ١٤ أُتْرَكُوهُمْ. هُمْ عُمَيَّانُ قَادَةُ عُمَيَّانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلَاهُمَا فِي حُفْرَةٍ».
 ١٥ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «فَسِّرْ لَنَا هَذَا الْمَثَلَ».
 ١٦ فَقَالَ يَسُوعُ: «هَلْ أَنْتُمْ أَيْضًا حَتَّى الْآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟
 ١٧ أَلَا تَفْهَمُونَ بَعْدَ أَنْ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَمْضِي إِلَى الْجُوفِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى الْمَخْرَجِ؟
 ١٨ وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنْ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَٰكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ،
 ١٩ لِأَنَّ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شَرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنَى، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةٌ زُورٍ، تَخْدِيفٌ.
 ٢٠ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ. وَأَمَّا الْأُكُلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ».

إنجيل متى: الإصحاح ١٥

أما الخلط عند الفقهاء لدى الفقهاء بين النجس والرجس والقول بأن لهما نفس المعنى فهذا هراء كقولهم عن الخمر بأنه نجس، ولكن واقع الأمر أن الخمر فيه رجس، ورجس الخمر هو السكر، ولا علاقة للنجس بذلك من قريب ولا من بعيد.

أما قوله تعالى في نفس السورة ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾

فقد فهمه الفقهاء على أنه تحريم أبدي، فألصقوا صفة الشرك على كل أهل الكتاب ومنعواهم من الإقتراب من المسجد الحرام، وفي ذلك تقول على الله وتحريم لما أحل، لأن التحريم إلهي أبدي شمولي، أما ما جاء في هذه الآية من سورة التوبة فهو منع أي إنسان يلبي تلبية فيها شرك حين دخول منطقة المسجد الحرام، وهذا الخطاب موجه للمؤمنين للتعامل مع هذه الفئة التي كانت موجودة فعلا، وبعد فتح مكة انتهت بدون رجعة ولا علاقة لبقية سكان الأرض بهذا. فخطاب النهي

في الآية ليس أزليا بل ظرفي. وقد يحتج علينا الفقهاء بأن هذه الآية أبدية بدليل قوله ﴿بَعْدَ

عَامِهِمْ هَٰذَا﴾، وقد يبدو كلامهم مقبولا للوهلة الأولى لكن هناك آية أخرى في نفس السورة

(سورة التوبة) تبين مفهوما معاكسا لمفهوم الأبدية والإطلاق الذي قال به الفقهاء هو قوله تعالى

﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ

وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ التوبة: ١٢٦، فالآية توجه الخطاب للمنافقين بأنهم يفتنون في

كل عام مرة أو مرتين حيث جاءت بعد قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ التوبة: ١٢٥، فهل

نقول بأن حالة الإفتتان التي كانوا يعيشونها أبدية؟ نقول في كل عام مرة أو مرتين إذا كان لها الطابع الأبدي، فأين الفتنة مرة أو مرتين في كل عام منذ نزول السورة حتى يومنا هذا؟ وكان يجب أن يكون هناك ١٤٠٠ إلى ٢٨٠٠ فتنة حتى يومنا هذا. فهل من متطوع يخبرنا ما هي هذه الفتن؟ لذا فهذه الآية تصف حالة معينة لأهل حقبة زمنية محددة هي عهد البعثة المحمدية فقط.

كذلك آية الجزية فهي من القصص المحمدي حدثت في شروط الجزيرة العربية في القرن السابع. علما بأن الشروط الحالية في العالم لا تسمح بشيء اسمه الجزية ولا لزوم لها، وأن آية الجزية وغيرها في سورة التوبة هي تاريخ وليست تشريعا.

وختاما يمكننا أن نستنتج أن الفقه المتوارث بكل فروعه في الشعائر أو العبادات كما يسميها الفقه، وفي التشريعات أو العادات بحاجة لإعادة قراءة، حتى نعيد الاعتبار للدين الإسلامي، ونعيد له صفة العالمية التي أفقده إياها الفقه والفقهاء وعلى رأسهم الشافعي، سامحهم الله.

الصوم

شعيرة من الشعائر التي نتقرب بها إلى الله.

الصوم كان بالإمتناع عن الكلام قبل أن يتحول بالإمتناع عن الطعام. قال تعالى على لسان مريم عليها السلام

﴿فَكُلِّ وَأَشْرِي وَفَرَى عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا

فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ﴿٢٦﴾ مريم: ٢٦

مريم عليها السلام، صامت بالإمتناع عن الكلام، والإمتناع عن الكلام أصعب من الأمتناع الطعام. نكرر هنا أن الصيام هو ركن من أركان الأيمان لأتباع الرسالة المحمدية .. الذي يصوم رمضان يُعرف أنه من أتباع الرسول الأعظم.

إن تحويل أركان الأيمان إلى أركان الإسلام حول الرسالة الخاتمة من رسالة عالمية إلى رسالة محلية. الإسلام عالمي وشمولي.

بالأصل الصيام هو الصوم عن الكلام – يقال صام الديك – أي توقف عن الصياح.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ

رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ ﴿٤١﴾ آل عمران: ٤١ .. هنا أيضا طلب من زكريا عليه السلام بأن يصوم عن الكلام.

الصوم عن الكلام أصعب من الصوم عن الطعام. تصور لو أنّ رب العالمين طلب منا في رمضان أن نصوم عن الكلام، عندئذ تتوقف العلاقات الإجتماعية وتتوقف الأعمال، وتتوقف دورة الحياة في المجتمع. الأعمال تستدعي الكلام.

والصوم ليست شعيرة خاصة بأتباع الرسالة المحمدية لكنها كانت في الأمم السابقة ﴿يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ آيَاتًا مَّعْدُودَاتٍ ... ﴿البقرة: ١٨٣ – ١٨٤﴾ بكل الرسالات (أيام معدودات).

الله أوضح لنا بعضاً من تفاصيل الصيام في الآية ١٨٤ من سورة البقرة ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۚ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ البقرة: ١٨٤ .. فالله رخص للذين يطيقونه فدية إطعام مسكين .. وهنا نقول فدية

وليس كفارة، لأن الكفارة تكون لذنوب اقترافه الإنسان .. أكثر من ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل الصيام نفسه كفارة.

﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ...﴾ البقرة: ١٩٦

﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَفِدْيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ

عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَفِدْيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ

فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿١٩٢﴾ النساء: ٩٢

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَرْتُمْ ۖ

إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا

أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ المائدة: ٨٩

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ المجادلة: ٣ - ٤ .

يقول البعض أن ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ في آية البقرة ١٨٤ تعني الذين لا يطيقونه ونقول: عندما قصد الله الذين لا يطيقون ذكر ذلك بوضوح. قال تعالى

﴿لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ البقرة: ٢٨٦ .. فيطبق تعني يطيق وليس لا يطيق.

أنا أقول أن الإنسان إذا كان لا يرد أن يصوم لأي سبب ما فعليه كفارة - على الأقل - إطعام مسكين. رب العالمين حين يعطي هذه الرخصة فهو أدرى بعباده. تصور اليوم عدد المسلمين في العالم قد وصل إلى مليار وثلاث مئة مليون نسمة. لنفرض أن هناك مئة مليون يطيقون الصيام وقرروا أن يكفروا - على الأقل - إطعام مسكين عن كل شخص، أي بمعدل ١٠ دولارات عن كل يوم. لنحسب:

كفارة الشخص الواحد طوال شهر رمضان = $30 \times 10 = 300$ دولار

كفارة المئة مليون مؤمن طوال شهر رمضان = $300 \times 100,000,000 =$

$30,000,000,000 =$

أي ٣٠ مليار دولار، هذا إذا كانت الكفارة إطعام مسكين واحد، فما بالك وهناك من هو قادر على إطعام ١٠٠ مسكين، فكم سيكون المبلغ.

هذا الأمر يجب دراسته، لأنه لو كان هناك صندوق إسلامي بحق يهتم بهذا الموضوع لقضينا على الفقر وعلى المجاعة في أقاليم عديدة .. فما يمكن أن يجمع من هذا الأمر يفوق ميزانية دول بذاتها.

أخيرا أريد أن أقول هنا أن الأسباب التي قد تؤدي على عدم القدرة على الصيام عديدة، منها مثلا الأعمال التي تتطلب مجهودا عاليا، ومنها مثلا أولئك الذين يعيشون في الدول الإسكندنافية حيث تصل ساعات الصيام في اليوم الواحد حوالي الـ ٢٠ ساعة أو أكثر.

لكن في النهاية إذا كان الإنسان قادرا على الصيام، فإن ذلك يكون أفضل له ﴿وَأَنْ تَصُومُوا

خَيْرٌ لَّكُمْ

الآن شخص قرر أن يصوم، كيف يصوم؟ جاءت الآية التالية لتوضح ذلك ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن

شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ^ط وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥ .

ثم بين لما سبحانه وتعالى ما يجب أن نقوم به وما يجب أن نتجنبه إذا قررنا الصيام

﴿أَحَلَّ لَكُمُ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ^ط هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ

اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ

وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ^ط وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ^ط وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي

الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ البقرة: ١٨٧

الزكاة

الزكاة شعيرة من شعائر الله، لكنها تتميز عن الصلاة والصوم بأن لها ارتباط بالآخرين.

والزكاة تأتي دائما في التنزيل الحكيم مرتبطة بالصلاة (يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)، ونرى هذا في آيات كثيرة في التنزيل الحكيم.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ٥٥

﴿ المائدة: ٥٥ ﴾

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ٢ ﴿ الأنفال: ٣ ﴾

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ٣ ﴿ النمل: ٣ ﴾

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ٤ ﴿ لقمان: ٤ ﴾

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٧١ ﴿ التوبة: ٧١ ﴾

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ٤١ ﴿ الحج: ٤١ ﴾

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا

تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ۚ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ٣٧ ﴿ النور: ٣٧ ﴾

... آيات كثيرة في كتاب الله نجدها تربط إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة.

لقد حدد الله لنا في سورة التوبة من هم الذين يستحقوا الصدقات. قال تعالى

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي

الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴾ ٦٠ ﴿ التوبة: ٦٠ ﴾

١ - الفقراء ٢ - المساكين ٣ - العاملين عليها ٤ - المؤلفة قلوبهم ٥ - في الرقاب ٦ - الغارمين ٧ - في سبيل الله ٨ - ابن السبيل.

وفي سورة البقرة ذكر لنا لمن يُؤتى المال

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

الْبَأْسِ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة: ١٧٧

وهنا ذكر ١ - ذوي القربى ٢ - اليتامى ٣ - المساكين ٤ - ابن السبيل ٥ - السائلين ٦ - في الرقاب ... وبعد أن ذكر هؤلاء قال تعالى (وأقام الصلاة وءاتى الزكاة) ونفهم أن المذكورين ليسوا ممن دخلوا ضمن من نزكي لهم.

نلاحظ أن هناك ثلاث فئات مشتركة ذكروا في آية التوبة: ٦٠ وآية البقرة: ١٧٧ وهم: المساكين، ابن السبيل وفي الرقاب.

هناك زكاة اسمها زكاة الأيمان خاصة باتباع الرسالة المحمدية، وهناك زكاة إنسانية عامة.

نفرض أن مُحْسِنٍ مؤمن أراد أن يتبرع لدار أيتام في أي بلد سواء أكان هذا البلد يتبع الرسالة المحمدية أو لم يكن .. لا مشكل، هذه زكاة إنسانية جائزة.

الفقراء:

لكن إذا أردت أن تتبرع للعاطلين عن العمل فالأجدر بك أن تتبرع لأولئك الموجودين في بلدك وليس في أي بلد آخر.

المساكين:

المساكين هم فئة خاصة من الناس لا يخلو مجتمع إنساني منهم. هؤلاء هم من نطلق عليهم اسم أصحاب الإحتياجات الخاصة. هؤلاء تجوز الصدقة لهم لأي مذهب انتموا.

المسكين من "سكن"، قليل الحيلة: أعمى، أطرش، مشلول

الله تعالى قال إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ .. قدم الفقراء لأن الفقراء عددهم أكثر

من المساكين. ويعتبر الأعمى والأطرش في المجتمعات عامة معاقا، لأن هاتين الحاستين: السمع والبصر هما مصدر المعلومات من العالم الخارجي، فلو فقد الإنسان حاسة من هذه الحواس يعتبر

معاق. ونلاحظ دقة التنزيل الحكيم بقوله تعالى

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل: ٧٨

فإنه تعالى ذكر من الحواس الخمس السمع والبصر، ولم يذكر الشم والذوق والحس، لأن من يفقد أي من هذ الحواس الثلاث لا يعد معاقا ولا تؤثر كثيرا على تلقي معلوماته من محيطه الذي يعيش فيه.

السائلين:

هم فئة من الناس ألمت بهم مصيبة وطلبوا المساعدة. كأن تحدث كارثة طبيعية: زلزال، طوفان، حريق ... يكون نتيجتها تشريد العديد من الناس، هؤلاء عليك تقديم المساعدة لهم دون السؤال عن الدين أو المذهب الذي ينتمون إليه.

وفي الرقاب:

إلى الآن ما زالت ظاهرة الرق البشري تتجسد في بعض التصرفات. ما زال هناك من يتاجر بأجساد النساء ويستعبد الأطفال بأن يرسلهم للعمل بطريقة لا إنسانية. هؤلاء عليك العمل على تخليصهم من هذا الظلم.

أي إنسان فقد حريته من قبل شخص آخر ولم يعد قادرا على التخلص منه .. هذا الإنسان يجب مساعدته ومد يد العون له.

ذو القربى:

علينا أن نميز بين (ذو القربى) وأولي القربى. فأولي القربى هم الأقرباء نسباً، أما ذو القربى فهم القريبين منك دون أن يربطك بالضرورة أي صلة قربة بهم. كالسكرتير الذي يعمل لديك منذ فترة طويلة وكانت له يد بيضاء خلال عمله وساهم في نجاحك.

أخيرا قال تعالى

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ الطلاق: ٧

إنسان لا يمكن المال ليتصدق به لكن الله أعطاه علما ينفع فليعلمه لغيره، أو موهبة امتلكها فليحاول أن يشارك الآخرين بها، بالرسم إن كان يجيده، بالغناء إن وهبه الله بالصوت الجميل، بالرياضة إن كان قادرا .. بما وهبه الله.

علم الناس ما انت مبدع فيه.

فهرس أأأأ

صفأة	أأأأ
2	أأأ شأرر - أراءة أأأرة
15	أأأأ أأأ - أأرأأ أأأأ أأأ
26	أأأأأأ وأأأأ أأأأ
43	أأأ وأأأأ
48	أأأأ وأأأأ
62	أأمة أأأ أأأ
76	أأأ أأأ
89	أأأ أأأ وأأأ
96	أأأ أأأ أأأ
104	أأأأ وأأأ
116	أأأ وأأ
126	أأأ وأأأ
135	أأأأ أأأ أأأ وأأأ أأأ
146	أأأ أأأ أأأ
154	أأأ وأأأ
162	أأأ وأأأ
175	أأأ أأأ وأأأ أأأ
204	أأأأ وأأأ وأأأ أأأ
223	أأأ وأأأ أأأ - أأأ وأأأ وأأ
229	أأأ وأأأ أأأ - أأأأ أأأ
235	أأأ وأأأ أأأ - أأأ
242	أأأ وأأأ أأأ - أأأ
252	أأأ وأأأ
260	أأأ وأأأ
270	أأأ وأأأ
281	أأأ وأأأ
290	أأأ وأأأ - أأأ (1)
303	أأأ وأأأ - أأأ (2)
315	أأأ وأأأ - أأأ (3)
322	أأأ وأأأ - أأأ (4)
333	أأأ وأأأ - أأأ (5)
342	أأأ أأأ

محمد شحرور



محمد ديب شحرور ..

ولد في سوريا - دمشق ١٩٣٨ ..

حاصل على شهادة الدكتوراة من جامعة دبلن - أيرلندا ١٩٧٢

إختصاص ميكانيك وتربة أساسات ..

عين مدرسا في كلية الهندسة المدنية - جامعة دمشق حتى العام

١٩٧٢ ..

له عدة مؤلفات في مجال إختصاصه تؤخذ كمراجع هامه لميكانيك
التربة والأساسات ..

بدأ في دراسة التّنزيل الحكيم وهو في أيرلندا بعد حرب ١٩٦٧ ، وذلك في عام ١٩٧٠ وقد ساعده
المنطق الرياضي على هذه الدراسة، واستمر بالدراسة حتى العام ١٩٩٠ حيث أصدر الكتب التالية
ضمن سلسلة (دراسات إسلامية معاصرة) الصادرة عن دار الطباعة والنشر في دمشق.

- 1- (الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة) عام ١٩٩٠ (٨٢٢ صفحة)
- 2- (الدولة والمجتمع) عام ١٩٩٤ (٣٧٥ صفحة)
- 3- (الإسلام والإيمان - منظومة القيم) عام ١٩٩٦ (٤٠٠ صفحة)
- 4- (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي - فقه المرأة "الوصية، الإرث، القوامة، التعددية، اللباس) عام ٢٠٠٠ (٤٠٠ صفحة)
- 5- (تجفيف منابع الإرهاب) عام ٢٠٠٨ (٣٠٠ صفحة)

وصدر له عن دار أساقي - بيروت - لبنان، الكتب التالية:

- 1- (القصص القرآني - المجلد الأول: مدخل إلى القصص وقصة آدم) عام ٢٠١٠ (٣٥٩ صفحة)
- 2- (الكتاب والقرآن - روية جديدة) عام ٢٠١١ (٧١١ صفحة)
- 3- (القصص القرآني - المجلد الثاني: من نوح إلى يوسف) عام ٢٠١٢ (٢٨٦ صفحة)
- 4- (السنة الرسولية والسنة النبوية - روية جديدة) عام ٢٠١٢ (٢٢٩ صفحة)
- 5- (الدين والسلطة - قراءة معاصرة للحاكمية) عام ٢٠١٤ (٤٨٠ صفحة)
- 6- (الإسلام والإيمان - منظومة القيم) عام ٢٠١٤ (٣٢٦ صفحة)